

جامعة تلمسان

معهد اللغة و الادب العربي

جامعة بوبكر بلقايد * تلمسان *
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

دراسات ساتكسية للهجات العربية القديمة

اعداد الطاب

عبد الجليل مرتاض

13/11	سجل تحت رقم:
2011	تاريخ:
	رقم:

اشراف :

الاستاد الدكتور

رضوان محمد حسين النجار

XXXXXXXXXX

» اطروحة جامعية علمية للحصول على درجة دكتوراه الدولة «

في اللسانيات

1414 - 1994 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((ومن آياته خلق السموات والأرض

وإختلاف الستين قسم))

سورة الروم : من آية : 22

بعض الرموز والاشارات العارضة التي قد تتردد في الهوامش :

=====

ج = جـسز

س = سفـسـر

ص = صفـحـة

ص.ع = الصفحة عينها

ص.ن = الصفحة نفسها

ط = طبعـة

ق = قسـم

م.س.ع = المصدر السابق عينه

م.س.ن = المصدر السابق نفسه

م.ط = مطبعـة

المقدمة :

1- اشكالات الموضوع :

لست لي أية فائدة من اخفاء سر على
المتتبع لهذا البحث أو العمل ، اذا افضيت له بجملة الأسر
معتزفا بأن هذا الموضوع ظل يراودني منذ سنوات طويلة ،
وكما حاولت أن أبتعد عنه وأنساه نهائيا ، وجدت نفسي منهمكا
بغير قصد فيه ، وحتى أحاول أن أتخلص منه بشكل لا رجعة
فيه ، اتجهت شرقا ومغربا ، لأبحث في موضوعين لا صلة للواحد
منهما به ، ولكن حين اتجهت غربا (الى فرنسا) وجدت نفسي
مرة أخرى أسجل فيه بتواز مع تسجيل في جامعة قسنطينة ،
ثم أخيرا في جامعة تلمسان .

وعليه ، فيمكن القول بأن هذا الموضوع قد فرغ نفسه
علي أكثر مما فرضت أنا نفسي عليه ، وهذا يؤيدني القول
الذي غدا مكشوفاً بأن هذا البحث هو نتيجة قراءات تراثية
لهجية ولغوية في لغات سامية ولهجات أخرى أركية أو
عتيقة الى جانب قراءة موازية لها ومتقاطعة معها في الآن
ذاته ، هي القراءة اللسانية الحديثة والمعاصرة ، مما جعلني
أفكر في مغامرة الجمع بين القراءتين : التاريخية والوصفية .

أما السر الآخر، والذي يعرفه العلماء والمهتمون
 بهذا الموضوع أفضل مني، فيظهر في الموضوع نفسه، حيث
 أن هذا الميدان — أي الدراسات اللهجية — قد طرق منذ
 عهد طويل من باحثين عرب ضليعين، وربما كان الأستاذ
 حفي ناصف أول من حاول أن يبحث الموضوع بحثاً مستقلاً
 (مميزات لغات العرب) ولكن دراسته الصغيرة تلك كانت دراسة
 (تقليدية خالية من تحقيق النصوص ومقالاتها وتمحيصها، وموازنة
 الآراء والمذاهب والتحليل والنقد، كما أنه (صاحب الدراسة) يستغف
 بر الروايات إلى مصادرهما ومطابقتها، فأهمل المصادر الأصلية أهلاً
 تاماً في هامش الكتاب، ومع صغر حجمه، إلا أنه يعتبر أول باكورة
 أطلت على الحقل اللهجي (1) .

وظهرت دراسات أخرى في نفس الموضوع، إلا أنها كانت متفاوتة
 في جديتها واهتمامها، وتخصصها... وهذه الدراسات بعضها
 ما اتصل باللهجات العربية القبلية مباشرة، وبعضها الآخر
 لم يحفل بهذه اللهجات إلا من باب اتخاذها حجة في القراءات
 القرآنية، وهذا الموضوع قد يهتم به فطاحل من القراء والنحاة
 واللغويين والمفسرين وخاصة علماء القراءات القرآنية، وليس جديداً

(1) من مقدمة ((اللهجات العربية في القراآت)) د. أحمد علم الدين الجندبي
 (هـ: 1/ ص: 1) (سيف كرم مرجع معرفاً تعريفاً كاملاً لاحقاً)

بما في شكل من الاشكال ، لا عند العرب المحدثين ولا
عند المستشرقين ، على الرغم من ان هو لا * الاخيرين فاقونا
بمنهجيتهم الدقيقة المستوحاة لسديهم من التحرر العلمي
العاظمي اوالدينسي ، ولكنها لم تخل تماما من بعض الشوائب
والعفا لطات ، وخاصة حين يتعرضون الى الحديث عن العربية
التاريخية او الفصحى وعلاقتها باللغات العربية ، حيث يريدون
ان يطبقوا عليها نظريات مستوردة وغريبة عن طبيعة
العربية ومتكلميها في تلك الحقبة المجهولة والبعيدة في الزمن ،
وعلى الرغم من هذه الدراسات الغزيرة والثريفة
التي سبقت اليها من باحثين مشكورين ، فاني لم ارضا
ابواب هذا الحقل قد اُغلق بشكل رادع لمن يريد ان يدلي
بدلوه فيه ، بل وجدت هذا الفضاء ارحب من ابي وقت
مضى ، وهذا تماشيا مع ما جد في حقل الدراسات اللغوية
المقارنة والوصفية من الناحية المنهجية التي غيرهمما
من السطرق المنهجية الاخرى ، وتماشيا مع ما ظهر فني
ميدان اللسانيات الحديثة والمعاصرة من نظريات ، ليست

اللغة العربية ولهجاتها ، بما فيها اللغات السامية واللهجات
العربية البائدة ، بدءاً منها .

ومما لا حظته في كتب فقه اللغة العربية ، وبدون
استثناء ، أن هذه الكتب تهتم بالجوانب التاريخية والاجتماعية
والانثروبولوجية . . . كلما تناولت موضوع اللغات السامية
أو اللهجات العربية البائدة ، فهي تختصر وتستفيض في الحديث
عن شعوبها وأحداثها العظيمة أو الصغيرة ، ولكنها لا تكاد
تخصص أو تشير إلا بكلمات مختلطة ويتممة في هذه الصفحة
أو تلك ، وإنك لا تكاد تظفر بأكثر من بضع صفحات متتابعة ،
حتى أني لم أجداي فرق بين ما تقوله الكتب التاريخية وهذه
الكتب اللغوية ، بل من العدل أن نقول أن بعض الكتب التاريخية
كانت أكثر اهتماماً واحاطة بالموضوع من كتب الأبحاث اللغوية .

مادة ومنها : (كما جاء في كتابي)

طبقات ما أشير في إشكالية هذا الموضوع أعلاه ،
فاني لسم أجده موصداً أمام إمكانية إضافة ما يمكن
إضافته ، لكن يأتي تفكير أوبائية قراة ؟ وبعبارة أخرى :

بأي منهج ؟ بقراءة استقرائية ؟ استنباطية ؟ تاريخية
أو خارجية ؟ وصفية أو داخلية ؟ موازنة ؟ مقارنة ؟
تقابلية ؟ ...

إن موضوعنا ، كما سيلاحظ المتتبع له ، يحتمل أن يكون طرحا
وميدانا تطبيقيا لغير قراءة واحدة من هذه القراءات ، فهو لسانی
تاريخي باعتبار أنه يتعرض لقضايا تاريخية من أجل تحديد المدونة
أو الفضاء الزمني والحميز المكاني ، وهو يتطلب هنا عوامل خارجية
من هذا الجانب أو ذاك أو لاجل هذا السبب أو غيره ، ولسانی وصفی
صرف ، وهو هنا يتطلب التمسك بالعامل الداخلي المتصل باللغة
أو التراكيب اللهجية المدروسة في ذاتها ولذاتها دون السماح لآلية
قراءة خارجية متطفلة عليه .

والذي اتجهنا إليه واقتنعنا به بعد تردد ربما كان
أكثر طولاً من إنجاز هذا البحث نفسه ، أنه لا يفسر من
محاولة التألف والتعامل مع ما يتصل بالعوامل الخارجية
حيناً ، وهذا في القسم الأول من هذا البحث ، ومع ما يتصل بالعوامل
الداخلية حيناً آخر ، وهذا بشكل خاص في القسم الثاني .

ومن أجل الخضوع إلى هذه الرؤية المنهجية للتعامل

مع ما رتنا ، سيلاحظ المتتبع لهذا العمل أننا أدرجنا
فسي الباب الأول بعض المواضيع التي كان يجب وفق
التسلسل الزمني والتاريخي والطبيعة التقليدية للتعاقل
مع عناصر الأشياء والظواهر ، أن ندرجها ليس فقط
في أحد الأبواب الثلاثة من القسم الأول بل في صدر القسم
الثاني ، لكننا علمنا من حيث هي ظواهر ومواضيع تخضع
لمنهج تاريخي أو دياكرونسي أكثر مما تتألف مع
منهج وصفي أو ساكنرونسي ، إذ لا يمكن أن نوفق في
بحثنا وتناول مواضيع خارجية مثل التقاطعات الفضائية
للقائل العربية ، أو إشارة اشكالية فصاحة لهجة من
اللهجات أو المفارقة في تحديد ما يسمى باللغة النموذجية أو
المشتركة ، إلى غير ذلك من الأسماء والسميات ، من خلال
التعسف لا خضاعها عنوة إلى منهج ساكنروني أو بنيوي
يستبعد ويعاد في سلفا كل ما هو خارجي .

وبالعكس ، سيلاحظ المتتبع لهذا العمل تقديم ما كان يجب
تأخيرها عما مضت الإشارة إليه ، لكننا انتهجنا هذا المنهج
لإقناعنا بأن الدراسات السانتكسية أشد ما تكون اتصالا وارتباطا

4 - بعض الصعوبات التي اعترضت هذا البحث: 183، 259

لا يمكن هنا أن نستعرض كل الصعوبات والقضايا التي اعترضت هذا البحث، لأننا نرى أن البحث الذي لا تعترضه صعوبات قاسية وعقيدة لا طائل من ضياع الوقت والجهد والصحة في بحثه، وإن نرى أن البذل بحث وأكثره فائدة للمتلقى هو ذلك البحث الذي تعترضه صعوبات، وكلما كثرت هذه الصعوبات وحرنت الأوكسان هذا البحث نرى تقديرنا، أفضل وأجدي للمتلقى.

والواقع أن الصعوبات التي اعترضتنا منذ البداية حتى النهاية هي طريقة التناول، طبعاً الرغبت من أينما حاولنا أن نقدم علاجاً لهذه المسألة ببعض الطرق المنهجية المتعددة المناسبة لكل محور من محاور هذا البحث، وهذه الصعوبة قد لا يتفق معنا فيها المتلقي، لهذا العمل، لأنها من الأولى وأوليات الباحث، وهو مسؤول عنها في سلسلتها وإجاباتها.

لكن هناك صعوبة أخرى تتعلق بالمادة وما أحاط بها من أبحاث ودراسات، فالمادة اللهجية غزيرة وثرية في حد ذاتها، لكن المراجع التي تناولتها تناولاً معاصراً قليلة، وخاصة من وجهة نظر البنية السانتكسية، وحسب علمي وإطلاعي، وقد

مع ما رتنا ، سـيـلـا حـظ المـتـبـع لـهـذا العـمـل اُنـا اُـدـرـجـنـا
فـمـنـي البـاب الاوّل بـعـض المـواضـيـع الـتـي كـان يـجـب وـفـق
التـسـلـسـل الزـمـنـي والتـاـرـيـخـي والطـبـيعة التـسـقـلـيـديـة للـتـعـا مـل
مـع عـنـا صـر الـاـشـيـا ، والظـوـا هـر ، اُنـ نـدـرـجـهـا لـيـس فـقـط
فـي اُـحـد الـاُـبـواب الثـلاثـة مـن القـسـم الاوّل بـل فـي صـد ر القـسـم
الثـانـي ، لـكـنـنـا عـا مـلـنـا هـا مـن حـيـث هـي ظـوـا هـر و مـواضـيـع تـخـصـع
لـمـنـهـج تـاـرـيـخـي اُـو دـيـا كـرو نـسـي اُـكـثـر مـا تـتـآ لـف مـع
مـنـهـج و صـفـي اُـو سـا نـكـرو نـسـي ، اذ لا يـمـكـن اُنـ نـو فـسـق فـي
بـحـث اُـو تـنـا و ل مـواضـيـع خـا رـجـيـة مـل التـقـاطـعـات الفـضـائـيـة
لـلـقـا ئـل العـرـبـيـة ، اُـو اـشـا رة اـشـكـالـيـة فـصـا حة لـهـجـة مـن
الـلـهـجـات اُـو المـفـا مـرة فـي تـحـد يـد مـا يـسـمـى بـالـلـغـة النـمـو نـجـيـة اُـو
المـشـرـكـة ، الـي غـيـر ذـلـك مـن الـا سـمـا ، والمـسـمـيات ، مـن خـلـال
التـعـسـف لا خـصـا مـها عـنـوة الـي مـنـهـج مـا نـكـرو نـي اُـو بـنـيـسـوي
يـسـتـهـمـد و يـعـا د ي سـلـفـا كـل مـا هـو خـا رـجـي .
وبـالعـكـس ، سـيـلـا حـظ المـتـبـع لـهـذا العـمـل تـقـد يـم مـا كـان يـجـب
تـأ خـيـره عـمـا مـضـت الـا شـا رة الـيـه ، لـكـنـنـا اـنـتـهـجـنـا هـذا النـهـج
لـيـقـيـنـا بـاُن الدـرا سـات السـا نـكـسـيـة اُـشـد مـا تـكـون اـتـعـا لا و اـر تـبـا طـا

بالمنهج الوصفي منها يأتي منهج تاريخي ، ولذا تناولنا الدراسات التركيبية لبعض اللغات السامية ثم اللهجات العربية البائدة في البابين الثاني والثالث على التوالي في القسم الأول .

ووفق ما أشير إليه في صدر هذه المقدمة ، فإن الدراسات اللهجية التي وقفت عليها لم تتناول هذا الموضوع بهذا الشكل من الدرس والنسب ، ولذلك حاولنا أن نوسع نظرتنا السانتكسية بالنسبة لبعض اللغات السامية وفي اللهجات العربية البائدة لتشمل مختلف التراكيب والعناصر وليس فقط الجملة ، أما في القسم الثاني ، وخاصة في الباب الثاني منه ، فإننا حاولنا أن ندرس بعض التراكيب اللهجية الفصيحة طبقاً للحقل السانتكسي ، بطريقة تقوم على النماذج الاسمية والفعلية والحرفية ، وبمنهجية مخالفة لما أنجزناه في البابين : الثاني والثالث من القسم الأول ، وتجنبنا الوقوع في فسح العمليات الاحصائية المطلقة للهجات العربية القديمة ، وخاصة حين أضفنا إليها التراكيب في بعض الساميات وفي اللهجات العربية البائدة ، وكان هذا المنهج الاحصائي ممكناً لو اقتصر البحث على لهجات معينة لآكل اللهجات أو بحث عنصراً وعنصرين على الأكثر منها .

3 توزيع السموات على مسار البحث :

وبناءً على ما حاولنا أن نلمح إليه آنفاً فإن المنهجية

اقتضت منا أن نوزع مواد هذا الموضوع على النحو التالي :

(1) القسم الأول ، مهيولاً بتحديد ، يتناول الدراسات التركيبية في

الساميات واللهجات العربية المائدة ، وهو مفصل إلى ثلاثة أبواب .

الباب الأول ، يتناول القبائل العربية واشكالية اللهجة النموذجية ،

وهو مركب من ثلاثة فصول : الفصل الأول خصص لدراسة التقاطعات الفصائية

للقبائل العربية ، والفصل الثاني خصص للوقوف على فصاحة قبيلة قريش

وعلاقتها باللهجات العربية الأخرى ومواقف الباحثين والعلماء من هذه

الاشكالية ، والفصل الثالث تمرس بشيء من التفصيل إلى ما يعرف بين

الباحثين باللغة النموذجية أو المشتركة ومواقعها بين القبائل وعلاقة

اللهجات بالقراءات القرآنية وصلة هذه القراءات واللهجات بالحديث

النبوي الشريف : ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)) ، ومواقف وآراء

العلماء في هذه المسألة .

الباب الثاني ، يتناول الدراسات التركيبية في اللغات السامية .

ورأينا أن نوزع المواد فيه على ثلاثة فصول : الفصل الأول أنشي

خصيصا للحديث عن اللغة السامية وأصحابها الساميين تمهيدا للأرضية
 السانتكسية في هذا الباب وفي الباب الذي يليه ، بل وحتى في باقي الأعمال
 الأخرى ، ولوبشكل غير مباشر ، الفصل الثاني ، وقد تناول العلاقات اللغوية
 بين اللغات السامية بشي من المقارنة ، الفصل الثالث ، وبعد أسيا سيا في
 هذا الباب ، لأنه يتعرض الى التراكيب اللسانية مباشرة في اللغات
 السامية .

الباب الثالث ، أنجز خصيصا لدراسة التراكيب اللسانية في اللهجات
 العربية البائدة ، ورائنا أن نوزع المواد فيه وفق أربعة فصول :
 الفصل الأول ، خصص للبنية السانتكسية ، الفصل الثاني تناول هذه البنية
 في شكلها المورفولوجي ، الفصل الثالث تكفل بدراسة الهيتيسن : المعجمية
 والدالية ، بينما تكفل الفصل الرابع من نفس الباب بدراسة البنية
 الصوتية وعلاقتها بين المفوظ والمكتوب .

(2) القسم الثاني ، الذي نهطت به مهمة الدراسات التركيبية
 في اللهجات العربية الباقية ، واقتضت المنهجية الوصفية أن نقسمه الى
 باين رئيسيين :

الباب الأول ، أسندت له مهمة البحث في مدونة اللهجات العربية
 الباقية ، ورائنا أن نوزع عليه المواد المتصلة بعنوانه الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول ، وقد تناول المدونة بشكل لسانی عام ، والفصل الثاني
تكرس إلى الحديث عن التقاط المدونة وسماعها على ضوء النظريات
اللسانية التوافقية الحديثة ، والفصل الثالث ، وقد كان مكملًا وعميقًا
لما جاء قبله في الفصل الثاني .

الباب الثاني ، وقد اضطلع بمهمة شاقة وعويصة ، ألا وهو البحث
عن البنية السانتكسية في اللهجات العربية الباقية تكملة لمسما
اضطلعت به الأبواب السابقة ، وخاصة الباب الثاني والباب الثالث
من القسم الأول ، ورأينا ، حسب ما تقتضيه البنية السانتكسية ، وبعبارة
أخرى تماثيل مع الدراسات السانتكسية المعاصرة ، أن نوزع عليه
الأعمال في أربعة فصول مذيلًا بخاتمة ، والفصل الأول تناول الدراسات
اللسانية العامة حول البنيات السانتكسية لدى العرب والأجانب ،
الفصل الثاني ، تناول التركيب الاسمي ، والفصل الثالث تعرض إلى
الحديث عن التركيب الفعلي ، وأما الفصل الرابع فقد حاول أن
يبحث في التركيبين : الحرفي والظرفي ، ثم ختم هذا الباب وهذا
البحث ، قبل الفهارس العامة ، بخاتمة حاولت أن تلخص ما توصل
إليه هذا البحث من صعوبات وبعض النتائج .

يكون هذا الاطلاع وهذا العلم قاصرين مني — فإني لست أقصِف على
 مرجع عربي أو أجنبي قد شمل هذه التراكيب السامية والعربية
 البائدة، والعربية الباقية أو تنالها، على الأقل، مجتمعة بهذا
 المنهجية وبهذه الدراسة على هذا النحو الذي حاولنا أن نكون فيه
 جادين ومخلصين.

والصعوبة التي يعرفها الدارسون والمختصون — أفضل مني —
 في هذا الميدان أن المراجع والوثائق الأجنبية مع وفرتها
 وأهميتها وإفادتها لمثل هذا الموضوع لا تتفق بالضرورة روحاً
 وخصائص مع التراكيب في العربية قد يمتد إليها، بما فيها
 الساميات، والنظريات التي أسست فيها وضعت خصيصاً للغة
 أولغات تتفق عاظماً، ولا يمكن أن تطبق شكلاً وروحاً على العربية
 ولهجاتها، ولذا، فيمكن القول بأن النظرية اللسانية أو اللسانيات
 العربية المعاصرة لم تظهر بعد ناضجة في الوجود اللساني المعاصر،
 خلافاً للسانيات العربية القديمة التي لا تخرج صالحة ومفيدة في
 كثير من قضايا اللغوية المعاصرة، ولا أخفي المتلقي لهذا العمل سرا
 آخر بأنني حين تصفحت كتاب ((الفصل في علم العربية)) للزمخشري
 وأنا في هذا العمل، قد سرى في نفسي خجل، وزادني التمسك بالتراث

العربي الاسلامي ثقة وطجسا لا مفر منه ، ذلك انني ألفيت
الرجل - مثلا - يقسم العناصر النحوية أو اللسانية التي درسها
وفق ما تذهب اليه النظريات السانتكسية الحديثة التي تقسم التركيب
الى اسمي وفعلية وحرفية .

وفي نهاية هذه المقدمة لا يسعني الا ان اشكر كـ
من قدم لي يد العون والمساعدة لاخراج هذا البحث على هذا
النحو ، اشكر الاستاذ الدكتور احمد الحموالذي كان من بدأ
معي التدريب في هذا الموضوع منذ نهاية الثمانينات في جامعة
قسنطينة المستي احييها و احيي معهدا للغة العربية وادابها على
ثقتها في احتواء هذا الموضوع وتشجيعها لي فيه ، دون ان انسى
باسدا الشكر الى الاستاذ كريستيان توراتي في كلية الآداب بجامعة
(راكس أن بروفانس) الذي قطع معي شوطا لا بأس به فيه ،
ثم اوجه تحياتي وتقديري للاستاذ الدكتور رضوان محمد حسين
النجار الذي قبل مخلصا لله وللبحث العلمي النزيه ان يشترك في
هذا الاشراف الى جانب الاستاذ السابق ثم متابعة الاشراف فرديا
على اتمام هذا البحث على الرغم من المشاكل والصعوبات التي تلقاها
معي في هذا البحث .

وأخيرا، وليس آخرا، أرجو أن يساهم هذا العمل في
 إثراء المكتبة العربية وخدمة الثقافة العربية الإسلامية وأحياء
 الدراسات التراثية الأصيلة التي لا تتعارض كلية مع ما
 جدد في حقول اللسانية المعاصرة .
 ومن ذلك، فأنسي لا ادعي السمو والعلا في
 هذا البحث الذي لا أضمن له السلامة من الأخطاء
 والزلل التي نتمنى لها أن تصحح من قراءات
 باحثين آخرين قد يوفقون فيما فاتني من صواب .
 والباحث الحق من تعد سقطاته قيتقبلها سعيدا راضيا ،
 وتكمل نقائصه بمساهمات القراء الآخرين ، وتتمدد وتثري
 صواباته بشهادات اليتلقين .
 حسبي الله ، هو المولى ، ونعم الوكيل .

15 ذوالحجة 1414 هـ

تلمسان : عهد الجليل مرتاض
 الموافق 26 ماي 1994 م

دراسات تركيبية

فني

اللهجات العربية القديمة

القسم الأول : دراسات تركيبية في الساميات واللهجات العربية البائدة

تمهيد :

الباب الأول : القبائل العربية واشكالها اللهجة النونجية

الفصل الأول : التقاطعات الضائمية للقبائل العربية

الفصل الثاني : فصاحة قبيلة قريش ؟

الفصل الثالث : اللغة النونجية ومواقعها بين القنانس

الباب الثاني : دراسات تركيبية في اللغات السامية

الفصل الأول : السامية والساميون

الفصل الثاني : العلاقات اللغوية بين اللغات السامية

الفصل الثالث : التراكيب اللسانية في اللغات السامية

الباب الثالث : دراسات تركيبية في اللهجات العربية البائدة

الفصل الأول : في البنية السانتكسيمية

الفصل الثاني : في البنية المورفولوجية

الفصل الثالث : في البنىتين : المعجمية والدلالية

الفصل الرابع : في البنية الصوتية بين المفوظ والمكتوب

ان الدراسات التركيبية للهجات العربية القديمة من بائدة

وباقية تلزم الباحث فيها ان يحضر لها تمهيدا يشمل رؤى متعددة،

وبدا لنا ان مباحثنا وعناصير هذا التمهيد بقدر ما لها ارتباط

ارضي وفنائي بالموضوع بقدر ما هي متعارضة معه لوانا قد منا على

ليرداجها ضمن فصل من فصول القسم الاول .

وهذه النقاط تتجلى لنا في ثلاثة عناصر :

(1) مواقع بلاد العرب

(2) تطبيقات العرب

(3) اللهجات بين المراقب والمطبقات

انما فيما يخص الساميين والشعب السامية ولا سيما فيما يخص

المهد الاولي لها والذي يعتبر المنطلق الاكثر احتمالا لتحديد

اللغة الاصلية لهذه الشعوب من جهة وترجيح اللغة الامم او اللغة

السامية الاولى التي اشتقت منها باقي اللغات السامية الاخرى ،

بما فيها اللغة العربية الباقية ولهجاتها البائدة ، فاننا ارتأينا

ان نؤخره الى صدر الباب الثاني حين الحديث عن التراكيب في

هذه اللغات .

أولاً : مواقع بلاد العرب (أو المناطق اللغوية)

سأحاول ، بإيجاز ، أن يمد " هـ الحديث " في هذا العنصر وفق

الفقرات المتتابعة الآتية :

(١) حدود بلاد العرب :

المقصود ببلاد العرب وحدودها هنا تلك المساحة الواسعة

التي سكنها العرب القدامى ، والتي كانت شبه الجزيرة العربية

الحالية ، مع سيناء ، وفلسطين ، وسورية . وتشير بعض الأحداث (١)

إلى أن بلادهم كانت أوسع من هذا الجزر الجغرافي ، ولذا فإن

هناك أنواعاً من التقسيمات () قد تكون جغرافية واجتماعية ،

(أو سياسية) (٢) ، فقديمًا - ضلًا - كانوا يقسمون أرض العرب تبعاً

لطابع أهلها ، وأسلوب حياتهم ، فيقسمونها إلى البادية في الشمال ،

وتشمل شبه الجزيرة العربية من شارب الشام إلى نجد والحجاز ،

والى الحاضرة في الجنوب ، وتشمل سائر شبه الجزيرة العربية وتقسم

نجد والحجاز واليمن (٣) .

ولمّا ما الحدود التقليدية لشبه الجزيرة العربية ، فيحدّها

شرقاً الخليج العربي ، وغرباً بحر القلزم ، وجنوباً البحر العربي والمحيط

الهندي ، وشمالاً بادية الشام ، وهذه هي المنطقة التي جاء الإسلام

(١) سنقف على جزء من هذه الأحداث حين الحديث على العرب البائدة (انظر العنصر الثاني)

(٢) العرب والحضارة ص : ٩ . د . علي حسن الخربوطلي

(٣) م . س : ص : ١٠

والعرب بها مقيمون ، حيث نمت العربية بها وشيت واكتهلست .

ب) تقسيم الأحياء القدماء :

قسم الجغرافي اليوناني (بطليموس) قديما بلاد العرب الى

ثلاث مناطق شاسعة ، تتعدى حدودها السياسية والطبيعية

المعروفة : (1)

(1) بلاد العرب الصخرية

(2) بلاد الصحراء الواسعة

(3) بلاد العرب السعيدة

ويقصد بطليموس بالبلاد الصخرية أو الحجرية المنطقة

الشمالية الشاسعة الممتدة نحو جهة الغرب حتى تشمل سينا

وبلاد النبط ، وهي أرض جبلية ومرتفعات تعدى عليها هذه التسمية

ويعني بالصحراء الواسعة ما أصبح يعرف فيما بعد ببادية الشام ، وهي

المناطق التي كانت قد بما مأهولة بالقائيل البدوية ، وأما بلاد

العرب السعيدة فيعني بها الأقسام الكبرى لشبه الجزيرة العربية

أي وسطها ، وشمالها وجنوبها .

ج) تقسيمات جغرافية العرب :

وقسّم بين العرب تفاوت خلافي بشأن تقسيم بلاد العرب

فالمدائني قسمها خمسة أقسام ، وهي :

- (1) اليمن . (2) العروس . (3) الحجاز . (4) نجد . (5) تهامة . (1)
- وزاد ابن حوقل عليه سادية العسراق ، وادية الجزيرة
 الفراتية ، وسادية الشام ، وهذه الزيادة سليمة ومحسنة
 لكون العرب حقاً كانوا منتشرين في هذه البوادي ، ولكن رغم صحة
 هذا التقسيم لابن حوقل ، إلا أنه أئني الى التقسيم السياسي
 والاجتماعي منه الى التقسيم الجغرافي . وأما تقسيم الاصطخري لها
 فلا يكاد يختلف كثيراً عن تقسيم المدائني (2) .

وعند بعض القدماء بلاد العرب أربعة أقسام :

- (1) المدينة (يثرب) . (2) مكة . (3) اليمامة . (4) اليمن
- أو هي : مكة والمدينة واليمن وقريباتها (3) و
 وبعض اللغويين الذين جابوها ورووا عن أهلها مثل الأصمعي
 وأبي حمزة ، تقسيمات لا تكار تفا هي تقسيم الجغرافيين
 العرب (4) ، ولعل نظرتهم إلى ~~اليمامة~~ لغويها كانت أكثر
 منها جغرافياً . أما البكري ، وهو من القدماء ، فقد قسمها الى
 خمس مناطق :

- (1) تهامة . (2) الحجاز . (3) نجد . (4) العروس . (5) اليمن

(1) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص: 16 القلقشندي . ط: 1359/959 ج . مطبعة مصر
 (2) المسالك والممالك ص: 20 الاصطخري . ط: 1369 . دار القلم - القاهرة
 (3) معجم ما استعجم : ج 1 ص: 5 . البكري . مطبعة لجنة التأليف - القاهرة
 (4) م . س . ص: 6

وهذا مجا هو طيه المد ائسي ، والاصطخري ، وأثبت القشند ي

تقسيمات هؤلاء العلماء الثلاثة (1) .

جغرافية النشاط الخمسين :

- (1) السحبساز : هي المنطقة التي تحجز فيما بين الهامة والعروض ، وفيما بين اليمن ونجد (2) ، وهي المنطقة المحصورة ما بين تهامة ونجد (3) . وسيت العرب الحجاز حجازا لأنه يحب جبل السراة الحاد بين تهامة ونجد والعقل من قصيرة اليمن ، وهو أعظم جبال العرب (4) ، وقال ابن دريد : (سمي حجازا لأنه حجز بين نجد ^{والسراة}) (5) ، بينما قال الخليل بن أحمد : (سمي حجازا لأنه يفصل بين الفجور وبين تحطمة الشام ، وبين تهامة ونجد) (6) . والحجاز كنطقة تقع شمالي بلاد اليمن أي شرقي تهامة ، ولم يكن يلاط الحجاز ما يسمى بالدولة العربية قبل الاسلام ، وانما كان لها مدن لكل منها نظام سياسي (7) .

(1) نهاية الأرب ص : 16

(2) معجم ما استعجم 1/ ص : 10

(3) نهاية الأرب ص : 16

(4) معجم ما استعجم 1/ ص : 8 وكذلك : 3/ ص : 710

(5) معجم ما استعجم 1/ ص : 11

(6) م. س. ص : 12

(7) قيام الدولة العربية الاسلامية : 40 د . محمد جمال الدين . ط : 5 / 1969 دار الفكر العربي

ومن مدن وقرى الحجاز مكة . وطى بعض الأقوال قطعها
أول من قطعها العمالة ثم جرهم من بعدهم (1) حتى كان الا
الأرد بعد سيل العرم ثم حلت بها بعد هو هؤلاء * خزاعة التي
كان لها شأن عظيم مع قريش ثم كنانة . وأخيرا قريش حتى
جاء الاسلام .

وتعتبر مكة من أهم حواضر الحجاز قديما (قبل الاسلام طى الاقل)
وكان المجتمع الذي يتألف من احدى قبائل كنانة وهي قريش البطاح .
وقريش الظواهر (2) ، وقد تجمعت الثروة والزراعة في يد هؤلاء .
حتى ظهور الاسلام . ومن جرهم البنية تزوج اسماء صل الذي كانت
منه العرب المستعربة فيما بعد ، وهم العدنانيون .

ومن مدنه وقراه أيضا يشرب وأول من سكنها العماليق ثم
تتابعت القبائل العربية البنية من أوس وخزرج ، والتسي
ها جرت العيس الشمال اثر فاجعة تسبيل العرم (3) ، وتدفع هؤلاء
طى يشرب ولائها كانت ذات نخيل كثيرة ، ولها رعي غنية (4) .

ومنه أيضا الحجر وخيبر وجدة والطائف فلما الحجر
فهي قرية صغيرة ، يحيط بها رمل لا يكاد يرتقي (الى ذروة كل

(1) مروج الذهب : 2/ ص : 18 . السعدي . دار الاندلس بيروت

(2) نهاية الارب ص : 397

(3) ينظر في مروج الذهب : 2/ ص : 173

(4) المسالك والممالك ص : 23

قسطمة منها أحد الا بمشقة شديدة (((1) وكانت بها ديار
شمور ، ووصف السعور في ملك هؤلاء بأنه كان بين ((الشام
والحجاز الى ساحل البحر الحشي ويوتهم الى وقتنا هذا
أبنية منحوتة في الجبال ، ورسومهم باقية ، وأشجارهم بادية)) (2)
وأما الطائف فهي مدينة صغيرة ، وهي طيبة الهواء ، وهي
على ظهر جبل غزوان الذي توجد به ديار بني سعد ، وسافر
قائل هذيل ، ووصفها الاصطخري بأنه ليس مكان هو ك أبرر من
رأس هذا الجبل ، وليس بالحجاز أيضا مكان يجمد فيه الماء سوى
هذا الموضوع (3) . ولذلك يوصف الطائف باعتدال هوائه ، وتقع
شرقي مكة وكانت تسمى وجار قديما (4) نسبة الى وج بن عبدالحى
أحد العمالقة الذين سكنوها (5) وكانت الطائف قبل الاسلام مركزا
تجاريا هاما ، حيث كانت طريق القوافل المعتد من ((جنوب بلاد
العرب الى شمالها ومن العراق الى اليمن ، وكان هناك عدة محطات
قومية بين أهالي الطائف ومكة)) (6) .
وأما خير فهي حصن يشتمل على نخيل وزروع ، ومياه
كثيرة وأشجار ، وعرفت في أول الاسلام أحداثا عظيمة)) (7) .

(1) المسالك والممالك ص: 24

(2) مروج الذهب 2 / ص: 14

(3) المسالك والممالك ص: 24

(4) معجم ما استعجم 3 / ص: 786

(5) قيام الدولة العربية الاسلامية ص: 51

(6) م. س. ص: 52

(7) ينظر هذا في : معجم ما استعجم 2 / ص: 521 - 524 وغيره .

وأما القبايل التي استوطنت الحجاز أو ظعننت منها ، فأساسهم
 إليها بين الغينة والأخرى حين حديثي القبل على إقليم تها مسة
 العظيم ، وستظهر القبايل التي استوطنت الحجاز أكثر وضوحاً كلما
 تقدم البحث .

(2) تهامة مسية : هي الأراضي المسوطة على شاطئ
 بحر القلزم إلى سلسلة جبل السراة ، وهي عارة عن جبل مقبل
 من اليمن حتى يتصل بالشام (1) ، مما يدل على شاعتها واحتوائها
 على عدة مجتمعات سكانية تربطهم تضاريس طبيعية واحدة متميزة
 القدم ، وطرفها من قبل قبل الحجاز مدارج العرج ، وأولها من
 قبل نجد مدارج ذات عرق ، وسميت تها مسة لتغير هوائها ، ومن
 قولهم : (تهم الدهن ، وتسه : إذا تغيرت رائحته) (2) ، ويعدّها
 بعض جغرافيين العرب القداماء قطعة من اليمن (3) ، ويقيم من تحديد
 البكري لها أن مكة فعلاً تدخل فيها (4) ، ويحكم قريبها من البحر
 وسعتها فأنها كانت تحتوي على قرى ومزارع ومياه معمرة بأهلها (5) .
 ويستفاد من الأخبار القديمة أن قضاء مس كلها ظعننت
 من غور تها مسة ثم انتشرت في سائر البلاد طلباً لتسيع العباس (6) ،

-
- (1) نهاية الأرب ج 1 : ص 17
 - (2) معجم ما استعجم 1/ ص 322
 - (3) المسالك والممالك ج 1 : ص 26
 - (4) معجم ما استعجم 1/ ص 13
 - (5) مراجع المسالك والممالك ج 1 : ص 26
 - (6) معجم ما استعجم 1/ ص 25

وبعد مدة رجعت بعض القبائل القضاة الى بلادهم مسكين
تهامة والحجاز (1) .

ويظهر أن بني نزار هم من كانوا أخرجوا قبائل قضاة
وشردوهم في سائر البلاد ، لأن بعض الأخبار تشير الى أن قبائل
بني نزار لما كثروا خرجوا من تهامة الى ما اليها من نجد والحجاز ،
فأزالوا من كانوا بها أيضا من أشجار كلب بن وبرة وابن ريان ،
وعصية (2) ، ووقع لهذه القبائل الأخيرة نفس ما حدث للقبائل
القضاة من ذي قبل ، بل هناك رواية تصرح بوضوح أن ولد
مسعد بن عدنان ومن كان معهم ، أقاموا في منازل قضاة من تهامة
بعد خروج هؤلاء منها (3) ، الشيء الذي يوحي بوجود قبائل قضاة
قبل قبائل عدنان في هذه المنطقة .

ومسح تماشي الزمن ودنوه من العصر الجاهلي ، أصبحنا
لأنعرف من كان يسكن هذه المنطقة وما يليها من ظواهر نجد
غير أحفاد أبناء نزار الأربعة : من ضريين وريحين وأباديين
وأبناريين ، إلا أن بني ضر وريضة ما لبثوا أن تظاهروا على
أبياد فهزموهم ، وظهروا عليهم فخرجوا الى سواد الكوفة التي أقاموا
بها دهرهم ، ثم ما لبثوا أن خالطوا أهل أرض الجزيرة هناك حتى

(1) م. س. ن. ص : 27

(2) م. س. ن. ص : 45

(3) م. س. ن. ص : 52

صاروا كاللحم كثرة (1) ، بعد نافسوا الملك الفارسي حتى انهم
قد هزموهم على شاطئ الفرات (دير الجمال) (2) .

وبعد خروج ايام من تهامة لم يبق بهيئتها . وبخبرها
من ولد عدنان فخر بنو ربيعة ومن كان معهم اورد خيلهم الى مجاورا
لهم (2) ، وهذا ان بني ربيعة انتشروا في اهم مناطق تهامة (3) لما
كثروا وتضامقوا ، ثم في بلاد نجد والحجاز (4) وبعد اقتتال بين
ربيعة (5) وضعفهم ، خلا الجو عند ذل الى قبائل ضمر التي اقامت
في منازل ربيعة من تهامة وما والاها بعد خروج هؤلاء منها ، بيد
ان بني ضمر هم الآخرون ، بنوا على بعضهم بعضا ، حتى ظهرت عند ذل
على قبيل (6) .

والسبب هذا الحين فتحت ابواب هذه المنطقة من جميع جهاتها
ايام جميع القبائل العربية العدنانية ، وان اصبحت نلاحظ ان موازن
تفضل ما بين غور تهامة الى ما والاها ، ومدركة تظهر على طابخة ،
فتستقر بها الاولى ، وتهجر منها الثانية الى ظواهر نجد والحجاز (7) .
وهنا يستفحل التداخل القليسي ، ويزيد التداني بين قبائل ، والتناهي

بين قبائل أخرى .

(1) م. س. ن. ص : 69

(2) م. س. ص : 76 و 79

(3) م. س. ص : 79

(4) م. س. ص : 82

(5) م. س. ص : 85

(6) م. س. ص : 87

(7) م. س. ص : 87

(3) نجدة : قطر واسع ، ومركزها من الجزيرة العربية
 كمركز القلب من الجسد ، ونجد هي المنطقة المحصورة ما بين الحجاز
 الى الشام الى العذيب ، وقد يضم اليها الطائف والمدينة (1) ، والأصح
 أنهما من الحجاز ، ولكن هذا الاختلاف بين جغرافيهي العرب يدل على
 شساعة هذه الساحة من وسط الجزيرة الى حد يها الغربي والشرقي معا ،
 وحددها البكري بأنها ما بين جرش الى سواد الكوفة ، وآخر حدودها
 ما يلي المغرب الحجازان : حجاز الاسود ، وهو سراة عترة ، وحجاز
 المدينة المعروف الذي تقدم ، ومن قبل الشرق بحر فارس ، ويذكر
 أن نجدا كلها من صل الممامسة (2) .

وتشير بعض الأخبار الى أن أول من ورد على نجد فأبحر
 في صحرائها قائل من قناعة (3) ، وقد يكون هؤلاء من كان
 بنو نزار طردوهم من تهامة وما والاها فطلبوا الى نجد ، ولعل هذا
 البلد كان أقل الأقاليم الأخرى أناسا لقساوة مناخه الصحراوي من
 جهة جهة ، وبعده عن الشرق والغرب ذوي المناخين من جهة ثانية ،
 في حين أنه كان قطرة شاقة يجتابها المتجهون شطر الحجاز ،
 أو صوب فارس .

وبسعد ظهور خندف على قمم هجر المفلوون من تهامة

(1) م.س. ص : 10 ونهاية العرب ص : 17

(2) معجم ما استعجم 1/ ص : 13

(3) م.س. ص : 30

طهالعين الى بلاد نجد والا قائل منهم انحازت الى أطراف الغور
من تهامة (1) ولذلك رأينا أن طابخة بن الياس بعد هزيمتها
أمام مدركة بن الياس في تهامة طعت من هذه الأخيرة الى
قحطان طسواهر نجد والحجاز ولما جاء الاسلام كان بهذا البلد
عدة قائل عربية مشهورة سنذكرها بشيعة الله أثناء الكلام
على طبقات العرب .

(4) البحرين : هي ما بين تهامة الى البحرين . وقد عرفت
باليامة وتشمل ناحيتين : اليامة والبحرين (2) .
(أ) اليامة : وقيل انها من الحجاز وهذا بعيد لأن بعض
الناس يقولون اليامة ويريدون العروس لا الحجاز وكانت مدينة
اليامة أقل من مدينة يثرب حتى زمن النبي (ص) (4) وهي
أكثر تمسرا ونخلا من سائر مدن الحجاز (5) . وبها كان سيلمة الكذاب
وفيهما قتل من قتل من حفظة القرآن من المسلمين .

(ب) البحرين : تعدل البحرين في منطقة العروس وأشهر
مدنها جسر ذات النحل والتمر للكثيرين والتي خربها القرامطة
فيما بعد (6) وتوجد البحرين شط الخليج العربي ولها قسري

كثيرة قد احتفتها قائل من حضر (7) وهي تحتل المنزلة

(1) م. س. ص : 87

(2) م. س. ص : 9 ونهاية الأرب ص : 17

(3) نهاية الأرب ص : 17

(4) المسالك والممالك ص : 23

(5) نهاية الأرب ص : 17 . (6) م. س. ص : 17

(7) المسالك والممالك ص : 23

الثالثة كبرا بعد مكة ويشرب (1) .

ولعد ولعد أول الاخبار التي طالعتنا من سكن البحرين
من القوم - بالنسبة للعرب الباقية - أن ناسا من الأشعريين
وآخرين من قضاة قصودها حتى وردوا هجروها وبها يؤخذ قوم من
النبط فأجلوهم (2) .

وكسان بنو عبد القيس (من ربيعة) من أكثروا البحرين
وهجر موطنهم ثم أجلوا إياها التي كانت سبقهم منذ مدة
ولما ظلت عبد القيس على البحرين وزعها أبناءؤها فيما بينهم (3) .
وأما اليمامة فقد كانت كل عشيرة طارئة تباغت النازلة بها
فتهزمها وتجليها ثم تسكن في ديارها حتى كان بنو حنيفة
الذين سكنوها وتحصنوا فيها منتشرين في نواحيها ومن بينهم بنو بكر
ابن وائل وعنزة (بفتح العين والنون) وضيعة الذين انتشروا
فيما بين اليمامة والبحرين إلى أطراف سواد العراق وناحية الابله.

(5) اليمامة وهو بلد عظيم وساحته واسعة
وأطرافه متعددة ومتباعدة ومنه قبائل كثيرة هاجرت نحو الشمال
وتداخلت مع القبائل العدنانية وتشابكت معها نسباً وداً وتنافس

(1) م. س. ص : 23

(2) معجم ما استعجم 1/ ص : 21

(3) م. س. ص : 80 - 81

معها موطننا ، حتى فرضت نفسها عليها بالقوة ، وأضحت من أولات
الأُمور الهامة في النواحي الشمالية ، حتى أنها كُنت بها معاليك
وأحلافًا ومعاهدات مع الدول الأجنبية المجاورة ، حتى أصبح صيرا
على النسابين فيما بعد فرزها من بين أرق القبائل الشمالية فرزا خالصا .
وبالهمس مدن كثيرة من شاهيرها زبيد ، ونجران ، وهذه
الأخيرة ذات نخيل وأشجار ، وهي غير بعيدة عن قاعدتها القديمة
(صنعاء) ، وهي بين عدن وحضرموت في جبال ، وهي من بلاد همدان
بين قرى ومدائن وعمائر ومياه ، ومن أشهر بلادها أيضا ظفار (1) .
ومهاجرة قبائل يمنية صوب الشمال أو مهاجرة أخرى
شمالية أو عدنانية (2) نحو الجنوب عدت من الأمور التي
تجاوزتها البحوث ، وزالت عنها الشكوك ، ولهذا فاني مقتنع بهذه
التبادلات الهجرية ، وبهذه الاختلاطات النسيبية والدسوسية ،
فضلا عن الأحداث السياسية والعلاقات التجارية المحكمة والتجارية ...
وكان لهذا التداخل القبلي والجغرافي ... شأن عظيم
على التداخل اللهجي والتواصل الشفافي والعلا والمعرفي بين سائر
القبائل العربية في هذه الأقاليم الخمسة وما صارتها

(1) ينظر هذا في نهاية الأرب ص : 17 - 18

(2) قلت : (شمالية أو عدنانية) تحفظا ، لأن كلمة العدنانية أو حتى الشمالية تعدى
على هذه القبائل وحدها قبل مهاجرة اليمنية إليها ، أما بعد مهاجرة هذه الأخيرة نحو
الشمال ، فأصبحت كلمة العرب الشمالية تعني سائر القبائل العربية من عدنانية وشمالية

ووالا ها من أطراف ؟

لنتمكن لو قدر لسي أن أتحدث عن هذا التداخل اللهجي
تبعاً للتداخل القلي في نهاية هذا العنصر لكان حد يتي قاصراً ،
لكونسي اسم أتحدث بمعد لا تليحسا ولا تعريحسا ، من طبقات
المعرب من الناحية النسبية ، ولذا فقد آشد كثرت الكلام أولاً
من هذه الطبقات في مرحلتها الأخيرة ~~تسمى~~ (البائدة ،
الباقية) ، حتى يظهر التداخل القلي أكثر وضوحاً من جهة ،
وحتى يكون هناك صلة وربط بين أصل هذه الطبقات
وبين لهجاتها التي سيلمح إليها من خلال هذه التداخلات خلال
حد يثنا عن اللهجات بين المواقع والطبقات في العنصر الثالث وفي غيره
مما سيلي أثناء البحث .

ثانياً نهياً : تطبيقات الجسم عرب

عرف الجوهري العرب بقوله : ((العرب : جيل من الناس والنسبة اليهم عربي بين العربيه وهم أهل الأنصار . والأعراب منهم سكنون البادية خاصة . وجاء في الشعر الفصح : الأعراب والنسبة الى الأعراب أعرابي ، لأنه لا واحد له ، وليس الأعراب جمعاً لعرب ، كما كان الأتنيان جمعاً لنسب ، وإنما العرب اسم جنس . والعرب العاربة هم الخلفاء منهم ، وأخذ من لفظه فأكد به ، كقوله : ليل لا قد وربما قالوا : العرب العرباء . والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلفاء ، وكذلك المستعربة . والعرب وار والعرب واحد مثل العجم والعجم)) (1) .

يفهم مما أُورد ، اسماعيل بن حماد الجوهري أن العرب نوطان : عاربة ومستعربة أو متعربة ، والعاربة في نظر القدماء هم أول من تكلموا العربية ((والعربية هي هذه اللغة ، وعرب بسن قطان أول من تكلم بالعربية ، وهو أبو الين كلهم)) (2) . وأما العرب المستعربة أو المتعاربة فهم الداخلون في العربية بمسند العجمة ، وهناك تقسيم آخر لا يتم من تقسيم الجوهري :

(1) المحباح : 1 / ص : 178 - 179 (مادة : عرب) لا اسماعيل بن حماد الجوهري - ط : 3 / 1984 . دار العلم للملايين . بيروت

(2) م . م . ص : 179

(1) عرب عاربة

(2) عرب متعربة ، وهم الذين ليسوا بخلص .

(3) عرب متعربة ، وهم الذين ليسوا بخلص أيضا (1) .

ثم قسم المؤرخون العرب الى بائدة وغيرها ، فالبائدة من بادوا وليس

على اديم الأرض أحد يصح أنه منهم ، الا أن يدعي أحد ما لا يثبت (2)

ومن العرب البائدة الذين درست آثارهم : عاد ، وثمود ، وطسم .

وجديس ، وهـ . . . ومن غير البائدة ، وهم الباقون ، في القرون المتأخرة

بعد ذلك من القحطانية ، كطي ، ولخم ، وجدام ، ومن كان في نسبهم ،

ومن العدنانية كغزارة ، وسليم ، وقريش ، ومن في معناهم .

والذي أيسر اليه تقسيم أحد المحدثين العرب

الى ثلاثة أقسام أو ثلاث طبقات : (3)

(1) العرب البائدة أو عرب الشمال .

(2) العرب القحطانية أو عرب الجنوب (أو دون الجنوب) .

(3) العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني .

وهذا أقوم تقسيم - في نظري - لأنه قائم على دلائل

تاريخية وطبيعية ، منها أن العرب البائدة كانوا في الشمال ، وهم من

(1) ينظر ملخص هذا التقسيم في الزهر: 1/ ص : 31 للسيوطي (مطبعة عيسى البابي الحلبي)

(2) يستقصى هذا في جمهرة أنساب العرب ص : 9 . ابن حزم (دار المعارف . مصر)

(3) العرب قبل الاسلام ص : 39 جرجي زيدان (منشورات المكتبة الاهلية)

ورد ذكر بعضهم في القرآن الكريم الذي ~~سبح~~ نوح بالكثير من أحوالهم
وأخبارهم وأوصافهم ولا سيما ما يتعلق بعمار وثمود وحيث ورد ذكر
الأولى فيه في أربع وعشرين آية موزعة على تسعة عشرة سورة ،
كقوله تعالى :

- ((وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادَ الْأُولَى ، وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى)) (1)

- ((كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ، وَأَمَّا

عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَنِيَةً أَيَّامٍ
حُسُومًا فَتَرَى الْقُومَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْبَازٌ نَخِلٍ خَاوِيَةٍ ، فَمَهْلُ تَرَى لَهُمْ
مِنْ بَاقِيَةٍ)) (2)

- ((وَعَادَآ وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا)) (3)

- ((أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ... الآية)) (4)

- ((وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ
سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ... الآية)) (5)

- ((وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ... الآية)) (6)

- ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ^{نَقَلَ} رَزَقْنَاكَ بِعَادٍ ، إِرْمَ زَاتِ الْعِمَارِ ، الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ ^{نَقَلَ} سَلْهًا فِي الْبَلَادِ ،
وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ)) (7)

(1) سورة النجم من آية : 50 الى آية : 51

(2) سورة الحاقة من آية : 4 الى آية : 8

(3) سورة الفرقان آية : 38

(4) سورة ابراهيم آية : 5 . سورة الأعراف آية : 74

(6) سورة العنكبوت آية : 38 . سورة الفجر من آية : 6 الى آية : 7

بينما جاء ذكر الثانية فيه - أي شعور - في ثلاث وعشرين آية موزعة على اثنتين وعشرين سورة ، ولذلك فإن القرآن الكريم يعد المصدر الأوثق لتتبع أحوال وتاريخ العرب البائدة ، ولذا فإن معظم ماورد في غير القرآن ينبغي الحيطه من صحته أو زيفه ، ولربما يست هذه الشكوى غير واحد من المهتمين والمسجلين للثقافة العربية القديمة ، فهذا ابن سلام ينتقد محمد بن اسحاق : ((فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قسط ، وأشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وشمود ، فكتب لهم أشعارا كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف . أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من جمل هذا الشعر ؟ ومن أدائه منذ آلاف من السنين ؟) (1) . ثم أردف قائلا : ((فنحن لا نقيم :) في النسب ما فوق عدنان ، ولا نجد لأولية العرب المروفين شعرا ، فكيف يعاد وشمود ؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث ، ولم يروقط عربي منها بيتا واحدا ، ولا رواية للشعر) (2) . مستشهدا بقول أبي عمرو بن العلاء المشهور : ((ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا ، فكيف بماعلى عهد عاد وشمود ، مع تداعيه ووهيمه ؟) (3) .

ومنها أن العرب انقطنية من نزلوا بجوار اسماعيل الذي أصهر فبهم ، أي كانوا سابقين عليه وجودا داخل شبه الجزيرة العربية ، وإخيرا كان العدنانيون منهم وهم عرب الشمال في الطور الثاني أي العرب المستعربة .

(1) طبعات فحول الشعراء ص: 8 محمد بن سلام الجمحي (المفر الاول ، مطبعة المدني القاهرة)

(2) م. س. ص: 11

(3) م. س. ص: 11

وقيل : ان هؤلاء العرب مروا بثلاثة أدوار قبل الاسلام :

١- الدور الأول : وهم العرب البائدة من أمثال عاد وثمود وهويانتي التميمي الى بعض آثارهم اللهجية التي وجدت مكتوبة بالمسند .

٢- الدور الثاني أو الدور المتوسطه وقد كانت السيادة فيه لعرب القسم الجنوبي وأكثرهم قحطانيون ، بلاعتبار الدول الجنوبية المتتابعة الكبرى التي كانت في هذا الدور .

٣- الدور الثالث : هو الأحدث ، وقد رجعت فيه السيادة الى القبائل الشمالية ، وأكثرهم من العدنانيين وتنتهي هذه السيادة بظهور الاسلام .

(1) العرب البائدة أو عرب الشمال :

كان لهؤلاء العرب في دورهم الأول مركز خطير في شمال شبه الجزيرة العربية ، وسلطه واسع حتى بلغ الشام ومصر ، وكان لهم قصور وآطام الى ان ظلب طيهم بنو يعرب بن قحطان . وبين العرب البائدة والباقيصة يجعل ابن خلدون هذا التسلسل التاريخي لوجودهم وملكهم قافلاً : (واعتبر هذا بسا وقع في العرب لما انقرض ملك عاد قام به به من بعدهم اخوانهم مسن ثمود ، ومن بعدهم اخوانهم العنلقية ، ومن بعدهم اخوانهم مسن حمير أيضاً ، ومن بعدهم اخوانهم التباينة مهن حمير أيضاً ، ومن بعدهم الأثووا .

كذلك ثم جاءت - الدولة لمفسر) (1)

المقدمة ص : 146 ابن خلدون في مطبوعه مصطفى محمد - القاهرة (

وصار ما يطلق العرب لفظ المالوق على هؤلاء العرب الهالكين
والذين كانوا يسكنون في حقب فابرة شمالي الحجاز وما يليها
جزيرة سيناء ويذهب العرب إلى أن المالقة وغيرهم من
العرب الهالكة جاؤوا من بابل حين زحفوا من لدن بني حام
إلى جزيرة العرب... وبما اختصاره فإن العرب الوثوق بوجودهم
(أي العرب الهالكة) هم ثمان قبائل :

- (1) عاد ، وكانت منازلهم بالأحقاف . قال الله تعالى : ((وَأَذْكُرُ
لَكُمْ عَادَ إِذْ أَنْشَدَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ... الآية)) (1) . والأحقاف
توجد بين اليمن وعمان : من البحرين إلى حضرموت والشجر (2) . وهؤلاء
من بعث فيهم النبي هود عليه السلام . فلم يؤمنوا . فأهلكهم الله بريح صرصر
عاتية في سبع ليال وثمانية أيام (3) .
- (2) ثمود ، وكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام (4) .
قال الله تعالى : ((وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ وَذَاتِنَا هُمْ
لَيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْتًا لَدُنْهُمْ . فَأَخَذْنَاهُمُ
الصَّبْحَةَ مَغْشِينَ . فَأَلْغَيْنَا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (5) . وفيهم بعث
النبي صالح . فلم يؤمنوا به . وعقروا ناقته . فأهلكهم الله بصيحة من السماء .

(1) سورة الأحقاف : آية : 21

(2) صبح الأضنى 1/ ص : 313 . القلقشندي (المؤسسة المصرية العامة) .

(3) راجع هـ : 2 من ص : 20

(4) صبح الأضنى 1/ ص : 313

(5) سورة الحجر : من آية : 80 إلى آية : 84

وفي هذا يقول ابن الأثير : " () وكانت ساكنة شوم بالحجر بين

الحجاز والشام ، وكدنا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله

إليهم صالح بن عبيد . . . وكان الله قد أطال أعمارهم حتى إن كان أحدهم

بيني البيت من المدر فينهدم وهو حسي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا مسن

الجبال بيوتا فارحين ففتحوها وكانوا في سعة من معاشهم (1) .

(3) العمالة : ذكر أن أبا مناهم تفرعت في البلاد ، فكان منهم

أهل البحرين وعمان والحجاز ، وملك العراق ، والجزيرة ، وجبالة الشام ،

وفراغة مصر (2) .

(4) طسم ، وذكر الجوهرى أنه من عاد ، وكانت منازلهم بالأحاف

باليمن ، وذكر غيره أن ديارهم كانت باليمامة ، وكان هلاكهم بسبب الحرب

بينهم وبين أخوانهم جديس (3)

(5) جديس ، وكانت منازلهم بجوار أخوانهم طسم ، وكان هلاكهم بسبب الحرب

أيضا بينهم وبين طسم (4)

(6) عهد ضخم ، وكانوا يسكنون الطائف ، ويقال : إن هؤلاء أول من كتب

بالخط بالخط العربي (5) ، وليس بعيدا أن يكون هؤلاء أصحاب الخط

(1) الكامل في التاريخ : 1/ص : 50 لابن الأثير (ط 2/1980 ، دار الكتاب العربي بيروت)

(2) صبح الأعشى 1/ص : 313

(3) م . س . ص : 313 - 314

(4) م . س . ص : 314

(5) م . س . ص : ن . ص

المسند الذي اكتشفت به نقوش بعض الباطنيين من اخوانهم ، ثم لما كان الدور الثاني الذي انتقلت فيه السيارة للقبطانية وأنشأت حضارة زاهية في الجنوب اتخذت هذا السخط ، فعرفت به لكونها صاحبة حضارة مادية تاريخية ، وذات عهد قريب من الجاهلية .

(7) جرهم الأولى ، وكانوا على عهد فبادوا .

(8) مدائن ، وكانت ديارهم من أطراف الشام ، مما يلي الحجاز قريبا (1) .

وفيهم بعث شعيب - عليه السلام - كما جاء في غير موضع من القرآن :

- ((وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا
الْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَلَا تَعْبُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ)) (2) .

- ((وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ
غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَ تَكْمِيلُ بَيْنَةِ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا
تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ)) (3) .

وقد يكنى أصحاب مدائن بأهل الأيكة (4) ، وكانوا ((أهل

كفر بالله ، وبخس للناس في المكاييل والموازين وافساد أموالهم)) (5) . وقيل :

((بعث الله شعيبا الى أمتين الى قومه : أهل مدائن ، والى أصحاب الأيكة ،

وكانت الأيكة من شجر ملتف ، فلما أراد الله أن يعذبهم بعث عليهم حراشيدا ،

(1) م. س. ن : ن. ص

(2) سورة العنكبوت : آية : 36

(3) سورة الأعراف : آية : 85

(4) الأيكة : شجر ملتف ، ولذلك حين أراد الله هلاكهم محققهم بنقيض مناخهم

(5) الكامل في التاريخ 1/ ص : 89

ورفع لهم العذاب كأنه سحابة فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها فلما

كانوا تحتها أمطرت عليهم نارا (1) ، وذلك مصداقا لقوله تعالى :

((فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ مِّمَّسُومٍ الظُّلُمَةُ . إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ بِسُومٍ عَظِيمٍ)) (2)

فيرأى البعض روى عن ابن عباس أنه قال : ((من حدثك ما عذاب

سوم الظلة فكذب به)) (3) وفي حين أن مجاهدا قال : ((عذاب سوم

الظلة هو اظلال العذاب على قوم شعيب)) (4) .

(2) القحطانية أو دول الجنوب :

يرجع عرب اليمن هؤلاء إلى يعرب بن قحطان (5) ، وهؤلاء اقتبسوا

اللغة العربية من العرب العاربة ، وهي البائدة . لكن الناس يختلفون اختلافا

كبيرا في شأن القحطانيين ونسبهم وعلاقتهم باسما عيل وكذا لغتهم ، ونلخص هنا

ما جاء عند السمعوني ، حيث أن قحطان ، إنما هو يث يقطن ثم عرب ف قيل

لله : قحطان ، وكان البعض ينكر أن يكون قحطان من ولد اسماعيل ، ذاهبين

إلى أن اسماعيل إنما تكلم بلغة جرهم ، باعتبار أنه كان سرياني اللسان على لغة

أبيه سيدنا إبراهيم ، وذلك بعد أن صاهر جرهم . هذا في الوقت الذي تنكر

فيه نزار أن يكون اسماعيل نشأ على لغة جرهم ، قائلين : إن الله عز وجل

(1) الكامل في التاريخ : 1/ص : 89

(2) سورة الشعراء : آية : 189

(3) الكامل في التاريخ : 1/ص : 89

(4) م . م . ن . م

(5) المعرب قبل الاسلام : ص : 109

أعطاه هذه اللغة ، مردفين ومحتجين : () ولغة جرهم غير هذه
اللغة ، ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد ، فهذا
يقضي بابطال قول من قال : ان اسماعيل اعراب بلغة جرهم ، ولو وجب
أن يكون اسماعيل انما كان عربي اللسان لأجل جرهم
ونشئ فيها لوجب أن تكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغيرها ممن
نزل مكسة ، وقد وجدنا قحطان سرياني اللسان ، وولد يعرب بخلاف
لسانه (١٠٠٠) (١) .

علي أي حال ، فان الأشهر مهن هؤلاء شعبان :

(ق) جرهم : وهي غير جرهم البائدة ، وكانت تسكن باليمن ثم انتقلت إلى الحجاز ، حيث نزلت بمكة بعد قليل من نزول اسماعيل وأمه (2) .

٢- يمسوب : وهم بنو يعرب بن قحطان ويقال : ان العرب سميت به

مربيا ، و مرجع المشهور الى هذا الشعب قبيلتان :

(1) حميم: ومنه غالب قباثل قضاء (3) التي وجدنا ها تسكن

تهامة قبل حلول العدنا نعيم بها ومن قضاة سبعة أرحمها .

٢- بلي . ب- جهنم . ج- کلب . د- عذرة . هـ- بهرا . و- بنونهد . ز- جسر م .

(2) كيهلاني : وهم إحياء كثيرة ، والشهور منهم إحد عشر حيا :

٢- الأُزْدُ وقسمها الجوهرى ثلاثة أقسام : (4)

(1) مروج الذهب 2/ص: 46 وقبلها ص: 4544. السمودي (ط 1/1965 دار
الاندلس - بيروت)

(2) صبح الا عشی 1/ص : 315

(3) م.س.ع. و ن.ص.

319 - 318 : ٤٠٠٠ (4

(1) أزد شنووة وهم بنو نصر بن الأزد.

(2) أزد السراة وهم موضع بإطراف اليمن ونزل بها قوم منهم فعرفوا بها

(3) أزد عمان وهي مدينة بالبحرين ونزلها قوم منهم فعرفوا بها ومن

الأزد بطون كثيرة ومن أشهرها غسان والأبوس والخزرج.

ب - طسي : وخرجوا من اليمن على إثر خروج الأزد عند تشتتهم بسيل

المرم فخطوا بنجد والحجاز على مقربة من بني أسد حتى ظلموا على

جلبها : أجلا وسلمسى من بلاد نجد فاحتلوهما .

ج - مذحج : ومن هذا الحي بطون كثيرة منها : بنو خلان الذين كانوا

مقيمين في شرقي بلاد اليمن وجنب وسعد العشيرة ومن بطون سعد العشيرة

زبيد الأكبر وهم زبيد الحجاز ومنها النخع وبنو الحارث بن كعب وكانت

ديار بلحارث بنو حي نجران من اليمن (1) .

د - كينيسدة : وكان لهم ملك باليمن ثم أصبح لهم بالحجاز .

هـ - همسندان : وكانت ديارهم شرقي اليمن (2) .

و - مرارة .

ز - أنمار ولها بطنان :

(1) بجيلة وكانت منازلهم في سروات اليمن والحجاز إلى تهالة (3)

(2) خثعم : وكانت ديارهم مع اخوتهم بجيلة ومن خثعم هؤلاء بنو كلب

(1) صبح الاغص 1/ص : 327

(2) م. س. ن. ص : 328

(3) م. ص. ج. ص : 329

وهم بطسون كثيرة، ومنزلهم بيشة في شرقي مكة (1)، والذي وقت عليه أن السابيين متحاربون في نسبة بجيلة وخشم إلى القحطانية أو العدنانية.

ج - جندام.

ظ - لخشم، وكان لهم ملك بالحيرة.

ي - الأشعرميون، وهم رهط أبي موسى الأشعري.

أي - ماملة.

(3) العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني :

أقول : عرب الشمال، ولا أقول العدنانية، لأنه قبل حلول هذا النور الثالث، أصبحنا نعرف قبائل عدة هاجرت من اليمن إلى الشمال، واختلطت بهم نسباً فتعدنت، وبقيت محافظة على نسبها، وظعننت قبائل من الشمال إلى الجنوب فتقحطنت أو تيامنت، وإذا ما قلت العدنانية فإني أعني بهم في هذه المدة من يرجعون إلى معد وحده، وإذا ما عمت عرب الشمال فإني أعني بهم هنا وفي هذه المدة أيضاً كل القبائل التي استوطنت هذه المناطق الشمالية من قبائل قحطانية وعدنانية.

والمقصود بعرب الشمال العرب الهاقسون، وهم العرب

المستعربة الذين تعلموا العربية من العرب المتعربين السابقين، كما أن

هؤلاء الأخيرين أخذوا منطق اللغة عن العرب العاربة الأولين
الذين كانوا عرباً صريحاً خلصاً ، وقد يقال ، المستعربة المتعربة
أيضاً ، وكان عرب الشمال منتشرين في شمالي اليمن من بلاد
نجد والحجاز ونهامة والعروء حتى مشارف الشام والعراق ، كما سبق
التلميح إلى ذلك .

ومرجع أشهر وأهم القبائل العدنانية السلي :

آ- نزار بن معد بن عدنان ، وتتفرع عنه ثلاث قبائل :

(1) إيلاد ، وهم من تقدم ذكرهم .

(2) أنمار ، وفي هذا لبس بين كونه عدنانياً داخل في اليمانية ،
أوهم أنمار بن أراش من بنت أنمار بن نزار ، وسيشار إلى هذا
في مكان مناسب ، ونحن نتحدث عن تقاطعات الفضا* الجغرافي لقبائل
اللهجات الفصحى .

(3) ربيعة ، ولها بطنان : أسد ، وضيعة .

فمن أسد بنو عنزة ، وكانت منازلهم خير من ضواحي
المدينة ، وجديلة ، ومن هؤلاء عبد القيس ، وكانت دار هؤلاء بتهامة
حتى خرجوا إلى البحرين ، وزاحموا من بها ، ومن جديلة أيضاً
بنو النمر بن قاسط ومنها كذلك بنو وائل ، ومن وائل ظهر بكر
وتغلب ، ومن بكر بن وائل بنو حنيفة ، ومنهم أيضاً بنو عجل الذين
كانت منازلهم من اليمامة حتى البصرة (1) .

342 - 341 : م. س. ع. م (2)

- ومن بطون هؤلاء "أي هوازن" بنو جشم، وكانت
 مساكنهم بالسروات، وهي تلال تفصل بين تهامة ونجد،
 وسروات جشم متصلة بسراة هذا، ومن بطونها أيضا ثقيف،
 وكانت منازلهم بالطائف، ويعزوها البعض إلى مقاطعة نجد (1).
 (2) باهلة؛
 (3) بنو مازن
 (4) بنو غطفان، وكانت منازلهم مما يلي وادي القرى وجبلي طي،
 ومن بطون غطفان بنو عيس وذبيان، ومن ذبيان بنو فزارة
 الذين كسانوا بنجد، وادي القرى، ثم نزل ديارهم جيرانهم طي (2).
 (5) بنو سليم، وهم أكبر قبائل قيس (3)، وكانت منازلهم
 في عالية نجد قرب خيبر، ولكثرتهم نزح منهم جماعة إلى
 البحرين حتى غلب عليهم بنو عقيل وبنو تغلب.
 (6) بنو عدوان، ومنازلهم بالطائف من أرض نجد، ثم غلبهم عليها
 ثقيف، فخرجوا إلى تهامة.
 جـ الياس أو خندف؛ كان تحت الياس بن مضر
 خندف القضاة الأصل، فعرف بنوه بها، ومن خندف فسرمان؛

(1) م. س. ص: 343

(2) م. س. ن. ص: 345

(3) م. س. ع: ن. ص

(1) طابخة، ومنها قبائل كثيرة و عظيمة :

أ- ~~تسميم~~ ، وكانوا مستوطنين مقاطعة نجد من هنالك
 على البصرة واليمامة حتى العذيب من أرض الكوفة ولما تفرقوا
 على عادة العرب البدو، ورث منازلهم بعض من طي* ، وخفا جسة
 لها بنو ~~قبيل~~ بن كعب (1) ، ومن بطونها الشهيرة : بنو العنبر ،
 وبنو حنظلة ، وهؤلاء (بنو حنظلة) أكبر قبيلة في تميم (2) ، ومن
 حنظلة بنو يربوع ، الذين منهم بنو العنبر بن يربوع .

ب- بنو ضبة ، وكانت ديار هؤلاء بالناحية الشمالية من أرض نجد
 بجوار اخوانهم بني تميم (3) .

ج - مزينة ، وهي مزينة بخت كلب بن وبرة ، عرفوا بأههم .
 (2) قممة ، ولم يشتهر عقبه كأخيه طابخة .

د - مدركة ، وهم بنو مدركة بن الياس بن ضرة ، ولم يشتهر منها
 غير هذا بل وحسبها بهم شهرة .

هـ - خزيمية ، وهوابن السابق (مدركة) ، ومنه بنو أسد

الشهورون الذين كانوا يسكنون ما بين طي الكرخ من أرض نجد في
 مقبلة طي* .

(1) م . س . ن . ص : 347

(2) م . س . ع . ن . ص

(3) م . س . ن . ص : 348

و- كنانة وهو ابن خزيمية ، وهي قبيلة عظيمة ، ولها خسية
فروع :

- (1) ملكان بن كنانة
- (2) عبد مائة بن كنانة ، ومنهم عدة بطون مثل غمار ، وبنو بكر بن مائة ،
ومن هؤلاء الدلسل ، ومن عبد مائة أيضا بنو الحارث ، وبنو مدلج .
- (3) عمرو بن كنانة .
- (4) عامر بن كنانة .
- (5) مالك بن كنانة .

ز- قريش والنسابون مختلفون في تسميتها بهذا الاسم (1) ، وهم
بنو النضر بن كنانة ، ومقامهم بحكة معروف ، وتفرق من هذه قبائل كثيرة
مثل بني الحارث بن فهر ، وبني معارب بن فهر ، ولؤي بن غالب ،
وخزيمة بن لؤي ، وبني عامر بن لؤي ، وكعب بن لؤي بن غالب ،
وبني جمح ، وبني عدي بن كعب ، ومرة بن كعب ، وكلاب بن
مرة ، وقسمي بن كلاب ، وهذا الأخير من جمع قريشا بعد
التفرق مرتجعا مفاتيح الكعبة التي كانت في يد خزيمية (2) .

- (1) صحيح الأضشى 1/ ص : 351 - 360
- (2) يستقص هذه الصالة في جمهرة ابن حزم ص : 12 - 14 ، وفي كتاب
حذف من نسب قريش ص : 3 وما بعدها لمؤرخ بن عمرو السدوسي ، وكذلك
الاشتقاق لابن دريد 1/ ص : 107 إلى غاية ص : 167

ثانياً لسنشما : اللهجات بين المواقع والطبقات

فسي النقطة الثالثة من هذا التمهيد ، سأكتفي
 بسد كسر التقاطعات الجغرافية واللهجية التي كانت تربط مختلف الفئات
 المتقاطعة بين لهجات القبائل العربية ذات اللهجات الفصحى ، والتي ستكون
 تكلماً وتواصلاتها المحلية والجهوية إحدى المدونات القواعدية
 أو السانكسية لعلمنا حول التراكيب اللهجية في موضوع لا حق .

أما ما يتصل بالفضاء الجغرافي العام على ضوء اللغة
 واللهجة بمعظم تعاريفها وأشكالها ، فأننا سنعود إليه مع مرور
 البحث في أحد الفصول الذي سيكون دراسة لغوية واللهجية عامة
 وفق نظريات لسانية معاصرة ، ووفق لغات ولهجات أخرى لا تتصل
 بالعربية ولهجاتها كظاهرة ستقلة عما قد يحدث لأية لغة انسانية أخرى .

وإن كان لا بد من إبداء ملاحظة أولية وفق قراءة مقيدة ،
 فسان التقسيم الجغرافي والتاريخي يتفق نوعاً ما والتقسيم اللغوي ،
 لأن العربية بائدة وباقية ، وكلتا هما في الشمال وجنوبية في
 الأيمن ، وهذه الميزات اللغوية كانت ذات ارتباط لا ينكسر
 بميزات كل طبقة حسب زمانها وموطنها .

وإذا كنا قد تعودنا لفظ كلمة ((بائدة)) فهذا في نظري
 لا يعني في الآن ذاته بيمور لغة من يبدون ، فهذا رأي لم يعد

اليوم مقبولا ، لأن لغة من اللغات ليس بالضرورة أن تهلك وتزول
كلية بهلاك وزوال دولة أو مجتمع لغوي ، لأن اللغة لا يمكن بأي حال
من الأحوال أن ترتبط بزمن وهمي الا تقديرا ، وهي قبل أي شيء
« كما سيجي » - أداة استعمال قبل أن تكون أداة اختزان في وعي
جمعي ، كما يزعم البعض . فالسامية الأم المجهولة حتى الآن من حيث التحديد
لم تبد أبدا ، حتى ولو فرضنا أن الساميين الأولين قد بادوا ولم يتناسلوا
في مجتمعات وأجناس لا حقة ، لأنها من غير شك موزعة بنظام ما
في العربية والعبرية والحثية ، . . . واللاتينية لم تمت أبدا ، فهي
حية تسعى من خلال الفرنسية والاطالية والبرتغالية ، . . . ومثل
هذا السلافية ، والجرمانية ، . . . بل مثل هذا اللغة الهندية - الأوروبية .
على أي حال ، يرى بعض المحدثين أن الفرق بين لغتي
العدنانيين والقحطانيين () يدل على تباعد أصحابها فسي
العارات والأخلاق (1) ، وقد يؤيد هذا القول مدى ما
بلغته كل طبقة من التقدم والعمران والاختلاف في الشعوب
والوجدان ومناحي التفكير ، ذلك أن من كان يسقي الهاتين
ويشيد القصور والعمارات ويجلب المياه إلى القرى والمدن . . . يختلف
اهتمامه وانشغاله وتفكيره . وبالتالي تعبيره ^{عن} ~~بوصف~~ الصيد ، والفرس ،
والصحراء ، والناقة . . . والاختلاف في ميادى التفكير الناتج عن

تفاوت كل طبقة في موقعها وزمانها وتحضرها أو تتهجرها وانتصارها
أو انهزامها... له أثره المباشر على الابداع في اللغة وتطويرها
وانجازاتها، ولما كانت البداوة غذاء الحضارة فإن من كانوا
يسكنون القرى والمدن لم يكونوا مستغنيين استغناء تاما عن لغة
المهد والتي كانت تحافظ على نواحيها وأصولها بل فانت اللغة
العدناية اللغة الجنوبية في أشياء كثيرة لعوامل تاريخية وأحداث عظيمة.
ومما أشير إليه في النقطتين السابقتين مع ما سيلج إليه من خلال
هذه النقطة الثالثة، يستطيع الباحث، ولو بصورة سطحية، أن يخطس
بعض الخطوات ~~لنحرف~~ لتحديد المهد اللغوي والوقوف على مدى تحضر
هذه القبيلة واستقرارها من تلك التي كان دأبها الترحال والتنجساع،
والتسي طعنات فامترجت من التي استقبلت فتأثرت أو أشسرت، وهذا
الوقوف ربما ينسربعض الجوانب الغامضة أو التي لا تزال معلقة بغية
معرفة بعض الحقائق اللغوية لأصول الكلمات من فروعها، والقبيلة التي
تأشسرت فامترجت من التي أشسرت فبذرت لهجتها ولو فممن دخلت
عليهم مستجيرة بهم، لان القوة البشرية تكون أحيانا بمعزل كلي من
لهجتها اذا كانت أضعف من لغة المغزوين ومع اعترافنا بوجود عامل
مسا قوي أو شير بنوب عن هذا الا نعزال الخارجي، ولذا فليس
فريبا أن تكون الطبقة الثانية من عرب الجنوب ودولها قد اتخذوا

لسغة العسرب البائدة ، حتى وان كانت الموازنة هنا غير لائقة
 باعتبارها تدور بين طبعين من أصل واحد لا يفصل بينهما الا ال
 الزمن وصعوبة المكان .

يسد أن الملاحظ تاريخيا أن ظاهرة التأثير والتأثير بين
 شعب غاز وآخر مغزو ليست ظاهرة مطردة ولا شاذة ، لأن ((مجرى
 التغيير في حقل اللغة يكون أكثر اندفاعا وسرعة أثناء سيطرة أمة
 على أمة ، ذلك لأن لغة الغالين ، على قلة عددهم ، قد تغطي على
 لغة الشعوب المغلوبة ، وأعلى لغاتها ولهجاتها ، وهذا ما حدث عقب
 الفتح الروماني ، إذ قضت اللغة اللاتينية خلال بضعة قرون على لغة
 الغالين السلتية ، وعلى سائر اللغات التي تتداولها شعوب بسلامة
 بسلام الغال جميعا .

يسد أنه لا يتأتى للباحثين إجمالا أن يسيطروا سلطان لغتهم
 على الشعوب التي تقع تحت سيطرتهم ، فحينما استطاع الفاتحون ذوو اللسان
 الجرمانسي من الفرنجة والهورغوند والويزيغون أن يستقروا في البلدان
 التي تطلت فيها اللغة الرومانية ، فإنهم فقدوا لغتهم الجرمانية عوضا
 عن أن يفرضوها على شعوب تلك البلدان المفتوحة .

واللغة التي تتداولها شعوب كانت تستعمل لغة أخرى من قبل ،
 هي عرضة لتغيير سريع وحقيق ، وذلك لأنها تقع إلى هذا الحد أبوزاك .

تحت تأثير اللغة السابقة للشعوب التي أصبحت تتداولها ومن هنا نستطيع أن نفهم أسباب كون اللغة الفرنسية أبعد عن اللغة اللاتينية من اللغة الإيطالية التي تطورت في مكانها وهذا دليل على أن ثبت تأثيرا متبادلا بين اللغة الطارئة واللغة المتوارية (1) .

وكذلك القبايل التوتونية التي استوطنت إسبانيا في القرن الخامس الميلادي كانوا يتكلمون لغة جرمانية هينلا بينما كان السكان الأصليون (المليون) يلهجون بلغة رومانية أولاتينية عاصمة وبعدها مائة وخمسين عاما حارت اللغة اللاتينية لنفسه رسمية في البلاد ، وكذلك لغة الثقافة (2) .

ومن هاتين النقطتين ، اتضح لنا بشكل عام التداخل القلبي العظيم حدثا ونسبا وموطنا ، فضلا عن العلاقات الاجتماعية الوطيدة أو المنبثقة عن القطيعة ، على توالي العصور والأجيال ، وهو ما انعكس فيما بعد على التداخل اللغوي في العربية الفصحى حينما والتباين فيها حينما آخسر ، حيث صرنا نجد للكلمة الواحدة مفردات عدة ، وأبي من هذه الدوال يحير عن مدلول واحد ، وللصنص الواحد عشرات الأسماء ، ولربما العشرات ، ولل فعل الواحد مصادر مختلفة ، ولل اسم الواحد المجموع مكسرا عدة جموع ... وإذا أرا

(1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص: 82 . ترجمة د. ميشال طاصي (ط: 1 / 1979 . دار ابن خلدون . بيروت)

(2) الحركة اللغوية في الأندلس ص: 17 - 18

الباحث اليوم أن يحلل أسباب هذه الظواهر فلا يكاد يجد لها مخرجا
 أوضح من عزوها لهذا التداخل القلبي العظيم موطنها ونسبها واجتماعها
 والعسرب الهائلة التي عثر لها على نقوش وآثار في
 رسال شبه الجزيرة العربية كان لها ملك واسع حتى بلغ الشام
 ومصر... وعاد كانت منازلها في الأحقاف بين اليمن ومسان...
 من البحرين الى حضرموت والشحره وشمور كانت منازلها بعدة
 قري وأماكن بين الحجاز والشام وطسم وجد بين كانت ديارهم
 مع أهل عاد... أما قبلهم وأما بعدهم بالأحقاف... وعبد ضخم
 كانوا يسكنون الطائف... ومد بين كانوا على أطراف الشام...
 يلي الحجاز تقريبا... وإذا صح أنه كان لهؤلاء ملك واسع
 كما ذكر غير واحد من المؤرخين العرب القدماء... فمن فهم ابن خلدون...
 فمن البدوي أنه كانت لديهم لهجات وتواصلات متقاربة يتماثلون
 بها لكونهم في أماكن متدانية ومن أصل واحد جنسا ولغة...
 ثم كانت المرحلة الثانية التي وجدت فيها أغلب
 القبائل العربية الجنوبية تزحف صوب الشمال بعلومها وآدابها ولهجاتها
 وطبايعها... لتزاحم العدنانية في موطنها وخبزها ومائها... وهنجا
 غدا التداخل الجنوبي الشمالي معظم يوما بعد يوم الى أن فرضت بعض
 القبائل الجنوبية نفسها على العدنانية... ولكنها انصهرت فيها لغويا وفكريا

- أو قل : تهاورتا - ، وأضحى اليمنى حين ينظم شعرا أو يتقوه بخطابة أو يعقد صفقة ... فلا يمنع ذلك جميعا إلا باللسان العدنانى ، وهنا أتيج لهذا الأخير ألا يزيد إلا انتشارا وسلطانا مع اقتناشه لكلمات معدومة في لسانه أو قاموسه التخاطبى من لهجات الوافدين عليهم من أبناء اليمن ، وظل كذلك هذا الاقتناى مستمرا حتى مجيئ الاسلام ليتحول هذا التداخل الى توحيد ، لأن الفرر المتكلم باللسان الضري لم يفهم بعض الكلمات التي وردت في القرآن الكريم على لغة اليمن إلا بساغة لسة أصحابها (1) ، وعلى هذا يكون القرآن الكريم ، وكلسان عربى ميسر ، وقد عمل على ترسيخ مظاهر عدة من اللهجات العربية قاصيها ودانيها في لغة تولا تواسلية واحدة أو مشتركة هي هذه اللغة العربية الفصحى .

ولم يكن هذا التداخل ظاهرا بين كتلة جنوبية وأخرى شمالية ، لأن كل اللهجات التي نزلت (أعني الجنوبية) - بمنزوح أصحابها - نحو الشمال زابت في اللهجات الفصحى الواحدة بمعجمها وقواعدها وأنظمتها ، حتى بعض الفصحا لا يتورع في اصطناع بعض هذه العناصر اللغوية ، بسل ظل قائما بين الكتلتين الشمالية نفسها وما بين منطقة واحدة ، ومنطقة غربية وأخرى شرقية .

(1) على سبيل المثال لا الحصر ينظر :

معترك الأقران في أعجاز القرآن القسم الأول ص : 199 - 206 للسيوطي

(دار الفكر - القاهرة)

واختلاف لهجات أولهجة في منطقة واحدة بين أسر
تراجع الى قبيلة واحدة يظهر في لهجات بطون وفروع
تختلف لهجة القبيلة الأم، وهذا يوحي بعدم الاهتمام الكبير
وصولاً الى تقسيم اللهجات العربية الفصحى الى شرقية وأخرى
غربية، وحتى وإن كانت هناك فعلاً ظواهر لهجية في مختلف
المستويات تدعم هذا التقسيم، إلا أن الجغرافي، كما سيتضح لنا
هذا خلال التراكيب الساكنة للهجات العربية، لكن المقصود أكثر
هنا هو أنه لا يمكن أن نتصور بأن هذه الفوارق اللهجية كانت
حاجزاً أو سداً مانعاً بين متكلم غربي ومتكلم شرقي في عدم
التفاهم بينهما بدوى ثبوت هذه الفوارق اللهجية التي لا تدحض
وما أريد أن ألتج الى أنه هنا أن بعض اللغويين العرب
من أن لم أقل أكثرهم إذا عينا نظرتهم الكلية للغة كما نوا ينظرون
أحياناً وفي مواقف هذه ومتنوعة، نظرة جغرافية فمن ذلك أن
هذيل لما سألت رسول الله (ص) أن يحل لها الزنا (1)،
أجابهم حسان بن ثابت: (2)

سألت هذيل رسول الله فاحشة خلعت هذيل بما سألت ولم تصب

(1) الكامل 2/ ص: 101 للمبرد (مطبعة نهضة مصر)

(2) م. ص. ن. ص: 100 والقصد أن الشاعر وظف (سال) على لغة التسهيل

بينما طق العبر : ((وأما قول حسان :

سالت هذيل رسول الله فاحشة

فليس من لغته ((سلت أسال)) مثل : ((خفت أخاف)) و ((هما

يتما ولان)) ، وهذا من لغة غيرة)) (1)

وتسجل في قوله تعالى : ((فَأَسْرِبَ إِلَيْكَ)) (2) ، بأن الفعل

(أسرى) الموظف أسرا في الآية ، هي لغة قرشية ، لأن سواهم

من العرب يقول : سرى و حتى هذه اللغة الثانية جاءت أيضا في

القرآن ، إذ قال الله عز وجل : ((وَاللَّيْلُ إِذَا تَجَسَّى)) (3) ، ولأن

هذه اللغة من سرى ، وليست من أسرى ، وتبعها لهذا ، فإن شعرا التوحيد

اللغوي في الخطاب العربي القديم كانوا يوظفون اللغتين معا ، فقال

لهيد مستملا اللغة القرشية : (4)

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقفاً بخير مفسر

في حين استخدم الأخطل اللغة الأخرى : (5)

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاجة وحانت وقعة الساري

(1) م . س . ن . ص : 101

(2) سورة الحجر : آية : 65

(3) سورة الفجر : آية : 4

(4) الكاسل 1 / ص : 104

(5) م . س . ع : ن . ص

وفسي حديث عمر بن الخطاب وقد بلغه أن أبا موسى الأشعري
 يقرأ حرفاً بلغته فقال : ((ان أبا موسى لم يكن من أهل البهس))
 يريد أن يقول : ليس من أهل الحجاز لأن العقل يثبت بأرض الحجاز
 ويسمى مقلداً ما دام رطباً فإذا يابس فهو خشل (1) وحيت
 عمر بن الخطاب هنا عن المنطقة الجغرافية باللغة .

والخلاف اللهجي بين النطقتين الشرقية والغربية على جميع
 المستويات طابع بارز كالادغام أو الاظهار ، التحقيق أو التسهيل ،
 الاملالة أو الفتحة ، النصب أو الرفع ، التذكير أو التأنيث ،... ولهذا
 الخلاقات علاقات بأسباب خارجية مثل العوامل الجغرافية
 والاجتماعية والتاريخية ... الشار إليها من قبل ، وبأسباب داخلية
 تتعلق باللغة ذاتها ولذا تهما والتجسية في التطورات الصوتية
 والصرفية والنحوية والمعجمية ، ولهذا العوامل الداخلية التي لا
 تقل أهمية في الدراسات اللسانية المعاصرة تفسيرات سيتضح
 قسم هام منها ونحن نتحدث بوجه خاص عن الاكتساب والاستعمال
 اللغويين وعن الفضاء الجغرافي للغات واللهجات بوجه عام .
 وقد تتطرق المنطقة الجغرافية حتى يظهر الخلاف اللهجي
 على مستوى منطقة واحدة ، وذلك نتيجة للتداخل القلي أو العكس أي
 ما قد يوازيه من انعزال أو انزواء اجتماعي .

(1) الصحاح : 3 / ص : 996 (باب الشين ، فصل الباء)

ومن هذا أن ابن كثير وغيره قرأوا :

- ((وَآخَرُونَ مَرْجُوتُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ)) (1)

- ((تُسْرِجِي مَنْ تَشَاءُ)) (2)

بالحمز (3) ، وغيرهم قرأوا بغير همز ، فأما الهمز فلتميم ، وأما غيره فهي لغة قيس وَلَسِد وأَسَد (4) . وصرعه صرعا من باب (قطع) لغة تميم ، وفي لغة قيس صرعا (بالكسر) (5) ، وتميم تقول : المفزل ، والمصحف ، والمطرق ، بكسر الحرف الأول ، وقيس تضم الحرف الأول فيها (6) .

واختلف القراء في قوله تعالى :

- ((وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهُا)) (7) ، حيث قرأ أحد هم

بضم النون في الفعل (اجنح) ، وهي لغة قيس ، بينما قرأ الجمهور بفتح

النون ، وهي لغة تميم (8) ، وقيس تقول : لسق بالسين ، وتميم بالصاد (9) .

(1) سورة التوبة : آية : 106

(2) سورة الاحزاب : آية : 51

(3) اللغات للامم - اللهجات العربية في التراث ص: 46 . د. أحمد علم الدين الجندبي (الهيئة المصرية للكتاب)

(4) م. س. و. ن. ص

(5) الصحاح : 3/ ص : 1242 . أبي الفتح في المصدر (صرعا) لتميم ، والكسر لقيس .

(6) اصلاح المنطق ص: 120 ابن السكيت . (دار المعارف - مصر)

(7) سورة الانفال : آية : 61

(8) البحر المحيط : 4/ ص : 516 . أبو حيان الفريابي

(9) مطبعة السعادة - مصر

(اللسان : 12/ 205 . ابن منظور (الدار المصرية للتأليف والترجمة)

وقال أبو زيد : قيس تقول : زأى المورد يذأى زأيا ، وتميم

تقول : ذوى ، والأولى طوية (طوية نجد) والثانية تميمية (1) .

ويسند إلى أبي زيد أنه قال : السدفة في لغة قيس : الضوء ، وفي لغة

تميم : الظلمة (2) ، وأنشد الأصمعي :

وألقيت الزمام لها فضا مت لعادتها من السدف المبيس

وأنشد أيضا :

((وأطعن الليل إذا ما أسدفا)) (3)

ومن الواضح أن الكلمة (السدف) وظفت في التركيب الأول بمعنى

((الضوء)) وفي التركيب الثاني بمعنى ((الظلمة (أظلم)) . والكلمة

من الأضداد ، حتى كأن الأضداد غني العربية ظاهرة ناتجة عن توظيف

كلمة واحدة لعدولين متعارضين من قبيلتين عربيتين أو أكثر ، ومنه

دائما : ((الالفت في كلام بني تميم الأصمعي)) (4) ، وفي كلام

قيس : الأصمعي (5) .

وطى غرار ملاحظة عربين الخطاب على أبي موسى الأشعري .

نجد الأصمعي هو الآخر يقف موقفا مماثلا حين عاب طى أبي عبيدة

في تفسيره قول حباب بن زرار : (6)

شتان هذا والعناق والنوم والشرب البارد فسي ظيل الدوم

(1)

(1) التنبيهات ص : 177 - 178 . طى بن حمزة (دار المعارف - مصر)

(2) الأما لي : 2/ ص : 125 . القالي . (دار الفكر العربي للطباعة والنشر)

(3) النوادر في اللغة ص : 177 . أبو زيد الأنصاري (ط 1894 مط الكاثوليكية بيروت)

(4) م . م . ص : 170

(5) الزهر : 1/ ص : 381

(6) التنبيهات ص : 85

ان قصص ال اصمي : (ما ابن الصباغ وهذا ؟ وأنسى لأهل
نجد الدوم ؟ وانما الدوم بالحجاز وهو حاجب نجد ي
فأنسى له الدوم ؟ (1) وهم قسّر الظل الدوم بأنه الظل
الداقم ، وذهب ابن دريد مذهب الاصمي في التفسير ، وخالفهم في
ذلك صاحب التنبهات (2) .

وفي القرآن الكريم :

((قُلْ : إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي)) (3) .

يفتح العيمن في (ضل) ما ضا وضارعا ، وجاء في الصحاح :

((فهذه لغة نجد ، وهي الفصحى ، وأهل العالمة

يقولون : ضللت بالكسر أضل)) (4) .

ولربما انفرد بطن في بعض مظاهر اللهجة عن منطقته

وقبلته مما من ذلك ضلا أين بني سعد بن زيد بن مائة بن

تميم (بطن من تميم) (5) ويدلون من الحاء ها لقرب المخرج

فيقولون في ((مد حقه)) : مد حقه ، وكذلك تقول لهم

ومن قاربها (6) ، ومن المحتمل جدا أن يكون بنو سعد

هؤلاء قد تأثروا باللهجة اللخمية بدليل أنها كانت منتشرة قريبا .

(1) التنبهات ص : 85

(2) م ص ٥٠ : ع : ن ص

(3) سورة سباء : آية : 50

(4) الصحاح : 5 / ص : 1748 (باب اللام ، فعل الضار)

(5) جمهرة ابن حزم : ص : 207

(6) الكامل : 3 / ص : 146

وسد ليل أن النعمان بن العذر قال لأحد العرب : ((أوردت
 أن تذييه فدهته)) (1) .

وحدث أبو عثمان المازني المبرد أن كمل العرب
 يقولون : فاضت نفسه (بالفار المعجمة) الا بني ضبة فانهم
 يقولون : فاضت نفسه (بالظا * المعجمة) (2) اذ امات . وبني
 ضبة بطن من تميم ، وكانت ديارهم بالناحية الشمالية من أرض
 نجد بجوار اخوانهم بتي تميم ، والمسا * المد بلفظة تميم الكبير
 وعد وهو بلفظة بكرين وائل المسا * القليل (3) ، وبكر حتى
 وان لم تكن بطناً من تميم . طى أنها بطن من جد بلة الذين
 يرجعون الى ربيعة فانها من قبائل المنطقة الشرقية .

وهذه القبائل من تميم وائل وقيس وبكرين وائل
 كلها تنتمي الى المنطقة الشرقية وهي تختف في بعض المظاهر
 اللهجية التي تدخل في حدود اللهجات العربية الفصحى نفسها . :
 مما يوحى بعدم الاهتمام في كل حال على العوامل الجغرافية
 وحدها دون الأخذ بعين الاعتبار باقي العوامل الأخرى من خارجية
 وداخلية .

ومن مظاهر الاختلاف اللهجي الفصحى بين الكتلة
 الغربية الواحدة كسر حرف الضار عصة ، وهو من خصائص اللهجات

(1) الكامل : 3/ ص : 146

(2) السابق : 1/ ص : 268

(3) اللسان : 4/ ص : 276

الشرقية - كما سرى - غير أنه نسب هذا الكسر كذلك الى هذيل
 في الفعل ((اخال)) (1) ، ويجمع اللفظ اللغويون مع ذلك
 على أن الأفتح كسر همزة هذا الفعل ، وإن كان القياس يقتضي
 الفتح ، حيث جاء في الصحاح : ((وتقول في مستقله : اخال
 بكسر الألف ، وهو الأفتح ، وبنو أسد تقول : اخال بالفتح
 وهو القياس)) (2) ، وأهل المدينة يقولون في ((بدأنا))
 : بدينا (3) ، وهذيل تقول أيضا : أتوته ، بمعنى آتيته
 آتية (4) ، وبنو كلاب ، كما روى أبو زيد ، يقولون : اضحل
 بتقد يم الميم ، في (اضحل الشيء : أي ذهب أو السحاب : زال) (5) ،
 وبنو كلاب من بني عامر بن صعصعة من هوازن ، وكانت ديارهم حمى
 ضريبة ، وحمى كليب ، وحمى الربدية ، وفدك ، والعوالي في جهات المدينة .

(1) البحر 1/ 23-24

(2) الصحاح : 4/ 1692 ، وماضي هذا الفعل هو : ((اخال)) ، من :
 خلت الشيء ، خيلا وخيلة ومخيلة وخيلولة أي ظننته . وفي المثل : ((مسن

يسمع يخل)) وهو من باب ظننت وأخواتها ، التي تدخل على المبتدأ
 والخبر ، فإن ابتدئ بها أعطت ، وإن وسطت أو أخرت فالخيار بين
 الاعمال والاهمال ، وقال جرير في الالف :

أبالأراجيز يا ابن اللؤم توعدني وفي الأراجيز خلت اللؤم والخور

(3) مختار الصحاح ص : 54 الرازي

(4) الأمازي : 2/ 208

(5) الصحاح : 5/ ص : 1748

ولربما انفردت قبيلة واحدة بدلالة كلمة دون سائر العرب، مثال ذلك أن كلمة الساجد في لغة طي* المنتصب، وفي سائر لغة العرب المنحني (1)، ولعل هذا أثر من آثار لهجة طي* القديمة التي كانت تتكلم بها في الجنوب قبائل ظمنها إلى الشمال.

وهذه العوامل برمتها كانت مقدمة طبيعية لكل ما ظهر بعد من فوارق لسانية في اللهجات العربية الفصحى، والتي بقيت مشوشة في آثار العرب من شعر، وفضل، وحكمة، ونادرة، وموعظة... ثم ما لبثت أن سطعت بذب بارزة في القراءات القرآنية التي تعد مدونة ناصية تنعكس عليها كل هذه الظواهر اللهجية سواء أكانت صوتية أم مورفولوجية أم فونولوجية أم سائكية، وذلك باعتبار القرآن الكريم أعظم مصدر ((محيط بجميع اللغات الفصحى)) (2).

(1) التبيينات: ص: 294

(2) الكسامل: 3 / ص: 97

الكتاب الأول : القبائل العربية واشكالها اللهجة النونجية

الفصل الأول : التقاطعات الفصائية للقبائل العربية

ليس خفياً على أحد ما لتداخل القبائل العربية وارتحالها واقتتالها واقامة بعض منها مكان بعضها الآخر من تأثيرات على اللهجات العربية نفسها وتداخلها من خلال تلك التقاطعات المحتومة فيما بينهم حرباً كانت أم سلماً ، مما كان يقودها الى صراعات أو تحالفات ، لا يلبث أن ينتهي كل هذا طويلاً أو قصواً بقرار كل فريق لهجة الآخر ، واقتراض كل قبيلة من الأخرى ما ينقص لهجتهم من سمات أو مستجدات ثقافية وطبية وحضارية ... ليست لها دوال بعد في لغتهم تارة ، وبالتواضع أو الاصطلاح جميعاً على تسمية اسم واحد بلفظين أكثر ^{من} مرة ، ولعل النقطة النائية أعلاه من التبريد تؤكد لنا بعضاً من هذه النواذج اللهجية القليلة في تقاطعها إوتوازيها ، غير أن ما نجهله من هذه الاشكالية لم نعلم بكثير مما نعلمه ، والافضل الذي عثر عن ((التراب)) بحشرة دوال

متعارضة صوتياً للدور لسد لول واحد ؟ (1) وهل فريق لغوي واحد جعل مداليل متباينة دلالة لدال واحد متجانس صوتياً ؟ (2)

(1) جاء في الصحاح خلا : (ج 1 / ص : 50) : تراب وتوراب وتورب ، وتيرب وترب وتربة وتربا ، وتيراب وتسررب .

(2) شال ذلك : الفعل اتسلاّب الذي يدل على ثلاثة معان دون تغيير صوتياً

وان ما يسميه اللغويون العرب القدماء (المشترك اللفظي) لم يعد سوفا للارتياح لمثل هذه التفسيرات التي لا تتماشى وطبيعة اللغة في كل حال، ولا سيما بالنسبة للغة كالعربية التي يمكن لطاقتها في البث والتلقي بين المتكلمين أن تتفقد في مثل هذه التفسيرات في إجبار اللغة الى الاضطرار الى بعد نفاذ هذه الطاقة الفونولوجية الهائلة، والافعال الذي اضطر الشاعر أو المتكلم العربي أن يعبر بهدال واحد (جلس) من ستة مداليل مختلفة دون أي تعارض في الحركات أو الأصوات : (1) ؟

لقد رأيت هذا ربا جلسا يقود من بطن قد يد جلسا
ثم رقى بعد ذلك جلسا يشرب فيه لهما و جلسا
مع رفقة لا يشربون جلسا ولا يؤقسون لهم جلسا
مع أننا لو عدنا الى منهج التقليلات الصوتية التي قال بها الخليل ،
وعارضنا بين الأصوات الثلاثة الساكنة أو الصوامت : ((ج . ل . س))
لنتج عدنا ستة أبنية مختلفة وثلاثة منها مستعملة وهي :

ج . ل . س

س . ل . ج

س . ج . ل

(1) جلس الأولى معناها : رجل طويل ، والثانية : جبل عال
والثالثة : جبل ، والرابعة : صل ، والخامسة : خمر ، والسادسة : نجد
(هذه الأبيات وشرحها لأخذت من المزهر 1/ص : 376)

وثلاثة منها مهملية ، وهي :

ل.س.ج

ل.ج.س

ج.س.ل

أي كان المفروض ألا تضر العربية إلى ما يسمى بالاشتراك اللفظي على الأكثر في أزيد من 50 ٪ في هذا الجذر ، ما دامت طاقتها الفونولوجية تزخر بدوال مهملية ، والذي نيل إليه أن هذه المداليل الستة المعبر عنها عنها بدال صوامتي فونولوجي واحد في نفس النسق والنطق ، إنما هي كلمات نشأت من التقاطعات الجغرافية بفضل التداخلات الفضاوية للمجتمع اللغوي العربي خلال فترات بداية التوحيد اللغوي بين المتكلمين العرب هنا وهناك ، وذلك بعدما كانت متوازنة في أول أمرها بين هذه القبيلة أو تلك ، ولم يكن صعبا على العربي بفضل جبلته أن يعرف متى يوظف نفس الشكل الصوامتي بهذا المعنى أو ذاك خلافا للمتأخرين .

وتشابه اللهجات الفصحى في بنياتها ~~ال~~ المختلفة لم يكن لها عائقا لأن تجد سبيلا مهيما لتتألف وتتغذى السواحدة من الأخرى الوافدة منها كالسابقة في موقعها ، غير أن لكل هذا أوصافا وسمات معينة سنتناولها في موضعها .

وحيث أن لكل من هذه التداخلات اللهجية واللغوية الفصيحة يعني بالدرجة الأولى دراسة القبائل ذات اللهجات الفصحى دراسة

القبائل ذات اللهجات الفصحى دراسة تاريخية وفنية جغرافية
لما لها من علاقة وطيدة . . . بعزرو الفوارق اللهجية الى كل
قوم بأعيانهم، لان تداخل اللهجات الفصحى - في نظري -
مرهون بتتبع الاداء الحركات القبلية داخل شبه الجزيرة العربية ،
كالحل والترحال والا والتطاحن ، وانضمام الذليل الى العزيز ،
والضعيف الى القوي ، وقحطنة عد ناني أو مد ننة قحطاني . . .

(1) منازل أبناء نزار :

آل - منازل مضر : كانت منازل مضر حيز الحرم الى السروات وما
دونها من الغور غور تهامة وما جاورها من البلاد (1) ،
وتهامة من قبل الحجاز ومدارج العرج ، وأولها من قبل نجد نسجد
مدارج ذات عرق (2) ، والسروات تقدمت الاشارة اليها ، وهي أعظم
جبال العرب (3) ، وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد ، وينطلق
من قمره اليمن حتى يدخل أطراف بواقي الشام ، ويضم جبالاً أخرى
كثيرة (4) ، ويفصله بين تهامة - ونجد ثم سمته العرب جبالاً
ب - منازل ربيعة : كانت منازل هؤلاء مهبط الجبل من غمر
ذي كندة ، وبطن ذات عرق وما صاقبها من بلاد نجد الى غور تهامة (5) ،

(1) معجم ما استمعتم / ص : 18

(2) م . س . ص : 322

(3) م . س . ص : 3 / ص : 730

(4) م . س . ص : 1 / ص : 8

(5) م . س . ص : 18

وعسر ن ي كندة كان لجنارة بن معد أيضا ويقال ان كندة
 كانت بها دهرها الأول (1) ، وأما الغمر فهو جبل أحمر طويل أصبح
 لحبي من بني أسد فيما بعد (2) ، وبينه وبين قيد عشرون
 ميلا ، وفيد يصفها بعض الجغرافيين بالكبر ودوام العماره (3) ،
 وفيد جاءت في أشعار العرب ، وهي التي ينسب اليها حبي فيسد (4) ،
 وشلبها الغرور وقد جاء مضافا الى كندة ، كقول عمر بن أبي ربيعة : (5)
 اذا سلكت عسر ن ي كندة مع الركب قصد اليها الفرق قد
 وأما بطن ذات عرق فقد تقدم أنه يوجد من قبل نجد ،
 ج - منازل أنمار وإبار ، وأما سكن هؤلاء فكانت مسا بين
 حد أرض مصر الى حد نجران ، وما والاها وصاحبها من البلاد (6) ،
 وأما نجران فعدها الغربي طرف تهامة الشرقي ، وهي مثل جرش مدينة
 كبيرة تحتوي على أحياء كثيرة من اليمن (7) .
 د - أعصام هؤلاء من معد جد هم ، وأما سائر ولد معد فصارت أرضهم
 فيما بعد مكة ، وأوديتها وشعابها وجبالها ، وما صاحبها من البلاد ،
 وأما مواقع السابقين عليهم بها فمن بقايا جرهم (8) .

(1) م.س : ن.س

(2) م.س : 3 / ص : 1034

(3) السالك والمالك ص : 24

(4) معجم ما استعجم : 3 / ص : 1052

(5) م.س.ص : 1003

(6) م.س : 1 / ص : 8

(7) السالك والمالك ص : 26

(8) معجم ما استعجم 1 / ص : 18

(2) تحقيقات ولد معد :

اقتتلست مضر وربيعه ابداننا نزار بين معد فأجلوهم
 عن ن مساوطنهم معد ما غلبوا طيهم وتفرقت طوائف من المفسلوب طيهم،
 من أولاد قنص بن معد في سائر بلاد العرب، بيد أن أكثرهم ظعن
 نحو البحر بين، ثم استقر أخيرا بالحيرة، وملك العرب الذي
 كان بها يرجع الى أحد أحفاد معد (1) .

وغير خفي ما لهذا الاقتتال والحل والترحال من
 أثر طي لفظة الاخوة الواحدة، فتباين أولاد قنص بين معد
 عن أرض مكة وشما بها وأوديتها ونزولهم بالبحرين مع
 القبائل السابقة طيهم بها، ثم شد هم الرحال الى الأنبار
 والحيرة يجعل لغتهم تحمل أبناسا حلوا، وترحل معهم متى
 رحلوا، ولكنها تتأثر وتؤثر بمن وفيمن طيهم عنوة أو رضى،
 وتختلف في ذات الحين وراياها آثارا ومعالم خاصة في العادات
 التواصلية للهجات من أن أقصوهم من هذا الفضاء الى ذلك، لأن
 أولاد قنص بن معد مثلا لم يرحلوا كلهم عن مكة فضلا عما
 الجرميين الذين كانوا قد امتزجوا بهم في دمهم ولغتهم .

(3) تداخل القبائل العربية :

لما اختلفت القبائل العربية لكثرتها ونموها الديموغرافي

حقبة بعد حقبة ، وتنافسها في الصا ' والكلا ' والمنتجع .
 وبعبارة أخرى في الفضا ' البدوي الاجتماعي ، استخلف القوي
 الضعيف ، وانضم الذليل الى العزيز ، وحالف القليل منهم الكثير ، ومن
 لم يرض منهم بالذل والهوان تباين عن قومه ، فكان منهم من
 تعدد نسله ، ومنهم من تباين أو تقطعت به السبل ، وكان منهم من تمرد على
 المجتمع القبلي بأكمله ، فوجد ما يعرف بالمعاليك الذين اتخذوا
 لهم منهجا وسلوكا متميزين عن الحياة العربية العامة التي تخضع الفرد
 الى الجماعة مقابل حمايته ونصره ظالما ظالما أو مظلوما ولكن
 الفضا ' الجغرافي المتضاد في تلك الصحرا ' القاسية أنفسهم
 هذه الفئات الاجتماعية الشاذة التي انتشرت في الهادئة
 تقطع الطرق ، وتنهب وتسلب ، وتشتت في أنحاء الرعب والفرع .
 فتخسر على المناطق الخصيبة مهددة أهلها في أملاكهم وأراضهم
 وأنفسهم ، متخذة من هذا الفضا ' الجغرافي المتضاد مبرا نفسيا
 واقتصاديا للاغارة والشذوذ الاجتماعي ، فضلا عن كون هذه الفئات
 النائرة المتسردة على سلطان الفضا ' الجغرافي الأحادي تحمل
 في ذاتها أخفى ما تحمله نفس بدوية أنيقة ومزينة ، حتى أن
 الدارسين لم يروا أن كل جانب من جوانب الحياة البشرية في مثل
 تلك الصحرا ' العربية ذات الفضا ' الجغرافي المتضاد يحمل طابع الحركة (1)

(1) الصحرا ' المعاليك في العصر الجاهلي ص : 73 . د . يوسف خليل

(ط : 2 دار المعارف - مصر)

ولعل أ. مير شعرا الصعاليك الشاعر الأزدي الشنفرى
 أحد من يمثل التضار النفس تحت وطأة وضوم والله الفضاء
 الجغرافي القاسي الذي كلما عرف تقاطعا الا وصحبه تناقض وتعارض
 اجتماعيان صارخان وهربما تمثل بعض أبعث لا يمتعه الشهيرة
 بوضوح هذا الفضاء الجغرافي التناقض في تقاطعه مما يجعل
 هذا الفرد يتصرد ويشور كلية على المجتمع والوضع : (1)
 أقبوا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لا مهمل
 فقد حمت الحاجات والليل مقر وشدت لطيات مطايا وأر حل
 وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متمزل
 لعرك ما في الأرض ضيق على امرى سري راغبا أو راهبا وهو يعقل
 ولي دونكم أهلون سيد عطس وأر قط زهلول ولا ومرفا جبال
 هم الرهط لاستودع السر زافع لد بهم ولا الجاني بما جر يخذل
 أديم مطال الجوع حتى أبيتسه وأضرب منه الذكر صفحا فأز هل
 وأستف تلا ترب الأرض كيلا يرى له طي من الطول امرؤ متطسول

(1) لامية العرب ص: 27 - 30 وص: 39 الشنفرى (ط: 1964 مكتبة الحياة، بيروت)

- مطيكم : ج مطية ، وهي الناقة

- حمت : أصله حسم ومعناه تهيأ الشيء وحضر

- الطية : الحاجة وتعني أيضا المكان المنوي المقصود .

- المنأى والمنأى : الموضع البعيد

- القلى بالالف المقصورة : السيف

- متمزل : الموضع الذي يحتزل فيه

- لعرك : فيه ثلاث لغات ضم الهمين ومكون المصروفات الهمين ومكون الهمين وضمها
 معاً وهو قسم أي : وحياتك

وقريبا من هذا الفضاء الجغرافي المتسار الذي كان له تأثير
 مساخر على نشوء هذه الفوارق اللهجية القليلة التي نعلم واللغوية
 الكثيرة التي لا نعلم والمشوثة في مختلف المدونات المعكبة والمكتوبة بها
 بعض الآراء : ((اتفقت اللغة العربية الفصحى منذ العصر الجاهلي في
 الصفات والظواهر العامة التي كانت تكفل الاتصال بين القبائل العربية
 المختلفة والتي كانت في الوقت نفسه نتيجة لهذا الاتصال ولكن
 هذه القبائل جميعها لم تتفق لهذا في حياتها ظروف متماثلة أو
 ملاسات متماثلة . بسبب أحوالها فيها في حياتها : الاجتماعية والاقتصادية
 وفي بيئتها : الطبيعية المادية والمعنوية الأربية ظروف مختلفة
 فقد كان بعضها يحيا حياة بدوية كلها شدة وخشنة وبعضها
 الآخر يحيا حياة حضرية فيها شيء من الدعة .
 كما أن هذه القبائل كانت تختلف فيما بينها تبعاً لذلك . من
 حيث التنقل والاستقرار والانعزال والاختلاط وقد أدى ذلك
 إلى أن يكون لكل قبيل من العرب لهجة تميزه عن غيره . فكان أن
 اختلفت هذه اللهجات في بعض المظاهر الصوتية وفي بنية ألفاظها وفي
 دلالة بعض كلماتها . . . إلى غير ذلك من خصائص وسميات)) (1)

صيد : الصيد في لغة هذيل الأسد . وعنى به هنا الذئب (المبرد)
 - العطش : الخفيف السريع
 - ارقط : الرقطة كل لونين مختلفين ويراد به النصر
 - الزهلول : الأمل - المرفأ : الضيق الطويلة العرف . وهي هنا نعت
 (1) نسخة هذيل ص: 25 . د . عبد الجواد الطيب (مجهول الزمان والمكان في طبعه)

ومن هذه التقاطعات الفضائية أن عكا التي وصفها
 الهمداني بالفصاحة هي مدانية ولكنها صارت إلى فورتهامة اليمن
 فنزلوا فيما بين جبال السروات وما يليها من جبال اليمن والأشعريون
 الذين وصفهم الهمداني أيضا بالفصاحة في أحد المواضع هم مدانيون ،
 وانتسبوا إلى كهلان (1) ، وأما عكا فقد بقي جليهم على مدانيتهم ،
 وطائفة منهم تيامنت إلى قحطان (2) ، وقال عباس بن مرداس في طه : (3)
 وعكا بن مدنان الذين تلقوا بنسبان حتى طردوا وكل مطرد
 وهو مجيد الذين مدهم الهمداني من حمير نعتهم بالفصاحة
 ... ذكر البكري أنهم يرجعون
 إلى معد ثم صاروا في الأشعرين (4) ، وهو المرجع عندني . والافمن
 أين جاءتهم هذه الفصاحة ؟ حتى وإن كنا واعين بطبيعة الوضع المحلي
 للعربية ولهجاتها عبر أحداثها التاريخية المتأخرة بالنسبة لا نتشارها وتعاطيها .
 وما يذكره البكري أن بجيلة وخثعم من أبناء أنمار بن نزار
 وطمعوا إلى جبل السروات فنزلوها وانتسبوا فيهم ، وفي الوقت
 الذي كانت خثعم مقبلة في جبلي شي وبارق وجبال معسها ، إذ
 صرت بهم الأزدي في سيرها من أرض سبأ فقاتلوهم وأنزلوهم من
 جبالهم وأجلوهم عن منازلهم ، ونزلتها أزدي شنة وبقيت بها حتى ظهر
 الاسلام (5) ، ونزلت خثعم ما بين بيشة وتربة وما صا قبلك البلاد وما

(1) معجم ما استعجم 1/ ص: 53-54 . (2) م.س. ص: 60

(3) م.س. ص: 54 (4) م.س. ص: 55 . (5) م.س. ص: 63

وسا والاها الى أن ظهر الاسلام وهم بها ، وتيسمت القبيلتان
كلتا هما (1) .

وأما ابن دريد فيمنحها ضمن القبائل اليمنية ، ويقول
قيها : ((ابنا أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث)) (2) ، وفي
نهاية الأرب أن بجيلة قبيلة من أنمار بن أراش (بفتح الهمزة والسابقة
بكسرهما) من كهلان وبجيلة أسمهم ظب عليهم اسمها (3) ، وفيها أيضا
أن خثعما بطن من أنمار من أراش ، من القحطانية ، وأم ولد خثعم
عاتكة بنت ربيعة بن نزار (4) .

وسوا ، أكانتا عدانيتين أم يمينيتين فان صلة الرحم بينهما
كانت قائمة ، إذ حلف بن خثعم أمه عدانيسة ، وأكلب بن ربيعة
ابن نزار دخلوا في خثعم (5) ، وكان بين أحد بطون
خثعم وسادة قریش مصاهرة حيث تزوج امرأة (أسماء) منهم
جعفر بن أبي طالب ، ثم أبوبكر الصديق ، ثم علي بن أبي طالب ،
وتزوج إحدى أخواتها (سلمى) حمزة بن عبد المطلب ، وكان البعض
من بني قحافة أهلا في خثعم (6) ، وهذا مثلما يدل على التداخل
الفصائي بين القبائل العربية ذات اللهجات الفصحى يدوم في الوقت
نفسه ظاهري التداخل العام والخاص (بين العرب من جهة وقریش من جهة أخرى) .

(1) معجم ما استعجم 1/ص: 63 . (2) الاشتقاق ص: 516 و 520

(3) نهاية الأرب ص: 171 . (4) م. س. ن. ص: 243

(5) جمهرة ابن حزم ص: 391 . (6) م. س. ص: 390

ويهبه الهمداني الس أن سكان أعالي جبال السروات كانوا
أفصح ممن كانوا مقيمين في سفوحها ، وختتم كانت مع أخواتها
بجيلة بسروات اليمن والحجاز الس تهامة (1) ، ومربنا أن
بجيلة كانت تسكن السراة الوسطى ، فضلا عن الاختلاط الد موي
مع الرميمين والقرشيين ، والذي كان يجمعهم مع ختم ، ...
وأما النخع فيرجعون أصلا إلى اباد بن نزار ، فنزلت
ناحية بيشة وما والاها فصاروا مع مذحج في ديارهم منتسبين إليهم ، وقال
لقميط بن يعمر اليماني : (2)

ولا يدع بعضكم بعضا لنا ئمة كما تركتم بأعلى بيشة النخع

(4) قبائل عدنان ومواطنها وتداخلها وطمعها :

أذكر أنه لم يبق بتهامة وغورها من ولد عدنان الا مضر وربيعة
ومن كان معهم أو دخيلا فيهم من قبائل أخرى أو مجاور لهم (3) .
ب- عامرين صعدة : نزلت عامرين صعدة ناحية من الطائف بمجاورة
عدنان أصهارهم (4) ، وبنو عامر هؤلاء هم بوريعة بن عامرين
صعدة ، وهم مضر يثون ، ولهم بطون عدة ، أشهرها :
بنو البكا ، بنو ذي السهمين ، بنو ذي المحجن ، بنو فارس الضحيا (5) ،

(1) نهاية الارب ص: 245

(2) معجم ما استعجم 1/ ص: 63 - 64

(3) م. س. ص: 76 .

(4) م. س. ص: 77 . (5) جمهرة ابن حزم ص: 468

ولما وقعت حروب بين أصهارهم بني عدون وتفرقت جماعتهم ،
 وشتت أمورهم ، طمعت فيهم بنو عامر فأخرجتهم من الطائفة ،
 ونفوهم عنها ، وكان بنو عامر يتصيفون الطائف ، ويتشتون بلادهم من
 أرض نجد التي اختاروها ، وفضلوا الرجوع إليها ، ودفعوا الطائف إلى
 ثقيف مقابل أخذ نصف غلاتها ، وأخيرا وقعت حرب بين ثقيف
 وبني عامر لكنهم لم يقدروا عليهم ، واستقل الثقيفون بالطائف (1)

ج - ربيعة في نجد وتهامة واليمن والحجاز :

تفرقت قبائل ربيعة في بلاد نجد وتهامة بقرن المنازل ،
 وحضن ، وعكابة ، وركبة ، وحنين ، وغرة ، وطاس ، وذات عرق ،
 والعقيق وما والاها من نجد (2) .

وكان بين ربيعة اقتتال فتفرق ، حيث طمعت

عبد القيس إلى البحرين وهجر ، ثم تغلبت عليها وفرقتها بين بطونها (3) .
 ودخلت قبائل ربيعة ظواهر بلاد نجد والحجاز وأطراف
 تهامة وما والاها من الهلال ، وتيامنت منها قبائل أخرى كقبيلة أكلب
 التي جاورت خثعما وحالفهم (4) ، وتيامنت عنز أيضا وحالفت
 خثعما (5) .

(1) معجم ما استعجم 1/ ص: 77-78

(2) م.س.ص: 79-80

(3) م.س.ص: 80-81

(4) م.س.ص: 82

(5) م.س.ص: 83

وبقيت سائر قبائل ربيعة من بكر ، وتغلب ، وغفيلة ، وضيعة
 في ظواهر بلاد نجد والحجاز وأطراف تهامة حتى اقتصلوا فلاحقت
 غفيلة والنمر بيني تغلب ، وانضمت عنزة وضيعة الى بكر بن
 وائل ، وتوابعه تغلب بكر على تغلب انتشرت بكر وعنزة
 وضيعة باليمامة والبحرين وأطراف سواد العراق وناحية
 الابلية الى هيت وما والاها من البلاد (1) .

د - تفرق قبائل مضر : ((لم تزل مضر بن نزار بعد خروج ربيعة
 مقيمة في منازلها)) (2) ، من يراري تهامة وما والاها حتى
 اكتظروا وتباينوا ، وضائق بهم بلادهم بما رحبت ، فتناضوا في
 المحال والمساكن ، فاقتتلوا وظهرت خندف على قيس (3) .
 1 - قيس وخندف ومنازلهما : بعد اقتتال قيس وخندف ظهرت
 هذه الأخيرة على الأولى التي ظعنت من تهامة طالعة نحو نجد ،
 الا قبائل منها انحازت الى غورتهامة ، وقال فراس بن غنم الكنانى
 الخندفسي :

أقمنا على قيس عشية بارق بيض حديشت العقال بمواتك
 ضربناهم حتى تولوا وخلصت منازل حيزت يوم ذاك لما لك

(1) معجم ما استعجم 1/ ص : 85 - 86

(2) م . س . ص : 87

(3) م . س . ع : ن . ص

وعلى هذا فقد صارت منازل قيس بنهمامة وغورها وما صاقبهسا

ووالاها وفي ملك قبائل خندف ، على حين طلعت اتجاه نجد .

(2) منازل هوازن : كانت ما بين غورتهامة الى ما والى بيشة

وبركا وناحية السراة والطائف وذا المجاز وحنين وأوطاس وما

صاقبهسا من البلاد (1) .

بيشة مثل تربة والعقيق أودية تنصب من جبال تهامة

مشرقة في نجد (2) ، وبرك اسم لعدة مواضع ، وهو برك الغمار

(بضم الغين وكسر ها) ، وذكر المحقق لمعجم البكري أنه

برك الغمار الذي يوجد على مقربة من مكة (3) ، وحنين واد قريب

من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ، وأوطاس هو واد

في ديار هوازن حيث هزمهم الرسول عليه السلام ، فقال سلمة (4) :

ان حنيننا ماؤها فخلسوه ان تنهلوا منه فلن تمسكوه

هذا رسول الله لن تفلسوه

(3) منازل تميم وعكل وشبة : بعد تطاحن أبناء الأخوين :

طسامة وسد ركة ابني الياس بن مضر ، ظهر في بلاد نجد

وصحارها قبائل تميم وعكل وشبة ، ثم مضوا فحلوا منازل بكسر

وتغلب التي كانوا يحلون فيها في الحرب التي كانت بينهم ، ثم توسعوا

(1) م.س : ن.ص

(2) م.س.ص : 78

(3) م.س.ص : 293 - 294

(4) السابق ص : 87 - 88

- حتى اخلطوا أطراف هجره ونزلوا ما بين اليمامة
 وهجر (1) و انتشرت بعد ذلك قباثل تميم في بادية البصرة حتى
 اتحلوا بالبحرين واليمامة هشم من ورائهم عبد القيس (2) .
- 4 = منازل بني سعد بن زيد مناة ؛ هؤلاء * بطن من تميم وكانوا
 يقومون في بصرين والرمال حتى اخلطوا بني عامر من بني
 عبد القيس في بلادهم قطر و وقعت طائفة منهم الى عمان و أولي صحت
 قباثل منهم بين أطراف البحرين الى ما يلي البصرة (3) .
- 5 = منازل مدركة بن الياس ؛ قباثل مدركة بن الياس بن مضر أقامت
 بأراضي تهامة وما والاها من البلاد وما قبلها ، وأصبحت منتشرة بناحية
 عرقات و لا وعرة و بطن نعمان ... وغيرها ، وكانوا مجاورين
 لأعجاز هوازن (4) .
- 6 = منازل هذيل ؛ توجد لهؤلاء * جبال من جبال السراة ،
 () ولهم عدد وراؤديتها وشعابها الغربية ، وسابل تلك الشعاب
 والاودية على قباثل خزيمية بن مدركة في منازلها ، وجيران هذيل
 في جبالهم فهم وعدوان ابننا عمرو بن قيس عيلان () (5) .
- 7 = منازل خزيمية ؛ نزل هؤلاء * أسفل هذيل بن مدركة فسي

جبل السراة (6) .

-
- (1) السالك واما لك ص: 25
 (2) معجم ما استعجم 1/ ص: 88
 (3) م. س. ع: ن. ص
 (4) م. س: ن. ص
 (5) م. س: ن. ص
 (6) م. س: ن. ص

- 8 - منازل ولد النضر بن كنانة : سكن هؤلاء حول مكة وما والاها (1)
- وفي النهاية أن بني النضر هم قريش على المذهب الراجح (2) ،
وز نسب آخرون إلى أن قريشا هو فهر بن مالك بن النضر ، فلا
يقال لأحد قريش إلا من كان من ولد فهر (3) ، وفي الجمهرة
لابن حزم أن قريشا ولد النضر بن كنانة بن مدركة بن الياس
ابن مصر (4) ، وفي الاشتقاق لابن دريد أن فهر هو ابن
مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن
مضر (5) ، والراجح عندني أن قريشا هو فهر بن مالك بن
النضر بدليل أنه لا يقال لأحد قرشي إلا من كان من ولد
فهر ، ولقريش قبائل كثيرة ، مثل بني الحارث بن فهر ، وبني
جذيمة ، وبني أسد بن عبد العزى ، وغيرها (6) ، وأقسام
أولاد فهر حول مكة حتى أنزلهم أخيرا قصي بن كلاب الحرم (7) ،
8 - من كان بنجد والحجاز عند مجيئ الاسلام :

9 - من كان بالحجاز : لما جاء الاسلام كان بالحجاز قبائل كثيرة
مثل عيس ، وأسد ، وغطفان ، وفزارة ، ومزينة ، وفهم ، وعذوان ، وهذيل ،

- (1) نهاية العرب ص : 76
(2) م.س.ص : 397
(3) جمهرة ابن حزم ص : 478
(4) الاشتقاق ص : 25 - 30
(5) نهاية العرب ص : 398
(6) معجم ما استعجم 1/ ص : 89
(7) م.س.ص : 90

وخشم وهلال وكلاب بن ربيعة ، وطى* ، وطى* وأهد حلوفان*
 وأما ثقيف وبجيلة فنزلتا حضرة الطائف ، ومن بقي بالحجاز من عجار
 جشم ونصر بن معاوية ومن ولد خصفة بن قيس* وكانوا يقيمون
 بحرة بني سليم ، وحررة بني هلال ، وحضرة الريدة الى قرن تربية ،
 وهم مخالطون لكلاب بن ربيعة (1) .

وقبائل قيس هي : عيس وخطفان وفزاراة وفهم وهدوان
 وهلال وكلاب بن ربيعة ، وثقيف وجشم ونه ونصر بن معاوية*
 وأما مزينة وأسد فهما خند فتيان ، وطى* وسد حج قحطان (2)
 وكذا خشم طى بعض الاقوال* كما مر بنا* وهذا الاختلاط لمختلف
 القبائل حتى مجي* الاسلام يكشف لنا عن تجمعهم ضمن للقبائل
 القيسية من جهة ، وعن التداخل الفخائي القبلي من جهة ثانية ،
 مما يجعل اللهجات القبلية النموذجية تتداخل داخلها مكنائفا ،
 وتتفاضل تفاعلا عظيما ، تحت تأثيرات هذا التجمع الباطل السدي
 تلاقى من مختلف اصقاع شبه الجزيرة العربية منذ زمن موغل
 في العصر الجاهلي* ، وبعبارة ادق قبل الاسلام بعهد حقيق* .
 ب* نجد : وأما نجد فوجد بها* والاسلام مشرق* بنو كعب بن

(1) جمهرة ابن حزم ص : 479 - 483

(2) معجم ما استعجم 1/ ص : 90

ربيعة بن عامر وديارهم الفلج وما أحاط به من البادية
ونصر بن عامر وباهلة بن منصور وتميم كلها بأمرها بالبيعة،
وبها ديارهم ما عدا حاضرتها فانها كانت لربيعة بن نزار ولخواتهم (1) .
وهذا التجمع بني كذا من تد اخلات قلبية كثيرة من قيسية .
وخند قبة وربيعة .

ولم يفت الأخصس من شهيرة ب التغلي إن يعرف هذا الفضا .
التداخلي والتبايني بين قباثل عربية : (2)

لكل أناس من معد صارة	عروض اليها بلجأون وجان نسب
لكيز لها البحران والسيف كله	وان يغشها بأس من الهند كارب
تطير طي أرمجا زحوش كأيها	جها م أراق ما ه فهو ذا نسب
وبكر لها الد العراق وان نشأ	يحل دونها من البيعة حاجب
وصارت تميم بين قف ورطة	لها من جبال متأى ومذاهب
وكلب لها خبت ورطة طالج	الى الرجال حيث تحسار ب
وبهرا حي قد طمنا مكيا نهم	لها شرك حول الرصافة لاحب
وغارت اباد بالسودا ودونها	برازيق عجم تهتفي من تضارب
ونحن أناس لا حجاز بأرضنا	مع الغيث ما نلق ومن هو مازب

(1) معجم ما استعجم 1/ ص : 91

(2) القصيدة مشروحة لغويا في الفضليات ص : 204 - 206 . وأما لكيز
الوارد في البيت الثاني فهم ولد عبد القيس بن أفضى بن دعسي بن أسد
ابن ربيعة بن نزار وهو بنو جبل من لكيز ، وظلم بنو لخم ، والد ميل
ومازن ، وهذان الاخيران بطنان ضحمان .

التداخلات القبلية واللهجات :

نحن لا نريد أن نتحدث هنا بشكل عام مباشر من
 الاشكالية المطروحة حول الحدود أو الفروق بين اللغة واللهجة
 وخصائصها أو صفات كل مستوى منها ، لأن هذا سي طرح لاحقاً
 في ضوء ^{الطرح} اللساني العام للغة وما يتصل بها ، لكن رأينا
 في الوقت نفسه أنه لا مانع من استغلال الدراسة السابقة
 في هذا البحث والتي تناولت بشيء من التفصيل التداخلات الفصائية
 للقبائل العربية ذات اللهجات الفصحى للوقوف على حقائق مسن
 غير شك أنها كانت إحدى نتائجها ، وأغني بها تلك الفرازات
 اللهجية القبلية وما يحيط بها من رؤى ودراسات وتأويلات .
 ان فرديناند دي سوسور يرى أنه ((بقدر ما يوجد
 من أمكنة توجد لهجات (((1) ، والفصاء الجغرافي للقبائل
 العربية ولا سيما تداخلها الفصائي من أحداث تاريخية وسياسية
 واجتماعية غالباً وتوازيها أحياناً ، لا يصون اللغة المشتركة من
 أن تطفو على سطح خريطتها مظاهر لهجية اقليمية هنا وهناك .
 لأن حركة القبائل البدوية غير المستقرة تنقل معها لغتها
 وأسلوب خطابها الى كل موقع تغلب عليه أو تحل فيه مثلما

(1) محاضرات في اللسانية العامة ص : 244 فرديناند دي سوسور
 ترجمة : يوسف غازي ومجيد النعوط : 1984 . دار نعمان للثقافة - لبنان

كانت تصنع القبائل العربية المتطاحنة عبر تاريخها المجهول والمعلوم .
ويرى بعض المختصين في اللهجات العربية القديمة أو ممن درسوها
والموا بقواعدها أن ((سعة الجزيرة العربية لم تكن كافية
لاستقلال المجموعات الكبرى ، من قبائل الشمال أو الجنوب بلهجاتها ،
كسي تتمكن هذه اللهجات من التغلب التعدد والاستقلال والتطور والنمو
ثم تكوين لهجة لها خصائص اللغة المستقلة) (1) ، ونحن لا نرى
أن هذا كان سبباً وحده في عدم وجود كل لهجة مستقلة عن نظيرتها ،
أي لا يعود إلى انحسار الفضاء والتنافس القبلي حوله بل يرجع إلى
كون هذه اللهجات قد انطلقت أو ما انطلقت من عائلة لغوية واحدة ،
كما أن النزعة العرقية كانت تحل محلها العصبية القبلية ، وهذا لم
يكن ليشير تلك اللغة الأصلية في شيء ما دام العرب ، مهما اختلفوا
عصبياً ، فهم جنس واحد عرقياً ، وهذا يخدم الوحدة اللغوية أكثر مما
يعمل على تشتيتها إلى خصائص لهجية محلية مستقلة ، ويظهر أن تعدد
هذه المستويات النحوية والصوتية والمورفولوجية والدلالية
هو يشبه إلى حد ما تعدد المفردات القاموسية فيها .
أما تلك التداخلات الفضائية بين القبائل العربية ووطنها وأفخاذها
بسبب الصفات النفسية التي كانت مفروضة عليها من الداخل والخارج ، فقد

(1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص: 9 - 10 . د. داود سلوم
(ط: 1 / 1986 مكتبة النهضة العربية - بيروت)

كما نت ايجابية ، لان ذلك الاختلاط بسبب الحروب والتهايلات المختلفة

((كسر قيود العزلة أمام اللهجات ، التي كان يتوقع لها الانسان

النمو ، فكانت تصطم بعضها ببعض ، فتضطرب اللهجتان المتصارمتان

الى الأخذ والعطاء ، ولذلك فاللهجات قد تهجر بعض المفردات ،

أو تتبنى بعضها الآخر ، وهذا يؤدي الى تقارب تدريجي يضاف

الى ذلك أن أرض الجزيرة لا تفصلها موانع جغرافية ، كالجبال الشاهقة ،

والأنهار الكبيرة ، مما يمنع الهجرة ، وأودعو الى الاستقرار ، وينطبق

هذا على كل الجزيرة العربية ، ما عدا بعض مناطق اليمن حيث تمكنت

بعض القبائل من العزلة الاجتماعية ، فاحتفظت بلهجاتها نقية ، وساعدت

على تطورها ، ونحوها بعيدا عن اللهجات الأخرى)) (1) وذلك كلهجة

مهرة بن حيدان ذات الأصل الحميري المحلي ، وذكر ابن دريد أن مهرة

بقيت لغتهم الى عهد كلفة خطاب فيما بينهم بسبب انعزالها بالشحر (2) .

ومن غير شك أن هذه القبيلة أو تلك لم تكن تعي بما تتميز به بها به

لهجتها عن الأخرى المتقاطعة معها ، والمتباينة عنها ، بحس المقارنة

وعامل الافتخار ، لأن القرويين ((مولعون بمقارنة لهجتهم المحلية

بلهجات القرى المسجورة)) (3) .

(1) دراسات في اللهجات العربية القديمة ص: 10

(2) الاشتقاق ص: 553

(3) محاضرات في الاستيعاب العامة ص: 232

ومما هو قريب من هذا ما حكاه الجاحظ من أن أهل
 ((الأهوا)) إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك
 تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام
 ومصر ، (1) وهذا ما بعد مجيء الاسلام فكيف فيما قبله ؟ صحيح
 هناك فرق بين عصر ما بعد الاسلام وقبله بالنسبة للعربية ولهجاتها ،
 باعتبار القبايل العربية النازلة على الأخرى من أخواتها للأسباب المبينة
 آنفاً ، هي من ذات جنس لغتها وأساليب وعادات خطابها ، ولكن
 ظاهرة الشعور بالتفوق اللساني والتباهي به كانت ما بعد مجيء الاسلام
 أوضح عنها ما قبله ، من ذلك أن أهل مكة قالوا لأحد الشعراء من
 البصرة : ((لمت لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، وإنما الفصاحة
 لنا أهل مكة)) (2) .

قد تفرص لهجة واحدة سلطانها بعوامل شيرة كالعامل
 الديني أو السياسي ذي طابع الزعامة والتوحيد المركزي للسلطة ،
 إلى جانب ما قد تتميز به هذه اللهجة عن نظيراتها من سمات
 في الإنتاج الأدبي والفني والحضاري والثقافي بشكل عام .

(1) البهتان والتبيين 1 / ص : 18

(2) م . س . ن . ص : 18 - 19

ويعتبر دي سوسور الزمن عاملا أساسيا في أي تنوع جغرافي
لهجي أثر كل تداخل فضائي (1) وهذا أنه يجب ألا
نفتقر بعامل الزمن بالنسبة لأدراك اللغة من وعي تاريخي
وتطوري أو تغيري ... فاللغة وكما سنرى في الباب القادم
لا تدرك ولا يحكم لها أو عليها إلا بالاستعمال اللغوي من محكما
لنساء عبر الأجيال والتراث كان أم كتابيا ثم ثابتا ففسي
نصوص. إن العامل الزمني بالنسبة للتنوع اللهجي في أي تداخل
فضائي ما هو إلا عنصر وهمي لا علاقة له بأي ظاهرة
لغتنا الإنسانية، ولكن العنصر الذي نتفق فيه مع دي
سوسور وغيره في هذا المجال أن اللهجات المتداخلة تتبادل
في تأثير الواحد بالآخرى وحتى ولو كانت هذه ظاهرة
وغيرى مغزوة ولكننا لا نذهب معه بأن التفريق بين التبدلات
اللهجية ينشق عن الزمن ((ومن هنا يجب ترجمسة
التنوع الجغرافي بالتنوع الزمني)) (2) وهل يرد كل
شيء إلى العنصر الزمني ((وبكلمة واحدة أن لا ثبوتية اللغة
إنما تعود إلى الزمن وحده. إن التنوع الجغرافي هو إذا
مظهر ثانوي للظاهرة العامة ووحدة اللغات ذات القربى لا توجد

(1) محاضرات في اللسانية العامة ص: 239

(2) م.س. ص: 240

الزمنية وهذا مبدأ لابسد للألسنى من تعمقه (1) . وكذلك نجد ((أن نموذج الاختلاف الجغرافي لا يكون تاماً إلا مأخوذاً في الزمن)) (2) وهذا موقف لا يخلو من غرابة بالنسبة للساني مثل د. ب. سوسور ووالفأى شي* هو الزمن ؟ هل هناك فرق بين كمية زمنية وهمية تتضد في لحظة مضت ولاخرى أتت ؟ .

وبالنظر الى هذه التداخلات الفضاائية من جهة واليمين القبايل العربية ووطنها وأفخاذها والى التوزعات اللهجية عبر فضاائها فانهم لم يمكن الجزم سبقاً بأنه لم يكن يفصل بين هذه اللهجة القبلية أو تلك الأحداث هي في مجملها ذات دسمات شابهة لحدود اعتبارية أو انتقالية وهمية . وهذا يعد في على كل ما يشبه الحركات القبطية العربية التي تم بيانها والتي تمتلك تراثاً حياً في الاستعمال من اتصالات اللهجية الظاهرة للتراث اللهجسي العربي القديم ولا يمكن أن نحكم بارتياح ثابت ؛ هنا تبدأ اللهجة التيمية وهنا تنتهي اللهجة الحجازية في الوقت الذي نجد شعراء التوحيد اللغوي منذ العصر الجاهلي يكادون يجمعون على استعمال لغة نموذجية أو مشتركة واحدة .

(1) م.س.ص: 241

(2) م.س.ص: 240

المشاكل الشائنة في فصاحة قبيلة قرشي

لا شك أن اللهجة القرشية كانت أكثر تداولا وتواصلا بين المتكلمين من قرشيين وغير قرشيين لعوامل معروفة عند العام والخاص وتتجلى بوجه خاص في العامل الروحي والاقتصادي والتجمعات العربية للحج من كل فج عميق من أرض الجزيرة وتنظيم مواسم أدبية وثقافية ورياضية ونظرة العرب اليهم نظرة موحدة مشوبة بالوقار والتقدير ورغبة كل القبائل العربية قاصيها ودانيها في التقرب اليهم والتزك بهم عن طريق التعاهد والتعاملات المختلفة التي تدخل في الحياة والحدث والاجتماع الانساني .

ان هذه النظرة والرؤية على هذا النحو وغيره جعلت غير واحد من الباحثين اللغويين قد ماثم ومحدثيهم لا يتردد طويلا في تصور اللهجة القرشية لهجة نموذجية لسائر العرب وبهم وبدرهم . بحيث ذابت فيها كثير من اللهجات البدوية الأخرى لتتشكل في النهاية لغة أدبية واحدة هي لغة الحكمة ولغة الخطابة ولغة الشل .

ولغة السجع ولغة الشعر ولغة الحكاية والآداب الشعبية ، تسهم لفظة القرآن الكريم .

واني هنا كما في المواضع الأخرى لا ألزم قطعا بالترتيب

بيّن قدّم الآراء وحداشتها وفي البداية يرى الاستاذ عباس حسن

أن ((قبيلة قريش منذ نهضت في أرض الحجاز وبدأت تسود غيرها
 من القبائل وتتزعما في الدين والسياسة والاقتصاد وأخذت
 لهجتها كذلك تسود اللهجات الأخرى وتتغلب عليها ، فقد استمرت
 هذه اللهجة في طريقها من الرقي بواسطة عدة عوامل اجتماعية
 وسياسية واقتصادية حتى كانت تهيمن في جانبها لهجات القبائل
 الأخرى وهي التي أورثتنا هذه الآثار الدينية والادبية
 والعلمية وهي أيضا لغة القرآن والحديث والأدب العربي)) (1)
 وبناء على هذه العوامل السابقة وغيرها من المبررات
 ذات العلاقات العامة الأخرى التي لا يمكن حصرها كلها ، فإن اللهجة
 القرشية كما يرى الباحث السابق ، كانت في أغلب الأحيان ((هدفا
 لأن تطعم من اللهجات الأخرى ، ولكن مهما تكلم كثير الدخيل في
 تلك اللهجة القرشية فلن يرقى ، فيما يظن ، إلى أن ينحسب
 أصالة الأصل ، أي اللهجة القرشية ، ليتأصل ذلك
 الدخيل ، والذي ينبغي أن نتصوره ونظمن اليه هو أن لقريش
 لهجة خاصة مستأزرة وكانت مع مالها من صلات دائمة باللهجات
 الأخرى تهتم وتهضم ما يفد إليها من تلك اللهجات ، وليس أدل
 على ذلك من هذه الفروق في اللهجات الأخرى)) (2) .

(1) اللغة والنحويين القديم وأحدث ص: 42 . أماس حسن
 (ط : 1966 دار المعارف - مصر)

(2) م م م ع : ن . ص

وقال الدكتور أحمد سليمان يا قوت معلقا على قول الاستاذ عباس حسن : ((وما دام الامر كذلك ، أي ما دامت لغة قريش قد سادت واستطاعت أن تبطل ما يفد اليها من تلك اللهجات ، وأصبحت هي اللغة النموذجية الأدبية ، فقد كان حريصا بالنسبة بالتحصاة أن يضعوا القواعد طبقا لما سمع من هذه اللغة دون غيرها مسنن اللهجات ، وألا يحاولوا أن يطبقوا هذه القواعد على تلك اللهجات مما أوجبهم الى التقدير والتخريج حتى يخضعوها لقواعدهم)) (1) استدلا مرة أخرى بأحد نصوص الباعث للمصنف ~~آخر~~ من أن ((تعدد صور الاعراب في حالة تعدد اللهجات يعني الخلط بين المستويات اللغوية وهذا الخلط أمر ترفضه الدراسات اللغوية الحديثة ولا صرار هذه الدراسات على وجوب تحديد مستوى الكلام المدروس وبعثته منذ بداية الأمر)) (2) .

ويفهم من بعض دراسات الدكتور ابراهيم أنيس ، وهو يدرس الافعال التي لامها أو عينها من حروف الحلق مثل : نكح ، نزع ، رجع ، ... والتي خرجت عن القاعدة العامة ، وأن لغة القرآن أسست في معظم ظواهرها اللغوية على اللهجة الدقرشية ، لكن مثل هذه الافعال ((يظهر أنها تنتمي في صيغتها للهجة أخرى غير

(1) ظاهرة الاعراب في النحو العربي ص: 122 د. أحمد سليمان يا قوت
(ديوان المطبوعات الجامعية ط: 1983 الجزائر)

(2) م. م. ص: 122

اللهجة القرشية (((1))) . .

أما الدكتور عبده الراجحي فيرى أن لغة النصوص المحددة
 بالعصر الجاهلي لم تكن لغة متوحدة توحدًا كاملاً، بل كانت لها
 لهجات كثيرة تختلف ((فيما بينها اختلافاً يكسرها ويصغر حجمها
 يكون بينها من تقارب أو تباعد، ولكن هذه اللهجات المختلفة لم تكن
 تمنع من وجود لغة مشتركة عامة يصطنعها أصحابها إذا كان
 الأمر كذلك، فكيف تكونت هذه اللغة العامة؟ أم كل هذه
 اللهجات المختلفة أم من لهجة واحدة تهيأ لها من أسباب القوة
 والسلطان ما حقق لها السيادة على ما عداها من اللهجات (2) (2)
 ثم يخلص إلى القول بأن القدماء يكادون يتفقون ((على أن لهجة
 قريش هي أعلى اللهجات العربية وأفضلها، وهي التي سادت
 شبه الجزيرة العلا العربية قبل الإسلام)) (3) .

وهناك من قد يم لابن فارس يفهم منه فهماً جلياً أن

قريشاً : (4)

(1) أفصح العرب السنسية

(2) أصفاهم لسفنة

(1) من أسرار اللغة ص: 36 د. إبراهيم أنيس، (ط: 3/1966 الانجلومصرية)
 (2) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص: 40 د. عبده الراجحي
 (ط: 1969 دار المعارف - مصر)
 (3) م. س: ن. س

(4) فقه اللغة ص: 52-53 ابن فارس، (ط: 1904، بيروت) .

(3) مفضلون عند الله ، لان النبوة منهم ، ولا نهم كانوا قطان حرمه ، وجيران بيته الحرام .

(4) تحاكت العرب اليها في أمورهم وأولادهم وأولادهم مناسكهم .

(5) تخيرت أرق وأصفي ما في لغات العرب الوافدين عليها في كسل مسوسم .

(6) خالية لغتها من بعض العيوب الكائنة في بعض اللهجات الأخرى .

ان قريشاً كانت تسكن مكة ، والمدينة تفسد اللغة ، وخاصة حين تكون هذه اللغة قائمة على الطبع والسليقة ، فضلاً عن أن القرشيين كانوا تجاراً ، والتجارة فيها اختلاط اجتماعي من مختلف الطبقات والأعمار والأقطار ، والأمصار ، قوائم على المصلحة الاقتصادية المتبادلة أو المشتركة ، ثم ان الرسول ، وهو صبي ، قد نشأ فني في بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، وكان هؤلاء أهل وبر ، ولم يكونوا تجاراً بالشكل الذي عرفت عليه قريش ، ثم ان قريشاً كانت تبحث بغلمانها الى هذه القبيلة المجاورة لتعلم أو واكتساب اللغة والفصاحة (1) ، ورهما يكن من شأن المتعلم فهو مدبر لمعلمه .

(1) ضحي الاسلام : 2/ص: 247 . أحمد أمين (ط: 10 . دار الكتاب العربي بيروت)

وتتميز الأستاذ أحمد أمين بين الفصاحة من جهة ، وسلامة اللغة من جهة ثانية - من دخيل الدخيل فيها - أمر في غاية الادراك وأعنى التحليل ، لأن قريشاً لما خالطت غيرها من الأمم عن طريق التجارة لـ التجاري (رحلة الشتاء والصيف) ، فإن لغتها من حيث سلامتها من دخول الدخيل فيها ، ينطبق عليها نفس ما انطبق على سواها من اللهجات الغربية الأخرى والأجنبية التي خالط أصحابها أمماً غريبة ، وإن كانت الاختلاط الدائمة كالمجاورة أكثر تأثيراً وعمل على تحويل لغة وفسادها من تلك الاختلاط المعارضة أو القصيرة كصفقات البيع والشراء ، وعلى هذا الأساس فلن لهجة قريش تكون قد سلمت مما اعترى سواها من اللهجات التي كانت متاخمة للأحباش ، والأقباط أو البيزنطيين . . . وعلى هذا ، فإن القبائل العربية متوافقة في فصاحتها ، مثلما هي متباعدة في سلامة لغاتها ، وبعضها اشتهر بالفصاحة كقريش ، وبعضها الآخر اشتهر بسلامة اللغة من دخول الدخيل فيها كلفه هوازن وسواها من اللهجات الجبلية البعيدة عن الاختلاط الجنسي ، وكان تفضيل العلماء الرواة في صدر الاسلام قائماً على هذا الاعتبار في جمع اللغات وتدوينها .

أما فيما يخص النقطة الثالثة فإن قریشاً لم تكن أول من تكلف بولاية البيت أو مجاورته ، إذ جرهم أول من ولي البيت ، وكان أول من شير من يدخلون مكة بتجارة ، ثم صارت ولاية البيت إلى الصالحين ثم عادت لجرهم ، ولما كثر ولد اسماعيل طلبوا على أخوالهم جرهم وأخرجوهم من مكة فلحقوا بجهينة (1) ، فانتقلت الولاية من ضر إلى خزاعة حتى أصبحت في قصي بن كلاب بن مرة (2) الذي جعل قریشاً ورثتها على منازلها في النسبة بمكة ، فجعلهم أباطحاً وظواهر (3) ، بمعنى أن هذا الشرف كان متواتراً متوارثاً ومتنقلاً بين قبائل عربية شتى ولم يكن وقفاً على قبيلة قریش وحدها حتى يكون هذا أحد المعهود في فساحية قریش وصفاتها دون سائر لهجات القبائل الأخرى .

أما تحاكم العرب لقریش ، فليس بين يدي ما يؤيده ، ذلك أن :

(1) حكم العرب في الشعر لم يكن قرشياً بل لم ينبع فيها شاعر قبل الإسلام على الإطلاق ، أي إلى أن كان عربن أبي ربيعة .

(2) حكم العرب في أمورهم لم حتى آخر العصر الجاهلي هو طمر بن الضرب ، وكان حكم العرب بمكاف ، وهو أول من قرعت له العصا وتحاكت العرب إليه حتى خرف ، وهو عدواني الأصل . (4) .

(1) مروج الذهب : 2/ ص : 22

(2) م. س. ع. ص : 32

(3) م. س. : ن. ص

(4) جمهرة ابن حزم ص : 243 و ص : 264

(3) الاسواق في الجاهلية والمواسم كان يحضرها سائر العرب القاصي منهم والداني ، وكانت تقام في دومة الجندل من البحرين شمس في عمان بالبحرين ، شمس في ارم وقرى الشجر وعدن وحضرموت ، وأخيرا ينزلون عكاظ (1) ، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة في هذه السوق الاخيرة رجس من تميم ، وكان آخر من قام بها الأقرع حسان التميمي (2) . وان كانت هذه الوظيفة الاخيرة قد تفسر بتقدم العرب لمنزلة قريش أكثر ما تفسر بأنها وظيفة لم يكونوا أهلها ، وهم سدنة البيت الحرام وخدام الحجج والسا هرون على سلامتهم ورعايتهم من أول يوم يحلون فيها بخة الى آخر يوم يرحلون فيه ، وهذه الظاهرة لا تزال منتشرة في كثير من قرانا الجزائرية حيث نجد قبائل أو شيوخ قبائل هم الذين يقومون بخدمة عشائر وقبائل أخرى مجاورة يقال فيها أو يظن عنها أنها (شريفة) وذلك من خلال اقامة مآربات موسمية على بعض أضرحة هذه القبائل (الشريفة) ، وهم لا يقتلون بالمرءة حتى مآهمة أثريا ، هذه العشائر (الشريفة) مآربا فقط معهم . أما المظاهر اللهجية التي خلت منها لهجة قريش فهي لا تعد وأن تكون ظواهر لغوية قلبية محلية ، وليست ذات تأثير

(1) نهاية الأرب ص: 464

(2) مآرب ص: ٤٠٤ ن ص

يذكر على الفصاحة ولا على سلامة اللغة ، فحسن شا من شا من المتكلمين استعمالها ، كبيت ذي الرمة :

أعن توسمت من خرقة * منزلة ما * الصباية من عنبك صجسوم
 حيث أبدل الشاعر الهمزة عينا ، ومن شا * هجرها هبل الظاهر
 من شعرا * التوحيد اللغوي أنهم كانوا يدبرون عنها أزيد من
 الأقبال عليها ، فمنعنة تميم السابقة ليست بأكثر من تباد ل صوتي .
 ويحلوا لبعض المستشرقين ، ومثهم (ل ن) أن يرتاب في
 فصاحة لهجة قريش ومولدين على نشأة النبي (ص) في بني سعد
 واسترضاه فيهم . ومن أجل هذا نسبت الفصاحة إلى قريش فقط
 لا علا شأنها على أن الرسول منهم (1) .

والظاهر أن أهل المدن لم يكونوا يرسلون أبناءهم
 إلى البوادي من أجل تعلم اللغة وحدها . . . فقط ، وانما كان
 من أجل اكتساب صفات نفسية كالقساوة والشهامة واعتياد
 المعيش الشظف ، وإتقان الفروسية ، وركوب الخيل ، ومعرفة أماكن
 الكلاء ، وحبون المياه من مواضع القحط والجفاف . . . إلى جانب
 اقتناء صفات أخرى أخلاقية كالكرم وقرى الغيف واغاثمة
 المستفيث واجارة المستجير وحماية الجار ، وتعلم الصبر بالإضافة

الى محاسن قوسهم الموروثية .

والناظر في أقدم كتاب في النسب وصلنا . يستطيع أن يلاحظ

أنه كانت تجمع قريشاً وأغلب سائر القبائل العربية رابطسة
دموية . ومن أجل هذه الرابطسة يظهر أن هذه القبائل كانت
تتعمد التردد الى القرشيين والتداني منهم في معاشرتهم . إذ
إن جلد نساء أشراف قريش وساداتها في الجاهلية وصدر الاسلام
همن من قبائل عربية متنوعة . وهذا لا يمكن اعتباره صدفة أو

أوتافاقاً . ومثالا على ذلك فان :

- (1) عاتكة أم هاشم والمطلب وعبد شمس من بني سليم .
- (2) أم نوفل من بني مازن بن صعصعة .
- (3) أم عبد المطلب من بني النجار من الأنصار .
- (4) أم العباس بن عبد المطلب ترجع الى النمر بن قاسط .
- (5) زوجة العباس بن عبد المطلب التي ولدت الفضل وعبد الله من بني
عامر بن صعصعة .
- (6) عبد الله بن عباس تزوج بامرأة من كندة .
- (7) زوجة عبد شمس بن عبد مناف من ابن كلاب . وله زوجة ثانية من
مناة بن قصيم .
- (8) أم أبي العاص جد عثمان بن عفان ترجع الى عامر بن صعصعة .

حتى قال النابغة الجعدي :

فشاركننا قريشا في تقاها وفي أحسابها شرك العنسان

بما ولدت نسا * بني هلال وما ولدت نسا * بني أسنان

(٩) أم قصي بن كلاب ترجع إلى بطن من الأزد.

ومن خلفاء قريش (بني هاشم) :

أ - زيد بن حارثة حالا حارثة بن قضاة.

ب - بنو جعونة بن شعوب من بني ليث بن بكر.

ج - بنو الهاردي من بني ليث بن بكر.

د - بنو شيبان من بني سليم بن منصور... إلخ (١) .

ومن هذا الجيل الذي موي المخطوط الصاربة جذوره في

القدم والذي بقي مفتولا فتلا ثابته ومطردا حتى ما به بعد الإسلام

يتجلى بشكل ظاهراً أن القبائل العربية من كل موافقها كما كانت

تغرب في صاهرتها والعيش تحت كنف حمايتها والتقرب منها كانت

تدفع اندفاعاً يميل إلى أخذ أطفالها للاسترضاع فيهم رمزا

لهذه العلاقة الروحية والدوية والتاريخية . وليس فقط من أجل

تعليمهم الفصاحة أو سلامة اللغة أو من أجل الاكتساب في حد

ذاته من خلال مهنة الرضاعة .

(١) كتاب حذف من نسب قريش من ص : ٣ إلى ص : ٦

واختلاط اللهجة القريشية بغيرها لا يضع قهلا من قيمتها اللغوية
 ما رام الدخيل فيها كان يعقل صقلا جديدا تبعا لقوانين اللغة المستوردة .
 وشأن الدخيل فيها أنه اذا قبل على شروطه شأن سائر الألفاظ التي
 عبرت منذ العصر الجاهلي والواردة في أشعار الفحول كأمي
 القيس والاعشى والناخسة وغيرهم ولربما من هنا طرحت اشكالية وجود
 أو عدم وجود ألفاظ أعجمية في القرآن بين اللغويين والفقهاء المسلمين ،
 ان اختلف الأئمة ((في وقوع المعرب في القرآن ، فالأكثر منهم :
 الامام الشافعي ، وابن جرير ، وأبو عبيدة ، والقاضي أبو بكر ، وابن فارس
 على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى : ((قرآنا عربيا)) ، وقوله تعالى :
وروجعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي) ،
 وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك . وقال أبو عبيدة :
 انما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية ،
 فقد أعظم القول ، ومن زعم أن كذا بالنبطية ، فقد أكبر القول ، ويقابل
 هذا القول ما جاء عن بعضهم بجوار وقوع ذلك ، وان هناك ألفاظا
 غير عربية استعملها العرب وجرت مجرى الفصح فوقع بها البيان ونزل
 القرآن .

وقال آخرون : كل هذه الألفاظ عربية صرفة ، ولكن لغة العرب

متسعة جدا ، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة ، وقد خفى على ابن عباس

معنى ((فاطر)) و ((فاتح)) وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: والصواب عندي أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء * ولكنها وقعت للعرب وفعلتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب * فمن قال : إنها عربية فهو صادى * ومن قال : أعجمية فصادى * وما ن إلى هذا القول الجوابي وابن الجوزي وآخرون ((1)) .

ونحن نورد هذا النص لثارة اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لأنزل بلغه قريش وحدها باعتبارها كانت أو من الممكن أنها كانت اللغة المشتركة التي ذابت فيها معظم أو كل اللهجات العربية الباقية فصار ذلك العصر الادبي الجاهلي ثم الوحي أم أنه نزل بكل لغات العرب التي اشتركت جميعها في تكوين العصر الادبي وبالتالي كانت مهيأة للتزويل ؟ . ان هذا ما سنحاول أن نشيره في المبحث الثالث التالي من هذا الفصل .

(1) زبدة الاتقان في علوم القرآن ص : 46 - 47 . محمد بن طوي بن

السفر الثالث : اللغة النموذجية وما فيها بين القبائل

(الفصل الثالث)

خلاص التطرق إلى اللسان التفكير في انجاز المبحث الثاني

الباب

من هذا الفصل حول درجة أو فصاحة قبيلة قريش ، كنت أحسب أنني قادر على بحث هذه المسألة بمعزل عن باقي اللهجات العربية العربية الأخرى التي أحاطت بها خارجياً أو انصهرت في بوتقتها داخلياً ، غير أنه بعد قراءات متكررة في هذه المسألة ، اتضح لي أنه من غير الممكن استقصالها بل أخذ نظرة شبيهة مقنعة عنها دون تناولها مع الكل أي مع اللهجات العربية الأخرى من جهة ، ومع الإشارة إلى اللغة القرآنية من جهة ثانية ، لأنه إذا اقتنعنا بأن اللغة القرآنية هي كلها أو أغلبها تعود إلى اللهجة القرشية ، فإنه يصير من العبث بمكان أن نتناقص في مسألة فصاحة أو درجة لهجة قريش ما دام القرآن الكريم منزلاً بها .

ذلك أن كل اللغويين العرب القدماء ، والباحثين في

علوم القرآن وقراءاته لا ينكرون أن العربية جمعت من أكثر من قبيلة واحدة ، كما أنهم لا يدحضون أن هناك مناطق جغرافية لغوية توصف بأنها فصيحة أو أفصح من غيرها ، وخاصة حين يتعرضون إلى الحديث الشريف المشهور : (أنزل القرآن على سبعة أحرف) (1)

(1) سيوثق الحديث بعد قليل ، ونحن نتحدث عن اللغة القرآنية التي نزل بها وتقاطعها مع لهجات عربية فصيحة عديدة .

مما لا شك فيه أن الحديث عن اللغة القرآنية أو تقويم اللهجة
القرشية ، يقودنا حتماً الى الحديث عَمَّا يسمى باللغة ((النونجية))
التي كانت متبناة كلفة أدبية منذ العصر الجاهلي ، لكن هذا الحديث
لن يكون غايته في حد ذاته بل من خلال القبائل التي أخذ
عنها من القبائل التي لم يؤخذ عنها ، ومن خلال التعرض كما أشرنا .
الى اللغة القرآنية .

لكن ما هي الفصاحة ؟ ربما يكون من الهذر والبعد
عن المقام هنا لو حاولنا أن نطلب في تفصيل هذه النقطة لأنها
تتباين من غرض الى غرض ، ومن عالم يشتغل في حقل كمي مختص
مهتم بحقل آخر ، إذ مفهومها في وجهة نظر المستعمل أو الباحث هي
ليست ذاتها في وجهة نظر المستمع أو المتقبل للرسالة ، زد على
ذلك أن الفصاحة بالنسبة للغة في حد ذاتها ليست مستوية الرؤية
ولا التقدير بل بين شكلها وسمونها ، وهي في مجازها شي* آخر
بالنسبة لحقيقتها ، ولستعملها أكثر شيوعاً ليس هو عينه بالنسبة
للأقل أو الأندر استعمالاً وتداولاً بين القوم منها . ولذا فإنما
كلما اضطررنا الى لمس هذا الموضوع أو الجانب ، فنقتصر على ربطه
بالمكلم أو تحديد المنطقة اللغوية أو القبيلة (1) .

1- لا يخفى على المختصين الكتب والإعلام والأعمال التي تناولت هذا

هذا الموضوع بالنسبة للقدماء ، وأما بالنسبة للمحدثين فيبدو أن :

((علم الفصاحة العربية)) للدكتور محمد علي رزق الخفاجي (ط: 2/ 1982

ومما ذهب اليه الدكتور شوقي ضيف أن لهجة قريش هي
 عين الفصحى التي سادت وعت في العصر الجاهلي لا في الحجاز
 ونجد فحسب هـ بل اقتضت أبواب القمائل الجنوبية من حميريين
 ويمنيين ، ولأن القرآن نزل بلغة قريش لقوله تعالى :
 - ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ)) (1) .
 ثم يردف : ((أما ما يردده اللغويون من أن القرآن الكريم
 نزل على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن ، . . . فذلك
فرا في رأسي إنما هو تفسير منهم للحدث النبوي : ((أنزل
 القرآن على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه)) ، فقد فسروا الحروف
 باللغة أو اللهجة ونظروا فوجدوا لهجات العرب ولغاتها كثيرة : ،
 فاختاروا منها سبعة هي أفصحها ، وهي التي كان يرحد إليها اللغويون
 لجمع مادتهم اللغوية الصحيحة) (2) .

إن قول الدكتور شوقي ضيف أعلاه لا يخلو من غرابة وتناقض ،
 لأنه لا يميز بين نزول القرآن كنص هو وحي ، وبين هذا النص كقراءة
 متواترة بأكثر من وجه ، وكلها (القراءات المتواترة) تحيل على
 قارئ واحد هو الرسول عليه السلام ، لأنه من غير المقبول

== دار المعارف - القاهرة) يعد كتابها فيما يحيط بالسألة =

(1) سورة إبراهيم : آية 4

(2) تاريخ الأدب العربي : 1/ ص : 134 - 135

حسب علمنا أن قارئاً يقرأ حسب هواه أو ما يراه هو أفصح من الوجه
الآخر دون أخذ القراءة المتواترة مرجعاً أساسياً لقراءته مثلاً
نجد في القراءات الصحيحة .

وانما قد يفهم من الحديث النبوي السابق أن الله أراد
أن يخفف على الأمة ويبسّر عليها تهوين مشقة انتقال اللسان من
لهجة إلى لهجة ، لأن الرسول لم تكن تعوزه اللغة ولا الفصاحة في
فهم كل قوم أو تفهيمهم ، ولذلك لما وردت عليه الوفود أقصراً
الأخماس ، أي العالية ، وبكرين وائل وتيماء وعبد القيس ، والأزد ،
كسل خمس على لغته ، ولوحظ أن أعراب القوم عندئذ تميم (1)
ولربما كان الاستاذ مصطفى صادق الرافعي من أدرك
الاشكالية في الصميم ، وهو يتحدث عن أفصح القبائل الثلاثة : () وهذا
فصل لا يؤخذ فيه إلا بأقوال الرواة الذين جمعوا اللغة وتلقوها
عن أهلها ، وذلك لتقادم العهد بزمان العرب ، ولأن لغاتهم غير
مسيّزة في التدوين حتى يعارض بعضها ببعض ويفصيل بينها بطبقات ،
... والفصح عندهم ما كثر استعماله في ألسنة العرب ودار في أكثر
لغاتهم () (2) .

وكما لمحا أعلاه ، لا يمكن معرفة هذه المسألة والإجابة بها

-
- (1) الفاضل ص: 13 . المبرور . (ط : 1956 دار الكتب العربية)
(2) تاريخ آداب العرب : 1/ ص: 131 - مصطفى صادق الرافعي (ط : 1974/4
دار الكتاب العربي - بيروت)

دون أن نتناولها ضمن علاقات لغوية قلبية شاملة وفق ما قال
به الرواة المتشددون أو النقلة المعتدلون به من ذلك ما يفهم

من أمرين واردين في نص للفارابي : (1)

(1) القبائل التي أخذ عنهما وعطيها اكمل :

كـ في الغريب

(2) في التصريف .

ج - في الاعراب

(2) القبائل التي لم يؤخذ عنها .

أما القبائل التي أخذ عنها جماع اللغة فهي :

(1) تميم

(2) قيس

(3) أسد

(4) بعض كنانة

(5) بعض طي

أما القبائل التي لم يؤخذ عنها = باختصار = فهي كل

القبائل التي كانت متاخمة لأمم أجنبية على طول حدود شبه الجزيرة

العربية من فرس وأنباط وبيزنطيين وأحباش ... وكذلك لم

يؤخذ من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقف وأهل الطائف .

نظرا لمخالطة هؤلاء تجار اليمن المقيمين عندهم هؤلاء من حاضرة
الحجاز ولأن جماع اللغة وجدوهم خالطوا غيرهم من الأمم
الاجنبية ، ففسدت ألسنتهم .

والذي يطول أول وهلة أو نظرة للنص أعلاه أنه كيف ترفى
اللغة من ثقب ، وأن عربى الخطاب صرح أو أمر ((ألا يطلى في
ما حفتا الا غلمان قريش أو ثقيف (((1) .

كما أن النص ينظر الى المخالطة على الاطلاق ، حتى كأنه لا فرق
بين مخالطة أهل الطائف وثقيف للمنبيين الذين هم عرب أقحاح
وللأطاحم الا جانب عن العربية كليمة ، الا من نشأ بين العرب صغيرا أو
بينهم وقتا طويلا .

وأما الدكتور طه حسين فقال : ((فلم يكن التيمسي أو القيسي
حين يقول الشعر في الاسلام يقوله بلغة تصم أو قيس ولهجتها ، انما
كسل يقوله بلغة قريش ولهجتها (((2) لأن القرآن ((الذي تلى
بلغة واحدة ولهجة واحدة هي لغة قريش ولهجتها ، لم يكسب
يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءته وتعددت
اللهجات فوسه وتباينت تباينا كبيرا (((3)

- (1) فضائل القرآن ص: 34 لابن كثير (ط: 1966 دار الاندلس بيروت)
(2) في الادب الجاهلي ص: 103 د. طه حسين (ط: 1964 دار المعارف مصر)
(3) م. م. م. ص: 93

والواقع أن العلماء لما شدوا الرحال لأخذ اللغة عن مثل هذه القبائل التي ذكرها طه حسين ، إنما صمموا ذلك والاسلام قائم ووجدوا اللهجات مختلفة في قواعدها ، ثم استشهدوا على وضع القواعد وتأيد كل مذهب بأشعار فحول القبائل ذات اللهجات الصحيحة خاصة والشعراء مقلين ومكثرين ، معلولين ومجهولين ، والاسلام قائم أيضا .

وبشأن السبعة أحرف أن هذا الحديث موثق عند الامام البخاري وغيره ، وهو يروى سنداً بروايات طويلة ولكن الروايات تتفق في النهاية على أن القرآن أنزل بسبعة أحرف (1) ، لكنهم يختلفون في تفسيره ، اختلفنا شديداً ، ولا سيما حين نجمع تفسير الفقهاء بتفسير اللغويين (2) ، إلا أن هناك أقوالاً مشرقة حول الحذف الحديث النبوي يمكن للعقل أن يطمئن اليها ، ومنها قول أبي عبيد : ((ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لأنها المشهورة ، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه ، وهذا شيء غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب ، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة ، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى ، والثالث بلغة أخرى سواهما

(1) راجع مثلاً : فضائل القرآن ص : 28

(2) لمن أراد التوسع في هذا المسألة فليعد مثلاً إلى المرجع أعلاه من ص : 28 إلى ص : 33 ثم إلى ما بعدها .

كذلك إلى السبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض (((1) .

بينما يستند إلى ابن عباس أنه قال : ((نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بِلغة العَجَز من هوازن)) (2) حيث فسّر أبو عبيد العَجَز بأنهم هم بنو أسعد بن بكر، وخثعم بن بكر، ونصر بن معاوية وثقيف وهم طيء هولوزن الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : ((أفصح العرب طيء هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم)) (3) .

ومما هو طيه أهل العلم والتفسير لأن المراد بسبعة أحرف هي سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بالفاظ مختلفة نحو : أقبل وهلم وتعال . وقال القاضي الباقلاني : ((ومعنى قول عثمان أنه نزل بلسان قريش أي معظمه، ولم يقم دليل على أن جميعه بِلغة قريش كله . قال الله تعالى : ((قرآننا عربياً)) ولم يقل : قرشياً . قال : واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً . يعني حجازها ويعنينا .)) (4) .

ويذهب الرازي إلى أن الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف (5)

(1) اختلاف الأسماء من أفرار وتثنية وجمع وتذكير وتأنيت .

(2) اختلاف تعريف الأفعال من : ماضٍ مضارعٍ وأمرٍ

(1) فضائل القرآن ص : 33

(2) م . ص : ن . ص (3) م . ص : ص : 34 . (4) م . ص : ص : 38

(5) معجم القراءات القرآنية : 1/ ص : 71 الدكتوران : عبد الله سالم وأحمد مختار (ط : 1/ 1982 ذات السلاسل - الكويت)

(3) اختلاف وجوه الاعراب

(4) الاختلاف بالنقص والزيادة

(5) الاختلاف بالتقديم والتأخير

(6) الاختلاف بالابدال

(7) اختلاف اللغات

ومما يدل على استبعادنا لقبول قول أو نقد ير الشيخ
أبي الفضل الرازي أن الاختلاف الأول في حد ذاته يتكون
على الأقل من مستويين مختلفين : الجنس والعدد ، فليس غير أنني
أعترف مع ذلك وفق ما نجد في التصنيفات اللسانية الحديثة لهيئة
أقسام الخطاب في لغة أخرى غير العربية كالفرنسية مثلاً ، أن
هذه الهيئة لا تعدو أن تكون ثنائي فئات للخطاب ، وهذه
الفئات ^{الثماني} ليست حجة على العربية عددياً ، لأن صفتي أقسام
الهيئة الخطابية في هذه اللغة يفرقون بين فئات الحروف من
جهة (la classe des prépositions) وفئات الروابط
من جهة ثنائية ، وهي الصماء : (la classe des conjonctions)
وهذه الفئات اللسانية التي تكون بنية الخطاب تتشكل كما

يلي : (1)

(1) الفئات الاسمية .

1.1: الاسم

2.1: الفئات الفرعية

3.1: الجنس

4.1: تعديد الاسماء

5.1: تكوين الجمع

6.1: اسم العلم

7.1: صنف أسماء عرضية

(2) الفئات الفعلية

1.2: تركيب الفعل في الجملة

3.2: تكوين الفعل

4.2: الزمن

5.2: التحويل من الالوب المباشر الى الالوب غير المباشر

6.2: هيئة الفعل

7.2: التصريف

(3) الفئات التعريفية

1.3: أدوات التعريف

2.3: أسماء الإشارة

3.3: مادل على الملكية

4.3: الاعداد

(4) فئات الصفات :

1.4 : مختلف الفئات النعتية

2.4 : وظائف النعت

3.4 : درجات المقارنة بين الصفات

(5) فئات الظروف والاحوال :

1.5 : المعايير الظرفية والحالية

(6) فئات الحروف :

1.6 : التعبير بالخسوف

2.6 : أهم الحروف

(7) فئات الضمائر :

1.7 : الضمائر الشخصية

2.7 : الضمائر المتصلة

(8) فئات الروابط :

1.8 : وظائف هذه الفئات

وعليه ، فان تقسيم الشيخ الرازي على الرغم من ابتعاده

عن هذا التقسيم جملة وتفصيلا ، الا أنه يظل مع ذلك متلاقيا معه .

ولعسل من تعمق المسألة وفهمها فهما عيقا ، حيث جمع
 بين تفسير الفقهاء وتحليل اللغويين ، هو ابن قتيبة ، ونظرا
 لاهمية هذا التحليل فانا سنورد ، مطولا حتى لا نخل بوجه
 من وجوهه .

قال ابن قتيبة : ((أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات
 من الاختلاف فانا نحتج عليهم بقول النبي (س) : ((نزل القرآن
 على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، فاقروا وكيف شئتم)) .
 وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا : السبعة الألف :
 وعد ، ووعد ، وحل ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج .
 وقال آخرون : هي سبع لغات في الكلمة .

وقال قوم : حل ، وحرام ، وأم ، ونهي ، وخبر ما كان
 قبل ، وخبر ما كان . هو كائن بعد ، وأمثال .
 وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل .

ومن قال : فلان يقرأ بحرف ((أبي عمرو)) أو بحرف ((عاصم)) ،
 فانه لا يريد شيئا مما ذكرنا ، وليس يوجد في كتاب الله تعالى
 حرف قرأ على سبعة أوجه . يصح ، فيما أعلم .

وانما تأويل قوله ، على الله عليه وسلم : ((نزل القرآن
 على سبعة أحرف)) : على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في

ففي القرآن ... و ((الحرف)) يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم وعلى الكلمة الواحدة ويقع الحرف على الكلمة بأسرها والخطبة كلها والقصيدة بكاملها .

وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات موجودة سبعة أوجه :
أولها : الاختلاف في اعراب الكلمة ، وفي حركة بناءها ، بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها ، نحو قوله تعالى :
((هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هَئِنِ أَطَهَّرْ لَكُمْ)) (1) ، وأطهر لكم ...

والوجه الثاني : أن يكون الاختلاف في اعراب الكلمة وحركات بناءها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، نحو قوله تعالى :

((رَبَّنَا بِمَا عَدَيْتُنَا أَسْفَارَنَا)) (2) ، وربنا باعد بين أسفارنا ...

والوجه الثالث : أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها ، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها ، نحو قوله :

((وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا)) (3) ، وننشزها ...

والوجه الرابع : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها ، نحو قوله :

((إِنْ كَانَتْ إِلَّا زُقْيَةٌ)) و ((صَيِّحَةٌ)) (4) ...

(1) سورة هود : آية : 78 . (2) سورة سبأ : آية : 19 .

(3) سورة البقرة : 259 . (4) سورة يس : 28 .

والوجه الخامس : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها
ومناها نحو قراه :

((وَطَلَعَ مَنْضُودٌ)) في موضع ((وَطَلَحَ مَنْضُودٌ)) (1)

والوجه السادس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير . نحو قوله :

وجاءت سكرة الموت بالحق (((2) ، وفي موضع آخر :

((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ)) .

والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان . نحو قوله
تعالى :

((وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ)) ، ((وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ)) (3) ...

فكان من تيسيره (الله سبحانه) : أن أمره (النبي عليه السلام)

بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم :

فألهذلي يقرأ : ((عتي حين) ، يريد : ((حَتَّى حِينَ)) (4) ، لأنه

هكذا يلفظ بها ويستعملها .

والاسدي يقرأ : ((تعلمون وتعلم)) و ((تَسَوَّدَ وَخُوهُ)) (5)

و ((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ)) (6) .

والتميمي بهمزة والقرشي لا بهمزة .

(1) سورة الواقعة الواقعة : 29

(2) سورة ق : 19

(3) سورة يس : 35

(4) سورة المؤمنون : 54 ، (5) سورة آل عمران : 106

(6) سورة يس : 60

والآخر يقرأ ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ)) (1) ((وَغِيصَ أَلْمَاءُ)) (2)
 بأشمام الضم مع الكسر ، و ((هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رَزَقَتْ لَنَا)) (3) بأشمام
 الكسر مع الضم ، و ((مَسَالِكَنَا لَا تَأْمَنَّا)) (4) بأشمام الضم
 مع الازغام ، وهذا مالا يطوع به كل لسان .
 ولو أن كل فريق من هؤلاء ، أمر أن يزول عن لفته ،
 وما جرى عليه اعتياده ، طفلاً وناشئاً وكهلاً ، لا شتد ذلك
 عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس
 طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للمعادة ، فأمراد الله
 برحمته ولطفه ، أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ، ومتصرفاً في
 الحركات ، كتيسيره عليهم في الدين حين أجاز لهم طي لسان
 رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يأخذوا باختلاف العلسا ، من
 صحابته في قرائتهم وأحكامهم ، (5) .

(1) سورة البقرة : 11

(2) سورة هود : 44

(3) سورة يوسف : 65

(4) سورة يوسف : 11

(5) تأويل مشكل القرآن ص 33 - 40 (بتصرف في الاختصار)
 =ط : ابن قتيبة (ط : 2/1973) دار التراث ، القاهرة

لا شك أن اختلاف القراء والعلماء أعم منه بين العرب ،
 لأن العرب كانت تتكلم عن سجيتهما لتعبر عن وجدانها وأغراضها
 بحد بخطابات مباشرة وغير مباشرة دون مراعاة
 للصنعة والتكلف ودون تقدير لأي تفسير من المتقن للكلامها .
 غير أن الذي نراه ونحيل إليه بقوة مع تقديرنا لكل الآراء
 والتفسيرات التي نسجت حول الحديث النبوي ، أن هذا الحديث
 ينهني أن يفسر وفق علم التركيب أو السانتكس لا علم اللهجات
 أو القراءات السبع أو العشر . . . أو بعض القراءات الشوافه ثم
 أن القرآن الكريم معجز بتركيبه أو بنيته أو نظمه ملاوة عن المعجزات
 الأخرى الواردة فيه وهو حين تحدى العرب الأقحاح أصحاب
 لغته لم يتحد هم بما فوق عقولهم بما وراء علومهم ليأتوا بمعجزات
 ماضية أو حاضرة أو غيبية بل تحداهم ليأتوا هم والانس والجن
 معهم . . . بمثل هذا القرآن أو سورة منه أو آية شيء من
 تركيبه .

ولسنا فان مفهوم السبعة أحرف عندنا مفهوم لسانی
 تركيبي أو سانتكسي ، وبالنظر إلى أقسام الخطاب التي تتركب
 منها اللغات الانسانية الناضجة ~~عكراً~~ عموماً فان السبعة أحرف لا
 تكاد تبعد عن هذه القاعدة اللسانية العامة ، والا تعذر ترجمة

القسرگن الكريم الى لغات الشعوب الاسلامية التي لم تتعرب حتى الآن ، وهذه معجزة لسانية في هذا الحديث النبوي الشريف لم أعرف أحدا من اللغويين أو المفسرين قد ما شئهم ومحدثيهم قال به حتى الآن . وعليه فإن مفهوم السبعة أحرف بالنسبة لنا لها دلالتان :

أولاهما معجزة لسانية عامة تتعلق ببينية أقسام الخطاب ومراتبه ، والتي لم تبحث في اللغة العربية بشكل عام ولا في اللغة القرآنية بشكل خاص حتى الآن . على الرغم من الجهود التي بذلت من باحثين عرب قداماً ومحدثين في خصائص وأشكال اللغة القرآنية بما في ذلك ما سمي بـ ((النحو القرآني)) (1) . وثانيتها أنها خاصة بكل لغة لغة موحى باللغة العربية باعتبارها اللغة الأولى التي سجلت كلام الله بواسطة الوحي ، ثم أنها آخر لغة انسانية تسجل الكلام الإلهي بواسطة وحى أيضاً . ويظهر لي من حيث المبدأ أنها محصورة في سبعة نماذج عامة ، يمكن تصنيفها وفق تراكييب سائتكية ، مثلاً يمكن أن تمثل الجمل السبع التي لها محل من الأعراب هذه التراكييب تعارضاً بالجمل السبع التي ليس لها محل من الأعراب ، حسب منطق الإنصاف العرب .

وإذا قلنا بالجمل السبع التي لها محل من الأعراب بالتعارف مع الجمل السبع التي ليس لها محل من الأعراب ، فضلاً عن التعبير حسن

(1) لا يمكن هنا أن نحصر كل الأبحاث والمكتب التي تعرضت الى اللغة القرآنية تحليلاً وتركيباً ، ومن هذه الكتب ((نظرية النحو القرآني)) للدكتور أحمد مكي الانصاري الذي حاول أن يبحث نشأة النحو القرآني وتطوره (نظريته) ، منها بحثه بنماذج تطبيقية .

جملة واحدة كالتعبير عن اثنتين ، والتعبير عن السبع منها
 كالتعبير عن أربع عشرة منها ، لأنه يستحيل على المتكلم الفرد أن
 يستعمل حتى جملتين متماثلتين في آن واحد فإلا عن أن يستعمل
 في هذا الآن ذاته جملتين متعارضتين من تركيبين مختلفتين ،
 وتمثل الواحدة في وهي المتكلم اللغوي لا يعني إلا وجود الأخرى .
 لأن ما يسمى بالجملة السبع التي لها محل من الأعراب
 فإنها مفهومة على أنها محاولة من بنسبات جمل أخرى أصلية أو
نوائبة وهي إما بسيطة وإما مركبة أو متعددة ، أي ما يسمى
 بالجملة التي لها محل من الأعراب هي جمل تقوم مقام عناصر أصلية .
 لكن النحاة حصروها في سبعة نماذج عامة بحيث يستطيع نموذج
 واحد منها أن يقوم مقام نموذج آخر أو أكثر ما يناسبه في نوع
 التركيب ، كالجملة الواقعة فاعلاً وناصباً فاعل .
 وما يدان على أن ما يسمى بالجملة التي لها محل من
 الأعراب ، وهي كلها جمل معقدة أو مركبة ، ما هي إلا تراكم
 ساندكسية موسعة لجملة أصلية أو نوائبة ، ويمكن في الآن ذاته
 أن تحول إلى أكثر من تركيب ، أننا كمتقلمين لها لا نفهمها من خلال
 كونها جملة معقدة أو موسعة بل من خلال تعاضلها لجملة الأصلية
 التي ولدتها ؛

(1) في الجمل التي لها محل من الاعراب :

(أ) الناس طوبهم قاسية

(ب) ظننت الولد لا يهدى

(ج) عار المسافر وهو فرح

(د) عدا العامل الى عمله رغم أنه مريض

(هـ) من يتعدّد حدود الله فقد ظلم نفسه

(و) للأمة العربية تاريخ ما ضيّه مجيد

(ز) الظالم يمهّد ولا يمهّل

ان هذه التراكيب السبعة هي تراكيب أساسية أو نموذجية ،

وتوليدها لا يمكن أن يكون نهائياً ، وكل منها يمكن أن تكتب على

الشكل التالي تبعاً لفهم المتقبل لها من خلال جمل أو تراكيب أخرى

مشتقة منها أو أن هذه مشتقة أو موسعة من جمل أصلية متماثلة في

وهي المتكلم اللغوي ذي الملكية اللسانية في لغة معينة :

٢- تكتب :

(1) قلوب الناس قاسية

(2) الناس قساة القلوب

وإذا ما حولت الى الاستفهام فانها تكتب أيضاً :

(1) أقاسية الناس قلوبهم ؟

(2) أقاسية قلوب الناس ؟

(3) ألوب الناس قاسية ؟

(ب) - تكتب :

(1) ظننت الولد غير صار و

(ج) - تكتب :

(1) عار الصافر فرحا

(د) تكتب :

(1) غدا العامل الى عمله رغم مرضه

(هـ) تكتب :

(1) تعد في حدود الاله ظلم

(و) تكتب :

(1) للامة العربية تاريخ مجيد الماضي

(2) تاريخ الامة العربية مجيد الماضي

(ز) تكتب :

(1) الظالم مهمل ولا مهممل (باعتبار : مهمل ومهمل كليهما اسم مفعول)

أما الجمل التي يزعم النحاة أنها لا محل لها من الاعراب

فان بعضها على الاقل لا يخلو من تساؤل وغموض ، من ذلك الجملة الجملة

الابتدائية .

ولنكتب التركيبين أو الجملتين :

(1) الجزائر مساحتها واسعة

(2) كانت الجزائر تعدد القمح الى فرنسا

أليست الجملتان كلتاهما في صدر الكلام أو التركيب ؟ إلا يمكن
لأي نموذج على نحوهما أن يرد في نص منقطع عما قبله مثل :
هطل المطر ه صفت الريح ؟ .

لما زلتكون (1) أعلاه ذات محل من الاعراب باعتبارها
محولة أو مشتقة من جملة أصلية أو نواتية أخرى (مساحة الجزائر
واسعة . . .) ولا تكون الثانية بعدها لا محل لها من الاعراب على
أنها ابتدائية ؟ و (1) أليست ابتدائية ؟ وكيف يحقل أن تكون
جملة ؟

كسنت الجزائر الخ لا محل لها من الاعراب لانها ابتدائية
وجملة :

تصدر القمح الخ ذات محل من الاعراب على أنها خبر (كعثان) (٢٢)

ان ما يسمى بالجملة التي ليس لها محل من الاعراب هي
تركيب بالدرجة الاولى . . . ليست متعلقة باللغة في حد ذاتها بقدر
ما هي تابعة للاختيار الحر للفرد المتكلم حسب ما يحضره من بنية
ساكنية غوية ، وليس فقط أو بالضرورة حسب المقام ، فبينما يمكن

لمتكلم عربي = مثلا = أن يعبر عن غرس بجملته موصولة :

حضر الذي يستحق الجائزة

يمكن لمتكلم آخر من نفس اللغة = ليس بالضرورة أن يكون عربيا =

أن يعبر عن الغرض ذاته متجنباً الجملة الموصولة :

يستحق الجائزة حضر ، على الرغم من أن النتيجة = حسب منطق النحاة =

واحدة ، أي أن الجملتين كلتيهما لا محل لهما من الأعراب ، على أن

الأولى موصولة والثانية ابتدائية =

إن النحاة العرب في مثل هذه التراكيب قد التزموا

بتفسيرات ماورائية أو خارجية ، وابتعدوا عن التفسيرات الطبيعية

الداخلية للغة العربية ، فإذا قلنا مثلا :

الولد أصفر من الأب (تلازم منطقي وبدهي)

الشمس أكبر من الأرض ، الشمس تكبر الأرض ، الأرض أصغر من الشمس ،

الشمس دون الأرض ... (تلازم علمي)

وحياتك لأخلص إلى الوطن (تلازم في الدال لا في المدلول)

إن تجتهد تنجح (غير متلازمة في الدال ولا في المدلول ، لكن

التلازم حاصل ما بين الشرط وجوابه أي هو تلازم مشروط بتركيب

لساني رياضي لا بتركيب دلالي) ... الخ

إن ... اختيارنا لتفسير الأحرف السبعة تفسيراً لسانياً

مرتبطاً بالتركيب السانتكسي المتعدد فسي نحو سبعة تراكيب أساسية

جسماً من اقتناعنا بأن العلماء الذين تناولوا هذه المسألة في
 وضعها الفقهي أو وضعها اللساني أو التفسيري أو القرائي...
 لم يتفخوا على وجه واحد أو حتى متقارب الا قليلاً، على الرغم من
 أن بعض التحاليل، كتحليل ابن قتيبة، هي تحليل داخلة، ولكنه
 حين ربطها بقوله هذا القاري، أو ذاك ابتعدت نوعاً ما عن طبيعة
 التحليل الداخلي للغة، وكأن هذه التراكيب منتهية، ولو كان الأمر
 كذلك لكانت لكانت القراءات القرآنية موحدة، وليس معنى هذا أن
 قارئاً يركب بدل أن يقرأ أو يولد جملة أو جملاً أخرى حسب هواه
 عوض أن يتبع القراءات أو واحد من القراءات المتواترة، ولكن القصد
 أن هناك سبعة أقسام للخطاب في العربية، بحيث كل قسم منها
 يقابل حرفاً، وهكذا دواليك، وهي أقسام أو أحرف نموذجية
 أو أساسية صيغ بها النص القرآني على سنة أو سنن اللغة العربية
 باعتبار القرآن الكريم صرح عن نفسه بأنه قرآن لسان

عربي مبين في أكثر من مرة ٥٥

- ((قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) (1)

- ((بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)) (2)

- ((وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)) (3)

(1) سورة الزمر : 28

(2) سورة الشعراء : 195

(3) سورة النحل : 103

- ((فَلَا تَمَّا يَسِّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لِتَهْتَرِ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدَا)) (1)

- ((فَإِنَّمَا يَسِّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)) (2)

- ((وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا)) (3)

- ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)) (4)

- ((كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) (5)

الى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك .

وأما قول البخاري : ((نزل القرآن بلسان قريش والعرب

قرآنًا عربيًا بلسان عربي مبين)) (6) ففيه من الصدق ما فيه طبعًا

للآيات القرآنية نفسها ، على الرغم من أن آية واحدة منه لم تصرح

بقرشيته بل كلها تعم بحروبه ولكن باعتبار النبي عليه السلام من

قريش ، فإن التخصيص الى جانب التعميم مقبول ، وهو شيء واحد ما دام

النبي عربيًا صليبه ولسانًا ولكن لا يمكن أن يدخل التعميم هنا مع ذلك

تحت التخصيص ، والا كنا نتقون شيئًا على القرآن الكريم لم يقل هو به .

وأما قوله الآخر (البخاري) : ((فأمر عثمان بن

عمران زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن

(1) سورة مريم : 97

(2) سورة الدخان : 53

(3) سورة الاحقاف : 12

(4) سورة ابراهيم : 4

(5) سورة فصلت : 3

(6) فضائل القرآن ص : 12

الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ، وقال لهم ، إذا اختلفتم
أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قرشي ،
فإن القرآن نزل بلسانهم « ففعلوا » (1) فإنه غير مسوّع لدينا ،
فعمر بن الخطّاب مثلاً قد اختلف مع هشام بن حكيم في قراءة
سورة الفرقان ، مع أن كليهما قرشي (2) ، وإنما سمع كل
واحد منهما في غياب الآخر الرسول (ص) يقرأها بتركيبين
مختلفين على ضوء نموزجيين أساسيين أو على لهجة قبيلتين مختلفتين .
ومما يجب التنبيه إليه هنا أن قراءات الاثثة السبعة
متفق عليها إجماعاً ، لأن لكل منهم سنداً صحيحاً في روايته ،
لكن ينبغي في الوقت نفسه ألا تعد هذه القراءات السبع هي
تفسير جامع مانع للأحرف السبعة ، وقد نبه على هذه المغالطة
ابن الجزري بقوله : (لا يجوز أن يكون المراد من الأحرف
السبعة هؤلاء السبعة ^{القراء} المشهورين وإن كان يظن بعض الناس
هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا) (3) . ومن أجل
هذا وجه العلماء نقداً شديداً لابن مجاهد سبّح السبعة المشهورين
دون الآخرين ، ولهذا قال أبو حيان الأندلسي : (وليس في

(1) فضائل القرآن ص : 12

(2) م . س . ص : 35 - 36

(3) النشر في القراءات العشر 1/ ص : 24 ابن الجزري
(الطبعة التجارية - القاهرة)

ككتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير ،
فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر رأيا ((1) .
وأما اسماعيل بن ابراهيم المعروف بالقراء فقد قال : ((التسك
بقراءات سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة ،
وانما هو من جمع بعض المتأخرين ، وفسا نشره ، وأوهم أنه لا يجوز
الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد ((2) .
والذي يظهر أن القراءات السبع فضلا عن كونها متواترة
بسند صحيح لا يتطرق اليه إلا ترتيب الترتيبين بغير دليل ولا برهان
شلتا توركا في ذلك طه حسين (3) ، فهي لا تعني إلا حرف السبعة
في دليل ولا كثير إلا عند قصار النظر ، ولذا فقد اشتهر ((انكار الأئمة
في هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة في شد ما
ففي التيسير والشاطبية ((4) . وانما اعتدت السبع اجتهارا
من ابن مجاهد ، ثم ارتاح لها بعض النباهة من أهل النظر البعيد
من أجل العامة اتقاة للفتنة وصيانة للنص القرآني من قراة كل
من د ب وهب له .

(1) معترك الأقران في اعجاز القرآن ص : 164 . السيوطي
(ط : 1968 دار الكتب المصرية)

(2) م . س . ص : 166

(3) راجع الأدب الجاهلي ص : 95 ، حيث يزعم أن القراءات السبع ليست
من الوحي في قليل ولا كثير ، وانما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها . . .

(4) معترك الأقران في اعجاز القرآن : القسم الأول ص : 166

ويرى بعض الباحثين المعاصرين من درسي اللهجات العربية في مختلف مستوياتها أن الإسلام لما جاء ((صلياً) تميزاً ، فهو اللهجات قد وحد لهم أسلوب التعبير ، ورغم أنه لم يحرم استعمال اللهجات المختلفة في الكلام أو الضميمة ، ولكن الإسلام لم يشجع قراءة القرآن حسب اللهجات التي لم تسرد فيه ، ولم يجز التعبد بلمغة غير اللغة التي نطق بها الرسول الكريم ، وباللهجة التي اختارها ((١)) ثم يضيف نفس الباحث قائلا : ((لا شك أن لهجة القرآن كانت لغة الأدب ، ولهجة المحافظ الراقية ، وهي في حد ذاتها لم تكن لهجة قريش خالصة ، وإنما كانت أمشاجاً من اللهجات المختلفة ، التي اشتهر استخدامها الشعراء والخطباء ، وأهد الفكر ، لمخاطبة جميع قبائل العرب ، فهي لهجة مختلطة ، يدل اللفاظ المختلفة التي تعود لمختلف القبائل في القرآن ، فالقرآن الكريم ارتضى لهجة منتخبة ، وهذا جعل أمر تطور اللهجات الأخرى واستقلالها أمراً مستحيلاً منذ يوم دخول العرب في الإسلام ((٢)) . والذي يظهر غريباً في قوله : أن الإسلام منع تطور اللهجات واستقلالها ، مع أن العربية ذاتها ، كما اعترف البلذلي نفسه ، هي أمشاج من اللهجات ، ذلك أن اللهجات العربية

(1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص: 12 - 13

13 8000 (2

الفصيحة المسجلة للرسم أو النص القرآني ظلت تتطور داخل مدونة واحدة سواء داخل النص القرآني من خلال القراءات المتعددة المتولدة^{منها} أو الشاذ أو خارجة في نصوص فصيحة أخرى . هذه المدونة هي مدونة حقل لساني واحد هو حقل التوحيد اللغوي العام .

لكن ما يبدو - ربما - أغرب هو بعض النصوص الأخرى التي يرى صاحبها من خلالها أن ((تعدد صور الأعراب في خالة تعدد اللهجات يعني الخلط بين المستويات اللغوية ، وهذا الخلط أمر ترفضه الدراسات اللغوية الحديثة)) (1) ، غير مفرق ولا واع بالقدرة أو الطاقة اللسانية لكل لغة على حدة ، وسنرى في عمل لاحق كيف أن اللغة العربية لها من الطاقة التواصلية ما يسمح لها بالفرز بين المستويات اللغوية فيها على مستوى تركيب واحد ، ولما ولما ننتظر إلى غاية حينونة هذا العمل اللاحق دون أن نشير إلى القراءات القرآنية المتعددة التي لا تؤدي بالقارئ إلى هذا الخلط ولا إلى الرفض اللذين أشار إليهما الدكتور كمال بشر أعلاه ، ونشر بالمناخية فقط إلى التركيب القرآني المشهور في قوله تعالى :

((إِنْ هَٰذَا إِلَّا جَرَان)) (2) .

لتفنيد واستبعاد هذه الوجهة اللسانية العامة حين تحاول أن

(1) ظاهرة الأعراب في النحو العربي ص : 122

(2) سورة طه من آية : 63 . وسندرس هذا التركيب مفصلاً في حينه .

تطبق على أية لغة دونا تمييز بين لغة أهدأثبتت جدارتها
غير تاريخ أدبي حافل وطويل وبين لغة لا تزال تخطو خطوات
أولية في تطورها وحداثتها .

وحسبنا إشارة أيضا لاستبعاد القول السابق أن القرآن
الكريم بالنسبة لمستوى واحد هو المستوى المعجمي يحتوي على أكثر
من خمسمائة جذر يعود إلى قبائل مختلفة ومتناثرة (، مما يؤكد
بأن القرآن لم يكن بلهجة قريش خالصا وإنما كان بلهجة أدبية
راقية) (1) .

أما أبو بكر الواسطي فقال في كتابه : (الإرشاد في
القراءات العشر) أن في القرآن خمسين لغة من اللغات (2) .
صدهما وهي القبائل التي ذكرناها سابقا في موطنها . وأما ابن
عبد البر فقال من جهته : (نزل القرآن بلغة قريش معناه عندي
الأظرب ، لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات) (3) .
وأما جمال الدين بن مالك فقد صرح بأن الله أنزل القرآن
بلغة العجاضيين الأظربا (4) .

أن الواقع اللهجي الوارد في القرآن الكريم والموزع على
على عدة قبائل وعشائر ويطون وأنحاء ... عربية لا يدع شكاً

1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 14 - 15

(2) معترك الأقران في أعجاز القرآن القسم الأول ص : 204

(3) م. م. م. ص : 205 . (4) م. م. م. ص : 205 - 206

لشاك بأن القرآن نزل بغير لغة واحدة ، بما فيها لغة قريش ،
 لكن هذه اللهجات التي ارتضى القرآن الكريم النزول بها لم تكن
 تتعدى جميعها نماذج لسانية تمواصلية ذات عارة قواعد يسه
 موحدة في أجمالها بين العرب جميعا ، وفي حالة تباين بنياتها
 التركيبية السطحية فانها كانت تنوب عن بعضها بعضا في التعبير
 عن القصد الواحد دونما تناقض بحيث لا يصير ما أحله الله حراما ،
 ولا ما حرمه حلالا ، وهذا التعدد اللهجي في العربية هو الذي
 زودها بتلك الطاقة اللسانية المذهلة ، وإذا كان لابد من تباين
 فان ذلك لم يكن يتجاوز المستوى المعجمي أحيانا بين القبائل ، ولا
 سيما فيما يعرف في العربية - ((الاضداد)) - مثل الساجد في
 اللغة العامة معروف الدلالة ، لكنه في لغة طي^١ يعني المنتصب (1) ،
 وكلمة ((المقور)) في اللغة العامة هو المهزول ، وفي لغة
 الهلاليين تعني السمين (2) ، ومن ذلك قال الأصمعي : ((يقال
 قد وثب الرجل اذا استوى قائما أو قفز ، ووثب الرجل اذا قعد)) (3)
وقد هذا الباب يحكى أن رجلا دخل على ملك حمير فقال له : وثب
 أي اقعده لكن الرجل وثب أي قفز حتى تكسر ((فقال له الحميري :

(1) ثلاثة كتب في الاضداد ص : 43 (دار الكتب العلمية - بيروت)

(2) م.س.ه. ص : 44

(3) م.س.ه. ص : 45

ليس عندنا عربيت ، من دخل جمار ظفمار حمر... أي تكلم

بالحميرية ((1)) .

لكن علماء لغات القرآن يروون كلمات حميرية في القرآن

الكرهم من عشرات القلائد والعشائر العربية الأخرى مثل اليمس ،

وهوازن ، وهذيل ، وكنانة ، وجرهم ، وأزد شنوة ، ومدلج ، وخثعم ،

وقيس عيلان ، وسعد العشيرة ، وكندة ، وعذرة ، وحضرموت ، وغسان ،

ومزينة ، ولخيم ، وجذام ، وبني حنيفة ، واليمامة ، وسبأ ، وسليم ،

وعسارة ، وطى ، وخزاعة ، وعمان ، وتميم ، وأنمار ، والأشعرين ،

والاوس ، والخزرج ، ومديين ، وهمدان ، ونصر بن معاوية ، وعامر

ابن صعصعة ، ود وثيف ، وعك... (2) .

والذلك لا يمكن الوصول إلى أية نتيجة ملموسة لإدراك

الحديث النبوي الشريف إذا ما حاولنا أن نفرس حروفه السبعة الواردة

فيه بعدد لهجات قبائل معينة دون باقي باقي اللهجات القبلية

الأخرى ، ولذلك اخترنا منهاجاً مستقلاً عما سبق لإدراك أو محاولة

تحليل الحديث النبوي الشريف من خلال ربط هذا التحليل بعدد

من النماذج التركيبية في العربية والتي تتوافق ترجمة للنص

القرآني مع لغات إسلامية أخرى بواسطة أقسام الخطاب في كل لغة .

(1) م.س.ص : 45

(2) راجع ((معترك الألفاظ في إعجاز القرآن)) من ص: 189 إلى 205

أما القراءات السبع فلا يمكن هي الأخرى أن تشكل منطقياً
ولساني هذه السبعة الأحرف على نحو شامل وجامع، وذلك على الرغم
من اشتغالها على أرقى النماذج التركيبية في اللغة العربية ولهجاتها،
لكن هذه القراءات نفسها لم تسلم من الطعن والتجريح، فبهذا
الشيخ عظم عزيمة ينشئ مبحثاً بعنوان: ((القراءات السبعة ونسبها))
منهم في تلحين قراءته))، ثم طفق يشير إلى كل قارئ من القراء
السبعة محصياً عدد الهفوات التي وقع فيها كل قارئ؛

- (1) قراءة ابن عامر (ت: 118هـ) وجه إليه التلحين 18 مرة
- (2) قراءة حمزة (ت: 150هـ) وجه إليه التلحين 15 مرة
- (3) قراءة نافع (ت: 16هـ) وجه إليه التلحين 12 مرة
- (4) قراءة الكسائي (ت: 180هـ) وجه إليها التلحين 11 مرة
- (5) قراءة ابن كثير (ت: 120هـ) وجه إليها التلحين 9 مرات
- (6) قراءة أبي عمرو (ت: 154هـ) وجه إليها التلحين 7 مرات
- (7) قراءة عاصم (ت: 127هـ) وجه إليها التلحين 7 مرات (1).

غير أنه مما يجب التنبيه عليه هنا أن تمت بونا شاسعا

بين هذه الهفوة اللسانية وأولئك والتي قد يقع فيها قارئ أو يروى لها
وجهها في العربية الصحيحة لا يراه غيره فيها من جهة، وبين العربية
كقواعد مستقلة لا تضيق طاقتها بين استعمال وآخر من جهة ثانية.

(1) نظرية النحر القرآني ص: 144-145. د. أحمد مكي الانصاري
(ط: 1/1405هـ. طبع بمطابق أبو الفتوح)

وحسب نص الفارابي المشار اليه آنفا فان القبائل التي أخذ
عنها كانت تتجمع متجمهرة وسط الجزيرة العربية ، وبعضها كان
متجاورا مع القبائل الاخرى ، كسجاء ورة طي* لأسد ، وعباد
هاتين لقبائل قيس وتميم ، وهذا التجاور في الأرض والدّم كان له
أثر لا ينكر على تأثير اللهجات بعضها ببعض ، كما سنأكد بعد حين ،
وقد ينفرد بطن في قبيلة بعينها بظاهرة لغوية مخالفة اللهجة
الأم للقبيلة ، وهذه القبائل الشمالية التي قصدنا جماع اللغة في
جملتها كانت بعيدة عن الاطراف الأربع لبلاد العرب مما جعل
لغاتها تبقى سليمة .

وحسب وحسب دراستنا السابقة للا حروف السبعة واشارتنا لعشرات
اللغات القبلية المتناثرة عبر شبه الجزيرة العربية كلها والتي وردت
بالنص في القرآن الكريم ، فانه من غير الدّ المكمل الا طعننا الى
نص الفارابي وزعمه بأن جماع اللغة لم يأخذوا العربية الا من
القبائل التي ذكرها ، وسنرى بعد حين ، ونحن نتحدث عن جماع اللغة
به بأن هذه المقولة مستبعدة ، بل لو كان الامر كما زعم الفارابي
لبقيت جملة من الكلمات في القرآن غير مفهومة على لغات هذه القبائل
وحدها . لان الاصلح الا حالة على هذه المناطق اللغوية وحدها لم يكن
كلها كما في لغتهم وشرح كل الدلالات المتعلقة بغير قليل من الالفاظ
القرآنية .

وحسينا أمثلة على ذلك أن ابن عباس فسر : ((سادون))

في قوله تعالى :

((وَأَنْتُمْ سَائِدُونَ)) (1)

بأنه : الفناء ، وهي لغة يمانية . بينما يستند الى عكرمة أنه قال :

هي بالحميرية . (2) . لكن الأهم أنها ليست من المناطق التي

حددها الفارابي .

واخرج أبو عبيد عن الحد الحسن أنه قال : ((كنا لاندري

ما الأرائك حتى لقينا رجلا من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة

عندهم هي الحجلة فيها السرير .

وأخرج عن الضحاك في قوله : ((وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذَ رَبِّ)) (3) .

قال : ستوره بلفظة أهل اليمن .

واخرج عن عكرمة في قوله : ((وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ)) (4) .

قال : هي لغة يمانية ، وذلك أن أهل اليمن يقولون : زوجنا فلانا

بفلانة)) (5) .

ان اللغة العربية منها ما كان يدل على كلمات بدوئية

ومنها ما كان يدل على كلمات حضرية ، ومنها ما كان يدل على

دلالات انتقالية من البداوة الى الحضارة ، ولما جاء القرآن الكريم

راعى هذه الجوانب الثلاثة التي كان ك يتميز بها المجتمع العربي .

(1) سورة النجم : 61

(2) معترك الاقران في اعجاز القرآن ص : 188

(3) سورة القيامة : 15 . (4) سورة الدخان : 54

(5) معترك الاقران ص : 188

بحيث وجدت فيه كل طبقة من هذه الطبقات ما يناسبها من
دلالات عليها وعلى أحوال معاشها وسلوكها واجتماعها.

مواقع الفصاحة :

وللتأكد من ضعف نص ابن فارس السابق ، ارتأينا أن نتطرق

الى مناطق عدة لتتبع ما أمكن مواقع الفصاحة بين قبائل وعشائر عربية
مختلفة لا بد من ضمن المناطق التي حددناها .

وكان الهمداني رائعا ، إذ صور العلاقات اللغوية في جنوبي

الجزيرة العربية الى نهاية القرن الثالث الهجري ، وقد كرر أن

مناطق العروض فصيحة ، ما عدا قراها ، وأن الحجاز ونجدا السفلى

فالى الشام والى ديار مصر وربيعية فيها الفصاحة ، ولكن قرى هذه

المناطق غير فصيحة شأنها في ذلك شأن قرى العروض (1) .

ومن خلال تصويره للعلاقة اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية

حتى هذه الفترة من الزمن ، يتبين أن سكان حضرموت ليسوا فصحاء ،

وربما كان فيهم الفصح ، وأفصحهم كندة وهمدان ، وبعض العدن (2) .

وأما لهجات أهل سر ومذحج ، ومأرب ، وبيحان ، وحريب ، فبعدها

فصيحة (3) ، ثم بعد فيمن يتكلمون بالفصاحة أقساما من منطقة همدان التي

تمتد الى الشمال الشرقي من صنعاء ، ومأرب حتى نجران وإجاور هذه الاقسام أيضا

(1) العربية ص: 159 يوهان فوك (ط: 1951 دار الكتاب العربي ، القاهرة)

(2) م.س.ص: 155

(3) م.س.ص: 155

حيث يمكن قبائل بلحارث بن كعب في منطقة الرجة الرحبة ، إلا أن
صنات بالجوف الأعلى دون ذلك في الفصاحة (1) .

وشعب سفيان بن إرحب ، وهم همدانيون ، يعد
من الفصحاء على الرغم من أداة التعريف عنده هي ((ام)) بدلا من
((ال)) ، وأصحابه يلزمون الشئ ألف مطلقا في جميع حسمالات
الاصراب (2) .

وبنو حرب وهم فخذ من همدان ، يسكنون في بلد وادعة ، وهم
أهل امالة في جميع كلامهم ، وبني أسعد أفصح منهم (3) .
وتغلب الفصاحة على المنطقة العظمى التي تبدأ من حدود
اليمن عند وادعة ، وتمتد عبر سلسلة السروات على الساحل العربي
من شبه الجزيرة ، ومن القبائل التي تسكن هذه المنطقة العظمى بعض
أفخاذ من مذحج (جنب وزبيد) ، وقضاعة (سنجان ونهد) وأزد
شسوة (بني أسامة وعنز) ، قشم من خثعم وهلال وعامر بن
ربيعه ، قشم بعد هذا فصائل من الازد (الحبر ، ودوس ، وغامدة ،
ويشكر) قشم من فهم وثقيف ، ويضم الهمداني إلى هؤلاء طائفة
يسمىهم بني طسي (4) ، وينسب بوجه خاص إلى أن المجموعات التي
التي تقطن سفوح الجبال الغربية من هذه القبائل - تجاه تهامة -

(1) م.س.ص : 156

(2) م.س.ص : ن.ص

(3) م.س.ص : ن.ص

(4) م.س.ص : ن.ص

هي أقل فصاحة من تعيش في أعالي هذه الجبال ، ورأى أن

اللهجة التهامية قد أثرت تأثيرا سيئا في فصاحة اللغة

في هذه المناطق المجاورة لها (1) ، لأن أهل تهامة ينطقون

لغة رديئة ، (2) ، وبلد الأشعر وعك وحكم (من بني سعد العشيرة)

من بطن تهامة ، يقولون : لا بأس بلغتهم ، إلا من سكن منهم القرى (3) ،

ودكر أن قبيلتين أخريين توجدان في جوار الأشعرين ، وهما بنو

واقعد من ثقيف ، وبنو مجيد من حمير في الأصل ، وكلناهما

فصيحة أيضا (4) .

وفي ناحية معدة توجد العربية الفصيحة عند بني خولان

الذين كانوا يخيمون في السهل ، بيد أن بني قبيلتهم الساكنين

بالمو بالمنخسر (الغور) فتم غير فصحاء (5) .

ويصف لهجات أخرى بأنها غير فصيحة كاللهجات الجارية

بين زمار وصنعا ، ولهجة السكاسك التابعين لكندة ، ويصف لهجات

سكان غربي زمار أقرب إلى اللكنة منها إلى الفصاحة ، في حين

يصف قوم ظاهر همدان النجدي بالفصاحة .

أما اللهجات التي هي خارج اليمن فيجنزى ، بملاحظات

عامة حولها ، ولعل الهمداني اكتفى بتصوير وتتبع لهجات الجنوب دون

(1) م.س.ص: 157

(2) م.س.ص: ن.ص . (3) م.س.ص: ن.ص . (4) م.س.ص: ن.ص

(5) م.س.ص: ن.ص

الشمال ، مساعد التلميح لها على مستوى المناطق الإقليمية ،
يرجع لأمرين :

- (1) كونه همدانيًا ، وهو أدري من سواه بهذا اللهجات .
- (2) كونه لا حظ العلماء ، وجماع اللغة لم يحفلوا بغير اللهجات الشمالية الفصحى أي لغة القرآن وللا دأب ثم لغة القوافي والتدوين والتأليف .
وأما كان هذا السبب أو ذاك فهو قد سبق طمًا .

الاجتماع اللغويين المعاصرين بقرون ، لأن دراسته المنهجية على
هذا النحو الميداني والدقيق لا نجد اليوم شيئًا لها عند الغربيين
إلا فيما يسمى بعلم الاجتماع اللساني ، وهو لم يكتف بهذا الوصف وحسب
بل شمل علمه الميداني بدل بدراسة متداخلة : تاريخية ونسبية وجغرافية
وإد واجتماعية ، على نحو متدرج من اللهجات في الوقت الحاضر ،
من غير النظر إلى رداة مستوى اللهجات المفوظة في المناطق أو
فصاحتها ، حتى وإن كان قد أضاف شيئًا أكثر من هذا حيث
فصل بين مستويات الفصحى وما يسمى عند العرب بالتكلمات المذمومة .
فصلًا يقوم أحيانًا على أضييق مساحة سكانية .

والمنطقة الموصوفة لديه بالفصاحة ، والتي تنطلق من حدود
اليمن عند وادعة ، تأخذ امتدادها عبر سلسلة السروات على الساحل
الغربي من شبه الجزيرة العربية حتى تتصل بالناحية الشمالية العليا ،
توصف من لدن غير الهمداني بالفصاحة أيضًا ، فهذا الخليل بن أحمد

يقولون : ((أفصح الناس أزد السراة)) (1) ، وقال البرزء
 عن علي بن القاسم الهاشمي : ((رأيت قوما من أزد السراة لم
 أر أفصح منهم)) (2) . وقبائل بلحارث بن كعب التي كانت تسكن
 الرحبة والذين وصفهم بالفصاحة قال حولهم أبو قلابة (ت: 104 هـ) :
 ((رأيت قوما من بني الحارث بن كعب لم أر أفصح منهم)) (3) ،
 وهذا الوصف للهجة بلحارث ، وإن جاء عن راء منذ القرن الأول
 الهجري ، إلا أنه لا يغير يوصف هذه اللهجة نفسها في نهاية
 القرن الثالث الهجري ، إذ بقيت حتى هذا العهد سليمة على مذهب
 سليفه ومها ، وهذا ما يراه المرء كذلك : ((وكل عربي لم
 تتغير لفته مضيح على مذهب قومه ، وإنما يقال : بنو فلان
 أفصح من بني فلان ، أي أشبه لغة بلغة القرآن ولغة
 قريش ، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب .)) (4) .
 ثم إن الأصمعي ذكر أن أبا عمرو قال : ((أفصح
 الشعراء لسانا وأعذبهم أهل السروات)) (5) ، وهي ثلاث :
 (1) الجبال المظلة على تها ، وما يلي اليمن ، وأولها هذيل ،
 وهي تلي السهل من تهامة .

(1) الفاضل ص : 113

(2) م.س : ن.ص

(3) م.س.ص : 115

(4) م.س.ص : 113

(5) العمدة ص: 1/88 ابن رشي (ط: 3/1963 مط: السعادة - مصر)

- (2) بجيلة وهي في السراة الوسطى ، وقد شاركهم ثقيف في ناحية منها
 (3) ثم سراة الازد (أزد شنوءة) ، وهم بنو الحارث بن كعب بن
 الحارث بن نصر بن الازد (1) .

ان شهادة هؤلاء العلماء الافذاذ تتضارب الى حد كبير
 مع ما زعمه الفارابي بأنه لم يؤخذ عن ثقيف أو غيرها من البلدان
 التي شهد لها غير عالم لساني وجغرافي بالفصاحة ، ومن عاصر الأعراب
 البدو في عيسن أمكنهم ، وآكلهم ، وشاء بهم ، وشافهم ، وواخذ عنهم
 ليس كمن أخصر عنهم ، أو عان بعيدا في مدينة أو قرية عنهم موطنا
 وزمنا (وليس الخبر كما لعيان) ، ثم ان اقامة تجار أو ملا
 مرورهم ببلدة لا يؤثر على لغة المقام عندهم أو التصرين عليهم ، بل
 خلوص اللغة لا يرتبط حتى بالدم والنسب ، فضلا عن أن يتأثر بالاخلاق
 الاجنبى العارس والسريع ما دام الدخيل خاضعا دائما لقوانين المواطنين
 الاصليين ، والا سبقت القواعد وقتها ، ثم ان اقليم كومان المتاخم لجبل
 اسبيل من شماله الشرقي مكانه حميريون في الاصل ، وان تعد حجوا
 على عهد الهمداني ، ومع ذلك فان لهجتهم كانت فصيحة (2) ، وأما
 ابن أبي الصلت يرجع الى ثقيف (3) ، وهو ممن استشهد سيبويه المعروف
 بتحفظه الشديد ومحافظة المطلقة بشعره ، وبغيره من بني حنيفة ،

كما استشهد بدمر أبي دؤاد الايادي وعدي بن زيد . . .

(1) العمدة : 1/ ص : 838 . (2) العربية ص : 155

(3) الاشتقاق ص : 304 ابن دريد .

العربية النونجية في منظور بعض الأجانب :

ان آراء الأجانب من مستشرقين ومهتمين باللهجة النونجية
للعرب وموقعها من الفصحى وانتسابها الى هذه المنطقة أو القبيلة
أخذت حيزا واسعا من اهتماماتهم وجهودهم كلما تعرضوا الى
الخطاب العربي القديم .

ان آراء هؤلاء مختلفة باختلاف مصادرهم واتجاهاتهم المرتبطة
بمنهجيتهم من جهة ، وبتصورهم المتشاكل أو ذي البعد الأحادي
للمظاهر اللغوية بشكل عام ، وأعني بهذا أنهم غالبا ما يقارنون
الأحكام التي تنطبق على اللغات الأوروبية بالأحكام ذاتها ، التي
لا تنطبق بالضرورة على لغة كالعربية لها تاريخ وظروف وخصائص
تختلف ككل الاختلاف عن اللغات الأوروبية التي تعد جسد حداثتها
بالنسبة للغة ذات تراث بعيد وعريق ولا يزال حيا ومجسدا في نصوص
مادية ، واقصد بها العربية .

ولذا ، فإننا لا تنفي ومن حيث المبدأ ، مع أية منهجية تتخذ قد
حكمها وبعد ها من وسط مسيرة ثقافية لا من بدايتها .
على أي حال ، تتعارض مواقف هؤلاء إزاء اللهجة النونجية
التي كانت معينة واحدا لشمرا التوحيد اللغوي والخطاب اللساني
لمختلف القبائل العربية .

من هؤلاء الاستاذة أوديت بوتي (ODETTE - PETIT)

التي حاولت أن تفتح المسألة تحت عنوان (اللغة العربية المشتركة) ،
حيث اعترفت في البداية بأن الاسلام قد لعب دورا حاسما في
تنمية وتطور اللغة العربية ، وأن القرآن الكريم كان محور الدراسات
اللسانية التي توصلت الى تناول اللغة العربية من الناحية النظرية .
وتقرر بأن لغة الوحي هي لغة قرين التي كانت لدن
مختلف القبايل العربية وخاصة في الشعر ، ولأن هذه اللغة سبق أن
كانت تحتوي على طابعها الكلاسيكي قبل محمد (ص) ، كما يذكر
جاك بيرك (JACQUES BERQUE) ، منيفة بأن العربية قبل
الاسلام كانت تمتلك ، الى جانب تكلماها النوعية ، لغة مشتركة
منها ما كان يستعمل في أحوال متعددة ، التبادلات التجارية بين
البدو والحضر ، التقابلات التي كانت تغلب على القبائل المنتجة
بحشا عن المراعي ، التجمعات المنتظمة للسكان خلال الحج ، ...
هذه العوامل كلها أعطت ميلاد ظهور المناظرات الأدبية والشعرية ،
وأخيرا التبادلات اللسانية بين السجنا ، أثناء الحروب وأيام العرب
القبليسة . وهذه المعطيات ذات الطابع الاقتصادي ، والأدبي ،
والاجتماعي مكنت من فرض لغة مشتركة ، يضاف الى هذا المبررات
ذات الطبيعة الدينية .

والضيف الاستاذ أوديت بوتي : ((وبالنظر الى عدة معطيات
لا تزاا غامضة ، فان الوجود الحقيقي لهذه العربية المشتركة بقيت
منذ مدة طويلة محل تساؤل ، حاولنا أن نحدد المضاهيات التي
يمكنها أن تقدم من جهة شعر ونثر لغة ما قبل الاسلام ، ومن جهة
أخرى العربية الكلاسيكية كما كانت محددة ، منذ القرون
الأولى التي تجمعت لغة التزويد ، من قبل المعجميين والنحويين التي
تشغل أعمالهم مع ذلك تفاوتات عديدة (((1) منتهية إلى أن هناك
لغة عربية موحدة مشتركة ، ولغات جهوية أخرى ، وخاصة بالنسبة
للأمة العربية في العصر الحديث أي أن العربية لم تخل مما
آعترى اللغات الأخرى من ذلك التفرع الشاذ في عملية التواصل.
وأما نولدكه فقد ذهب الى أن الاختلافات بين اللهجات
القبليّة الأساسية مثل نجد والحجاز والرقلم الفرات كانت
قليلة ، وقد تركبت منها جميعا هذه اللهجة الادبية العامة (2) ،
وتبعه في هذا الرأي جويدي الذي قال : ((أنها ليست لهجة
معينة لقبيلة بعينها ، إنما هي مزيج من لهجات أهل نجد ومن
جاورهم (((3) .

RIVAGES ET DESERTS P: 64 (ENSEMBLE d'auteurs)
ÉDITION SINDGAR 1988 (1)

(2) تاريخ الادب العربي 1/س : 131 . د. شوقي ضيف

(3) م.س.ع. : ن.س.

أما كارلو نالينو فيرد وحدة اللغة الأدبية ، مع اختلاف
 شعوب القبائل العربية ولهجاتها ، إلى الشعر الذي نشأ قبل الإسلام (1)
 وأن هذه اللهجة الفصحى تولدت من إحدى اللهجات النجدية
 وصارت مهذبة في زمن ملكة كندة ، وإن الفصحى لغة القبائل التي
 اشتهرت بتنظيم الشعر ، والتي جمع النحاة واللغويون منها
 ما رتبهم اللغوية .

نسرد معنى هذا القول ، وكأن نالينو يلجج تصريحاً إلى امرئ
 القيس الذي تهذب واستوى الشعر على يده ، كما يجمع المعار ومؤرجو
 الأدب العربي ، إلا أن الشعر طبع وو وموهبة قبل أن يكون فقط
 حرفة تكتسب اكتساباً ، مع عدم استبعاد هذه الحرفة لتصبح لتصبح في
 ظرف ما عادة ، إذ قد تكون قبيلة مشهورة بالفصاحة ولا ينبع
 فيها شعراء كقبيلة قريش ، وأخرى غير فصيحة بسدرجة فصاحة
 قريش كطيء أو كندة أو الأوس والخزرج . . . ومع ذلك ينبع فيها
 شعراء فطاحل . ثم إن الأشكال ليس مطروحة في عهد ملكة كندة ،
 ولا في وقت استواء الشعر على يد امرئ القيس ، بل هو مطروح قبل
 هذه الفترة قبل مطروح حتى بالنسبة للغة شعر هذا الشاعر نفسه ،
 والذي لا يخفى عن الذهن أن كون هذه اللهجة النموذجية قد

(1) تاريخ الآداب العربية ص : 84 كارلو نالينو
 (ط : 2 / 1970 دار المعارف مصر)

تولدت من احداث اللهجات النجدية الى ان نضجت في عهد مملكة
 كندة يقودنا الى الاعتقاد بتجريد لغة قريش من أي فضل أو دور
 تاريخي وحاسم للعمل على مدانة اللهجات العربية وبين التقارب
 المتداخل بشتى أنواعه وكما سبق أن بيناه بين القريشيين من جهة
 ومعظم القبائل العربية من جهة ثانية سواء قبل الاسلام أو ما بعده .
 أما بروكلمان فزعم أن الفصحى كانت لغة فنية قائمة فوق
 اللهجات ، وان غذتها جميعا (1) ، وأما بلاشير فذهب الى ان (اللغة
 العربية الفصحى . . . تولدت عن لهجة أعدت لتكون لغة أدبية) (2) .
 ولكنه لم يبين هذه اللهجة التي أعدت وتوسامت حتى عدت لغة أدبية ،
 وأما المستشرق فولرز فبين حدود اللهجات الفصحى بمساحة
 محصورة بين خطين يمتد أحدهما من مسافة عدة كيلومترات
 جنوبي مكة الى خليج البحرين على الخليج العربي ، ويمتد شمالا من
 ضواحي يثرب حتى شمال الجزيرة (3) .
 وواضح من هذه الخريطة اللغوية التي رسمها فولرز بين هذين
 الخطين أنها تشتمل قبائل عظيمة ، بما في ذلك القبائل التي أجمع
 العلماء العرب على الأخذ منها .

-
- (1) الشعر الجاهلي ص: 21 . السيد حنفي حسنين (الهيئة المصرية)
 (2) تاريخ العرب العربي : 1 / ص : 77 بلاشير (طبعة الجامعة السورية)
 (3) السابق ص : 81

ومسند حوالسي قرن ناهب برجيه الى أن العربية
 كأنها لهجة محدودة جدا ((بدل لغة قبيلة صغيرة وصلت
 في وقت من الاوقات بفضل ظروف محلية الى درجة من
 الكمال خارقة للعادة زهفي مدينة بانتشارها للاسلام) (1) ،
 وبرجيه مثله مثل بلاشير لم يعين موقع هذه القبيلة
 الصغيرة التي كانت ممذرا لهذه العربية الفصحى فيما بعد ،
 ولا ذكر اسمها .

وهذه الآراء لا ترسم للباحث منطقة محلية ضيقة
 أو واسعة كانت موردا واضحا أخذ منه الرواة والتداع
 ما رتهم اللغوية الا اذا ميططها شرقا وغربا ولا قس الشمال
 بالجنوب أحيانا ، والشرق بالغرب غالبا .

غير أن تركيز الا جانب الذين يتحدون لدراسة اللغة
 العربية النموذجية أو المشتركة هم غالبا ما يتصورون ، كما لمحا
 أعلاه ، هذه العربية المشتركة على نحو تاريخ وظروف اللغات
 الأوروبية الاخرى التي غالبا ما نجدها تنطلق أو تفرز
 فعلا من منطقة ضيقة لتتخذ بعد ذلك لغة رسمية للبلاد كما هو
 الشأن بالنسبة للغة الفرنسية وغيرها ، وغالبا ما تفرع بمراسيم وقرارات
 لكن العربية المشتركة الاولى تختلف عن هذه اللغات اختلافا بينا .

الباب الثاني : ملامح تركيبية في اللغات السامية

الفصل الأول : السامية والساميون

لنكتفي حين نصل إلى رأس ما أمكن من النقوس والنقوس التي تشكل المدونة اللغوية للهجات العربية البائدة وجدت نفسي في كد مرة محالا على ظاهرة تركيبية مماثلة أفرقوية في بعض اللغات السامية أروها جميعها ، فتزدت طويلا ثم اقتنعت انبرا بأني من غير المكس أن نلج محالا من غير بانه ، لأن هذا المجال السامي يشكل حقا البداية الطبيعية لدراسة أي تركيب في اللهجات العربية البائدة ، بسد وحتى في اللهجات العربية البائدة .

الا أن محاولة الرجوع إلى المجال السامي للوقوف على الظواهر التركيبية يقتضي - فيما رأينا - المرور بتقطتين أساسيتين : (1) السامية والساميون (2) العلاقات اللغوية بين الساميات ، وهو الأمر الذي جعلنا نخصص لكل نقطة منهما فصلا مستقلا ، لأن الأمرى أقرب إلى علاقاتهم التاريخية وحيزهم الفضاوي الشاسع هنا وهناك ، ومهدهم الأصلي ، وبعض فرزهم اللغوية ، واللغة الأم لهذه اللغات ، ... ونحو هذا ، والثانية تتمثل بالتداخلات اللغوية السامية بلاقتهما بالعربية ، وندرس العرب القدامى ، وعلاقة هذه الدراسات بالدرس

اللغوي المقارن عند العرب .

إن العلاقات العرقية والتاريخية ثابتة بين الساميين عبر تاريخ كل الشعوب

السامية وما يتصل بها من أحداث محلية وجبوية ودولية ،
وأهم ما في المسألة بالنسبة لنا هو الحيز الفصائي لهذه الدول
والشعوب ، وأعني ببسمة هنا المهد الأول لهم وما يتصل بها من
تنقلات وهجرات من منطقة إلى أخرى .

والأصعب في هذه النقطة بالذات يتجلى في ذلك الحيز
الفصائي الشاسع لهذه الشعوب ، لأن هذا المهد غير فار في منطقة
واحدة أو حتى قارة واحدة ، لأن بعض الدارسين لا يتردد في
ترجيح هذا المهد خارج الشرق الأدنى .

ومصطلح ((السامية)) تسمية ظهر في صرح الأبحاث
للمرة الأولى عام 1781 في دراسات المستشرقين ، حيث قال المستشرق
شلوزر : ((من المتوسط إلى الفرات ، ومن بلاد بين النهرين إلى
شبه الجزيرة العربية تسود ، كما هو معروف ، لغة واحدة . وعليه
فالسوريون والبابليون والعميريون والعرب كانوا أمة واحدة .
والفينيقيون الحاميون أيضا يتكلمون بهذه اللغة التي أورد أن
أدعواها ((ساهية)) (1) .

أما الحيز الفصائي لهذه الشعوب فقد حددته العلماء
((بجنال آسيا الصغرى وجبال إيران والخليج الفارسي والمحيط

(1) من الساميين إلى العرب ص : 9 نسيب وهيبة (دار مكتبة الحياة - بيروت)

ونشير إلى أن شلوزر استوحى هذه التسمية من التوراة التي كانت في
العصر الوسيط مرجعا تقليديا للغريبيين .

الهند و البحر الاحمر والبحر المتوسط الى ميناء اسكندرون (1) (2) (3)
وهذا النص ، كما نرى ، يستثني القارة الافريقية ، غير أن احد
النظريات التي قال بها نولدكه منذ عام 1887 ، وهو الباحث الاكبر
في هذا الميدان ، ترى أن افريقية هي الموطن الاصلي للساميين ،
بسبب التشابه الكبير الحاصل بين اللغتين : السامية والحامية ، وأخذ
بهذه النظرية بعده غير واحد من الباحثين (2) ، حتى وان كنا
نعتقد أن التشابه اللغوي نشأ من الاصل وليس من الفرع أي قبل
انفصال ما يسمى بالشعب الحامي عن الشعب السامي ، إذ لا يمكن أن
نتصور مهادين اثنين مختلفين لهما وهما من أرومة أو عائلة واحدة ،
والى جانب النظرية اللسانية ، فهناك النظرية الطبيعية التي
والا نروبولوجية التي ترجح نشأة الانسان في هذه القارة قبل غيرها
من القارات المجاورة ، ومن اشهر هؤلاء المرجحين داروين نفسه ،
ولا سيما الدكتور ((ليكسي)) الط الذي يرى أن الحياة وجدت على
سطح هذه القارة منذ عشرات ملايين السنين (3) .

ولعل أقدم نص توراتي يشير الى هذه المسألة ما ورد في
سفر التكوين (الاصحاح الحادي عشر) : ((وكانت الارض كلها لغة
واحدة وكلاما واحدا وكان انهم رحلوا من الشرق وجدوا بقعة

(1) م.س.ص : 9

(2) م.س.ص : 11

(3) م.س.ص : 11

في ارس شنعار فأقاموا هناك . وقال بعضهم ليعس (أبنا * نوح) : تعالوا
نصنع لبنا وننضجه طبخا . فكان لهم اللبن بدل العجارة والحمر كان
لهم بدل الطين . وقالوا : تعالوا نبين لنا مدينة وبرجا رأسه الى
السماء . فتزل يهوه لينظر الى المدينة والبرج اللذين كان بنو
آدم يبنونها . وقال يهوه : هوذا هم شعب واحد ، وهذا ما أخذوا
يفعلونه . هلم نهبط ونبلل هناك لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة
اليعس . فهدمهم يهوه من هناك طي وجه الارس كلها وكفوا عن بناء
المدينة ، ولذلك سميت بابل ، لان يهوه هناك بلبل لغة الارس
كلها) (1) .

وباضح أن هذا النص يجعل المهد الاصلى للشعوب السامية
الاولى ارس العراق ، غير أن ما نيل اليه مرتاين أن المهد الاول
للساميين هو شبه الجزيرة العربية ، وهذا ما رجحه الكثير من الباحثين
على المستويين الطبيعيين والجيولوجيين والانتروبولوجيين والتاريخيين وحسب
ما تقتضيه طبيعة الاشياء ، ومن هؤلاء العلماء * دوسو الذي يعتبر
الفتح الاسلامي لسوريا خاص موجة لهجرات العرب ، مما جعل العلامة
كاتباني يفرى بهذه النظرية من خلال اتخاذ طم طبقات الارس دليلا
على خصوصية شبه الجزيرة العربية ((حيث كانت تروي أرجاءها

أنهر ثلاثة ، وان الجفاف الذي تلا عهد الخصب ، وحول أرضها
الى الصحاري الحاضرة ، اضطر سكانها الى الهجرة ((1)) .

وعلاوة على استئصالها ، فليست بالعلم بالعالم كونتنا الذي
يرى ان افتراض شبه الجزيرة العربية ليس بعيد الاحتمال لان يكون
المهد الا صلي للشعب السامي الاول ، فان هناك ارنست رينان
الفرنسي وبركلمان الالماني اللذين ((يرجحان أن الموطن
الاول للشعب السامي هو القسم الجنوبي الغربي من شبه
الجزيرة العربية ((2)) .

على أي حال ، مهما كان اختلاف الناس اليوم
في موطن اللغة الاول للنسامين ، فان أحدا منهم لا يختلف
مع الآخر في مهد العرب - ماقبل قبل الاسلام - ولقد ولغتهم ،
وفي أن - مصدر اللهجات العربية القديمة ما يار منها
وما بقي (3) يرجع الى السلالة السامية كمصدر أعم والسى
اللهجة العربية كمصدر أخسر ولا يهمني في هذه النقطة أولية
كلا الوطنين بقدر ما يعني بالدرجة الاولى التعرف على هذين
المصدرين ، لان الغموض ليس لصيغ بالعربية والعرب وحدهم ، بل
يوجد سائدا بين طامة الشعوب القديمة ذات الحضارات العريقة .

(1) م . س . ص : 10

(2) نفسه اللغة ص : 48 د . صبيحي انساج (ط : 1968 / دار العلم ، بيروت)

(3) لا نعني بما يار منها أنه اندثر نهائيا ، ولكن أطلقنا هذا اللفظ

تأشيرا مع المصطلح التاريخي أو النسبي ((العرب البائدة ((.

ومما هو قريب من العقل والمنطق أن اللغات السامية قد
تشعبها شعب متكسما وتفرعهم في الآثار المتناوبة كما نت ترجع
إلى أصل واحد ، وتشكل شبه وحدة شعبية (1) إلا أنه
من العسير جدا تعيين ذلك الأصل وتحديد هذه الوحدة (2) .
والنص التوراتي السابق لا يرجح مؤثرا في فطنت عريضة من
الدارسين الذين يميلون إلى أن الأصل السامي الذي تفرعت منه
الألسن السامية هو اللسان البابلي (3) الذي عرزا على بقية
من آثار دولة حمورابي . . . لا نهم رأوا مشابهة قريبة بين هذا
اللسان وبين العربية بل رأوا كلمات في العربية كأنها نقلت
عن البابلية نقلا . . . صريحا مع أنها في العبرانية والسريانية
قد دخلها التحريف (4) .

أن دولة حمورابي العربية تهديء على الأقل منذ سنة
2460 ق.م وفي أحدث الآثار المكتشفة عام 1901 ورها أقدم
بذلك بكثير بالنسبة للجنس العربي السامي (3) ولا ن بعض أصحاب
من يرجحون الجزيرة العربية مهدا أول للساميين إذ هيون السس
أن (1) جميع الأمم السامية هم من العرب وأنهم خرجوا من جزيرةهم

(1) فقه اللغة عرب: 46 د. صبي السالح

(2) تاريخ آداب العرب: 1/1: 75-76

(3) انظر المرجع السابق ص: 47-48

الى ما يجاورهم من البلاد في تمكن موجات بشرية بين كل
 واحد وواحدة ما يقرب من ألف سنة ، ولأن أول موجة كانت
 موجة الأندلس ، وأن آخرها كانت موجة العرب المسلمين (1)
 أما الشعوب السامية المتبادلة لساناً ولغة فهي كثيرة إذا
 أخذنا بعين الاعتبار كل الفئات ، لكننا نجتزئ هنا باللسن الأساسية
 والمتباينة أزمنة وحتى أمتة ، هي أننا سنخص هذه اللسن وما
 تنوع عنها فحسباً تتبعاً ، وهذه اللسن : (2)
 (1) اللغة الأندلسية التي هاجر أصحابها من الجزيرة العربية
 الى العراق حوالي سنة 350 م.

(2) اللغة النحسية التي يعتقد أن ذويها نزحوا من الجزيرة
 العربية أيام زهاء سنة 550 م. حيث استوطنوا بلاد الشام .
 (3) اللغة العبرية ، ويراد بأصحابها جملة الشعوب التي تنسب الى
 ابراهيم الخليل ، وهي بها كانت تتجول في صحراء سيناء وشمال العراق
 إلى أن استقروا على فلسطين حوالي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد .
 (4) اللغة الآرامية وأصحابها هاجروا كذلك من الجزيرة العربية
 صعوداً نحو الشام حوالي القرن الثاني من قبل الميلاد .

(5) اللغة الجعزية ، وزودها قائل سامية نزحت من اليمن الى بلاد

(1) الوبيزني لغة اللسان: 32 . محمد الانطاكي (ط) : دار الشروق بيروت

(2) مرجع النظر في المرجع السابق ص: 82 - 100 .

الحبشة ، وأسست ملكا لها عاصمته أقسوم ، وما يراه المختصون أن
اللسان الجعزي هو شديد الشبه باللغة السبئية ، الى درجة

أن بعض المستشرقين عد اللغتين لغة واحدة .

(6) اللغة الاحمادية ، وأصحابها هم من تغلبوا على مدينة أقسوم

السابقة سنة 1270 م ، وعلى الرغم من كون هذا اللسان لغة سامية

لا يدق اليها الشك ، اد أنها متأثرة بالصيغة الحامية ، وبعد صراع بين

في الحبشة بين اللغتين : الجعزية والاحمادية كتب القوي لهذا الاخيرة

بعض القوي السياسي ، لانها اللغة الرسمية الى يومنا هذا للدولة

الحبشية .

(7) اللغة العربية ، رغم ان السبئية ، الجعزية ، الاحمادية ،

والاحمادية ، هي لغات سامية ،

لكن ما هي اللغة الأم لهذه اللغات السامية ، لانه

من غير الممكن أبدا أن تكون كلها أصلا ، وفي الوقت نفسه تكون

فرعا ، من العسير جدا اعطاء جواب علمي دقيق لفضل هذا

السؤال ، بل طرحه يعتبر أمرا مخيفا ومحيرا .

وفي هذا يقول الدكتور طي عبدالواحد وافي : ((كما اختلف

العلماء في الموطن الاوّل للأُم السامية ، اختلفوا كذلك في اللغة

الأولى التي كان يتكلم بها الشعب السامي : أيّام أن كان

أبناءؤه مجتمعين في موطن واحد .

فكان أحبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن العبرية هي أقدم لغة إنسانية... وذهب بعضهم إلى أن الآشورية البابلية هي أقدم اللغات السامية، ولم يقدم أصحاب هذه النظرية دليلاً يعتد به.... وذهبت طائفة من المحدثين، ووطى رأسها العلامة أولسهاوزن.. إلى أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية الأولى (((1)).

إن معظم ما نعرف من أحوال عن اللغات السامية قديمها وحديثها أنها لم تظهر في حيز فضاء جغرافي مغلق أو ضيق، بل غالباً ما نجد فضاءاتها شاسعة الأطراف، فاضة الأحداث،... فالبابلية والآشورية مثلاً، على الرغم من نصوصها المكتشفة والتي تشكل أول قانون تشريعي على وجه المعمورة، كانت أن سبقت بلغة أخرى عظيمة فيما بين النهرين، وأعني بها اللغة السومرية، وما هو مؤكد أن اللغتين الغالبة والمغلوبة كليهما تأثرت الواحدة بالأخرى... واللغة العبرية ليست مستقرة عبر تاريخها الطويل المعلوم والمجهول... ومن أجل هذه العوامل وما يشبهها، وجدنا رأياً سائداً لدى معظم المحدثين من علماء الاستشراق بأن ((اللغة العبرية قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها، وأنه لا تكرار تعديها في ذلك أية لغة سامية أخرى)) (2).

(1) فقه اللغة ص: 14 - 15 د. وافي (ط: 7. دار نهضة مصر - القاهرة)

(2) م. س. س. ص: 16

وتظل المسألة في هذا الباب أغص من أن توضح ،

فضلا عما يكنفها من تناقضات وأوهام وعواطف عرقية وأحقار

تاريخية بعيدة كل البعد عن الموضوعية العلمية ، فلا وروبيون لم يضرهم

، وهم في أوج حضارتهم ، أن اكتشفوا الأصل اللساني للغاتهم ،

مجمعين على سنسكريتهم بفضل الدرس اللغوي المقارن .

ويزعم الكثير أن اللغات السامية كلها تعود إلى ثلاثة أصول :

الآرامية والعبرية ، والعربية ، وطلما يردون اللغات الآرية إلى ثلاثة

أصول أيضا : اللاتينية ، واليونانية ، والسنسكريتية ((وكل من

هذين التوعين بأصوله يرد عندهم في الاشتقاق إلى لغة مفقودة

يتوهمونها انفصلت عنها هذه اللغات ، فكانت متشابهة في أصول

مهدهما ، جعلت تتنوع وتتباين حتى قلت وجوه التشابه إلا ما

يكون من قبيل الدلالة التاريخية على وحدة الأصل (((1) .

إن شمل هذا التشبيه ليس له أي أساس علمي ، ولكن

البعض يحاول أن يخضع الموضوع إلى المنهج دون دليل مادي ملموس .

لأن أشكال الأصل سائد بقوة حتى على مستوي اللغات السامية

ذاتها فكيف بمقارنته بأصول لغوية خارجية عنها توهمها ؟ ومع ذلك

فإن البعض يرى أن الأصل السامي الذي انشقت منه اللغات الثلاث

السابقة المزعومة أملا لكل اللغات السامية الأخرى ، إنما هو اللسان

البابلي القديم على أنهم رأوا مشابهة قريبة بين هذا اللسان وبين العربية ((بل رأوا كلمات في العربية كأنما نقلت عن البابلية نقلا صريحا ، مع أنها في العبرية والسريانية قد دخلها التحريف ، وعللوا ذلك بأن العربية بابلية ، فهي قلما تتغير كلمات الحضرة التي تتنازعها التهمية لغيرها ،... فحسن التشابه بين البابلية والعربية ، حركات الاعراب ، وهي في اللغتين واحدة ، ولا وجود لها في سائر اللغات السامية ، حتى لقد جئنا نرى هبون قبل ذلك الاكتشاف الى أنها من اختراع العرب)) (1) .

أما الدكتور محمود فهمي حجازي فيلخص المسألة في الأصل السامي لهذه اللغات بقوله : ((ان الحديث عن العربية واللغات السامية الأخرى طويلا ، ولكننا نكتفي بأن نقرر مع هنا مع الباحثين أن العربية قد احتفظت بعدد من الظواهر اللغوية التي تفوق الهجرة الأكادية سنة 2500 ق.م ، وأما مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى توضح جوانب الاشتقاق فسي كثير من الأمور التي حار اللغويون في الفصل فيها ، وأن هناك تطورا عرفته اللغات السامية في الاصوات والصيغ والدلالة ، وفوق هذا وذاك ، فالعربية هي أقرب اللغات السامية الى اللغة الأم ، ومن ثم فهي أساس المقارنات)) (2) .

(1) م. س. م. : 76

(2) العربية عبر القرون ص : 28 د. محمود فهمي حجازي

وأما النحاة جرجي زيدان المعروف بتضلعه في هذه الدراسات
 أن أم هذه اللغات ، والتي تسمى اللغة السامية أو الآرامية (1) ،
 () تسم نوتوها ، فتكونت أفعالها ، وأسماءها ، وحروفها ، واشتقاقاتها ،
 ومزيداتها قبل أن يثبت أهلها ، وأنزحوا إلى فينيقية ، وجزيرة العرب ،
 وما بين النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح ،
 باختلاف أحوالهم ، . . فتولدت منها اللغات السامية المعروفة (2) ،
 ويقول في موضع آخر : () من الحقائق المقررة ، أن العربية
 والعبرانية والسريانية كانت في قديم الزمن لغة واحدة ، كما كانت
 لغات عرب الشام ومصر ، والعراق ، والحجاز في صدر الإسلام . فلما
 تفرق الشعب السامي ، أخذت لغة كل قبيلة تتنوع بالنمو والتجدر
 طي مقتضيات أحوالها ، فتولدت منها لغات عديدة . . أشهرها اليوم
 العربية ، والعبرانية ، والسريانية ، وكل تفرعت عربية قريش بعد الإسلام
 إلى لغات الشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز (3) وغيرها (4) .

-
- (1) لقد نبه الأستاذ جرجي زيدان على هذه المسألة أي أنه من الخطأ
 أن نعتبر الآرامية أم اللغات السامية ، لأنه ثبت أي هذه الأخيرة ليست
 إلا واحدة من اللغات التي تفرعت من اللغة السامية الأصلية .
 - (2) اللغة العربية كائن حي ص : 28 . جرجي زيدان (دار الهلال)
 - (3) كأن الأستاذ جرجي زيدان يحسب أن لغة الحجاز ليست هي لغة قريش
 وذلك من خلال هذين النصين : ومهما يكن فإن الحجاز هي المنطقة الشاسعة
 التي انطلقت منها العربية نحو المناطق التي ذكرها .

ولعل الباحث محمد عطية الابراشي لم يكن بعيداً عن جادة الحقيقة العلمية حين قال : (ليس من السهل أن نعرف اللغة السامية الأولى معرفة حقيقية ، وإن كان من الممكن معرفة الكلمات والتراكيب المشتركة في اللغات السامية على العموم ، تلك الكلمات والتراكيب التي تدل على أن أصلها واحد ، وهولسان سام بن نوح (1) ، وعلى أنها كانت جزءاً من اللغات السامية الأولى ، تلك اللغة التي لم يحصل الساميون معرفتها أحد) (2) .

ويقول سبرنجر : (ان الساميين جميعاً طبقات متتابعة من العرب) (3) ، ثم يأتي اللغوي الآخر ((سيس)) فيعضد في كتابه " الأجرومية الآشورية " ، نظرية سبرنجر قائلا : (ان كسل التقاليد السامية تدل على أن بلاد العرب هي الموطن الأصلي للساميين ، فهي الأرض التي ظلت منذ قرون متوغل في القدم خاصة بهم) (4) .

وأما ((دي جوج)) فيرون من جهة رأياً لا يبعد عن رأي اللغويين السابقين مختصره أن ((الجواليد يع لبلاد العرب الداخلية والجمال الجسمي للعرب يدلان على حقيقة لا نزاع فيها ،

(1) اننا لا نفهم من هذا التركيب (لسان سام بن نوح) أن اللغة السامية كلها ترجع الى سام بن نوح وحده ، ولاننا نفهم من هذا المنشأ الأول لهذه اللغة
(2) الآداب السامية : ص: 9 . محمد عطية الابراشي (ط: 2/ 1984 دارالحدائق)

(3) م.س.ص: 10

(4) م.س.ع: ن.ص

وهي أن اللغة العربية تقرب كثيرا من اللغة السامية الأولى وتتصل بها أكثر من اللغات السامية الأخرى (1) .
 أن الآراء ما قدم منها وما حدث لا تكاد تنتهي حول هذه الاشكالية الغامضة المرتبطة بمصادر مضمون ومجهول المعالم والذين لا يرجعون الى هذه الاشكالية في حد ذاتها ، أي الى المهد الأول لهذا الشعب السامي العظيم ولغته الأولى ، بقدر ما يعودان في حقيقة أمرهما الى تاريخ هذه الشعوب الموهلة في القدم ، لأن كل ما اكتشف من آثار مادية لسامية كانت أم حضارية لهذه الشعوب يدل على أن تاريخ هذه الشعوب هي أبعد وأعمق مما تترجمه لنا تلك النقوش أو المخطافات الحضارية .

الأن معظم النظريات تميل أو تتكاسر تنفق اتفاقا واحدا

يتجلى في اعتبار :

- (1) شبه الجزيرة العربية مهدا أول للشعب السامي ، بغض النظر عن أحدى الجهات من هذه الجزيرة ، والتي منه انطلقت الهجرات السامية التاريخية الكبرى نحو الشمال .
- (2) اللغة العربية أكثر وزنا وترجيحا لأن تكون اللغة السامية الأم أو على الأقل ، هي أقرب أخواتها الأخرى قربا واتصالا باللغة السامية الأم المجهولة التحديد لا المجهولة الهوية ، متنازعين عن الرأي السائد بأن جميع اللغات السامية أخذت من العبرية أو الآرامية .

الفصل الثاني : العلاقات اللغوية بين اللغات

حين نعود اليوم الى الدراسات اللغوية الحديثة ، ولا سيما الى الأبحاث الأوروبية ، فإننا نجد أنها تتفق بأن درس اللغوي المقارن هو وليد القرن التاسع عشر ، أو بعبارة أخرى هو مرتبط باكتشاف اللغة السنسكريتية ، وهذا الاكتشاف الذي أحدث انقلاباً طعياً شاملاً ، حتى أنه ليكن يمكن اعتباره نهاية مرحلة عصر لغوي ، وبداية ظهور مرحلة عصر لغوي آخر .

الآن مشكل الدرس وهذا المنهج لم تجهله الدراسات الفقهية (فقه اللغة) أو العلمية (علم اللغة) العربية ، ففيها معالم كثيرة للمنهج اللساني المقارن لو طورها الدارسون العرب في إطار منهج مستقل لما تأخر هذا الدرس الى غاية القرن التاسع عشر .

ومع ذلك ، فإن اللغويين ومن اشتغل في حقهم ، وهم يدرسون اللغة العربية وما يتصل بها من كلمات أجنبية لاحظوا أن هناك ظواهر لسانية تشترك في لغات متداخلة مع العربية ، وكان هذا منذ العصور الإسلامية الوسطى ، بل أبعد من ذلك ، حيث إن القراء والنحاة واللغويين من جميع الطبقات المبكرة الى جانب الفقهاء والمفسرين قد تجادوا جداً ، كما وقفنا على البعض من هذا ، حول طبيعة عدة

ألفاظ وكلمات وردت في القرآن الكريم : أهي أجنبية على العربية
أم هي عربية أم هي ألفاظ دخيلة عربت وصيغت وفق القوانين السائدة
في اللغة العربية ؟ .

كما سبق أن لمحنا (1) أن أبا عبيدة وابن فارس إلى
جانب الامام الشافعي ، وابن جرير . . . أن النص القرآني لم يحتو على
ألفاظ أجنبية أو أعجمية . كما كانوا يسمونها أودخيلة . . . وليس
معنى هذا أن هؤلاء العلماء المختلفين قبلوا أو ردوا هذه الألفاظ
الأجنبية الواردة في النص القرآني من خلال وصف القرآن الكريم نفسه
بأنه عربي فقط ، بل عن دراسة لتلك الألفاظ التي دخلت
العربية قبل نزول القرآن الذي تبناها لألفتها بينهم وتعبيرهم بها عن
أحوالهم وأغراضهم ، وشار هذه الكلمات التي هي ليست من اللسان أو
أصل اللسان العربي : ((سجيل)) و ((الشكاسة)) و ((اليمس))
و ((الطور)) و ((أباريق)) و ((استبرق)) وغير ذلك (2) .
ونحسن اليوم حين نتصفح كتاب سيبويه الذي يعد (أقدم
وأصح كتاب لغة علمي ، فانا نجد صاحبه يرسم ما يمكن تسميته
اليوم بتعليم لغوية علمية واضحة . . مركزا حديثه فيها على ^{ما} قد يلحق
الاسم الأجنبي المعرب من تغيير . .) (3) خاتما تعليمته بقوله : ((هذه
حال الأعجمية ، فعلى هذا فوجهها)) (4) .

(1) راجع ص: 89 - 90 من هذا البحث

(2) المعرب من الكلام الأعجمي ص: 53 الجواليقي (ط: 2/ 1969 مطبعة دار الكتب)

(3) العربية بين الطبع والتطبيع ص: 100 - 106

ويذهب أبو منصور الجواليقي إلى أن كلا الفريقين مصيب في رأيه

والكل ذهاب إلى مذهب، أي منهم من ذهب إلى الأصل فأنكر وجود هذه الألفاظ، ومنهم من ذهب إلى الفرع فأثبتها. ومن هذه اللفظة ((دست)) للصحراء وهي بالفارسية ((دشت)) حيث أبدلوا من الشين سيناً، ومثلها: ((سراويل)) و ((اسماعيل)) وأصلهما: ((شروال)) و ((اشماويل)) وذلك لقرب السين من الشين فسي الهمس (1).

وقال أبو علي الجوسي: ربما خلطت العرب في الأعجمي

إذا نقلته العسى لغتها، ونجد بعض الأعراب قد فطن إلى ما دخل العربية من ألفاظ أجنبية، فقال هارثا: (2)

يقولون لي: شنبذ، ولست شنبذا طوان الليالي أو يزون شيسر

ولا قاتلا: زوندا ليعجل صاحبي ويستأن في صدي طني كبير

ولا تاركا لحني لأحسن لحنهم ولو دار صرف الدهر حين يدور

بينما قال الفراء: ((ينسب الاسم الفارسي أي بناه كان،

إذا لم يخرج عن أبنية العرب)) (3).

(1) المعرب من الكلام الأعجمي ص: 55

(2) السابق ص: 57. والكلمات:

ـ شنبذ: يريدون ((شون بوزي))،

ـ زون: اعجل.

ـ يستأن: خذ (الشرح من المصدر أعلاه ص: 57)

(3) م. م. م. ص: 57

وذكر أبو حاتم أن بعض الشعراء أشار رؤيته بمن العجاج
والأعشى وغيرهما من الفصحاء ربما حلا لبعضهم أن يستعير
كلمة أجنبية للقافية لتطرف ولكنهم لا يعرفون ولا يشقون
منه أفصلا (1) .

واسم تقتصر المقارنة من اللغويين العرب القداماء بين العربية
وغيرها من اللغات الأجنبية على مستوى دون آخر بل شملت هذه
المقارنة مختلف المستويات من هذا قولهم :
- لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، ومتى اجتمعتا في إحدى
الكلمات ، فمعنى هذا أنها أجنبية ، وليست عربية .
- كما أن العار والجيم لا تجتمعان في كلمة عربية . ولهذا فإن
كلمة ((صولجان)) ليست عربية ، ومثلها : ((جص)) و ((صنجة)) .
- وليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعد هاء ، ولذا
فإن ألفاظ مثل ((نرجس)) و ((نورج)) . . . ليست بعربية .
- كما لا حظوا أنه لا يوجد زاي بعد دال ، وطيه فالمهندس في
العربية هي كلمة أجنبية .

- كما أن أحدا من الثقات لم يرو كلمة عربية مبنية من باء وسين
وتاء ، فإذا لوحظ كلمة مبنية من هذه الأصوات الثلاثة فهي أجنبية .

وأنشد للاعشى :

بسا ياط حتى مات وهو محرزق

فقالوا : ان لفظة ((محرزق)) معناها بالنبطية : محبوس ، وتنطق
مختلفة صوتيا : ((هزوري)) . وذكر أن الاصمعي كان يرويه
((محرزق بتقديم الراء على الزاي)) وكذلك رواه أبو زيد . وكان
أبو عمرو الشيباني يرويه بتقديم الزاي على الراء ، فذكر ذلك
لأبي زيد ، فقال : أبو عمرو أطم بهذا منا . يريد أن أبا عمرو
أعلم باللغة النبطية ، لأن أمه كانت نبطية)) (1) .
وقال الخليل بن أحمد ملخصا المسألة لمعرفة ما هو
مربي ما هو أعجمي : ((فان وردت عليك كلمة رباعية أو
خماسية معرفة من حروف الذلق أو الشفوية (2) ، ولا يكون في تلك
الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم
أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ، وليست من كلام العرب ، لأنك لست
واجدًا من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية
إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر)) (3)

(1) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب القسم الثاني ص : 262 . البطليوسي

(ط : 1982 الهيئة المصرية العامة للكتاب)

(2) الحروف الذلق ستة : ر ، د ، هـ ، ت ، ج ، ز (تخرج من ذلق اللسان من طرف غار

القسم) . ف ، ب ، م (مخرجها من بين الشفتين خاصة)

(3) العيمن ج : 1/ ص : 53 . الخليل بن أحمد (ط : 1967 مطبعة الفاني ، بغداد)

وعناية الدارسين العرب القدماء بشئ هذه الدراسات اللغوية
المقارنة ظلت تصحب الفضا^١ الفضا^٢ الفكري والحضاري للغة العربية
في مشرقها ومغربها ، من ذلك أن ابن حزم الاندلسي ربما يعتبر
اليوم من أكبر الدارسين الذين أدركوا بمعرفة ووعي تامين
هذا الضرب من الدراسة ، فالرجل علاوة على مناقشة أهل عصره من
عرب ويونان ويهود بشأن تفضيل لغة على لغة ونحو ذلك ، فإنه
تعلم لغات مختلفة مثل السريانية والعبرية الى جانب اللغة
اللاتينية .

وهو الى جانب تعلمه للغات أجنبية عديدة مكتسبة من ابراز
رأيه في قضايا لسانية عامة وخاصة ، كان مولعا بمراقبة
وتفحص الفروق اللهجية العامية أو ملاحظة التكمسات اليومية
التي يسمعها حينما حل وارتحل .

وهذا إتيقانه للغات السامية الحية في عصره الى أن
هذه اللغات كانت لغة واحدة () ان الذي وقفنا عليه وطمنا
يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مصر
لا لغة حمير ، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث
فيها جرس (احتكاك) كالذي يحدث من الاندلسي اذا رام نغمة
أهل القيروان ، ومن القيرواني اذا رام نغمة الاندلسي ، ومن

الخراساني اذا رام نغمتها ، ونحن نجد من سمع لغة أهل
فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول
انها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا في كثير
من البلاد ، فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل
لغتها تبدلا لا يخفى على من تأمله ، وهذا تصوير للتطويع
الدائب لحياة اللغة ليل نهار (1) .

اننا أمام عالم ديمالكولوجي يطبق منهجا وصفيًا علميًا
دقيقًا قائمًا على التسجيل والملاحظة الواقعية لغات المتكلمين
الذين يتعلمون اللغة في مختلف مستوياتها ومناطقها الجغرافية
المتباينة وله ملاحظات تطبيقية وحية على أنواع شتى من الكلمات ،
لا نريد أن نقف عنها ، لان ما يهمنا من وقائمه نظراته المقارنة
للغات السامية واللاتينية .

لسعد أدرك ابن حزم ادراكا لا يدع مجالاً للشك بأنَّ

العربية والعبرية والسريانية تعود الى أصل واحد أو عائلة
لغوية واحدة ، بل ذهب مذهبا بعيدا حين يقرر أن السريانية
أصل العربية والعبرانية معا (2) ، وهو قول غريب لم تقبل به
الدراسات اللغوية المقارنة للغات السامية بشكل قاطع بل لم ترجحه

(1) نظرات في اللغة عند ابن حزم ص : 26 . سعيد الافغاني
(مطبعة البيان - بيروت)

(2) م . ص : 27

ويرجح المطلعون أن ابن حزم كان يعرف أيضا الإسبانية التي كانت في عهد هـ ، وهو أمر ليس بالمستبعد ، ويصفه الاستاذ سعيد الافغاني قائلا: ((فلما اطاعت على مخطوطة التقريب لحد المنطق في تونس (وقد طبعت أخيرا في بيروت) ، أيقنت أنه يتقن اللاتينية ... كما عرف السريانية والعبرانية ، وإذا فقد صدر في حكمه بنفي التفاضل بين اللغات عن اطلاع وعلم ، ... وأنا لنحيي انصافه وحرية حين يقرر بقصور المصطلح الذي وضعه عن المصطلح اللاتيني ، ولا يفعل هذا الا متمكن في اللغتين وفي العلم ذاته ((1) .

ولما وضع الرجل اسم الاستفهام (ما) قصد السؤال به عن الجنس والنوع ، ووضع الاداة (أي) بغية السؤال عن الفصل في المتساويات من حيث الجنس والنوع شعر بفضل المصطلح اللاتيني في لغته ما جعله يتأسف قائلا بعد الجهد الذي بذله :

((واعلم أن اللغة العربية لم تمكن العبارة فيها بأكثر مما ترى على أن السؤال به (ما) والسؤال به (أي) قد يستويان في اللغة العربية ، وينوب كل واحد من هذين اللفظين عن صاحبه ويقعان بمعنى واحد ، ومن أحكم اللغة اللاتينية عرف الفرق بين المعنيين اللذين قصدنا في الاستفهام ، فإن فيها للاستفهام عن العام لفظا غير لفظ الاستفهام عن أبعاض ذلك العام ببيان لا يختل عن صاحبه أصلا ((2) .

وغير ابن حزم من كان يعرف غير العربية واشتغل في حقل الدرس

المقارن ، فابن العبري كتب في النحو السرياني على غرار المفصل للزمخشري

مستفيدا من دراسته الضليعة في النحو العربي منها وعلمها ومادة ،

((وهناك عدد من النحاة اليهود عاشوا في الاندلس ودرسوا في

اطار الثقافية الاسلامية النحوي العربي ، وألفوا كتباً في النحو

العبري على غرار ما وجدوه عند العرب من دراسات ، ، ، ، وفوق

هذا وذاك فقد كان للنحوي العربي ابن حيان قصب السبق في

محاولة تأليف نحو للغة التركمية وآخر للغة الحبشية ، والحبشية

من اللغات السامية (1) .

ونخلص من هذا الى أن الاشتغال بالدرس اللغوي المقارن

ليس غريباً في الدراسات اللغوية العربية القديمة ، لكن الأغرب

هو أن نجهد أو نتجاهل هذه المجهودات الأصلية في هذا الميدان

إذا قلنا مع القائلين بأن هذا النوع من الدراسات ظهورا باكتشاف

الصلة بين السنسكريتية واليونانية في نهاية القرن الثامن عشر (2) .

بسل هناك حقيقة لا بد من الاعتراف بها والاشارة اليها ، وهي أن

جمل الدراسات اللغوية العربية القديمة من تأليف وتفسير ودلالة

... لا تخلو من مثل هذه المقارنات باعتبار تدخل العربية بغيرها من

أخواتها الساميات ، سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر .

(1) العربية عبر القرون ص : 17

(2) يراجع هذا الاكتشاف في : البحث اللغوي عند الهنود ص : 18 - 21
للدكتور أحمد مختار عمر (ط : 1972 دار الثقافة - بيروت)

وتبعاً للحيز الفضائي السامي الشاسع والممتد عبر أزمنة متقادمة ما هو مجهول منها أكثر مما هو معلوم ، وصبوب أمكنة متناغية ومتنازع فيها من المقيمين والظاهيين ثم مسن المؤرخين والدارسين ، فإن التداول للغة الشام السامية الأولى لا شك أنه كان يتطور ويتفرع في كل اتجاه داخلي وخارجي سواء تعلق الأمر بمرمثرات خارجية أو بعوامل لسانية داخلية ، لأن إيقاع التطور للغة من اللغات يختلف باختلاف الظروف والملايسات ؛ وهذا التطور لا يلحظه الناس مطلقاً خلال جيل واحد أو حتى أجيال متقاربة أو محافظية () إلا أنه في نهاية المطاف تطور سريع ، لأننا في حقل ملاحظتنا التاريخية ، منذ استعمال الكتابة التي يعود تاريخها إلى حوالي خمسة آلاف سنة في الحواضر المتقدمة ، والتي ترقى إلى ما قبل التاريخ ، استناداً إلى نتائج الأبحاث اللغوية المقارنة ، كثيراً ما تطالعنا لغات تظهر ولغات تضمحل . وأما في شأن اللغات التي نستطيع متابعة تاريخها فإننا نراها تتشعب في الغالب وتتفرع ، ونلاحظ أن الأنظمة التي تتطور تتجسسه نحو التبدل ، حتى لتسي غالباً مختلفة اختلافاً جذرياً عما كانت

عليه في الأصل () (1)

(1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 80 (ط : 1/1979 دار ابن خلدون - بيروت)

غير أننا لا نستطيع أن نقول مع القائلين بأن لغة تظهر وأخرى
تضمحل ، إلا إذا كان يتعلق الأمر بعائلات لغوية متصارعة على
البقاء ، ومن أصل مختلف جنسا ولسانا ، أما اللغات السامية
فهي مختلفة عن هذا الصراع لأنها تعود إلى أصل جنسي واحد ،
والى وحدة لسانية أصلية واحدة ، فمن هنا نستطيع القول
بأنه حتى اللغات التي كانت تتلاشى انما كانت تضمحل من
الداخل ، ولذا فيجب الحذر حين نعود إلى التراث السامي الحسي
كالتراث الأدبي واللغوي العربي الذي نجده متداخلا مع ألفاظ
سامية ليست بالقليلة ، وهذه اللغة الأولى وما تبعها أو خلفته
من لهجات امتدت واتسعت مع انتشار أهلها في جميع بلاد
الشرق الأدنى وحواسر البحر الأبيض المتوسط لتستقر منذ القرن الحادي
عشر قبل الميلاد مع أبنائها الفينيقيين في أحد بلدان المغرب
الامر الذي مهد المناخ العام فيما بعد للفتح العربي الاسلامي
وتعريب هذه البلدان .

وباعتبار الصلة الوثيقة بين هذه اللغات ، فإنه
ظلت على مر التاريخ تخدم بعضها بعضا ، فإذا كان فضل العربية
الباقية على أخواتها الساميات لا يشك فيه أحد لا حفاظها بخصائص
لغوية مشتركة هي في غاية الأهمية للدراسات المقارنة والتاريخية ،

فإن بعضها الآخر اتخذ كأداة أوسع وصل في نقل تراث
 إنساني متعدد من لغات أجنبية إلى اللغة العربية مثل اللغة
 السريانية التي زعم ابن حزم أنها أصل للعربية والعبرانية،
 كما أن اللغة النبطية قدمت خدمات جليلة للعربية القديمة
 حيث كانت منطلقا للكتابة السريانية المبكرة التي تطورت إلى هذا الخط
 العربي الذي نعرفه على شكله الحالي .

ومن ناحية العلاقات التركيبية أو البنوية الداخلية للغات
 السامية ، فإنها تتبلور في بنى خارجية تتعلق بالتوزيع والاحداث
 التي تنعكس على انتمائها النحوية والصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية ،
 ولعل ما تقدم في ثنايا هذا الفصل من اشارات مقارنة يمكن اتخاذه
 ، فدا من روافد الوقوف على مثل هذه الأنظمة اللغوية من وجهة
 التقاطعات الخارجية ، غير أننا نريد أن نجتزئ بما ذكرنا في هذا
 الفصل الذي خصناه للعلاقات اللغوية بين اللغات السامية التاريخية
 والمشهورة وما أشير حولها من جدالات لننتقل إلى ما يربط هذه
 اللغات من وجهة داخلية ، وذلك من خلال :

- أ- البنية التركيبية : structure syntaxique
- ب- البنية المورفولوجية : structure morphologique
- ج- البنية المعجمية : structure lexicale
- د- البنية الدلالية : structure sémantique
- هـ- البنية الصوتية : structure phonétique

الفصل الثالث : التراكييب اللسانية في اللغات السامية

أول فصول البنية السامية

من خلال الوقوف على مدونة لأية لغة انسانية ، يتبين أن أنظمتها التي تتصل في بناء هيكلمها التواصلي لا تثبت على حال واحدة ، ومن ذلك مثلا تعذر على الفرنسية ان تظل محتفظة بقواعد التصريف اللاتينية التي علاقة الاسماء فيما بينها ، وفيما بينها وبين الأفعال ((1) . وبالمثل ، فان لغة أخرى كاليونانية استغنت تماما عن صيغة التثنية في وقت مبكر من عمرها التاريخي ، واذا التفتنا الى نصر الخليل بن احمد السابو ببصرة أكثر اهتماما ، فانه يجب من هنا أن ننطلق من هذه الملاحظة اللسانية العامة والدقيقة ، فالخليل ذكر على أن احدا من العرب لم يسمع في كلامهم كلمة واحدة معرارة من حروف الذل والشفوية اذا كانت رابعة أو خامسة ، لان اللغات السامية غير الغربية معنية بهذه الملاحظة ، حتى وان كانت العربية استأثرت أصوات الذلاقة فيها بالمكان المتميز الظاهر .

وعليه وسواء كانت الغربية هي الأصل المحتمل أم لا أكثر احتمالا للسامية الأم أو ليست الا احداها ، فان مجموع اللغات السامية قد (استأثرت بظاهرة تميز أصوات الذلاقة فيها ، فلم تدخ منها ، أو قل من بعضها ، لغة سامية معروفة كالبابلية ، الآشورية ، والآرامية ، والحثية والعبرية ، ولغات جنوب الجزيرة ، بل دخلت في تأليف مفرداتها ، وأثبتت الدراسات المقارنة أن الضائر أو أسماء الإشارة ،

ومفردات أعضائها * الجسم ، وجمهرة من الأفعال والأسماء ،
والحروف تتفق في أبنيتها ، ونلاحظ من بينها أن الحروف
المذكورة تتخذ مواقعها في أماكن واحد واحد (واحدة منها جميعا) (1)
ويجب أن نعترف بأن الوقوف على هذه العلاقات اللغوية
فيما بين الساميات يعني أننا لا نقف على ظواهر منها إلا بفضل
التعارضات في البنية الصوتية من جهة وما يتصل بهذه اللغة من
اشترك لفظي وتضاد وحقيقة ومجاز من جهة ثانية ، ولذلك قد
نجد أحيانا أن بعض الجوانب من هذه الدراسات المقارنة متداخلا .
إن اللغات السامية تشترك بوجه عام من الخصائص الدالة
على وحدة أصلها ، وتتباعد في خصائص أخرى تدل على تطورها
المستقل - ولو نسبيا - كوحدة لغوية ذات ظاهرة مفردة أو ذات
متكلمين بعدت الهوية التاريخية بينهم وبين من تعد موهم من الساميين
الموحد بين لساننا ومساخا .

وهي تتميز عن سواها من اللغات بأن أصول كلماتها غالبا
مستألف من ثلاثة أصوات ساكنة (م.ك.هـ) ، وحتى وإن كان
بعض العلماء يجنح إلى حقيقة أخرى أي يقول بثنائية هذه الأصول
فيها ، وذلك كالأب مرمرجي المنكسي الذي كان يورد الثلاثي إلى
الثنائي لأنه يرى أن الثلاثي متفرع عن الثنائي (2) ، وأما القائلون

(1) الاستاذ ص: 288 (مجلة جامعة بغداد ع: 2 / 1978 - 1979)

(2) فقه اللغة ص: 13 - 4 د. صبحي الصالح .

بثلاثيتها فانهم يردون الرباعي فيهم الى الثلاثي زاهيين
الى أن يخرج أصلها ر ح ر أو ر ج مثلاً.

ويلخص هذه المسألة الدكتور على عبد الواحد وافي بقوله :
((فبعض الاصول السامية يتألف من صوتين فقط . ويصدق هذا على
بعض الحروف (عن ، قد ، هل ، ...) والضماير (هو ، هم ، ...) وأسماء
الشرط والموصول ، والاشارة (من ، ذا ، ...) وبعض أسماء اللفظ الذات
(يد ، دم ، ...) . وثم أفعال لا يبقى منها الا حرفان في معظم وجوه
تصرفها . . وهذا يدل على أن المعنى العام يتوقف في هذه الافعال
على صوتين فقط . . .) (1) .

وهكذا ، فان المعنى العام ، حسب النص أعلاه ، يتعين بصوتين
فقط ، وأما الصوت الثالث فانه يحدد هذا المعنى العام ويوجهه
وجهاً خاصة (2) . أما ما عدا هذا المعنى العام فيشار اليه
بأصوات مد طويلة أو بصوائت طويلة أو صوائت قصيرة (فتحة ، ضمة ،
كسرة) . فنوع الكلمة وهي اسم أو فعل أو حرف أو اسم فاعل
أو اسم مفعول . . . أو كون هذه الكلمة متعذية أو لازمة ، مفردة
أو شتى أو جمعا ، . . . وأزمنتها المختلفة ماضياً أو حاضراً أو
مستقبلاً ، . . . ووظيفتها داخل الجسلة وهي فاعل أو مفعول أو حال

(1) فقه اللغة ص : 17 د . وافي

(2) سنعود الى هذا الموضوع ونحن نتحدث عن البنية المعجمية .

أو تمييزاً، أو نعتاً،... إلخ، ككل ذلك ((وما إليه ته تدل
عليه في اللغات السامية أصوات مد طويلة أو قصيرة تلحق
جميع أصوات الاصل أو بعضها)) (1) .

ومن خلال النقوش والنصوص القديمة للأكاديين، والتي ترجع
إلى أكثر من خمسة وأربعين قرناً، يتضح لنا أن هؤلاء كانوا يعتبرون
الحركات الثلاث أو الصوائت القصيرة شيئاً أساسياً في كتاباتهم،
وبالتالي في نطقهم العادي ((وكل هذا في نفس الخط ونفس
السطر لا فوقه ولا تحته، فالرمز المقطعي يدل على مقطع كامل دون امتحان
أو استخفاف بالحركات... فمعظم الاسماء الأكادية وصلتنا في النقوش
المسماوية في ثلاث صور: أحداها بحركة هي الضمة، والثانية بحركة
هي الفتح، والثالثة بحركة هي الكسرة، ومعنى هذا يتتبع سياق هذه
الحالات الثلاث وجود نهايات اعرابية في الأكادية على النحو
الثلاثي الذي نعرفه في العربية، ومعنى هذا بالنسبة لتاريخ
اللغة العربية أن ظاهرة الاعراب تفوق الهجرة الأكادية قدماً، وأن
الأكاديين خرجوا بهذه الظاهرة من مهد الساميين، فالاعراب في
العربية والأكادية أقدم من سنة 2500 ق.م، وعصره أكثر
من خمسة وأربعين قرناً)) (2) .

(1) فقه اللغة ص: 19 د. وافي

(2) العربية عبر القرون ص: 25

أما في الجنس ، فإن الدكتور إبراهيم السامرائي يخلص إلى القول وهو يقيم مقارنة للجنس في اللغات السامية ((إلى أن التأنيث بالعلامة طاريء في العربية من الناحية التاريخية كما هو طاريء في غير العربية من إختلافات الساميات)) (1) .

ولا نريد أن نقف عند هذه المسألة طويلا ولا حتى قليلا ضمن العربية والساميات لان الاشكالية المطروحة في العربية وحدها تستحق مجلدا أو مجلدات ، ولذا فإننا نكتفي هنا بمقارنة الجنس بما يقابله في اللغات السامية .

فكلمة ((الجمل)) عادة ما نحسب أنها مذكر لان مؤنثها ناقصة ، لكن بعض المعاجم تقيدنا أنه يطلق على المذكر مثلما يطلق على المؤنث (2) ، وفي العبرية جمل وفي السريانية جملا يدل على المذكر والمؤنث (3) ، وشمل الجمل كذلك ((البعير)) فهو ينصرف للمذكر والمؤنث ، وهو في العبرية ((بعير)) مذكر ، وفي السريانية ((بعيرا)) مؤنث ، ويراد به جميع الدواب العاملة .

(1) مباحث لغوية ص : 134 د . إبراهيم السامرائي (ط : 1971 مطبعة الآداب في النجف الاشرف)

(2) يراجع هذم المادة (جمل) في لسان العرب مثلا

(3) مباحث لغوية ص : 135 - 136

الحمار : وهو ذكر ، ومؤنثة أتان ، وهو في العبرية ((حمور))
 للمذكر و ((أتور)) للمؤنث ، وفي السريانية ((حمارا)) للمذكر
 و ((أتانانا)) للمؤنث . على أن ((حمارا)) السريانية قد تنصرف
 للمذكر والمؤنث .

وهناك ألفاظ أخرى كثيرة مشتركة ، وخاصة تلك الألفاظ
 التي يرتبط نموها بنمو الحياة في أي بيئة اجتماعية بدائية ، ومن
 أعضاء الجسم مثلا : اليد ، وهي مؤنثة في العربية وكلمة لك في
 العبرية الاشذوزا ، أما في الآرامية الانجيلية فهي للجنسين على الرغم
 من وجود جنس واحد أي يجوز فيها التذكير والتأنيث . أما الرجل
 فهي مؤنثة في أغلب اللغات السامية ، وأما الذراع فهي مؤنثة في
 العربية والعبرية ، أما ((ذراطا)) السريانية فهي مذكورة ، وأما
 الاذن فهي مؤنثة في العربية وسائر اللغات السامية . . الخ (1) .
 ظاهرة الاختلاف في الجنس ثابتة بين اللهجات العربية على
 مستوى الفصحى نفسها ، وليس فقط بين العربية وأخواتها أو بناتها
 الساميات ، وهي من الطواهر اللغوية التي استقرت بحثا ولم تعط
 حتى الآن تفسيراً مقنعاً ، والأهم أن الساميات تتشابه في الصفة
 وفي الجنس باضافة تاء إلى المذكر وهذه الخاصة موجودة أيضا في الحامية (2)

(1) مراجع : مباحث لغوية ص : 136 - 138

(2) فقه اللغة ص : 21 د . وافي

وعلاوة على اشتراك أو تقارب الساميات في الجنس الذي
يعد موسوعة معقدة على مستوى لغة واحدة كالعربية ، فإنها تتفق
أحيانا في القواعد السانتكسية ، على الرغم من وجود مميزات خاصة
بكل لغة منها ، لكن الأهم عندنا في هذه المقارنة هو وجود الظاهرة
السانتكسية في حد ذاتها وليس شكل أو رسم هذه الظاهرة التي
نجد اختلافها منبثقا من الناحية الصوتية الناتجة عن الاختلاف العام
في النطق وفي التباين البيئي والمناخي والتباين الزمني بين المتكلمين
الساميين السابقين واللاحقين ، . . .

من هذه القواعد السانتكسية أداة التعريف . نحن نعلم أنها
في العربية ترسم (ا ل) حيث تلفظ مع ما يسمى بالحروف القمرية
وترسم ولا تلفظ مع الحروف الشمسية ، بينما ترسم هذه الأداة ها
في أول الاسم في العبرية حيث تضبط بقواعد خاصة ، وفي اللغة العربية
الجنوبية (السبئية) يعبر عن أداة التعريف فيها بزيادة ((نون))
في آخر الاسم ، بينما يعبر عن هذه الأداة بحرف مد ((ت)) في آخر
الاسم بالنسبة للآرامية ((وليس في اللغة السريانية أداة تعريف
ولكن المقتبع للغة السريانية يجد آثارا لها . وليس في اللغة
الآشورية ولا الحبشية أداة تعريف مطلقا) (1)

وبالنسبة للفعل ، فإن كل لغة من اللغات السامية تنبئ
 للمجهول ، وهو يقابل ما يوجد في العربية أي يضم أول المضارع
 ويفتح ما قبل آخره ، غير أن لكل لغة من هذه اللغات طريقته
 في بناء الفعل المتعدي إلى المجهول (1) ، وفي السريانية
 يزداد (ات) في أول الفعل الماضي الثلاثي الغائب ، و (نت)
 في أول الفعل المستقبل للغائب (2) ، ويرى بعض الدارسين
 أن اللغة السامية الأولى أو القديمة - على الأقل - حين رحل أصحابها
 إلى العراق (3) حدث في تركيبها تبدل في الجمل حيث أصبح
 الفعل في آخر الجملة ، مثل إحدى الجمل في ملحمة جلجامش
 - ارتعم ارضيتيم هشا تامور و قيبا ١٠ (قانون الأرض التسي
 رأيتهما ، قل) (4) .

وكما نعلم أننا نجتمع جمع المذكر السالم في العربية بواو
 ونون في حالة الرفع ، وبياء ونون في حالتي النصب والجر ، في حين

(1) الآداب السامية ص : 17

(2) ص : ٢٠٠

(3) هذا طبعاً بفرض أن المهد الأصلي للساميين خارج العراق .

(4) من الساميين إلى العرب ص : 26 - 29

أن نعر الجوع في العبرية يكون بزيادة يا * وميم
في آخر الاسم مع كسر ما قبل اليا * مذكرا (كاتيم) في (كاتون)
ووا * وثا * مؤنثا (كاتوت) في (كاتبات) ، بينما يكون
هذا الجمع في اللغتين السريانية والآرامية بزيادة يا * ونون مع
كسر ما قبل اليا * (1) .

وقد تشابه لغتان وتتقارب في بعض القواعد أكثر من
تشابههما في لغات سامية أخرى ، مثل ذلك أن قواعد اللغة
الفينيقية تشبه قواعد اللغة العبرية ، ففي كل منهما يكسر استعمال
((كان)) الماضي للمعبر عن الزمن الماضي التام (2) ، وهذا
لا يعني أن اللغتين تشابهان في كل شيء ، فهما إذا كانتا
تتفقان في الاصوات الساكنة أو الصوامت ، فإنهما تختلفان في الصوات
الطويلة (أو حروف العلة) ثم ((من الفروق الهامة بين اللغتين
أن اللغة الفينيقية لا تستعمل فيها الواو والقالية التي تقلب معنى الماضي
الى المستقبل ، والمستقبل الى الماضي ، بخلاف اللغة العبرية ، فإن
استعمال تلك الواو والقالية فيها كثير جدا) (3) .

(1) فقه اللغة ص : 21 د . وافي مع المقارنة ب : الآداب السامية ص : 17-18

(2) الآداب السامية ص : 40

(3) م . س . ع : ن . ص

ومن التراكيب الغربية في السريانية أنه يفصل أحيانا بالذال
 بين المضاف والمضاف إليه ، وهنا تصبح الذال علامة من علامات
 الإضافية فيها ، وبالنسبة لظاهرة المثنى فإنه لا يوجد فيها غير أن
 المنتسب للغة السريانية وتراكيبها يلاحظ فيها آثارا للمثنى (1) .

ب - في البنية المورفولوجية :

لقد لمحنا فيما سبق إلى أن الجذر الثلاثي يعتبر إحدى
 الميزات أو الخصائص العامة بين جميع اللغات السامية ، وتبعاً لهذا
 الجذر تصاغ جميع المعاني بتغيير الحركات والتشديد أو إزاحة
 حرف أو حروف في أول الكلمة أو في آخرها ، كما نجد في اللغة
 العربية ، وأشارنا إلى بعض الاختلافات بين العلماء في هذا الشأن ،
 إذ بينما أن هناك ميلاً عاماً إلى أن الحامية أقدم من السامية ،
 وأن الجذر في الأولى ثنائي ، فإن هناك ملاحظة بالمقابل بشأن
 ((الثلاثية ليست أصلية في السامية ، ومن ذلك الضمائر وأسماء
 الأشباه الحسية ، والتعبير عن الأفكار البدائية ، وبعض أسماء الجسد ،
 وأسماء القرابة ، والأفعال الأكثر استعمالاً ، وكل هذه تدل على أصل
 ثنائي ، وهذا فضلاً عن أن التحليل الدقيق قد أعاد العدد الكبير من
 من الكلمات الثلاثية إلى جذر ثنائي ، وأثبتت ذلك المقارنة مع الكلمات الحامية (((2)

(1) الآداب السامية ص : 60

(2) من السلميين إلى العرب ص : 20

لكن الرأي الغالب هو أن أصول الكلمات في اللغات السامية
ثلاثي أو ثلاثة سواكن ، وما عداها فهو زائد لغرض مورفولوجي ،
كما أن الحركات القصيرة أو الطويلة في بنية الكلمة فيها تعمل على
تغيير معنى هذه البنية ، ففي اللغة السريانية مثلا :
- قسرق : (يتسكين القاف وكسر الراء) : تعني قرب
- قرق (بفتح القاف وكسر الراء) : معناها : قرب أو ضحى
- اقرق (بوضع همزة وصل على الالف من فوق وتسكين القاف وكسر الراء)
تعني : حارب : ، قاتل ، والصفة قريق (بفتح القاف) : قريب ، مجاور
والاسم قربانا أي ضحية ، هدية أو ومنه : قراقا أي حرب أو موقعة .
والأمثلة على هذا غزيرة (1) .

وإذا كانت المشابهة بين العربية والبابلية أنعم ما تكون في
الحركات الالعربية التي لا توجد في سواهما من سائر اللغات السامية ،
فإن صيغ الافعال أيضا في البابلية أقرب إلى الصيغ العربية
منها إلى غيرها من سائر اللغات السامية (2) ، مما يدل على العلة
الساكنية والمورفولوجية المتميزة بطابع التشابه والتوثيق بين
هاتين اللغتين ، مما يوحي بتفاعل تاريخي ما أكثر أهمية .
ومن هذه المشابهة أيضا أن التنوين في البابلية

ميم ، وهوفي العربية نون ، وهما يتبادلان حتى العربية .

(1) الآداب السامية ص : 59 - 60

(2) تاريخ آداب العرب ج 1 / ص : 76

وحين نتكلم هنا عن صيغ الافعال فاننا غالبا ما نقصد فقط العلاقات بين أمهات اللغات السامية الثلاث ، وهي العربية ، العبرية ، والسريانية ، وفيما يخص البابلية أو الآشورية أو الكلدانية القديمة فقد عثروا فيها على اثنتي عشرة صيغة فعلية أكثرها موجود في اللغات الثلاث الأساسية أو الباقية أعلاه ، بينما بعض هذه الصيغ غير موجود في جميعها ، وهذه الصيغ هي : (1)

فعل	نفع	فاعل	شفعل
افتعل	افتعل	اتفعل	اتنفعل
افتاعل	افتنعل	استفعل	استنفعل

ان صيغتي افتنعل واستنعل لا توجدان الا في الآشورية ، وفعل وفاعل لا توجدان الا في هذه اللغة الى جانب العربية ، أما صيغتا نفع (بكسر النون) واتفعل فصمما يوجد في اللغتين : العبرية والسريانية دون العربية .

وأكثر الصيغ المهمة في العربية نجد ها مستعملة

في اللغتين الأخرين أي العبرية والسريانية .

وقبل أن نخرج على ذكر الأوزان لهذه الصيغ العديدة

التي تخص اللغات الثلاث الباقية ، فبودنا لونشير الى أن صيغة الاستقبال للغائب المذكور هي نون مكسورة في أول الفعل مثل :

(1) ينظر تاربخ آداب العرب ج 1 / ص : 31

- نقتول : أي سيقتل

- نعبد : أي سيفعل

- ندخل : أي سيخاف

وليس في هذه اللغة تضعيف (1) .

ويظهر أن كسر صيغة الاستقبال للغائب المذكور في السريانية

لا يتبع كثيرا عن ظاهرة كسر حروف المضارعة في بعض اللهجات

العربية الفصحى - كما سيجي* - بل نجد بعض الأئمة المشهورين

المتقدمين يقرأ في أحد القراءات بكسر هذا الحرف مثل يحيى

ابن وثاب (ت: 103 هـ) الذي قرأ ((نستعير)) بكسر

النون ، وقال فيها صاحب الابانة عن معاني القراءات :

((وهي لغة مشهورة حسنة)) (2) .

أما أوزان الأفعال في اللغات الثلاث فهو ^{فهي متقاربة} متقارباً من حيث

أومتوازن بين اللغتين العربية والسريانية متما بين هاتين

اللغتين والعبرية ، فهو يكثر بين هاتين ويقل بينهما وبين

العبرية .

وحين ننظر إلى هذه الصيغ لا ننظر في الوقت نفسه إلى الشكل

الظاهري أو التركيب الصوتي لهذه الصيغ ، لأن هذه المسألة

لها مبرراتها حتى على مستوى لغة واحدة فضلا على مستوى اللغات الثلاث .

(1) الآداب السامية ص : 60

(2) الابانة عن معاني القراءات ص : 70 مكي بن أبي طالب
(مكتبة نهضة مصر - الفجالة)

أما الأوزان الفعلية بين اللغات الثلاث فهي (1) :

المصرية	السريانية	العبرية
فعل	فعل	فعل
انفعل	أفعل (2)	فعل
افتعل	فعل	فعل
افعل	فاعل	هفعل
افعال	سفعل	هفعل
فعل	شفعل	نفعال
تفعل	فعل	هتفعل
فاعل	اتفعل	
تفاعل	اتفاعل	
استفعل	اتفعل	
افعوعل	اتفاعل	
افعوون	استفعل	
افعللى	استفعل	
اتفعل (3)		

(1) نقلنا هذا الجدول من تاريخ آداب العرب ج 1/ ص : 108

(2) كل الكسرات التي تكون على ((العين)) في هذه الصيغ يترك فيها الصوت أعور فلا تنطق إلا بالامالة .

(3) نلاحظ هنا الصيغ متباعدة بين اللغات الثلاث في الكم والنطق والشكل .

وإذا اعتبرنا الضمائر المنفصلة تدخل في سياق البنية المورفولوجية

فإنها تشكل المادة الأصلية والعريقة لهذه اللغات الثلاث : (1)

العبرية	السريانية	العبرية
أنا	أني	أنا
أنت	اتنه (2)	أنت
أنت	ات	انتني
هو	هوا	هو
هي	هيا	هي
نحن	انحنو	نحن
أنتم	اتم	انتقون
أنتم	اتن	انتين
هم	هم	هنون
هن	هن	هينين

ومثلما توجد اتفاقات توجد اختلافات ، كما أنه لا يمكن إلا حاطة ولو

من بعيد بكل ما يربط هذه اللغات السامية من علاقات مورفولوجية
أوبنيات لسانية أخرى ، ثم إن هناك لهجات ولغات سامية أخرى
لها اعتبارات لسانية وتاريخية وثقافية وإنسانية ، لا تقل أهمية
عن اللغات الثلاث السابقة ، من هذه اللغات اللهجة السامرية التي

(1) تاريخ آداب العرب ج 1/ ص : 82

(2) ينطق الحرف الذي توضع تحته كسرة بالامالة

هي خليط من العبرية والآرامية (1) .

ومن ذلك أيضا اللغة المعينية التي وجدوا فيها

علامة السين كضمير متصل للغائب ، حيث لم يلاحظ الدارسون وجودا لهذا الضمير الا في هذه اللغة والبابلية والحثية ، حتى ان البعض يزعم بأن هذه السين كضمير متصل لصيغة الغائب () ربما كانت دخيلة في الاصل السامي من اللغة الطورانية (2) .

ج - في البنية المعجمية ::

المعنا أكثر من مرة بأن هناك اشكالية قائمة حول الجذر الاصل أو الاساس في الساميات عما ، فمن قائلين بثنائيتها لما في هذه اللغات فعلا من كلمات ثنائية أو لما فيها من كلمات ثلاثية أمكن ردها الى جذور ثنائية فضلا عن كون الجذر الحاسي ثنائيا ، وأن اللغة الحامية أقدم من السامية عن الرغم من أن البحث في وحدة أصلها (الحامية) وتتبع فروعها ولهجاتها وقواعدها ليس بالامر الهين ، ومن قائلين بأن الجذر الثلاثي فيها يعد ظاهرا خاصا بين لغات الساميين قاطبة .

(1) الآداب السامية ص : 50

(2) تاريخ آداب العرب ج 1 / ص : 78

على أي حال سواء أكانت اللغات السامية ثلاثية الأصل أم ثنائيتها ، حتى وإن كنا نرجح أن طابعها العام هو الجذر الثلاثي ماعدا كلمات قليلة تعود إلى النطق البدائي الأول الخاص بالعائلة السامية الأم . فإن المعجم اللغوي لهذه اللغات هو مجموعة الجذور المختلفة والمضمنة دلالات متباينة تبعاً لما يضاف إلى إحدى هذه اللغات ، ومنها العربية ، من زوائد أولواحق ، وسع ذلك فإن مصطلح ((معجم)) يبقى دائماً من أغنى الأبحاث اللسانية قد بعها وحدثها ، لأنه إطار لغوي عام وشامل يصحب تحريته إلى عناصر أبحاثه وفق قواعد مستقلة جزئية ، زد على هذا أن الجذور المعجمية في اللغة الانسانية هي درجاة عريضة للزيادة التي على أساسها تتألف الكلمات في بنية خاصة من المعاني والعلاقات . وكسل لغة وبنيتها المعجمية ، ففي لغة كالفرنسية مثلاً ، فإن الزيادات على الجذور الأصلية فيها غالباً ما تضاف كلواحق لا كسوابق أو بوابدي ، وأن كلماتها مختلفة من حيث طولها وقصرها إلى حد بعيد ، حتى وإن كانت الألفاظ ذات المقطعين هي الغالبة فيها ، وفي لغة كالصينية فإن كثيراً من ألفاظها تتكون جذورها من مقطع واحد ، في حين أن اللغات السامية فيها عدد وافر (من الجذور المكونة من ثلاثة حروف سواء كن تضاف إليها الحروف المتحركة الزوائد لتتكون

منها الأصول ومشتقاتها (((1)

وليس من السهل متابعة المعجم اللغوي السامي المشترك هنا ، فهذا مطلب من قبيل الخيال ، لأن كلمة واحدة وبين لغات محصورة كاللغات الباقية منها تأخذ حيزا واسعا وخاصة ، فكلمة ((انبو)) مثلا - ((كانت تدل في اللغة السامية الأصلية على ((الثمر)) عموما ، وما زالت تدل على ذلك في اللغة الآشورية ، والآرامية ، أما في العبرانية فقد أدغت النون في الباء * وعوس عنها بالتشديد فصارت ((آبه)) بتشديد الباء * وعلا بقاعدة جارية في نحو ذلك باللغة العبرانية . ثم شقوا من هذه اللفظة فعلا فقالوا ((ابب)) بمعنى أنثر ، وأما فصي السريانية فقد أصاب هذه اللفظة نفس ما أصابها في العبرانية . صارت ((ابا)) وهي تدل عندهم على الفاكهة ، كالتين ، والبطيخ ، والزبيب ، واللوز ، والرمان ، . وأما في العربية ، فقد حدث نحو ذلك ، ولكن ((الأب)) صار عندهم للدلالة على الكلاء والمرعى أو ما أنبت الأرض ، وقالوا : ((الأب للبهائم كالفاكهة للناس)) (2) .

ومن أسماء العائلة لفظة ((الأب)) ، ففي العربية

هو : ((أب)) وفي البابلية - الآشورية : ((أبو)) وفي العبرية ((اب)) وفي

(1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 80

(2) اللغة العربية كائن حي ص : 52

السريانية (أبسا) وفي لغات جنوبي الجزيرة العربية (أب) (1).
والذي يعطينا هنا بوجه خاص هو الوقوف على المعجم النموذجي
الأولي بالنسبة لاشتراك العربية مع سائر اللغات السامية، لأن العلماء
في الميدان يفترضون أن مثل هذه الألفاظ وجدت أول ما وجدت في
اللغة السامية الأم، ولا نريد أن نتعسف أكثر ليراد كلمات يعتقد أنها
مشتركة كذلك بين السامية الأم والآرية مثل كلمة ((بعل)) التي يظن
أنها انتقلت من الآرية إلى اللغات السامية أو لعن الآريين نقلوه عن
الساميين، أو كان مشتركاً بين الجنسيتين معا قبل تفرق هؤلاء عن أولئك
إلى غير ذلك من الاحتمالات البعيدة (2).

ومن هذا المعجم النموذجي : (3)

- (1) بعض أسماء الإنسان : أناس ، ذكر ، أنثى ، أب ، أم ، ابن ، بنت ،
أخ ، بعل ، أمة ... الخ
- (2) بعض أسماء الحيوانات : نمر ، ذئب ، كلب ، خنزير ، ابل ، ثور ، حمار ،
نسر ، عقرب ، ذباب ، ... الخ
- (3) بعض أسماء النباتات : عنب ، ثوم ، قثاء ، كمون ، زرع ، سنبللة ... الخ
- (4) بعض أعضاء الجسم : رأس ، عين ، أذن ، أنف ، فم ، لسان ، سن ،

(1) مجلة : الاستاذ ص : 298-299

(2) راجع مثلاً : اللغة العربية كائن حي ص : 53

(3) اعتمدنا على توثيق هذه الكلمات من المرجع أعلاه ص : 54-55 هـ : 1

شعر ، يد ، كتب ، د م ، كبد ، كرس ، ... إلخ

(5) ومن أجزاء الكون والأرض : سما ، وكوكب ، وشمس ، وحقل ، ... إلخ

(6) ومن الأفعال : كان ، شام ، نشأ ، علا ، قدم ، قرب ، بكى ، صرخ ،

نفخ ، أخذ ، ذكر ، سأل ، ليس ، رعى ، سقى ، ذبح ، قال ، ... إلخ

وبجانب العديد من الألفاظ التي اشتركت العربية فيها مع كل

لغواتها الساميات والتي تدل دلالة واضحة على البيئة الأولية لهذه

الشعوب ، فهناك الأعداد التي تعد قاموسا مشتركا فيها ، وهي

من واحد إلى ألف وحتى وإن كان الساميون القدماء لم يعرفوا

للطيون كلمة (1) .

ومن هذه الأعداد من واحد إلى عشرة بين اللغات الثلاث (2) :

العربية	العبرية	السريانية
واحد	إحد	حد
اثنان	شنام	تريين (3)
ثلاثة	شلاشا	تلاتسا (4)
أربعة	أربما	أربما
خمسة	خشنا	خمشا (5)

(1) العربية عبر القرون ص 24

(2) ننقل هذه المقارنة من : فقه اللغة المقارن ص : 193 - 194
(د . إبراهيم السامرائي ، دأر المعلم للعلماء بين جيروت)

(3) في العامية الجزائرية (تنيس) وهي قريبة من النطق السرياني

(4) نفس النطق في العامية الجزائرية التي أعرف في منطقتي

(5) تلفظ في العليمية التي أعرف ((خشا)) بأعجام الخا السايني

ستة	شتا	إشتا
سبعة	شعنا	شبعنا
ثمانية	شمونا	تغينا (1)
تسعة	شعنا	تشمنا
عشرة	عسرا	عسرا

د - في البنية الدلالية :

إن البنية الدلالية لا تنفصل من حيث المرجعية اللسانية عن البنية المعجمية ، غير أن البحث فيها معا يقود الى الخلط والتداخل بين المنهجين ، الا أننا مع ذلك نعتري بعض القصور في هذه الدراسة لمتتبع هذا العمل ، لان هكنا ليست هي المقارنة في حيز ذاتها ولكن للوقوف على النتائج التي تحققت في هذا الحقل لمعرفة مدى ارتباط العربية وأخواتها الساميات في كل البنيات الطبيعية التي تشكل أية لغة انسانية ، كما أننا نعتري بقصور منهجي آخر يتجلى في تنظيم هذه العناصر وفصلها أو ربطها ، ومن هذا ما يتجلى لنا في كثير من العناصر الاساسية مستقلة كانت أم تابعة ، مثال ذلك :

(1) التضاد بين اللغات السامية .. قال أي عنصر يضاف ويبحث ؟

(1) الغريب أن هذه الكلمة تنطق عندنا تماما في العامية الجزائرية

(2) المتباين والمشارك والمترادف

(3) انتقال اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر مجازي

(4) اختلاف اللفظ الواحد باختلاف الأوضاع

(5) الثلاثية أو الثنائية نفسها : هل تتعلق بالحقل المعجمي أم الدلالي

أم بهما معاً ؟

وأقترح أن نبدأ من التساؤل الأخير الذي لمحنا إليه في كل

سورة ، لا ننا نجد ها أمنا تقريباً في كل نقطة أو على الأقل يتراعى لنا

هكذا .

مرح الدكتور وافي أن المعنى العام في اللغات السامية بصوتين

يتعلق بصوتين فقط ((أما الصوت الثالث فيحدد هذا المعنى العام

ويوجهه وجهات خاصة . فالمعنى العام المتفرقة مثلاً يؤدي في العربية

بصوتي : فر ، ويضاف إلى هذين الصوتين صوت ثالث يشار به إلى

نوع التفرقة والمادة التي حدثت فيها (فرى ، فرم ، فرص ، فرض ،

فرث ، فرج ، فرق ، فرز . الخ) . والمعنى العام للقطع يؤدي بصوتي

ق . ط (أر صوت شبيه بالطاء كالدال) ، ويضاف إلى هذين

الصوتين صوت ثالث يشار به إلى نوع القطع والمادة التي حدث

فيها (قطع ، قطف ، قطم ، قط ، قد . الخ) (1)

(1) فقه اللغة ص : 17 د . وافي

وحسب النص السابق أن البنية الدلالية العامة للجذر الفعلي في اللغات السامية تتم بصوتين فقط، وأما البنية الدلالية الخاصة بكل مدلول على حدة يتم بالصوت الإضافي الثالث .

ويذهب الدكتور إبراهيم السامرائي تقريبا نفس المذهب أو أو أبعد ((ونريد الآن أن نسلك مسلكا صعبا فنقرر أن الصورة الأولى للفعل العربي هو المضعف الماضي الثلاثي ، والقول في هذا يؤدي بنا إلى أن نقول من القائمين أن مبدأ الثلاثية في الأصل العربي مرحلة تكيلية وليست أولى ، ومن أجل هذا فلا بد أن تكون الأصول الثلاثية تمت بعد أن كان هناك مرحلة كان فيها الأصل ثنائيا ، ثم تطور هذا الثنائي إلى الثلاثي الذي صار ميوة من مزايا العربية واللغات السامية)) (1) .

ويؤيد السامرائي قوله بالاستدلال بحروف الجر في العربية وبعض هذه الحروف في لغات سامية أخرى ، ثم يستطرد قائلا :
 ((إن المعاني العربية تؤدي بحرفين صائتين فالكاف والنون في كسن تؤدي في العربية التخفي والاستتار فهي بمعنى جن التي استحاللت بالتضعيف إلى جن ، هذا في العربية ، وفي العبرية مادة ((كسن)) أيضا تؤدي المعنى نفسه ، وقد مثل ذلك في مادة در في اللغتين العربية والعبرية ، وكذلك مادة فر ، فهذه

الموارد تؤدّر المعاني وهي بحرفين ، وما الحرف الثالث الذي

لنقى به كسعا الالفية اكار الاثني وعيرورتها

على ثلاثة ، وهذه المرحلة الثلاثية متأخرة بالنسبة للأولى ، والأمد

بينهما واسع طويل ، ... أقول : ان هذا الثالث الطاري على

طريقة التضعيف زيادة في الكسعة وليبراً صل . (1)

وهكذا الالفية السه : أن مادة كسب الفعل المضاعف هي أصل

بالنتيجة في الفعل الآخر ، كان ، ومادة : جاب هي أصل

بالنتيجة منها في غاب ، وكذا مادة : جاب هي أصل للفعل

جاب ، ومادة : صر أصل صار ... الخ (2) .

والمطلح البسيط على هذه الأفعال ووظائفها مثل صار مثلاً ،

لا يأخذ العجب فقط بل قد تسو له نفسه أن ينفي تماماً النوعية

العلمية العقلانية لهذا الرأي البعيد كل البعد عن الحقيقة

اللسانية العامة للغة العربية التي تعد أنقى وأثري لغة سامية

بناقية ، فهذا الرأي نظرة تعسفية تعتبر اللغة العربية خصوصاً

والساميات منها عمومًا بريئة كل البراءة .

اننا لا ننكر أن تكون هذه الدلالة منوطة بالتعارض

بين صوتين مثلاً هو الحار بين الوجدتين الداليتين : ((سار))

و ((صار)) ولكن دلالة كل وحدة على حدة لا تكمن في الوحدة الصوتية

(12) م.س.ص : 196

(2) م.س.ص : 197

((م)) أ والوحدة الصوتية ((ص)) . . فكيف الحال بين وحدتين

داليتين مستقلتين : ((صر)) و ((صار)) ؟؟ .

ان وحدات الجر الثنائية التي يحاول البعض أن يمثل بها

كدليل على ثنائية الجذر السامي هي وحدات - كما نعلم - دالة

وظيفية ، أي تشير من خلال تركيبها السانتكسي الى وظيفة وحدة

دالة أخرى ، وهي ليست وحدات دالة مكثفة بذاتها حتى يمكن

للمعبر بها أن يتقوه بها كيفما اتفق أو يركبها في الجملة أو التركيب

في أي وضع خطي يشاء * (1)

ولسنا بحاجة الى التأكيد على أن هذه الوحدات من حروف

السبعاني غير مكثفة بذاتها ، والرسائل اللغوية العربية القديمة

وكذا كتب معاني الحروف وكتب الحروف . . . كلها تشهد على هذا

الاكتفاء غير الذاتي ، وفي الوقت نفسه على خلق وظيفة جديدة في

الوحدات الدالة التابعة ، ويكفي هنا أن نمثل بالباب الاول (اللامات)

من كتاب الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرمازي (ت : 384 هـ)

حيث نجد هـ يذكر أن للامات اثني عشر وجها : (2)

(1) لام الابتداء : لزيد خير منك

(2) لام القسم : والله لأتيناك

(1) مدخل الى اللسانيات ص : 81 وص : 103 - 104 رونالد الملواري

(ط : 1980 مطبعة جامعة دمشق)

(2) كتاب معاني الحروف ص : 141 - 143 الرمازي (دار نهضة مصر . القاهرة)

(3) لام الاضافة : لزيد مال

(4) لام التعريف : الرجل والفلان (وهذه تكون كذلك موصولة وعهدية رئيسية)

(5) لام الأمل : لها يلهم .

(6) ما يسمى باللام الزائدة :

لما أغفلت شكرك فاصطنعتني فكيف ومن عطاك جل مالي ؟

(7) لام الاستغاثة : يا بكر ، يا للرجال .

(8) لام الكناية : له ولهم ، حكمها الفتح ، وأصلها لام الاضافة

(9) لام كسي : كقوله تعالى : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) (1) أي كي يغفرك

(10) لام الجحود : كقوله عز وجل : (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ

عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ) (2) . لولا الجحد لم تجز اللام ههنا .

(11) وهن لام الاضافة لام العاقبة : كقوله جل شأنه : (فَالْتَقَطَهُ

أَلْ مِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) (3)

(12) لام الامر : كقوله جل عظمته : (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا) (4)

(1) سورة الفتح : آية : 2

(2) سورة آل عمران الآية : 179

(3) سورة القصص الآية : 8

(4) سورة الحج الآية : 28

اننا لو اخذنا الفكر اللساني عند الخليل بن أحمد بعين الاعتبار
من خلال التقلبات الصوتية الستة وحدها لا ستورنا في هذه المسألة
أيضا استنوار ، فالعلامة اللسانية - مبدئيا - هي اجتناب طيبة
لكنها غير مجزأة لانها عبارة عن كسل ما ينجم عن ترابط الدال بالمدلول
حسب وجهة نظرسوسور (1) ، ونحن حين ننظر الى الكلمات الثلاثية
المهملة من البنية الأصلية المستعملة لا نفكر فيها لحظة واحدة بانها
ثنائية .

ويبدو ان اللغة السامية الأم قد استفادت من دلالة أصلية
اشتقت منها دلالة ثنائية فرعية ، وهذه الدلالة الثنائية هي قبل كل
شيء دلالية نحوية كميز الجنس بين المذكر والمؤنث ، من ذلك ان
كلمة ((أخ)) تحولت الى ((أخت)) وأن كلمة ((ابن)) تحولت
الى ((بنت)) . . . الخ ، واذا كان سوسور يعتقد بأن فكرة ((أخت))
لا ترتبط بأي صلة داخلية مع تعاقب اصوات : أ . ح . ت (2) فان
الرجل معذور في ذلك ، لان كلمة ((SOEUR أخت)) فعلا لا علاقة
لها صوتيا ولا دلاليا بكلمة ((FRÈRE أخ)) .
وقد يقول قائل : ان هناك كلمات أخرى مثل ((ولد)) لا تقابل

(1) معاضرات في الالسنية العامة ص : 89 دي سوسور (دار نعمان للثقافة
بيروت)

(2) السابق ص : 90

((ولدة)) مثلا في اللغات السامية ومنها العربية ، فاننا نقول مرجحين بأن هذه الكسبة وأمثالها أخذت من الهنية الأصلية للفعل الماضي : ود . د أو من معناها العام ، خاصة وأن النظرية العربية تميل بقوة إلى أن الاسم أخذ من الفعل وليس العكس (1) .

هـ - في الهنية الصوتية :

مما هو ثابت أن كل لغة بشرية تمتلك عددا ضئيلا من الاصوات بالقياس إلى الكلمات والاشتقاقات التي تستعملها من نفس الاصوات ، وإذا هذا العدد لا يتجاوز خمسين صوتا كحد أقصى ولا يقل عن عشرين كحد أدنى (2) .

ومما لا شك فيه أيضا أن اختلاف المختصين في اللغات السامية يرجع إلى اختلافهم في قراءة النقوش واستنتاجها أكثر مما يعود إلى اختلاف هذه اللغات التي يفترض فيها أنها تتفق في كثير مما يعتقد أنها تتباين فيه ، لاننا ((لا نعرف عامة اللغات الكتابية ، وأما ما يخص لغتنا الأم نفسها ، فإن الوثيقة ماثلة دائما بين أيدينا . وإذا

(1) ليس من مهمتي هنا أن أخوض أكثر في هذا الجدل ، لكن من يعود إلى مصادر عربية أصيلة مثل : الإيضاح في علم النحو ص : 83-84 للزجاجي ، وكذلك : الانصاف في مسائل الخلاف ج 1/ ص : 6-16 للانساري ، ويقف على هذه الحقيقة ، ومذهب البصريين فيها أقوى من مذهب الكوفيين .

(2) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 77

ولا مقترنة، ولا دلالة على معنى من معاني الاسماء والافعال والحروف
الا أنها أمل تركيبها . (1)

اننا لا نعتبر هذا النص العربي الا صيل بعيدا عما أسماه اللساني
الفرنسي المعاصر أندري مارتيني بس ((التفصل المزدوج)) (2) .
وخاصة عند تحليل الكلام الى تقطيع مزدوج أي الى مونيمات أو
أصغر وحدة دالة والى فونيمات أو أصوات .

على أي حال ، ان النظريات التي ترجع العربية أصلاً اول
للساميات كلها ترتكز ، مما ترتكز اليه ، على الناحية الصوتية ، على أن
العربية احتفظت بكسل الاصوات الموجودة ((في أخواتها و زارات
عليها أصواتاً غير موجودة الا بها كالضاد مثلاً)) (3) .

وعندما استوطن الاكاديون ما بين النهرين جعلوا يكتبون بالخط
السماري السابق عليهم مكاناً وزماناً ، وعلاوة على مرور هذا الخط
بمرحلتين : ((مرحلة تصويرية كانت فيها العلامة تعني فكرة ، ومرحلة
صوتية كانت فيها العلامة تعني مقطعاً صوتياً من مقاطع الكلمة)) (4) ، فان

1 ((الايضاح في علم النحو ص : 54 الزجاجة (ط : 1959 مطبعة المدني - مصر)
والذي يتبع نص الزجاجة يزيد نفيًا لثنائية السامية بالاعتماد على حروف
المعاني مثلاً ، والتي تدل على دلالة في غيرها لا في نفسها .

2 ANDRÉ MARTINET (double articulation)

3 (3) المورد ص : 21 العدد الثالث . 1973

4 (4) الوجيز في فقه اللغة ص : 85 محمد الانطاكي

الخط المسماري لا تحتوي أبجديته الا على ثمانية عشر حرفا فقط، وهو
دون اللسان السامي أو البابلي القديم بكثير (1) .

ومن شمس لم يتمكن الساميون من تدوين النطق بالأحرف التي
لم تكن في نطق السومريين (2) ، وبذلك (3) ضعفت عندهم الحروف
(ع) و(غ) و(هـ) و(د) و(ذ) إلى أن زالت وزال الحرفان :
(ض) و(ز) وحل محلها حرف الصاد (ص) (3) .

فلا عن ذلك ، فإن أنظمة الكتابة السامية عموما مثل الفينيقية
والعبرية القديمة أو العربية تتمثل في كونها أنظمة صوتية ألفبائية ،
وهي تقوم على أساس الحروف الصامتة ، ويرد المطلعون هذه
الظاهرة إلى البنية الاعرابية للغات السامية (4) وبالواقع الخاص الذي
يستند إلى كون جذور الكلمات في هذه اللغات ، كانت مكرنة أصلا من
الحروف الساكنة ، وأما الحروف المصوتة فإن حركتها تتغير لتعطي
استقلقات مختلفة صرفية وزحوية ... وفي العصور الوسيطة ، قيس لنظام
الكتابة العربية أن ينشر ... غير أن نظام الكتابة العربية القائم على
تدوين الاصوات الساكنة فقط ، والموافق للبنية الاعرابية ، والبنية الصوتية

(1) السابق ص : 35

(2) حروف الخط المسماري هي : ا . ب . ج . د . هـ . ز . ح . ط . ك . ل . م . ن . س . ص . ق .
ر . ش . ث . زس هنا ندرك المعنوية للملاحة بين الرسم المسماري والنطق السامي

(3) من الساميين إلى العرب ص : 26

لغة العربية، أسفر عن كونه غريباً لا يتلاءم مع لغات الشعوب التركية،
والإيرانية، والقوقازية وغيرها، ما ينتمي إلى أسر لغوية غير سامية)) (1)
كسأ أن سوحور لا حظ تغير السلاطة حيث أن الساميين لم يسجلوا إلا
الصوامت (2) ، وحين ينظر شعب لا قترار الفاء " شعب آخر ، فإنه
() ما يحدث أن السكان هذه المنظومة لا تتناسب ووظيفتها الجديدة،
الامر الذي يدعو إلى التذرع بذرائع مختلفة لحل المشكلة)) (3) .
وعلى الرغم من أن اللغتين العبرية والفينيقية لهجتان للغة واحدة،
وأصل واحد (4) ، وعلى الرغم من أنهما تتفقان في الحروف الصحيحة
الأنهما تختلفان في الصوائت أو حروف العلة ، فلا لغة الفينيقية فرداً اجنية
مثلاً ، من الصعب شرح تماثلها لكثرة ما فيها من ليس وغمز لا ن حروف
العلة لا تستعمل فيها إلا نادراً (5) .
عموماً ، فإن أهمية الاصوات الساكنة في الدلالة والنطق سرت إلى
الرسم نفسه () فأهم ما يعني الرسم السامي بإظهاره هو الاصوات الساكنة ،

(1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 65-66

(2) محاضرات في اللسانية العامة ص : 56

(3) م.س.ص : 44

(4) الآداب السامية ص : 10

(5) م.س.ص : 30

أما الاصوات اللينة فيغفل بعضها اغفالا تاما ويشير السمي
بعضها بالشكل ، ويرسم بعضها رسما مضطربا غير دقيق . وهذا
في الرسم الحديث ، أما الاشكال القديمة للرسم السامي فكانت
تغفل جميع أصوات اللين (1) (2)

ومن باب الانصاف العلمي أن نذيل هذه الدراسة بأن
نقول : ان العرب القدماء قد أدركوا عن وعي وعميق هذه الاشكالية التي
تتعالى شكاواها من الشر والفر ، ومن هؤلاء ابن درستويه (ت : 347 هـ)
الذي قال : ((اعلم أن الكتاب ربما يكتبون الكلمة على لفظها وعلى معناها
ويحذفون منها ما هو فيها ويشتون فيها ما ليس منها ويدلون الحرف من
الحرف ويصلون الكلمة بأخرى لا تتصل بها ويفصلون بين أ. مثاليها
ويختزلون عامة ضرر الحروف اكتفا بالطاغية منها ولا ينقظون ولا
يشكلون الا ما ليس) (2) .

ان قراءتنا لكتاب ابن درستويه تحيلنا على معلومات تاريخية
مهمة قد تساعدنا حتى على قراءة بعض النقوش العربية القديمة ، من ذلك
ما يحكيه أن العرب تنطق وتكتب : (بنو فلان علماء) (3) أن
على الماء ، وقال قطري بن الفجاءة : (4)

غداة طغت عالماء بكرس وائل وعاجت صدور الخيل نحو تميم

(1) نفسه اللغة ص : 20 د . واقسي
(2) كتاب الكتاب ص : 16 ابن درستويه (ط : 1977 دار الكتب - الكويت)

(3) م . ص : 49

(4) م . ص : ص . ع

ليستصور أحداً وهو يقرأ لأول وهلة هذا النص إذا كان نقشا ،
فانه يجد نفسه أمام تركيب واحد مكتوب برسمين مختلفين فضلا عن
الرسم الثالث العادي المؤلف في كتابتنا الحديثة .

كذلك وصلهم ((ويلمه)) ويسريدون : وي لأمه ،
وقال امرؤ القيس : (1)

ويلمها في هوا * الجوطالبة ولا كهذا الذي في الارض مطلوب
كذلك الحذف الشائع الموروث عن الرسم السامي القديم والخط
العربي الانتقالي ، كما هو الحال في كلمات عديدة :

هأنا ذا ، ذاك في قيسون من مد وفتح وهاتم ، ههنا ، السموات ،
وحذفوا كذلك من الرسم ((الالف من الملائكة (الملائكة) بعد اللام لأنها
جمع .. وفي آخرها تأنيث وكتر استعظمها ، وكذلك ((سلم بهليك)) ..
وما أجري هذا المجري من أسسا * الايام : الثلاثا *)) (2) .

ثم لنأمل هذه الكلمات : الصلوة ، الزكوة ، الحياة ..
وما جاء على نحوها في الرسم القديم ، مع أنها بمنزلة الفلاة واللهاة
والقطاة والسراة .. كيف نقرأها لو وجدناها على نقن سامي أو عربي
قديم ؟ .

(1) م. س. س. : 52

(2) م. س. س. : 72 - 73

أما بالنسبة لعدد الحروف وهيئتها واختلاف صورها ، فإن ابن درستويه يقول : ((اعلم أن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً مختلفة الألفاظ ، وصورها ثمانية عشرة صورة لتشابه صورة الحرفين منها والثلاثة كالباء والتاء والثاء ، وكذلك الذا والذال ، والزاى ، ونحو ذلك ، ولولا التشابه لكانت لكل حرف منها صورة ، وقد تؤول هذه الثمانية عشرة صورة إلى خمس عشرة صورة أيضاً في الاتصال لتشابه صورة القاف والتاء المتصلتين إذا ابتدئتا أو توسطتا ، وتشابه اليا والنون والباء والتاء والثاء المتصلات إذا ابتدئتا أو توسطتا ، ومن الحروف ماله صورتان ، وأكثر ، ...)) (1) .

ومع ذلك وملفت الى الانتباه في هذا النص أن صور الحروف
ثمانية عشرة صورة، وألحنا فيما سبق الى أن الرسم المسماري الذي
اتخذته اللغة السامية القديمة خطا لها فيما بين النهرين يحتوي على
نفس الصور : ما هذه الصدفة الغريبة ؟

ونريد أن ننسب إليه أن الاختلاف في تركيب البنية
الصوتية على المستوى الفونولوجي متباين ، لكن هذا التباين ليس خطرا
على المعنى ، والدلالة ، فكلمتا : نفس في العربية ، ونفس في العبرية لهما نفس
البنية الفونولوجية : (ثلاثة صوامت صرصر) وكلمة (أبو) في البابلية
الاشورية و (أبا) في السريانية لهما نفس البنية أيضا (صامتان + صامت)

ولعل أهم شيء لا حظناه من خلال استعراضنا للعربية
 على ضوء أخواتها الساميات المختلفة هو ظاهرة الأعراب الذي يعد
 ظاهرة بنيوية قد يمتد في العربية وأختها الأكادية على الشكل الثلاثي
 الذي بقي طالما ظاهرا في نصوص العربية الموروثة خطأ ونطقا .
 ولاحظنا أن جل آراء العلماء من تعمقوا العلاقات اللغوية
 العربية السامية على ضوء مستوياتها المختلفة تبيل بعكس أو بآخر
 نحو تأصيل العربية كلفة أم لباقي الساميات الأخريات لعدة عوامل
 أتينا على ذكرها ، لكن الدلائل التاريخية والجغرافية والانتروبولوجية
 وخاصة اللسانية لم تتوفر بعد لتأكيد هذه الدعوى بصفة قطعية
 مثلما تأكد الغربيون شهلا بأن السنسكريتية أصل للغات الهندية .
 الأوربية ، وحتى الآن لا يهكر القول قطعا بأن العربية ((هي اللغة
 السامية الأم نفسها ، وليس كما قال العلماء هي أقرب الساميات إلى
 اللغة السامية الأم ، ونظن أيضا بأن باقي الساميات هي لهجات
 أولغيات ناقصة النمو متفرعة عن اللغة العربية)) (1) .
 إن الحكم الأعلى حكم غير قطعي ، وهو أقرب إلى ذاتية موصدة
 منه إلى موضوعية شفافة ، زد على ذلك أن هذا الحكم صادر عن رجل مختص
 في التركيب للغة العربية الفصحى ، ثم لا يمكن ضرب آراء العلماء المختصين

(1) ظاهرة الأعراب في النحو العربي ص : 4 د . أحمد سليمان ياقوت
 (ط : 1983 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر)

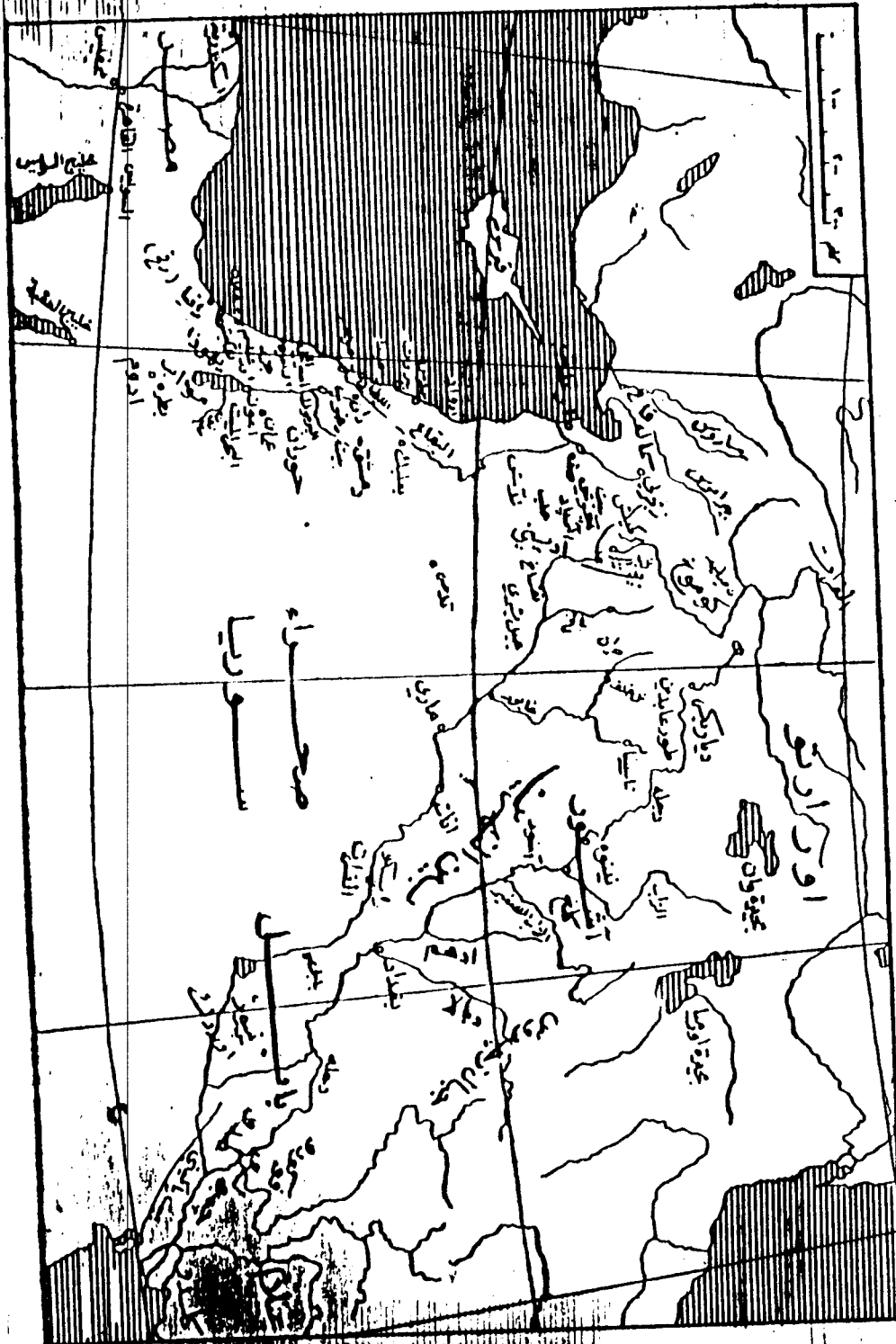
عرض الحائط هـ ثم ان من يتتبع التراث السامي في جميع بنياتسه
اللسانية لايجرؤ على تسمية احدى هذه اللغات السامية ((لغوية)) .
يسل من يرجع الى بحث واحد وميدان واحد كالتضاد في اللغات
السامية (1) يخرج من اطلاق عام مثل هذا .

والشيء الآخر أن هذه اللغات تعتمد معجما في الأغلب
الأعم من أجل التعبير عن بنية دلالية ومورفولوجية على جذر
ثلاثي ، وأما الظاهرة الثنائية غير المستبعدة فيها بشكل قطعي
فهي أيضا ظاهرة يوروشة عن الحامية التي يعدها العلماء أقدم
من شقيقتها السامية ، وأما لاًنها ظاهرة طبيعية تشمل النطق المشترك
الأول وألبدائي لهاتين اللغتين معا ، وذلك قبل تباهين الأسرتين
الأختين ، ذلك التباهين الذي لا يعرف عنه أحد حتى الآن شيئا كثيرا .
وفي نهاية هذا العمل نريد أن نذيله ببعض البيانات من

السوحيات والخرائط لعلها تزيد هذه المسألة من الناحية
الفضائية والجغرافية والتاريخية والنسبية شيئا من التحديد
والوضوح في بعض القضايا - ان لم أقدر في كثير من القضايا (2) -
التي لا تزال شائكة ومعقدة في كل المستويات تقريبا ، لان الحديث
عن الظاهرة العلبسة لا يعني الحديث عنها بالضرورة لتقديمها بقدر ما
قد يعني كذلك قراءة معينة في الظاهرة الغامضة نفسها .

- (1) مثل هذا البحث الميداني المقارن ((التضاد في اللغات السامية))
للدكتور ريجي كمال (ط : 1975 دار النهضة العربية - بيروت)
- (2) سبق أن ألفتنا في ص : 183 من هذا الفصل ان أن الهدف من
هذا العمل ليست المقارنة في حد ذاتها ، لكن الوقوف على النتائج .

(الخريطة رقم : 2)



نقلنا هذه الخريطة من كتاب :
من الساميين الى العرب ص 8



(اسو حة رقم : 3)

اعتمد نا في نقل هذه الخريطة على كتاب :
العرب قبل الاسلام ص : 58 الاستاذ جرحي زيدان

ان هذا التفسير أدناه نقشت ^٢رامسي مكتوب بالحروف
الفينيقية في الوسط ، وعربت في العود الاول ، وترجمت في
العود الثالث ، وهي موجودة في ستة مستطيلات ، ونلاحظ أن
المستطيل الثاني فيه ((بار)) وهي ابن في العربية والعبرية معا .

ك ل م و	٧ ٦ ٧ ٧	ك م و
ب ر ح ي	٧ ٧ ٧ ٧	ب ر ح ي
ل ر ك ب ا ل	٧ ٧ ٧ ٧	ل ر ك ب ا ل
ي ت ن ل ه ر	٧ ٧ ٧ ٧	ي ت ن ل ه ر
ك ب ا ل	٧ ٧ ٧ ٧	ك ب ا ل
ا ر ك ح ي	٧ ٧ ٧ ٧	ا ر ك ح ي

(الوحدة رقم : 4)

اعتمدنا في نقل هذا الجدول على كتاب :

من الساميين الى العرب س : 115

اننا نعتقد ان اثبات هذا النص السرياني توسيعا للمقارنة وزيادة في
 الفائدة ، لان هذا النص مازال مستعملا الى اليوم في كنائس لبنانية .
 الا أنها لم تحافظ على أصالتها ، كاللغة العبرية ، حيث دخلت فيها
 ألفاظ عربية كثيرة ، ولا عجب في هذا ، وكلمات أخرى تركية وكردية .
 النص السرياني

ܡܠܟܡ ܚܡܠܐ ܐܚܐ ܡܠܚܡܬܐ ܡܡܬܐ
 ܡܫܬܩܡܐ ܡܡܬܐ ܚܡܠܐ ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ
 ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ
 ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ ܡܡܬܐ

النطق

- ١ - شليم ehlem بشتت ألف وثلاثا quatlmoto وشبع
- ٢ - وخشين دموران بيوميه يوحنا فطيركا fatrlaro دانتوقيا
d'Antioquia
- ٣ - ودطورا quadttouro لبننويا lebnonofo وسفري يما وديوحنوت
أفيسقوفا afiscofo دقوفروس d'Koufros
- ١ - كل بسنة الف وثلاثئة وسبعة
- ٢ - وخشين للرب بعهد يوحنا بطيركا انطاكية
- ٣ - وجبل لبنان وشطوط البحر وليوحنا
أسقف قبرس

(لوحة رقم : 5)

اعتمد في نقل هذه اللوحة أعلاه على مرجع :

من الساميين العرب ص : 92

الباب الثالث : التراكيب اللسانية في اللهجات العربية البائدة

المفصّل الأول : فني البنية الساتتكتسية
 ان المقصود بهذه اللهجات القديمة هي أربع لهجات :
 ثلاث منها كتبت بالخط العربي الجنوبي أي السند ، وهي :

(1) اللهجة النمرية

(2) اللهجة اللحيانية

(3) اللهجة الصفوية

وأما اللهجة الرابعة فهي اللهجة النبطية ، والتي كتبت بسا لخط
 الآرامي ، ونعتقد مكرهين على تتبع هذه التراكيب بواسطة
 بعض النقوش التي لا تعطينا صورة واضحة بشكل نهائي حول هذه
كل البنى التي كانت تتميز بها ، ولا سيما البنية الصوتية التي يستحيل
 على أحد من فيهم الختصون أن يلقوا عليها بشكل علمي مرضي .
 والسبب في ذلك واضح لدى الدارسين والمهتمين ، أي أن
 () وجود اللغة كظاهرة صوتية منطوقة شيء وتدون اللغة في
 صورة مكتوبة شيء آخر ، . . . ورغم أننا نسلم أن استخراج حقائق
 لغوية من النقوش المدونة عمل عكسي ، فالأصل هو الصورة المنطوقة
 لا المنقوشة ، إلا أننا مضطرون لهذا في الدراسة التاريخية للغة ، فليس
 أمامنا إلا هذه النقوش . . . هي مصدرنا في التعرف على أقدم مظاهر العربية () (1)

وكم كان فرديناند دي سوسور صادقا حين أشار بأن الكتابة
تخجب الرؤية عن اللغة ، وأنها - أي الكتابة - (ليست شوبا
ببل قناع تنكزي . اننا نرى ذلك بوضوح في كتابة كلمة
() OLEHU (عصفور) الفرنسية ، اذ لا علاقة خاصة تشل أي
صوت من أصوات هذه الكلمة المحكية PHILÉ ، ولا شيء أخيرا
يبقى من صورة اللغة () (1) . ولذا فان الحل الجذري للوقوف
على نقص ليس هو فك الرموز بطريقة عشوائية أو فرضية بل تتبع
تاريخ الكلمة كيف كانت تشتق وتنطق ، وبما أن الشق الثاني متعذر بل
مستحيل ، فانه لا يبقى أمامنا الا الشق الأول ، وهذا بدوره لا يقدم لنا
حلا نهائيا لأن الاسر هنا يتعلق بلغة محكية مجهولة النطق عن طريق
الملاحظة المباشرة ، وهكذا نجد أنفسنا ندور في حلقة واحدة مغلقة
تتجلى في كيفية البحث عن لفظ كل حرف لا صوت في اللغة
المرسومة . أما في أحد النقوش القديمة غير المستقرة لغة ولا رسما .
ويرى سوسور أن تحديد أصوات سلسلة كلامية لا يظلم
أزيد بالانطباع السمعي ، لكن حين نريد أن نقدم على وصف هذه
الاصوات من السلسلة الكلامية فان الامر يختلف تماما () وطمة ذلك أن
الوصف لا يمكن له أن يقوم الا على أصل الفعل النطقي ، بفعل

(1) محاصرات في اللفظية العامة ص : 44

أن الوحدات السمعية مأخوذة من سلسلتها الخاصة غير قابلة
للتحليل ، إذ يجب الرجوع الى سلسلة حركات النطق ، وعندئذ
نلاحظ أن الصوت نفسه يقابل الفعل نفسه :

ب (زمن سمعي) = ب (زمن نطقي) .

إن الوحدات التي نحصل عليها بتجزئة السلسلة الكلامية تتألف
من ب و ب ، عند عوها الصوتيات (1) Phonologique. فالموتيم
إذ ن هو مجموعة الانطباعات السمعية والحركات النطقية للوحدتين
الكلامية ، والمجموعة اللتين تشترط احدهما الآخر (2) .

إن النغوس التي تمثل هذه اللهجات العربية البائدة (3)
وصلتنا مبعثرة ومتضاربة ، وهي كما أشرنا دونت بالخط المسند المشتق
على الأرحح من الرسم الكنعاني (4) ، لكنه مضطرب في كتابته ، والمعروف
عنه أعلا أنه يكتب من اليمين الى الشمال ، لكنه غير ثابت على هذه
الطريقة ، لأنه قد يكتب أيضا في سطره الأول من اليمين الى الشمال
وفي سطره الثاني من الشمال الى اليمين . . وهكذا دواليك ، وجاء غلا
من الصوائت القصيرة وحتى الطويلة كشأن الرسوم السامية القديمة ،

((وتجرد هذا الرسم من حروف المد يجعل قراءة كل كلمة محتملة لعدة وجوه)) (5)

(1) كتابة هذا المصطلح هو احترام للترجمة فقط ، لكننا لا نتفق معه بهذا الشكل .

(2) محاضرات في اللسانية العامة ص : 56 = 57

(3) نشير مرة أخرى الى أن البائدة عندنا لا تعني الفناء تلاما ، ولكننا نقلها

للتمييز بين اللغة التي وصلتنا مروية وهي هذه الفصحى وبين هذه اللهجات .

(4) فقه اللغة ص : 78 د . رافسي

(5) م . س . ص : 79

ومما ظهر للدكتور علي عبدالواحد وافي من خلال نقوش هذه
 اللهجات الثلاث أن المتكلمين بها ((كما نرا في عزلة عن عرب نجد
 والحجاز ، وأنهم فقدوا كثيرا من مقوماتهم العصرية ، وصنفوا
 بالحضارة الآرامية والنبطية ، حتى أنهم لم يؤرخون نقوشهم بحرب
 النبط و تاريخ بصرى وحرب الفرس والروم)) (1) .

إن النصر أعلاه ليس لما حبه ما يقوم له دليلا عليه ،
 بالنسبة للتأريخ فلا يزال العرب حتى اليوم يؤرخون بميلاد السيد
 المسيح ، ولا سيما في الادارات العثمانية ، وفي أحسن الحالات يقابل
 التاريخ الميلادي بالتاريخ الهجري من العرب المسلمين ، وبعض البلدان
 العربية استحدثت تاريخا ثالثا مخالفا تماما لما عليه العرب والمسلمون ،
 وأما بالنسبة للعزلة فإن في المسألة كذلك نظرا إذا نظرنا إلى الحيز
 الجغرافي أو الفضاوي المترامي الأطراف الذي وجدت فيه هذه النقوش
 هنا وهناك ، فإذا أخذنا نقر في شؤدها كانت كافية لبطلان صاحب
 المصنف أعلاه ، لأن هذه النقوش (الشمودية) وجدت (في الجوف
 وحائل ونواحيها ، وعلى طريق حائل إلى تبوك ، ومنها إلى العلا
 عن طريق الحجر ، وفي مدائن صالح ، وجنوبا في الطائف ، وعلى درب
 الحن . وفي الشمال تبوك ونواحيها ثم في جبل رقيم قرب العقبية) (2)

(1) فقه اللغة ص : ٢٠

(2) من الناحيتين إلى الصحراء ص : 160

ووجدت نصوص شمودية في أماكن أخرى مثل قادش بيلار
 أروم ، وأم الراس في الأردن ، وفي نواحي النخشا ، وجنوب شبه
 جزيرة العرب ، بل وحتى في مصر إلى جانب نص واحد على الأقل
 في سيناء (1) . ومنذ وقت ليس بالبعيد عثر أحد مدبري المعهد
 الفرنسي للأشياء في بيروت على جمل يحمل نقشا شموديا (2) . . .
 أين هذه العزلة التي ذكرها الدكتور رافى ؟
 أما استنطاو هذه النصوص الشمودية فقد قرأها المستشرقون
 اعتادا على الأجدية اليمنية أو السبئية المعروفة في جنوب شبه
 الجزيرة العربية ، واستنتجوا بالتقريب تاريخ هذه النقوش بين القرنين
 السادس والخامس قبل الميلاد (3) .
 يرى الدارسون أن العربية (، البائدة) تمتاز عن العربية
 الباقية بشدة تأثرها باللغة الآرامية ، وعلى هذا ، فإن النقوش
 التي وصلتنا عنها قسما : قسم شديد التأثر بالآرامية ،
 وقسم أقل تأثرا بها ، وهو أقرب إلى العربية الباقية (4) .
 ويظهرا أن القسم المتأثر منهما بالآرامية لا يعني الا شيئا واحدا ،
 وهوان المتكلمين بهذا القسم انفصلوا بعد انفصال القسم المتأثر

(1) م.س. : ن.ص.

(2) م.س. : ص.ع

(3) م.س. : ص. : 160 - 161

(4) فقه الفلسفة ص : 99 د. رافى

بالعربية الباقية هـ أولاً أن أصحابه قد ظلوا متسكين
 بهذه اللهجة منظوسين ط. أنفسهم في منطقتهم من غير اتصال
 بمن انفصلوا قلوبهم وطوروا لهجتهم التي أضحت فيما بعد لغة
 الخطابة والشعر والحديث الفصيح ثم لغة القرآن الكريم .
 والتقارب بين هذه اللهجات الثلاث واللهجة العربية
 الجنوبية أو اليمنية القديمة له ما يبرره من الناحية الصوتية ط
 الأقل هـ حيث جاءت مدونة بالسند هـ في الوقت الذي جاءت نقوش
 العربية الباقية بالخط النبطي المتطور عن الخط الآرامي
 ((طى أوجى الأقوان والآثار)) (1) .

ثم ان غور العلماء طى هذه النقوش الثلاثة مدونة في الشمال
 بالخط العربي الجنوبي لا يجعلنا نرتاب في صلة ((البائدة))
 بالباقية أدنى ارتباط هـ لان ابجدية السند نفسها تتألف
 من تسعة وخمسين رمزاً للأصوات العربية هـ وهي تشمل الحروف
 العربية في الباقية بزيادة صوت واحد ((بين السين والشين
 طى ما يسد)) (2) .

ويقول الدكتور شوقي ضيف : ((وهذه النقوش مع أنها كتبت بالخط

السند الجنوبي نقوش للعرب الشماليين هـ فاللغة التي تعبر عنها عربية شمالية (3)

(1) قصة الكتابة العربية ص : 14-15 هـ ابراهيم جمعة (ط : 2 / دار المعارف مصر)

(2) تاريخ اليمن القديم ص : 201 محمد عبد القادر باقرية (ط : 73 و 1 مطبعة الحرية بروت)

(3) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي ص : 112

رأينا أن نترك هذه الدراسة التركيبية لهذه اللهجات
الثلث لكونها تشترك اشتراكا كبيرا في عدد من خصائصها اللسانية
العامة مع الإشارة إلى ما قد تتفارق فيه في أحد العناصر
ولكننا نردنا عن هذه الرؤية لسبب منهجي أو خوفا من عدم
التحكم في ظاهرة التقاطع من جهة والتهيبات أو التوازي أحيانا
من جهة ثانية .

مما يدان، اللهجة الشمرية الصماء بدور الهائدة ((عادة
من العربية الباقية صيغة الثننى، هذه الصيغة ظاهرة
لسانية وجدت في اللغات السامية، وأكما قال الدكتور إبراهيم
السامرائى: ((نستطيع أن نقرر أن الثنية ظاهرة سامية أو
قبل عربية قبل كلدانية (1) ، وهي لم تسبغ بشكل واضح
إلا في العربية من اللغات السامية، فهي زالت تماما من اللغتين
البريانية والآرامية، بصح كلمات لا تتعدى الخمس (2) .

وأما اللهجات السامية الأخرى كالآرامية الانجيلي فان
 التثنية مقصورة على أعضاء الجسم المزوجة كما في (يدان) و (رجلاين) -
 أي علامة التثنية «سا» ونون فقط ، ونفس الحال في البابلية أي لا

١) فقه اللغة المقارن ص : 75

(2) م.م.س.س : 7

يقصر فيها الا على اعضاء الجسم المزدوجة (ولا يوجد الشئ في
الحشية الا في بقايا متعجرة والعلامة () كما في عسرا ومعناها
عشرون ، وفي العبرية يستعمل الشئ في اعضاء الجسم المزدوجة
وفي الادوات التسي تتألف من شقين كسالمقص والميزان مشسل
((يدايم)) ، وكلمات دلت على الجمع وجاءت على صيغة الشئ (شمايم)
سموات و (مايم) مياه ، وتوجد فيها كلمات دلت على المفرد وهي بصيغة
الشئ كما في (صهورايم) أي الظهيرة . وعلامة التثنية في العبرية
بما ، وميم مفتوح ما قبلهما ((1) .

ان وجود صيغة الشئ في الشودية لدليل على تقاطعها مع
العربية الباقية ، ولذلك كنا اشرنا الى عدم استيساغنا جوهريسا
لكلمة ((بائدة)) ، ان لم لا تكون هذه الصيغة هي نفسها التي
ورثتها الفصحى المتأخرة عن اللهجات العربية الا قد م منها ؟ لانه
لا توجد الا صيغة واحدة عامة ، اما اشكالها الدالة على التوسع
الفضائي من متكلميها فهي لا تقوم دليلا مانعا من كونها ذات شكل
لساني يكاد يكون عاما بين المتكلمين العرب القداماء (2) .

(1) م.س. ص : 80

(2) سنعود الى مسألة الشئ بشيء من التفصيل حين سنتحدث عن هذه
البنية من خلال تناولنا اللهجات العربية في العربية الباقية .

والى جانب صيغة المثنى توجد عند هم صيغة الجمع .

وحروف الجر مثل اللام والباء والى ولى وفسى ومن وحرف

العطف (الزا) (1) «تستخدم نفس أسما» الاشارة والاسما»

الموصولة ، ولعل أهم خاصة توجد فيها هي الاعراب وهو ظاهرة

لسم توجد في غير العربية الباقية والبالية الحورابية اذ ا

اثنتين كـ «أنا» منها في كل من لغة بطرا وتدمر (2) .

وتتفق اللهجات الثلاث مع العبريين في استخدام أداة

التعريف «أنا» . فسي حين تستعمل النبطية هذه الأداة (ال)

مثل العربية الباقية ، وفي هذا يقول الدكتور شوقي ضيف :

(ومن هنا يصح أن نألق على الأريمن اسم أصحاب

لهجات الباء) (3) . وهذا القول عندنا غير مستساغ ، اذ

لا يمكن تسمية لغة الألفات بظاهرة جزئية ، لان هناك بعض

اللهجات الاخرى كالسريانية مثلا فقدت أداة تعريفها الضميمة

كانت (آ) في آخسر الاسم (3) ، ثم ان المنقيمين قد

عسروا على خطوط فيما بين دمشق والعسلي () وهي من رسم

الرعاة خطوها على الصخور ومن أغرب ما في عربيتها أن أداة التعريف

فيها بالباء ((. . .) (4) .

(1) اللغة العربية عبر القرون ص : 30 مقارنة بتاريخ الادب العربي ص : 112

(2) العرب قبل الاسلام ص : 54

(3) راجع ص . 169 من هذا البحث

(4) تاريخ الادب العرب ج : 1 / ص : 85

وفسيما بدا للدكتور فهد حجازي أن الجماعات السامية القديمة لم تكن تعرف أداة للتعريف ((فطورت كل لغة سامية وسائلها الخاصة بها للتعريف)) (1) ، وأجدد بهذا التحليل أن يكون منطقيا ، لأن هذه الاداة متنوعة في الساميات ولهجات أخرى بصورة تدعو الى الالتفات ثم ان البنية السانتكسية لا يفترض فيها أن تتعدد الا اذا تعدد النظام القاعدي فيها من متكلمين متباينين لعوامل خارجية ، أما البنية الداخلية للغة فمن المفروض أن تكون ذات نسق واحد ، اذ لا يمكن للمفعول في العربية مثلا أن يكون تارة منصوبا وأخرى مرفوعا ، واذا ما ما وردت بعد البنى السانتكسية مستظهرة في أكثر من نسق واحد ، وهذا أمر وارد أحيانا ، فان الأمر لا يعود الى هذه البنى في ذاتها التي يفترض فيها أن تكون منتظمة حتى لا تصير اللغة تراكيب فوضوية ، بسل الى الطاقة اللسانية لكل لغة من اللغات الانسانية ، وهنا تتفاوت وتتقارب الانظمة اللسانية

أما البنية البانتكسية في اللهجة اللحيانية التي يدرجها الباحثون في اللهجات العربية المبكرة فاداة التعريف كما صرنا فيها هي الهاء ، لكنهم قصد يشذون عن هذه القاعدة

(1) راجع اللغة العربية عبر القرون ص : 31 - 32

فيصرفون بأل أو باللام على شاكلة العربية الجاهلية ،
وربما جمعوا بين العنصرين في تركيب واحد مثل :

هلحسمى = بمعنى : الحسمى (1)

ومن أسماء الموصولة من وما الموجودان في العربية

الباقية السجائب ((ذو)) الطائفة ، ويستنتج الدكتور

شوقي ضيف وهو يقارن بين اللغات السامية على أن الاسم الموصول

((ذو)) عند الطائيين بهذا الشكل يعني أن الأسماء الموصولة

كانت في الأصل أسماء إشارة (2) .

وإذا اعتبرنا البقايا المهيبة في العربية الباقية ما هو إلا

امتداد أو ارتطام طبيعي . وهذا ما نعتقد غالباً . واللهجات العربية

الأصلية الموصولة في القدم ، فالتنازل ذهب هذا المذهب الذي

أشار إليه الدكتور شوقي ضيف ، لأن الأسماء الإشارة في اللهجات

العربية الفصيحة الباقية ضمن تراكييب راقية شبي وأسماء الموصول

الباقية في هذه اللهجات شبي الخسر وكلاهما مختلف عن الآخر

أيضاً في تركيبه الأفرادي والجملي (3) .

ومن جهة أخرى ، فإن اللحيانيين يشيرون بالذات المعجمة

وذه وذات (4) بينما تكون (ذات) قائمة مقام (التي) في لغة

(1) تاريخ الأدب العربي ص : 112 (العصر الجاهلي)

(2) م.س.ص : 108 - 109

(3) سنعود إلى هذه التراكيب لاحقاً

(4) تاريخ الأدب العربي ص : 112 - 113 (العصر الجاهلي)

طسي* ، وأما ذوات فتقوم عند هم مقام (اللاتي) في الجمع (1) .
 وستضح هذه المسألة أكثر حين سنتناول بعد حين اللهجة النبطية .
 ونجسد عند هم قواعد سانتكسية أخرى ظلم هو موجود
 في العربية الفصحى تماماً ، مثال هذا ظاهرة الجنس حيث يذكر
 ويؤنثون على نحر ما هو معهود عندنا في الفصحى ، أما إذا كانت
 العربية القديمة التي سبقت هذه اللهجات الثلاث قد مرت بمرحلة
 تاريخية () لم يكن الجنس (GENRE) فيها واضحاً تمام الوضع
 بقسيمه : المذكر والمؤنث (1) (2) ، فإن الأمر طبيعي ، لأن هذه
 الظاهرة مرتبطة قبل أي شيء ، بأشكال مادية وطموسة يصطدم
 بها أي مجتمع بدائي في حياته منذ عهد البدائي ، ويبقى التساؤل
 اللغوي الفلسفي مطروحاً - ولا نريد أن نخوض فيه - : أيهما أسبق
 المذكر أم المؤنث ؟ فإنا نقول من الناحية اللغوية التي تجسدها
 هذه الظاهرة أن أحداً منهما لم يسبق الآخر ، وإنما كل واحد منهما
 وجد يوم وجد أول مؤنث ، وأول مذكور ، وليس كما زعم الدكتور
 إبراهيم السامرائي : () أن التأنيث بالعلامة طارئ في العربية من
 الناحية التاريخية كما هو طارئ في العربية من أخواتها الساميات (3) .

(1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 40

(2) مباحث لغوية ص : 125

(3) م.س.ص : 134

وأهم ظاهرة أخرى في هذه اللهجة هي ظاهرة الافراد
والثنية ، وهم يعاملون جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم
مثلما يعامل في العربية لغة الآداب والقرآن تماماً وهذا الى جانب
وجود جمع التكسير عندهم ، ومن أدوات الجر عندهم أيضاً الباء
واللام وفي ومن ، ومن أدوات الاضافة مع وقبل وبعد وتحت ولدى
وخلف (1) ، وهذا يعني أنهم عرفوا ظروف الزمان والمكان التي
تقوم بوظائف مزدوجة منها ما يتعلق بالناحية السانتكسية ومنها ما
يتعلق بالناحية الدلالية ، كما أنهم يستعملون أداة (لا) للنفي .

أما ما يتصل بالبنية السانتكسية لدى الصفويين ، فإننا
نريد أن نشير الى أن نقوشاً التي وصلتنا هدت الباحثين الى القول
بأن اللهجة الصفوية تشمل الراء بعد حد كبير اللهجة العربية
الشمالية الفصحى ، والعربية الباقية على الرغم من بعض الظواهر
التي تعكس تأثراً للاثامية فيها (ولا غرو ، فقد كانت الاثامية
سائدة في منطقة الشام والعراق ، وهي أقرب اللغات جغرافياً
للمنطقة التي وجدنا فيها النقوش الصفوية في بادية الشام والعراق
وسيناء ، وتتضح الآثار الاثامية في بعض أسماء الاعلام والفسردات
الحضارية) (2) .

(1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 113

(2) اللغة العربية عبر اندون : 31

ومما أثبتته بعض المدارس مثل دوسر وغيره أن سكان
 الصفا الاقدمين (1) نقسوا على الاحجار والصخور البركانية حروفا
 من اجدية حنوب جزيرة العرب ، ودعت هذه النقوش ((صفوية)) (1)
 ومما هو شائع في هذه اللهجة أن التعريف فيها بالهاء على
 نحو اللهجتين السابقتين ، الا أن اسماء وردت لديهم معرفة بالالف
 واللام مثل الأوس ولعبد (2) ، ويشيع عندهم اضافة المنعوت
 الى التعت كسأن يقولوا : ((بنت الكبيرة)) بدلا من : البنت الكبيرة ،
 وذلك على شاكله اللغة الحبشية وكذا العبرية المتأخرة وحتى
 بعض اللهجات الجاهلية التي عقت هذه اللهجات ((البائدة)) .
 ومما يتصل بتعريف هذه اللهجة أحيانا بالالف واللام ، فانه
 مما يدولي أن هذه الظاهرة لا تتعلق بالتعريف ، وانما تتعلق بفرض
 بلاغي يراد به التخميم ، وقد جاءت تراكيب عربية فصحة مشوبة
 بنفس الظاهرة ، من ذلك قول أبي النجم العجلي : (3)
 بسا عدا أم العمر ومن أسيرها خراسا أسواب على قصورها
 وقال ابن ميادة : (4)

رائيت الوليد بن يزيد مباركا شديدا بأحنا الخلافة كاهله

-
- (1) من الساميين الى العرب ص : 165
 (2) تاريخ العرب العربي (العصر الجاهلي) ص : 113
 (3) الفصل في علم العربية ص : 13. الزمخشري (ط : 2 / دار الجيل - بيروت)
 (4) م : صه : نه ص

وقال الا دخل (1) :

وقد كان منهم حاجب وابن أمه أبو جندل والزيد زيد المعمار
وقال الزمخشري : (ر) وعن أبي العباس اذا ذكر الرجل جماعة اسم
كل واحد منهم قيل له : فسا بين الزيد الاول والزيد الآخر ،
وهذا الزيد أشرف من ذاك الزيد وهو قليل ((2)) .

وقال صاحب نظم الفرائد وحصر الشرائد ذلك لام التعريف

ومعانيها المختلفة (3) :

تعلم فللتعريف ستة أوجه اذا لاه زيدت على أول الاسم
حضور وتغخيم وجنس ومعهد ومعنى الذي ثم الزيادة في الرسم
ثم أرف قائلا : ((ر) واما التغخيم فقولك : العباس والاحنف والهارث) (4)
وأبي فرق بين عهد وأوسر وعباس وأحنف ؟ وان لم تكن عندهم
المسح والتغخيم في كل حال فهي قد تعني في المقابل تعريف الحضر
مثل : ((هذا الاوس حليفنا)) ونحو هذا .

وبالنسبة لضافة النعوت الى النعت فانهم من غير شك متأثرون

بلهجة سامية قد يسهل لا يمكن الجزم فيها بأنها عيسية أو عبرية .

(1) م.س.ص : 14

(2) م.س.ع : ن.ص

(3) نظم الفرائد وحصر الشرائد : 79 الامام مذهب الدين مهلب بن حسن بن
بركسات المهلبى (ط : 1/1986 مطبعة المدني - القاهرة)

(4) م.س.ع : ن.ص

ويجتمع عند هم اسم الإشارة المشارة الهمزة ولا يتقدّمه ، فيقولون :
 ((جوهن)) أي الوادي هذا ، كما أنهم يستخدمون ((ذو))
 الطائفة اسما موصولا ، وهي تدخل تأنيث على الكلمة كـمميز
 للجنس بين المذكور والمؤنث ، وتكثر فيها أدوات الجر المعروفة في العربية
 الباقية ، وتعطف بحرفي الواو والفاء ، وتستعمل الهاء والياء للنداء (1) .
 ولعله من خلال الأتيار ببعض النصوص الصفوية التي اكتشفت
 في إحدى المقبرات الصفوية بالاردن ، نأخذ فكرة أعم وأوسع عن
 هذه اللهجة التي يجمع الدارسون على اعتبارها أقرب إلى العربية
 الباقية ، والفصحى العادية منها إلى اللهجتين السابقتين أي الشامية
 واللحانية على الرغم من أنها تشترك معهما في كثير من الصيغ أو
 البنى السانتكسية والمورفولوجية والمعجمية .
 والنص أو النصوص هي : (2)

لهرس بن عقرب بن هنا بن خير - لهارس بن عقرب بن حيسار
 وبنى على أخيه تـــــــرح = وبنى لأخيه وحزن
 ووجسم (3) على هنا وبنسى = ورجم (على ضريح) هنا وبنسى

(1) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ص : 113 - 114
 (2) نعتمد على توثيق هذا النص من مرجع : من الساميين إلى العرب ص 165
 وما بعد هذا

(3) وجسم في اللهجة الصفوية تعني ((رجم)) ، لأن طريقة تكريمهم الأموات
 كانت تقوم على رمي جرف فوق القبر ، والغريب أن هذه العادة لا حظتها في
 مسقط رأسي ، حيث كان كل وليد منا يلقي حجرا صغيرا في مكان معين .

لسعد بن احدث بن رمحت ■ لسعد بن احدث بن رمحة
 ف هلت وهدي شر ■ فيما ايتها اللات ويا ذا الشرى
 شار لمن حولت ■ الثأر من (قبيلة) حوالات
 لنصر بن وهبله بن اس ■ لنصر بن وهب الله بن اوس
 وتشوق الى أخيه ■ واشتاق لأخيه
 ف هله سلم ■ فيما الله سلم
 لشهر بن اس ■ لشهور بن اوس

ومن هذه الجمل الصفوية أ وبعبارة أكثر انعافاً من هذه
 الجمل أ والتراكيب في العربية القديمة نلاحظ أن كلا من البهيتين
 الساكنية والمورفولوجية الى جانب البنيات الأخرى طبعاً قام
 بلعبته اللسانية كما تفتيد القواعد اللسانية في اللغة العربية المعروفة
 لكنها تتميز بشخصيتها الصفوية الخاضعة للتاريخ والزمان والمكان .
 الالفاظ منفصلة بعضها وراء بعض في سلسلة خطية كلامية
 معتمدة في هذا الانعصان الخطي الافقي على طابع الواقع الطموس
 بين الكائنات التي لا حصر لها وعلى طابع الدلالات الفضائية
 المدركة من الصفوي بحس التجربة الثقافية واللسانية العامة ولذا
 فان كاتب هذه الجمل راعى باتقان معاصره من حيث الرسم
 وقواعده وطبيعته بين المتكلم أ والباحث والمرجع والملقي وباتقان
 معاصره وهي الجماعة المتكلمة التي تعقبه أ وتقف على كشار رسمه

ثم راعى - وهذا هو الأهم في دراستنا هذه - عاملين اثنين
لا يسلم تركيب لغوي في أي لغة انسانية بدونهما، وهما عامل
السانتكس وعامل المورفولوجيا، وهما هنا يقومان على الاعراب من
جهة وعلى ما تقوم به الادوات النحوية والمورفولوجية من وظائف
مزدوجة بين الباث والمتلقي من جهة ثانية، وهذه اللهجة
كغيرها من اللهجتين الأخرين وحتى اللهجة النبطية كانت الالفاظ
المنفصلة تنظم في جملها ونصوصها وفق الدلالة والتوصيل الذي
تريد العبارة التركيب ان يبلغه للمتلقي والى أي متلق (1).
ولعل المطلع على قواعد اللغة العربية الحالية لا يرد كثيرا
في الوقوف على حقيقة وطبيعة هذه الجمل الصغوية في كسـل
المستويات التي تشارك وتتشارك في تركيبها بداية من الرسم الذي
سنعود اليه حين الحديث عن البنية الصوتية، ... الى شكل الادوات
أو المقولات النحوية والمورفولوجية، فهي تحوي حروف الجر،
والعطف، والتدافع، والتعريف (الها)، والافعال العائنية،
واسم المفعول، والبدل، والصفة، والفاعل المستتر، ... الخ.
أما من الناحية المعجمية التي سنشير اليها في موضع آخر
فانها بينة بفزاره الجذور والامتثاقات وأسماء الأعلام العربية ... الخ.

(1) سنعود الى هذه النقطة الاساسية في صدر الحديث عن اللهجات

العربية الباقية من خلال المدخل الخاص بالجملة.

وبشأن الانبساط قال الاستاذ مصطفى صادق الرافعي : (قامت
 في شمال الجزيرة دول عربية متحضرة ، كالنبط والتدمريين ، وهؤلاء
 وإن كانوا عرباً فيما حققه العلماء ، بيد أن عربيتهم غشة غميمة
 متوقفة ، لا تبهم على أطراف البادية مما يلي الحجاز ، لا في أقدم
 مساعرف من تاريخ النبط يرجع إلى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد ،
 ... وهم قوم كسبانفسوا يكتبون بالآرامية التي خلفت البابلية في
 مدونات السياسة والتجارة ، لأن الأحرف العربية لم تكن وضعت يومئذ ،
 ... على أن ما ما اكتشفوه من آثارهم الكتابية لا يخلو من الفاظ
 شبيهة بعربية الغدانيين ، مما رجح عند العلماء أنها تحول في
 الآرامية التي هي مشتقة من البابلية القديمة ، كما خرجت المضربة
 بذلك التحول عينه من فروع البابلية ، وقد استدلوا بهذا على أن
 لسانهم كان عربياً على وجه ما حتى أثرت عربيتهم على لغة الكتابة
 التي اضطروا إليها بحكم الحضارة) (1) .

وأما الدكتور محمود فهمي حجازي فيقول : (وليس
 التموديون والصفويون واللحيانيون وحدهم هم أصحاب النقوش التي
 وجدناها في صحراء الشام والعراق ، فالنبط أيضاً شعب عربي ،
 ونعرف هذا من أسماء الأعلام عندهم ، ولكنهم لم يكتبوا بالعربية ، وكتبوا

(1) تاريخ العرب ج 1 / ص 84 .

بالآرامية لغة الحياة الدولية آنذاك ، ولكن للنبط اُهميّة
كبرى في تاريخ العربية وخطوطها ، فالنبط هم من علموا العرب كيف
يكتبون ، والخط النبطي هو صورة متطورة من الخط الآرامي وهو
أساس الخط العربي (((1) .

ولسنا هنا بصدد اثبات أنّ وفي عروبة النبط اُ والشك قليلا في
لغتهم التي وصلتنا بأنها عربية ، لكن فقط لطرح اشكالية سبق للباحثين
السابقين أنّ اُ شار إليها كل واحد منهما ، وهي أنّ لغة التواصل
الدولي في ذلك الوقت كانت هي الآرامية وليست النبطية اُ واحد
اللهجات العربية الشمالية الأخرى .

غير أنّ الاستئذان جرجي زيدان يعد - في نظرنا - اُ بروز
باحث عربي وأجنبي تناول بالبحث العميق والاصيل هذه المسألة ،
وفي ردوده على من يشكون أو ينكرون عروبة هوّلا ، فانه يرى أنّ
مؤرخي اليونان الذين عاصروهم سموهم عنها ، وهم اُ علم الناس بهم (2) ،
وأما اللغة التي قرأوها على آثار النبط ، وهي آرامية ، فانها لم تكن
لم تكن هي لغة التكلم (3) ، اُ ما لسانهم الذي كانوا يتفاهمون به
فانه عربي مثل اسمائهم () فاللغة التي نقرأها على آثار بطرا وغيرها من
اطلال الانباط آرامية ، واما لغة الكلام فكانت عربية ، والاشتمال

(1) اللغة العربية عبر القرون ص : 32

(2) العرب قبل الاسلام ص : 31

(3) م.س.ص : 81

مرتبطتان بأهمهما القديمة لغة بدو الآراميين ،^أ واللغة البابلية القديمة ، بعلامة تشتركان فيها دون سائر اللغات السامية ،
 أ^أعني حركات الاعراب في أ^أ وأخسر الكلم في بعض الأحوال ((1) .
 وأ^أ ما الدكثر شوقي ضيف فانه لا يتردد في القول :
 ((والنبط عرب شماليون كانوا يتكلمون العربية الشمالية في أحاديثهم اليومية ، غير أنهم اختلفوا بالآراميين ، وكتبوا بأبجديتهم فظهرت في نقوشهم آثار آرامية كثيرة ((2) .

ومما لا حظه ليشان مما يتصل بالبنية السانتكسية أن
 النبط كانوا يلحقون في كتاباتهم ونقوشهم حرف ((الواو)) بغير
 الأعلام أ^أحيانا ذاهبا إلى أن هذه الواو تعني أن اسم العلم
 مصرب أ^أوممكن ، وأما الأسماء البنية أ^أوغشيم المتكسبة
 فكتبوها بلا واو في آخرها ، مما جعل العرب بعد ذلك يأخذون هذه
 الواو عنهم ليلحقوها بـ ((عمرو)) فبرقا بينه وبين عمر (3)
 وهم بهذا يكتنون قد سزوا في نقوشهم ((بين الأعلام المنوعة
 من الصرف والمصروفة بأن أضافوا للأخيرة واو دلالة عليها)) (4) .

(1) العرب قبل الإسلام ص : 83 = 84

(2) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ص : 115

(3) م.س.ص : 110 = 111

(4) الشعر الجاهلي ص : 15 د. سيد حنفي حسنين (ط : 1971) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (

والعرب الانباط كانوا خلافا لأداة التعريف في اللهجات الثلاث

، يعرفون بأداة التعريف المعروفة في العربية الباقية ((ال)) ،

وقد يزارون ((الآراميين في تعريفهم الكلمات بالحق ألف في

نهايتها فقد نجدهم يكتبون القصر ((قبرا)) و المسجد ((مسجدا))

ولكن الغالب عليهم استخدام أداة التعريف العربية ((ال)) (1) .

لكن المشهور في لغتهم أنهم لا يستخدمون الأداة واحدة

هي ((ال)) ، أما هذه الألف في نهاية الأسماء ، فإنها ذات

صلة بطبيعة الخط الآرامي الذي كانوا يكتبون به ، ولا علاقة لـ

بطبيعة أداة التعريف عندهم ، لأن الأسماء التي كانت تنتهي في

اللهجات الآرامية بالحرف ((ت)) كانت في البداية تدل على التعريف

عندهم حقا ، لكنها بالثبات أن تحولت إلى عنصر نحوي دلالي يدل على

التأكيد (2) ، حتى وإن كان يعبر الدارسون الآراميين يرى أن

علامة التعريف الآرامية ((الطلقة بالآخر الاسم (ت) ، قد فقدت

في اللهجات الشرقية (3) وظيفتها وأصبحت جزءا من الكلمة لا تدل

على التعريف ، (4) .

(1) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ص : 116

(2) الآداب السامية ص : 51

(3) يقسم الدارسون المحدثون اللغة الآرامية إلى قسمين : شرقية ، وغربية .

(4) فقه اللغة ص : 58 د . وافي

ويلخص الدكتور شوقي شيف السلسلة الوثقى لهذه اللهجة بالعربية
 الباقية فيقول : ((وإذا رجعنا إلى خصائص هذه اللهجة وجدناها
 حقا شديدة الصلة باللغة الجاهلية ، فهي لا تكاد تفتقر
 عنها في أبواب الضمير والفعل وأسماء الإشارة والأسماء
 الموصولة والنسبة والتصغير وحروف الجر والعطف ، وكذلك
 الشأن في التذكير والتأنيث للاسم والفعل)) (1) ، ثم
 يورد قائلا : ((والنسبة بذلك كله تعد وثيقة الصلة بعربية
 السجاء هلمة ، وهو طور قريب منها قريبا شديدا)) (2) .
 ولكل من الباحثين : الدكتور مسرود فهمي حجازي والاستاذ
 جرجي زيدان رأي متطابق مع الآخر ، فالأول يرى أن لغة
 الشعر الجاهلي والقرآن الكريم لا تعتبر الاستعداد المباشر
 للغة هذه المنقوشة على أن اللغة التي وصلتنا في الشعر الجاهلي
 والقرآن الكريم هي صورة مصقولة ومبلسورة . (3) .
 وأما الثاني فهو الآخر يتحفظ بقوله : ((على أننا لا نؤمن
 اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة العربية
 التي عرفناها في صدر الإسلام)) (4) .

(1) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ص : 116

(2) م.د. ص : 117

(3) أجن اللغة العربية عبر القرون ص : 33

(4) العرب قبل الإسلام ص : 85

١. וועלכע דאס איז געווען
 ٢. אלסדעם לעבן וואס האט דער נאמען
 ٣. וועלכע איז געווען דער
 ٤. געווען דער נאמען
 ٥. וועלכע איז געווען
 ٦. וועלכע איז געווען
 ٧. וועלכע איז געווען
 ٨. וועלכע איז געווען
 ٩. וועלכע איז געווען

כתובת ליהודה על הקבר של מלך

(لوحه : 6)

ان هذا النقش النبطي يعود الى السنة الاولى قبل الميلاد ، وهو
 عهد كتبه رجل اسمه عائد بن كهيل على قبره في الحجر (مدائن صالح) ،
 ونحاول ترجمته بالحرف العربي ، ومما لاحظناه بين المختصين والدارسين
 ان نطق هذا النقش بالحرف العربي مختلف فيه اختلافا متباينا بين
 منصدر وآخر ، وهذا الاختلاف لا يقتصر على ظاهرة واحدة كالظاهرة
 الصوتية ، بل يشمل جميع الظواهر الاخرى ، حتى اننا لترددنا واحترنا :
 ما هو النطق ؟ والرسم الصحيح المقابل من النطق والرسم الخاطي ؟ (1)
 نطق هذه النقوش بالحرف العربية في كل سطر على حدة :

- (1) - د نه قبر ا دي عهد ويد كهيلو يسر
- (2) - الكسي لنقشه وبلده واحره ولمن دي ينفق بيده
- (3) كتاب تقف من يد عهد وقيم له ولمن دي يمتن ويقبر به

(1) كمال على هذا الاختلاف في ترجمة هذه النقوش نفسها ، قارن
 بين الشيخ نسيب وهيبه الخازن في كتابه (من الساميين الى العرب : 143)
 وجرجي زيدان في : (العرب قبل الاسلام ص : 84) .

(4) عيد وبحيرهي بجرح نيسان سنة (1)، تشع لحرت سلك

(5) نبطورحم عمه راجع ذو شرا ومنوتو وقيمه

(6) كل من دي نون كفرانه ار يوزن اويوتن اوينتسن و

(7) يوجرا ريتالاف علوهي كتب كله اويقبريه انوش

(3) لهن لمن دي علا كتيب وكفرا وكتبه دنه حرم

(5) كحليقت حرم نبطو وشادر لعام عليمين

أما ترجمة النفس بالعربية فطرا استلرافيسو :

(1) هذا هو القبر الذي بناه عائد بن كهيل بن

(2) القسي لنفسه وأولاده وأقايه ولعن يكون في يده

(3) كتاب من يد عائد سيج له ولأبي واحد يخوله نائذ في حياته أن

يسد فسن فيه

(4) في شهر نيسان (ابريل) السنة التاسعة للشارت ملك

(5) الانباط محب شعبه ، ولعن ذو الشرى ومناة وقيس

(6) كل من يبيع هذا القبر أو ريعتريه أو يرهنه أو يهبه أو

(7) يوجره أو ريعتر عليه شيئا خسرا أو يدفن فيه احدا

(8) إلا الذين كتبت أسماؤهم أعلاه . أن القبر وما كتب عليه حرم

مقدس .

(ع) حسب القاعدة التي يقدسها الانباط والاسلاميون إلى الأبد الأبدين .

(1) هذا من الاختلافات الخطية ، والمشهور أن التامسة لا مريوطة

3) باند قاع (بانتصار) في شارف نجران (أوا سوارها) مدينة
شمر ، و ملك معدا وولى بنيه .

4) على الشعوب (القبائل) ، واناسهم عنده لد ، الفرس والروم ،
فلم يلع ملك بلغة (1)

5) في القوة . هلك سنة 223 يوم 7 من ايلول . ليسعد الذي ولد .

اذا استثنينا بعض الكلمات مثل (سر) بمعنى ابن ، وهي آرامية ،

وتجا وزنا عن بعض العناوين الساكنية الاخرى مثل الحاق الواو بالآخر

الاسماء دلالة على الاعلام المصروفة من المنوعة من الصرف ، حيث

كانوا ينفون المصرفة راوا في آخرها دلالة على تنوينها ، . . .

فانه ليكن القول بان هذا النص ليس فقط طورا من ا طوار العربية

في بداية عهد تبلورها ونضجها وانتظامها في بنياتها المحكمة وفق

مقولات نموية وقوانين صوتية وما الى هذا . . . بل هو هذه

العربية الباقية نفسها ، وللمسي وصلتنا تراكيبها فدي اشعار

الجاهليين المكملة التي صارت نذاج تسند الشعراء الجاهليين

المتأخرين ، شمس كان الفرائد الكريم فتنها وا تثبتها وطورها في

جميع مستوماتها وينسج خطايي متنوع وجديد .

(1) لا شك ان جملة أصلية في النقص من مثل هذه الجمل تجعلنا نتحفظ

ونتراجع حين نستعمل بدلول (ترجمة) ، اذا ما ذا نترجم هنا مثلا ؟

لانا لسنا امام لغة اجنبية او لغة غريبة عنا ولوبعض الغرامية .

الفصل الثاني : في البنية المورفولوجية

سبيل أن تناولنا هذا الموضوع في اللغات السامية التي
اعتمدناها نودجا للمقارنة بينها وبين العربية دون أن نعرض
الى اشكالية هذا الموضوع من خلال التعرض الى مفاهيمه المتعددة
ومصطلحاته المتفاوتة لدى اللسانيين المعاصرين أمثال فندريس ،
جيمبريس ، ريلوفيلد ، واندرى مارتيني ،... الخ الى جانب
مفهومه التقليدي في النظريات اللغوية القديمة ، وآثرنا الدخول
في استعراض هذه البنى المورفولوجية مباشرة ، على اننا سنعود الى
الى هذا الموضوع حين نتحدث عن العربية الباقية .

كان هودنا لو تعاملنا في هذه البنية مباشرة مع النصوص
وفى الخطوط التي الاصلية التي كتبت بها ، لكن هذا غير ممكن من عدة
وجه : أولاً ولها أن هذه العملية تحتاج الى تخصص دقيق في قراءة كل
نقش على حدة ، وثانيهما أن احداً من الدارسين المتعمقين فسي
هذه النقوش لم يدع - ولن يستطيع أن يدعي - أنه قصراً نقشا
واحداً قراءة صحيحة متفقة مع الآخر ، فكيف بالنقوش كلها ، وهذا ما
وقفنا عليه يقيناً ، وثالثها أن هذه النقوش في ذاتها ليست على
نسق واحد في بنيتها السمتاقية تاريخياً ، كما أنها لم تكتب
بخط واحد مستقر فضلاً عن البقائس المتعددة في هذه الخطوط .

رايعها ، وهو الأهم من كل ما ذكره أن اللغة ، وهي محكيمة ،
شيء ، وأنها ، وهي مدونة ، شيء آخر تماما ، لا سيما بالنسبة
للغة لم تتوارثها الأجيال المتعاقبة خلفا عن سلف مثلما كانت
تنطق ، لأننا إذا استثنينا من اللغة النهر والتنظيم و الأداة الصوتي
بأوجه مختلفة ، فإن البنيات الأخرى كيفما كان نسجها البنيوي لن تقوم
مقامها ، وتعوى جانبها منها ، ولهذا فإن دراساتها ستبقى صماء
ولا سيما في البنيامين : السانتكسية والصوتية ، لكن لها تين البنيامين
تدخلا قويا من الوجهة اللسانية المتكاملة مع البنية المورفولوجية .
أن من يتتبع بعض النصوص النبطية ليلاحظ كتابتهم بعض

الاسماء بأشباع الكسرة ودها في نهاية هذه الاسماء :

((له أبوهي بيد ، الون)) (1) أي : ((له أبوه في يد ، الون)) .

ومعنى هذا أنهم كانوا ينطقون هذا الضمير بالكسرة ، وشأن قولهم الآخر

من اللوحة السادسة (سطرا أربعة) :

عيدوبحيوهي يبرخ ... أي عيدو في حياته في شهر ... (2)

، وشأن آخر : ((والوبر سعد الهي)) أي وائل بن سعد الله .

(1) من الساميين إلى العرب ص : 142

(2) أن ترجمة النقش التي اعتمدناها تهمل ترجمة (في حياته) ويبد وأن

سببه ، لأنه من غير الممكن حذف كلمة معجمية واضحة وقريبة من العربية

نفسها ، ولكن هذه الظواهر متفشية في ترجمة النقوش القديمة بين الدارسين .

وذكر اللغويون أن أشباع حركات الإعراب من لغة الأزد (1) .

وهذا يعني أن الأشباع ليست قنينة صوتية أو لغة شعرية فقط ، بل هي أيضا لغة قديمة قدم المتكلمين الأصليين بهذه اللغة ثم لما كانت التالية حافات عليها وتبنتها في سياقاتها وخطاباتها ، لأن ما يصل التكملة المتعاقبة للأجيال المتتالية في أساليبهم هو مثل هذه البنى والاشكال وليست البنى المعجزة ولا حتى الدلالة التي هي عروسة إلى التغيير أو الزوال . أحيانا لتحل محلها كلمات ودلالات أخرى .

مما يذكره علماء القراءات القرآنية أن القراء قد اختلفوا ((في ضم الهاء من عليهم ، فقراء حمزة وحده عليهم بضم الهاء وكذلك لديهم ، ... وقراء الباقون عليهم راخواتها بكسر الهاء)) (2) ، ومعنى هذا أن القراء والعرب القدماء كانوا متفاوتين في نطاق الضائر المتصلة في آخر الاسماء المذكورة .

وكان عبد الله بن كثير يقرأ : عَلَيْهِمْ غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .
وَعَلَى قُلُوبِهِمْ مَرٌّ وَعَلَى سُلُوبِهِمْ مَرٌّ وَعَلَوْا أَن يُصَارَهُمْ غِنَاوَةً (3) . وقالوا :
ضم الهاء هو الأصل ... والوارث هي القراءة القديمة ، ولغة قرين
وأهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن)) (4) .

-
- (1) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ص: 107
(2) الحجة في علل القراءات السبع ج 1/ ص: 42 الفناوسي (دار الكتاب العربي)
(3) م.س. ص: 42 في الآية : 7 من سورة البقرة
(4) م.س. ص: 43

وإذا أعدنا مرة أخرى إلى النص النبطي (الترجمة السادسة)

السابق ، فإننا نجد (بحموي) وخاصة (عسكروهي أي عليه)

تشبهان بعض الآثار النبطية الفصيحة ، فمر العرب من يقول :

مررت بهي ، ولد بهي مال ، ومررت بدارهي قبل ، بينما يقول الحجازيون :

مررت بهو قبل ، ولد بهو مال ، ويقرأون : ((فَخَسَفْنَا بِهَوِ

وَيَدَارِهِو الْأَنْزَلِ) (1) .

ومن نصوصهم نلاحظ جلاء أنهم - أي النبطيين - كانوا

من لغة أهل التخفيف مثل جملتهم السابقة (والوبر بعد الهي) (2) .

وبالنسبة لصيغ الأفعال ، فإن تعدية الفعل اللازم في العربية

الباقية يكون معاً ، والهمز أو التثنية ، وصيغة واحدة من هاتين

الصيغتين تشيخ (أفعل بالهمز) في كل من الحبشية والسريانية ،

بينما تعبر العبرية والسبئية وبعض اللهجات الآرامية عن هذه

الصيغة (أفعل) بأنها ، أي ((أفعل)) في العربية

الباقية تقابلها صيغة ((هفعل)) في اللغات الثلاث السابقة ،

في الوقت الذي كان اللحيانيون والشوديون يستخدمون الصيغتين

معاً ، في حين أن بعض اللهجات الجنوبية تعبر عن هذه الصيغة

بالسين (سفعل) . ومحبر عنها الأكاديمية بالشين (شفعل) (3) إلى

(1) م. برهان 46 والآية 81 من سورة القصص

(2) هذا مما سيرد حل في البنية الصوتية .

(3) راجع تاريخ الأدب العربي ص 207 ر. ق. ن : الآداب السامية ص 56 .

درجة أن ليمان يرى ((أن أداة التعدية كانت في الأول
سينا، ثم صارت سينا في الأكادية، وصارت السين ١٠ عند
بعض الساميين، ثم صارت الهاء هزة في الغربية والسريانية
والحشمية)) (1)

إننا نذكر ما لمحا اليه أنفاً من أن هذه السين وجدت في
بعض اللغات السامية (البابلية والعينية ثم الحشمية) كدلالة
على تسمير الغائب في هذه اللغات، حتى أن البعض يعتقد أن هذه
السين دخيلة في الأصل السامي عن اللغة الطورانية (2)، وهناك
بعض الأبحاث تذكر أن ((هناك لهجة أخرى (3) تعبر عن الفعل
التعدد بزيادة (سا) في أول الفعل وهي تطابق شفعل
في اللغتين الآرامية والسريانية)) (4) .

ومما يفهم من نر ليمان أعلاه أنه يرمز إلى أن هذه
السين التي يجعلها أداة تعريفية متقلبة صوتياً ذات أصل طوراني
دخيل في اللغات السامية، وسواء تضمن نصه هذا الترميز أم
لم يتضمن، فإنه لا يمكن للغة أن تعجز عن وضع صوت ترققه

(1) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ص 107 .

(2) راجع ص 178 من هذا البحث .

(3) لم تذكر هذه اللهجة ولكنها إحدى اللهجات العربية الجنوبية

(4) الآداب السامية ص 56 .

أُوتفخمة، تنبيه أُرتجهره، ... للدلالة على وحدة مورفيمية
 أُولا حقة أُوزاعدة، ولا سيما في لغة سامية ذات الوفرة من
 الوحدات الصوتية والمورفولوجية التي جاءت بتعدد وتنوع البنس
 الصيفية فيها، ثم كيف يمكن لوحدة مورفيمية أن تكون مرة
 غير متسللا لا على الصفائح وتارة صيغة تعدية ؟ قد يحدث
 هذا التباين الوفاقي بين الوحدات الصوتية في إطار أُومستوى
 مورفيمي أُوسا تنكسي ... لكنه لا يكون بتعاقب تاريخي وزمني بين
 لغات منفصلة عن لغة واحدة .
 وقد يوجد أضعف التحليل السابق ، لكن هناك ، على الأقل ،
 ثلاثة اعتبارات لا ترد بسهولة :

(1) ان العربية ان لم تكن هي الاصل السامي نفسه ، فانها ليست بعيدة
 كما في الفصائل السامية الاخرى عن هذا الاصل ، اذ لو كان هذا الصوت
 (السين) ربالمراحل التي ذكرها ليتما - ابقى في العربية ((البائدة))
 وخاصة الباقية قليل أُركثير من هذه الاشارات المورفولوجية مثلما بقيت
 فيما اشار من مستويات لسانية أُخرى ، لان العربية الباقية تعد الخزان
 الحي لكأ وأُقلب الظواهر اللسانية في اخراتها الساميات ، ولا سيما
 بما يتصل بها من أشكال لهجية مباشرة ، شأن ذلك ان اشار اللهجات
 الجنوبية لا تبرح ، مثالة في الشمالية ، فاذا كانت اداة التكثير في الجنوبية
 مسا ساكنة في آخر الاسم بخلاف النون ساكنة في آخر الاسم في الشمالية ،

فإن الاعمى ذكر أن العرب تزيد السين في أشياء : قالوا : رجل
فسحم إذا كان واسع الصدر، وهو من الانفساح، ورجل زرقم إذا كان
أزرق... (1) وهي مما يبدو أن أثر من آثار اللبحات القديمة ظلت
متوارية في العربية...

(2) من الكتب العربية التي وقفنا عليها لم نجد صدرا واحدا منها
يذكر أن صوت السين يتبادل مع الهاء أو الهاء تتبادل مع
السين، فهذا التبادل حاصل بين السين والثاء وبين السين والثاء،
بين السين والسين... (2) ولكن لا يوجد تبادل في العربية بين
السين والهاء.

(3) إن تعدية الفعل الثلاثي بالهاء في العربية كذلك وارد ومثبت
في تراكيب فصحة لا يتطرق إليها الشك، شأن ذلك قول امرئ القيس (3) :
وإن مفاعي عمرة مهراقصة... فقول عند رسم دارس من معسول؟
حيث قال الخليل التبريزي : (مهراقصة : مصبوبة، من : هرقست
الماء فأنا هريقه، بمعنى أرقق... وعين الكلبة محذوفة، كان أصلها :
أريقق على وزن أفعلت... ومن العرب من يبدل من الهمزة الهاء،

(1) كتاب الابدال ص : 147 ابن السكيت (ط : 1973) الهيئة العامة لشؤون
المطابع الأميرية - القاهرة

(2) م.س.ص : 104 و 107 و 109 و 131...

(3) راجع شرح البيت في : شرح القصائد العشر ص : 28 - 29 التبريزي
(ط : 1930/4 دار الاتفاق الجديدة - بيروت)

وقارن نغم الشرح في : القصائد السبع الطول الجاهليات ص : 25 - 26

للانباري (ط : 1/ دار السار - مصر)

فيقولون : هـ رقت الهاء ، وقاله ا في المستقبل : ا هـ ريقه . . وقالوا :

ا هـ رقت الهاء فـ ا نـ ا هـ ريقه ، يسكون الهاء في الماضي ، والمستقبل .

جميعا . . . 111

وسما هـ رائق ان ظاهرة ابدال الهمزة هـ ا ظاهرة عامة

ومتشعبة بين العرب في غير هذه الصيغة ، وفي غير هذا الفعل ،

وفي تراكيب اخرى متعددة كما يدل على استبعاد قول ليمان

الساسى (٢) ، غير ان صاحب الاقتضاب يرى ان اللغويين الذين

يروون في هذه الهاء ا خلا في هذه الكلمة هم ممن لا يحسنون

التصريف ، (ر والصحيح ان هـ رقت وا هـ رقت فعلا رباعيا معتلا ،

ا صليها : ا هـ رقت ، فـ ا نـ ا هـ رقت ، قاله ا عند ابدال من همزة

ا فعلت ، كما قالوا : ا رجت الماشية وهرحتها ، وا نرت الثوب

وهـ رتته . . . وكان يلزم ان يجري ا هـ رقت في تصريفه مجرى

ا كرت ونحوه من الافعال الرباعية الصحيحة ، فيقال : ا هـ رقت

ا هـ رق اهراقا ، كما تقول : ا كرت اكرم اكراما ، ولم تقل العرب

شيئا من ذلك ، وانما يقولون في تصريف هـ رقت ا هـ ريق فيفتحون

الهاء ، وكذلك يفتحونها في اسم الفاعل ، فيقولون : مهريق ، وفي اسم

المفعول : مهراق ، لانها بدل من همزة لو ثبتت في تصريف الفعل لكانت مفتوحة) (٢)

(٢) راجع هذه التراكيب المتنوعة في كتاب الابدال ص : ٢٢٢ - ٢٢٣

(٣) الاقتضاب في شرح ادب الكاتب ق : ٢ / ص : ٢٤٢ - ٢٤٣

(١) شـ انقصا تد العشر ص : ٢٨ - ٢٩

رخصوف النظر عن هذه التحالفات لورود صيغة التعدية بالها.
 في بعض اللغات السامية واللهجات العربية البائدة ، فإن كل لغة
 سامية طورت مع نظيرة لها ، وانفردت بتطور خاص بها في هذا
 المجال ، لأن وزن الفعل يوجد فعلا في النقوش اللحيانية ضمن
 أوزان التعدية ، فقد جاء مثلا في الفعل همتع (أي متع بالصحة (1)
 ولعل بعض هذه اللهجات التجأت الى هذه الأداة للدلالة بها
 على التعدية لأنها تدل في بعض اللهجات واللغات السامية الأخرى
 على نية الانتكسة ، قابلة هي بنية التعريف ، واللبس ، في هذه
 الحالة ، ما مؤون بين البينيتين المتعارضتين .

على أي حال ، فإن هذه النقوش تعرف عددا هائلا من
 الظواهر المورفولوجية التي نعرفها في العربية الباقية ، فهي علاوة
 على وزن التعدية الساو تستعمل كالتقوس الضمودية مثلا في الفعل
 أيضا بوزن فاعل ، مثل : ساعد ، ويون ، فعل مثل أبتسر (2)
 ... واننا لرتأ هذا النقص النبطي الوارد في اللوحة السادسة لما
 تمكننا في هذه الظواهر المورفولوجية لحثة واحدة على الرغم
 من أنه مكتوب بالأبجدية التي كان الأراميون يكتبون بها ، لكن
 الأشكال ، بوجه عام ، ليس مطروحا في هذه الظواهر ، وغيرها ، بل

(1) اللغة العربية عبر القرون ص : 31

(2) راجع المرجع السابق ص : 30

ففي هذه النقوش نفسها ، وفي طي الرقيم من أنها ((تمثل فترة من حياة اللغة العربية السابقة على عصر نضجها وازدهارها (((1) فان ظرا مرها لم تستطع بعد كلها من خلال آلاف النقوش والنصوص التي كشفت وجمعت منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر واستمرت الى نهايته (2) .

وبالنسبة لصيغة الافعال الخمسة ، فان بعض الدارسين يلاحظ أن هناك ندرة فيها ، حيث لم يعثر الا على صيغة واحدة من صيغ الانفعال الخمسة فيها (اللهجات الثلاث : الثمودية واللحيانية والصفوية) وهي الفعل المضارع المسند الى واو الجماعة ، وهي صيغة ((يعورونه) ، حتى ((لفرغنا أن في بقية النقوش التي نطلع عليها بعد ، صيغا أخرى من هذا القبيل فان ذلك لا يتعارض من وصفنا لها بهذه الندرة (((3) .

ان بعض الظواهر المورفولوجية تظل غامضة ايضا بسبب طبيعة الخط الذي كتبت به (المسند) ، حيث ان جميع نقوش ثمود مثلا بضمير الغائب ، ((رانهم كثيرا ما يحذفون منه بعض الحروف كالتون من ابن والضمير من لي ، وايضا فانه تلتظ به آثار عربية وآرامية (((4)

(1) دراسات في اللغة والنحو العربي ص: 39 د . حسن عون (ط : 1965 مطبعة الكيلاني)

(2) بل الابحاث استمرت الى ما بعد هذا التاريخ وليركما ذكر الدكتور حسن عون

(3) م. سرور : 50

(4) تاريخ الادب العربي (البصر الجاهلي) ص : 112

ونفس الصعوبة المشار إليها في نقوش الثموديين توجد لدى
 اللحيانيين ، إلا أن هؤلاء يستيقنون بين صيغ الفعل على صيغتي
 هفعل وسفعل ، وهم يستخدمون في نهاية الماضي تاء دلالة
 على التأنيث كما هو معروف في العربية الباقية .

غير أن اللهجة الصفوية التي يعدّها الدارسون والمقارنون
 أقرب إلى العربية الباقية أو عربية الجاهليين ثم لغة القرآن
 الكريم تعتبر أكثر بالمظاهر المورفولوجية المتشابهة مع الفصحى
 إذا ما قورنت باللهجات الأخرى من (اللحيانية والتمودية) سواء في
 الصائغ أو صيغ الأفعال المختلفة ، وأبرز نقطة في هذه الصيغ
 أنهم لا يستعملون التاء دلالة على تعدية الفعل الثلاثي اللازم ،
 أي لا نجد لديهم شكل (هفعل) التي بقيت آثار منها حتى في
 العربية الباقية نفسها ، وعند هم الفعل المبني المعلوم والمبني
 للمجهول (وه) تتشابه مع العربية الفصحى في تصريف الأفعال
 ومصادرهما ، ففعل مصدره : تفعيل أو : تفعلة ، وفاعل مصدره :
 فاعل أو : فاعلة ، وأفعيل مصدره : أفعال ، وأنفعل
 مصدره : أنفعال ، وهلم جرا . . . وهم لا يدغمون الحرف الثاني
 من الثالث في الأسماء المشتقة من الفعل المضاعف مثل فيقولون أو يكتبون :
 ظان ، . . . ودائما لام الفعل الناقص عندهم يا (١) ، (١)

(١) تأريخ الأدب العربي (الجزء الثاني) ص : ١١٤

الفصل الثالث . على البنية المعجمية والدلالة

=====

سبب التلميح حين تحدثنا عن البنية

المعجمية بين اللغات الداعية الشهورة ، الى ان المقصود بهذه
البنية هو النظام اللساني المقتر في لغة من اللغات ، اذ لا نحسب
ان هناك سترى لغتنا في لغة من اللغات ومستوى آخر بدايتها
فيها ، فالستويات المستوي تقسم نظاما لغويا هي :

(1) كل لا يتميز إلا من حيث الادراك المنهجي

(2) تتطور في T واحد ، انطلاقا من اعتقادنا بأن كل عنصر وظيفته .

ولعل النظام المعجمي يتعلق بالدرجة الأولى بالجدور

الأصلية الحاملة لعالم الأودالات تكون في بداية تكونها حقيقة
ثم لا تلبث أن تتفرع عنها دلالات أخرى مجازية لا حصر لها (خذ
لذلك مثلا كلمة كرسى) وشر ذلك مجلسة أخرى تتعلق بما يلحق

أوسبق هذه الجذور من روايات ولإحدى ، أما أيتها أوسبق

أوالحق فليس من مهمة هذا العمل هنا فهم أنه من باب الإشارة ،

فإننا نحسب أن كلتا العظمتين تنقسم حسب الخطاب المراد خلقه

و حسب علاقة هذه الجذور بـستويات وطبيعة البنى التركيبية العامة

في الحمل المتنوعة خطابا والمتشاكلية بنية وفق قواعد لغة ما ،

وتبعاً لمدارات التكلمين .

وحين نقول النى التركيبية العامة ، فاننا لا نحيل على المتكلم

وحدده من الخارج فقط ، بل نأخذ بعين الاعتبار أكثر الاحالة

على النظام اللساني من الداخل ، باعتبار المتكلم اللاحق فمالها

ما يجد نفسه مطبقاً ، ومستعملاً للكلمات لا إقبالها ، ولقد

لشاعر بعض الشعراء الفطاحل العرب منذ القديم الى هذه المسألة

المعجبية المتواترة (1) .

ان هذه الجذور لا تستعمل منزولة ولا مجتمعة بل بواسطة

التداعي ، التراط الذي ينال في التلميع بالبنية جزئياً

لينتهي بها كلياً وهذه الجذور ، كما مر بنا ، مثلما تعتمد بنيات

الانتكسية وأخرى مورفولوجية (مفرد ، مشى ، جمع مذكر سالم ، جمع

مؤنث سالم ، حروع تكبير مخلفة ، كون الفاعل جمع تكبيراً وجمعاً

بالماء ، مذكراتاً ومؤنثاتاً ،...) فانها تعتمد مقولات أخرى

مثل كون الجذر متعلقاً بالزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل ،

بضمائر الافعال الخمسة أو غيرها ،... الخ .

والبنية المعجبية في هذه اللهجات العربية

((البائدة)) أو الباقية بنية مستقرة نسبياً بالقياس الى بعض

(1) أمثال هؤلاء الشعراء عنزة بن شداد في مطلع معلقته

المشهور ، وإلى حانته نجد زهير بن أبي سلمى ومن طريقهما جاء

على لسان الباحثين : ((كلفتمونا حذرر منطوكم)) ... الخ .

الصفات كالفرنسية مثلا ((واذا كانت كيميال المبغية تتميز
 عسوما عما عداها بشكل الجذور، وبطول ثابت نسبيل للكلمات ، فان
 اللغة الفرنسية ليست مثلا نموذجيا في هذا المجال ، وذلك لأن
أحمد بن مفساتها هي كون الجذور يسود فيها نوع من الغموض ،
 كما أن كلماتها مختلفة الى حد بعيد من حيث الطول والقصر ، وان
 تكن الالفاظ ذات المقاطعين هي الغالبة (((1) .

لكن البنية المعجمية في هذه اللهجات والعربية الباقية معها
 متغيرة ربما في اشتقاقها ، حتى ان بعض الجذور فيها قد تجاوز
 المائة اشتقاق (مثل علم) ، وحتى ان الاستاذ أحمد الاسكندري
 قد ذكر أن في المهجور من ألفاظ اللغة العربية سبعين ألف
 مادة لم تستعمل الى اليوم (2) .

وليس لدينا اليوم ما يمكن ان يضاف على قول الخليل بن أحمد :
 ((اعلم ان الكلة الثنائية تتصرف على وجهين . . والكلمة الثلاثية
 تتصرف على ستة أوجه . . والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهًا ،
 . . والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجهًا . . يستعمل أقله
 ويلغى أكثره (((3) .

(1) دراسات لغوية على ضوء الماركسيّة ص : 81

(2) الآداب البائسة ص : 133

(3) العيسين ص : 66

وانا حين نعود الى هذه النفوس اللهجية القديمة اُ وحتى
العربية الباقية اُ وفي اى لغة من اللغات يجب اُن نتاكد من
العادات التكميلية التي تقوم قبل اى شيء على التداعي اُ والترابط
بين الكلمات : لناخذ حوارا عفويا حول رجل يهمنى اُ مره رجل
اُ وسافر الى مكان ما ، لا تسك اُن مجموعة المفردات التي تمثل
مجموعة الوحدات الدالية اُ والمونيمات تكون اُ ويحتصل اُن
تكون في قالب على الشكل التالي :

— الى اين ذهب ؟

— متى ذهب ؟

— كيف ذهب ؟

— لماذا ذهب ؟

— مع من ذهب ؟

— كم سيدوم سفره ؟

— ومتى سيعود ؟ ... الخ

ان الطريقة التي تتقارب بها المونيمات السكونية مجتمعة
من جملة الى اُ اخرى تؤلف بنيتها ، ولا حظنا اُن نفس القالب
يمكن اُن يستخدم مرة ثانية ، وثالثة ... لسكب اُ وبنا ، جمل اخرى ماثلة .

وبنظرة سريعة الى هذه النصوص النحوية العربية العريقة

في هذا العمل والموجودة خارجة في ابحاث اخرى وهي

كثيرة ، لتبين لنا ان هذه النصوص والتراكيب غالبا ما تستعمل

الوحدات الأكثر تدارلا بين أفرادها ، وهذه الوحدات المعجمية

لحسن بدت لنا أحيانا ذات دلالات فائقة ، فالأمر لا يعود الى

هذه الوحدات في حد ذاتها بل الى بساطة وسذاجة التراكيب

من جهة ، وإلى جهلنا بالطريقة الصحيحة التي كانت تتم بها التلغيمات

، وخاصة من الناحية الصوتية ربما يتصل بها سن أراءات لا تتصل

الابعادات المتكلمين في تلك الفترة ، من جهة ثانية .

ان النقوش المودية تحتوي على مادة غزيرة من الافعال

والمشتقات والأسماء ، فمن الافعال : علم ، حل ، بات ، رعى ، رهب ،

بان ، وكرم ، ورد ، عشق ، . . . (1) . وتعرف عددا آخر من المفردات

المشتقة في العربية الباقية مثل : جمل ، ناقة ، فرس ، وعد ،

فلان ، فلانة ، آل ، أم ، أسد ، ذكر ، حزم ، ظلم ، سلامة ، سعادة ، . . .

الى جانب الأسماء الأعلام التي نحددها في نقوش تيماء وجزارها ،

وعلى طريق مدائن صالح وجزارها (2) . . . فكل هذه الظواهر والكلمات

التي يازلنا نعرفها اليوم في العربية الباقية وردت في النقوش المودية .

(1) اللغة العربية عبر القرون : 30

(2) راجع . من الساميين الى العرب : 163

إذا ما أخذنا بعد النقوش الشعرية ودونناها بحروف عربية ثم

ألفقنا بأصواتها الساكنة أصوات المد التي جاءت هذه النقوش غفلا

منها ، فيكون النقص ثم القراءه كما يلي : (1)

النقص الأول : ذ ن ل ق س ب ن ت ع ب د م ن ت

كتابتها : ذ ن ل ع ب ن ت ع ب د م ن ت

ماعداء ((ذ ن)) الذي تعني : هذا القبر ، فان باقي الكلمات واضحة .

النقص الثاني : ل ت م ي غ ث ب ن ج ش م ه و ع ل

كتابتها : لتيم يغوث بن جشم هوعل

ماعداء الهاء الواردة في كلمة ((وعل)) كأداة تعريف ، فان ما بقي

من كلمات هذا التركيب بعد راسا لا غبار عليه .

النقص الثالث : ل ح ز م و ت ر و ق ال ع م ت

كتابتها : لحزم وتشوق الى عمه

وعلى الرغم من هذا التعقيد الملحوظ في هذا التركيب إلا خير الناتج

من تقديم غير مترابط ، وتداعيكيفية بنوية محكمة مع الكلمات التي

وردت بعده ، فان الدلالة العامة وحتى الداخلية لما تبار الجذور الموظفة

بينها ، وكان فيه الدكتور وافي : (ولعله منظر بيت من الشعر) (2)

(1) نعتقد في نقد هذه النقوش على : فقه اللغة ص : 101 - 102 د هـ في

(2) م هـ د هـ : 102

بالتسوية لهجة الشامية ، فالتأثير ما صرح به
 الدارسون ، المخصوص بأنها تعرف كثيرا من الخصائص التي يعكس
 ادراجها ضمن اللهجات العربية المبكرة ، معتدلين في ذلك على ما
 ورد فيها من الأسماء والأعلام العربية والأفعال واشتقاقات مختلفة
 مثل : عهد ، رب ، يوم ، بيت ، رأس ، عرس ، نعم ، ملك ، سلم ،
 برأة ، شيمعة ، حرة ، غلام ، وهذه الألفاظ مجتمعة مما نجد في العربية
 الباقية (1) ،... من الألفاظهم أيضا : ايسلاف ، جد مائة ،
 بعيت ، عصر ، طود ، عهد ، شمس ، كبير ، قد ، صانع ، نحاس ، ووارث ،
 عابد ، مقدر ، نعم ،... ومن اللهجات التي يرددون ذكرها بعل
 ، العزى ، مائة ، ود ، الهبة ،... (2) .

أما الصفوية ، كما أشرنا من ذي قبل ، فإن الباحثين
 لا يترددون ليعرروا أنها تشبه لهجة عربية شمالية ، فهي إلى جانب
 قربها السانتكسي والمورفولوجي من العربية الباقية ، فإنها تتوفر على
 معجم لغوي شري ، في الأفعال والأسماء والصفات والاشتقاقات ،
 فمن الأفعال : ندم ، تشوى ، لعن ، نهل ، سمع ، عور ، قتل ، رعسى ،
 ... ومن الأسماء : فرس ، ضأن ، ضان ، خيل ، خال ، خمسة ،
 كبير ، ملك ، ممزى ، سطر ، عشيرة ، ضيف ، رواج ، قهر ، صريح ، ...

(1) اللغة العربية عبر القرون ص 31

(2) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ص 113

ونورد هنا ايضا ثلاثة نقوش من النسخة الصفوية (1) :

النقش الاول :

ن برد بن ابراهيم بن ابراهيم وستى هدر و ذبح
ف هلت سلم

كتابتته : (بعد اضافة الصرائع الى الصراحت) :

لبرد بن ابراهيم بن ابراهيم وستى (فو هذا) الدار و ذبح فيها ايتها
اللات سلام را و اسلمى .

ان هذا النص ، باستثناء أداة التعريف (الها) في اول كلمة

الدار ، واضح بيمس ، وترجم الدكتور وافي تركيب : (ف هلت)

بتركيب : فيا الله سلام ، والذي راينا ما ترجمناه وفق وقوفنا على

تراكييب مشابهة لهذا التركيب الصفوي مثل نقش صفوي آخر ، حيث

يوجد فيه تركيب قريب من هذا : (2)

ف هلت وهد شر = فيا ايتها اللات ويا ذا الشرى

وقد يكون وقع للدكتور وافي خلط مع بعض التراكييب الصفوية الاخرى

المماثلة مثل تركيب في نقش آخر :

ف هلت سلم را فيا الله سلم .

(1) ننقل هذه النقوش الثلاثة التالية من كتاب :

فقه اللغة ص : 102 = 103 د . وافي ، وسنختلف معه في بعض اوجه القراءة

(2) انظر : من الساميين الى العرب ص : 168

النقر الثاني :

ل ان عم بن قحس وعنم س ن ت ح ر ب ن بط

كتابتة :

ل انعم بن قحس وعنم س ن ت ح ر ب ن بط

النقر الثالث :

ل ن ن ر ل بن قحس وعنم س ن ت ح ر ب ن بط

س ن م و ح ر ص ق ح ص ن و ف ر

كتابتة :

لنصر آل بن جمر الخط وحضر (في هذا) الدار ، فيها أشع سلام

وخرصر (معناها قتل) فعصن وفسره .

ان النقر الثالث ايضا يكاد يكون بينا لولا ورود الهاء كإداة

للتعريف في كل من : الدار و الخط ، الى جانب الاشكال المطروح في

الرسم حيث جاءت الطاء المشددة مفككة على غير عادة الكتابة في

العربية المعروفة بولكن هذه الظواهر بقيت آثارها ماثلة في بعض

اللهجات العربية الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم ، وهي لغة الحجاز

أي أن الصفويين كان من لغتهم الاظهار ، وهذه القاعدة الصوتية

بقيت عند الحجازيين ، حيث جاءت الارغام ، خلافا للهجة الصفوية ، على

لغة تميم في القرآن :

— ((وَمَنْ يَشَاقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)) (1)

وجاء فيه الفك أٌ واظهار طي اللغة الحجازية التي بيد وأنها

أُشر من آشار اللهجة الصفوية ، كقوله تعالى :

— ((وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ)) (2)

ومما هو ملاحظ في هذه التراكيب الشمودية والصفوية

على حد سواء أنها تكرر تكون مقولبة وفي بنية معجينة

مبتذلة ومتكررة : أسماء أعلام في صدر هذه التراكيب

يأتي بعدها البدن (رابسر) ، ثم الاسافة ، وأحيانا تتكرر هذه

المونمية مرتين في تركيب واحد متسلسل كما هو الحال في النقي الصفوي

الاول ، والنداء باسماء الآلهة في نهاية التركيب أفي ثناياه ، كما يلاحظ

ذلك في النقيين الصفويين : الثاني والثالث ، ويرى أن أسماء الأعلام

بما فيها أسماء الآلهة واردة بقوة في هذه التراكيب ، بينما تندرج الأفعال

خلا النقي الصفوي الثالث الذي وردت فيه ثلاثة أفعال ماضية .

أما النقول الشمودية الواردة هنا ، باستثناء الثالث منها ، فلا يبرز

فيها ذكر لأبي فعن ...

(1) سورة الانفال آية : 13

(2) سورة المائدة آية : 54

أما السبئية المعجمية في اللهجة الرابعة ، وهي لهجة النبط ، فلمست بد ما بين أ خواتمها السابقة ، فنحن علمنا أنهم فاقوا في تطورهم تلك اللهجات الثلاث في بعض النواحي ، فهم من كانوا يستخدمون ال كأداة للتعريف استخدأوا واسعا ، وربما حذفوا الألف منها ، خاصة في الإضافة ، باعتبار الكسرة ما يجانسها (الياء) ، مثلما كانوا يشتون في كتاباتهم النوا ، ويأخر الأعلام أحيانا دلالة منهم على أن هذا الاسم معرب ، في حين أنهم لم يتعاملوا مع الأسماء السبئية نفس التعامل ، مما يدل على أن التطور اللساني في البنية السانتكسية عندهم كان تطورا صادرا عن مراعاة ووعي ، لأن التعبير عن طبيعة هذه البنية ، وغيرها بما هو مرسوم لا يدع مجالاً للشك ، والعموس فيما هو مفوظ ، وحذا لوصولتنا أغلب البنى السانتكسية وما شابها فموصا مستقلا عليها بعلامات رسم شامتة من النوا ولد ن النبط ، ومن مثل ما بقي لنا من آثار لهجية فضيحة (جمى المذكر السالم ، الضم ، الاسماء الخمسة ، . . .) ، والبنية المعجمية لد ن النبط إذا كانت مشوبة بأسماء غير عربية فلها عذرها ، فهم على الرغم من أنهم كانوا عربا مثلنا يتكلمون العربية الشمالية في أحاديثهم اليومية ، فإنهم قد اخططوا بالآراميين ولم يكتبوا بالخط العربي الذي كتبت به اللهجات الثلاث ، إلى جانب اللهجات العربية الجنوبية ، نصوصها ومواثيقها ، بل كتبوا بالخط الآرامي

لسبب واضح عندنا متعلق بالا استقرار المدني والحصاري لهذا الشعب
النبطي من جهة ، ولكون الخط الآرامي في ذلك الوقت كان هو الخط
الدولي وإلى جانب الآرامية فيها ، الذي كان شائعاً في الشرق
الأدنى عبر مساحات شاسعة (1) .

وبالرجوع إلى بعض نقوشهم التي بقيت لنا كنقوش الحجر ،
فإننا نصل إلى ما سماه للرجاء والسيسنسا ، واردة عند العرب والشعوب
الناطقة بالعربية ، ومن هذه الأسماء : (2)

رائلة وكليمة ، وهب الله ، حوشب (حوشابو) ، روف (روف) ،
حنين ، تم الله ، حملة ، جلسه (اسم قبيلة عربية) ، شامية ، كهلان ،
خلف الله (خلفا لهي) ، خطية ، سلمى ، رعوا ، خلف (خلف) ، أمية ،
سليمة ، سعد ، سعيد ، نسيب ، غانم ، روما ، مالك ، حبيب ، هاني
(هانو) ، فاطمة (فطمون) . . .

وبالرجوع إلى النقيضين الواردين في اللوحين السادسة والسابعة ،
بلا حظ فيها أصل اسم عربية واسعة بصرف النظر عن بنيتها السانتكسية
والمورفولوجية والصوتية . . . ويكفي أن نشير فقط إلى أن المستشرقين
الألمانيين أنطوان ليطان قد استخرج من نقوشهم ثلاثاً اسم تتفق مع الأسماء
العربية الشائعة (3) على الرغم من بعض الاختلافات الآرامية التي لا ترد .

(1) راجع فقه اللغة ص : 51 د . صبحي الصالح

(2) راجع : من الساميين إلى العرب ص : 143-145

(3) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ص : 116

(5) فسي البنية الدلالية بين هذه اللهجات :

لا نريد ان نعود الى ما اشرنا عليه حين حاولنا الاشارة الى الموضوع ذاته تقريبا - باعتبار هذه اللهجات فروعاً سامية قديمة ايضاً - من خلال حديثنا عن هذه البنية بين اللغات السامية ، ولا سيما ما يتعلق بمسألة الجذر السامي التي قتلت بحثاً ، وفي كل مرة تنبئ بعشاه ولكن بدون طائل كبير ، وخلاصته - كما اشرنا - ان تتم الدلالة في هذه اللغات على نحو ثنائي اتم ثلاثي مع ان المسألة - فيما نرى - فلسفية وميتافيزيقية اوعى ما وراها لسانية لا وربما كان الخليل ابن احمد نموذجاً مخالفاً لشد هذه التساؤلات ، اذ لم يتوان هنيئة واحدة - بالنسبة للعربية على الاقل - لقرار ميدانها ان العربية ذات اصول ثنائية وثلاثية ورباعية ... وهذا هو المنهج اللساني الوصفي السليم والمجدني ، والذي نتقن ان يسود الدراسات اللغوية العربية المعاصرة بدون ضياع جهود كثيرة في قضايا اشتوغرافية واثقولوجية غالباً ما تكون عقيمة وسطحية وذات مردود لا يناسب الجهود التي كرست لها والآن ما ان التي عطلت طيها .

عسى اني ماسان لا يمكن التفكير لحظة واحدة خلال

التطرق الى بحث البنية الدلالية من خلال التركيب اننا نتناول هذه البنية بمعزل عن البنية السانتكسية اوحى المعجمية التي

تعمد الأساس المكون للوحدة الصوتية لأية بنية دلالية ،
وبالعكس ، فمما يشبه أضفات أحلام أن نتردد في تناو
بنية سانتكسية متوازنة جزئياً ، وكلياً مع صوتها الدلالية ، ذلك
أن البنية ككثيرهما تكمل الواحدة منهما الأخرى ، ولا يمكن
لأحدهما أن تكون ذات كيان أو وجود ، تركيب لسان ، ملهم
فائضة عن الأخرى ، ولن تبقي إلا الطريقة الخاصة بالقواعد العامة
المرتبطة بكل لغة والمتثلة ، بوجه خاص ، في طادات متكلمها وتراثها
وفي خصائصها الداخلية التي بها تتميز ، كيانها عن أي لغة أخرى
ليست مشتقة منها ، إن من الوهم بكان أن نذهب إلى الاعتقاد
بأن المتكلم العربي اليوم أو غدا يبدع في القواعد المانتكسية أو
يخلق نسقاً دلالياً من العربية مستغنياً عن قواعد ها ، ولكننا في مقابل
ذلك نعتقد بقوة بأن هذا المتكلم العربي في حاضره ومستقبله
لا يحرم من الإبداع من خلال قواعد ها واستلها ، تراثها ،
إنه لمن غير الانصاف أن نرمي من سجلوا لنا تلك
النقوش القديمة باللاوعي أو بالتفرض على من وثقوا فهم ، لا سيما
وأن تلك النصوص فيها ما يتعلق بحمد ومواثيق ومقدسات كانت
تحترم عندهم غاية الاحترام ، إن هو إلا الكتاب كانوا واعين بالقواعد
التي يحيلون عليها كلما أرادوا وضع تركيب دلالي موجه لمستقبل يفترض

فيه مبدئياً أنه يفهم هذه الرسالة ، ولا فما جدوى كتابتها والتشدد
أحياناً فيها ؟ وعليه فإننا اليوم بالسقايد نفترض من جهتنا أن ذلك
الباط كان يجب عليه أن يحترم القوانين اللسانية للتليغ المتأثلة
منه ، وأنسباً حيناً وبينه .

مما يدل على الوعي الدلالي لدى ذلك الباط أنه قد
استخدم العناصر السانتكسية والصوتية والمورفولوجية . . . التي كانت
سائدة بينه وبين متلقي رسالته ، ففراه لكي يصل إلى مهتفيه الدلالي
أن يتبع عدة طرق في التركيب ، تشابهها أحياناً أو غالباً في وحداتها
المعجمية وتماثلها في تقوّلها السانتكسي لا يدل أن صاحبها
يقصد تكرار بنية دلالية واحدة ، فما انتقاله من المذكر إلى المؤنث
ومن المفرد إلى الجمع ، ومن المعلوم إلى المجهول ، ومن المجرد إلى
المزيد ، ومن جملة تحتل الصدارة إلى جملة أخرى معطوفة
ألا لغرض واحد هو محاولته صياغة هذه البنية الدلالية ، فلا صوت
على تباينها وتعارضها كانت لديه عبارة عن معادن ، والوحدات
المعجمية كانت عنده مواد بناء ، أما الوسائل التي كان يعتمد عليها في
هذا الانجاز اللغوي الهندسي فهو العناصر النحوية والمورفولوجية
التي كانت بينه وبين متلقي رسالته رباطاً دلالياً قائماً على
التنسيق والأعراب اللذين ينمان بشكل ما عن تلك اللغة المحكية المجهولة
بالقياس إلى ما وصلنا عنها من نصوص مكتوبة من الصعب نطقها اليوم نطقاً سليماً .

الفصل التاسع : في الهنمة الصوتية بين اللفظ والمكتوب
=====

اننا نريد أن نشير هنا الى ما اُهمنا الاشارة اليه حين
تحدثنا عن هذه الهنمة بين اللغات السامية ، بأننا لا نقصد من
وراء هذه الدراسة هنا وهناك أن نقوم بدراسة صوتة أو
فونيتيكية للأصوات التي كانت تتألف منها المادة اللغوية لتلك
الكلمات والتراكيب في تلك اللغات ، وفي هذه اللهجات العربية
((البائدة)) بحيث نبين صفاتها العامة والخاصة وأنواعها وأقسامها
وخواص كل صوت منها تبعاً لما كان ينطق به وتعبيراً وجزء دراسة
جهاز النطق وتوزيعه وعلاقة كل ذلك بما يسمى بخارج الحروف ،
ليس تبقى هذه الرؤية الاحكامية اودنا ، ما على المستوطن العلمي
أوالدليل الملموس ، فإنه لن يتحقق .

كما يعلم المختصون والدارسون بشكل عام ، فإن هذه العملية
تحتاج الى ادراك صوتي بواسطة جهازنا وعلى الاقل بواسطة اذن
سليمة واعضاء بمولجعية اخرى تستقبل مثل هذه الاصوات ، لكن أين
المتكلم الأصلي وأين السامع المتراخض وأين الدارس المسجل مثلما قام
به جماع المادة اللغوية العرب خلال وبعد نشأة الدرس اللغوي
عندهم ؟

وحتى الشق الثاني من المستوى الصوتي والمتعلق بدراسة وظائف الأصوات في لغة معينة، ولا سيما ما يتصل بدلالة كل صوت منفرداً في وحدة معينة وتأثير هذه الدلالة في التركيب كله، فضلاً عما يقوم به من دراسة التركيب كله كما للنبر، والتنغيم، وطرائق الاستغنيات، والنفي، . . . حتى هذا لن نطفر به في مثل هذه الدراسة.

وعليه، فإن المتبع لهذا العمل قد يؤخذنا في هذه البنية أوفي البنيات التي سبقها، حين يلاحظ أن هذا العمل ثارة هو وصف، ومرة هو تحليل، ونحن مضطرون في هذا المنصراً أن نتورط في الشيء ذاته، والوصف هو غالباً ما يلاحظ بالنتائج التي توصل إليها في هذا الميدان الشاى الباحثون والملمسا، إلا جلاء من عرب واجانب، واما التحليل فهو غالباً ما يتعلق بالمادة التي نقرأها في هذه البنية أوفي غيرها أوتنقد عليها يمكن مغاير لما قرأناه.

إن الباحثين يتفقون على أن اللغة قبل أن تكون مكتوبة كانت محكية، والأصل في اللغة هو الكلام، وأما الكتابة فليست إلا نسخة مما سمع بعد، واللغة المكتوبة تتقايى في الكلمات والحروف، وأما اللغة المحكية فتتقايى في النقاط بحرارة من الدلالة، وتأسي

بدرجها المرتب (1) المركبة من فونيمات (2) وهذه
 الأخيرة مرتبطة بعدد محدود في كل لغة (((3) .
 وكما أن لدينا انطباعاً في سوسور في هذا الموضوع، والذي
 يرد أن اللغة المحكية كلما كانت مغلقة في الزمن كانت أحوال
 الشهادة الخطية للكتابة، أما ((إذا كانت اللغات غير الموجودة
 هي المعنية بالأمر، فإن العائبة إلى ذلك أمس وألح (((4)
 ونحن اليوم في غياب منظومة لغوية ماثلة أمامنا تمام الشؤ
 على أي شيء نحتاج أن نلصق الحرف لتحديد هذه
 البنية الصرية في هذه اللغات ١٤ أن المفروض في كل حرف أن
 يمثل صوتاً، والصوامت ليكون لها وجود ما في صحيح بين اللغة
 المحكية والمكتوبة يجب أن تكون ذات صوات قصيرة وخاصة الطويلة
 منها ونحن اليوم إذا تأملنا ((أبجده هوزة حطبي)) المشتقة
 أصلاً من أبجدية عربية قديمة، هي الأبجدية الكنعانية، ولا حظنا وجود
 هذه الصوات الطويلة من حيث الشكل على الأقل، حتى وإن لم يكن

1) المرنيم، واحدتها مرنيمية، وتعني أصغر وحدة دالة حسب مصطلح
 اندري مارتيني، وهو ما يقابل المرفيم في المدرسة الأنجلوسيكسونية...

2) الفونيم، واحدتها فرنيمية، وهي صوت تميز غير ذات بذاته وغير قابل
 للتقليح، وقد توجد بعض الأصوات المنفردة دالة بذاتها كما هو الشأن في العربية

3) Les Langues vivantes p. 47 JEAN GUENOT
 EDITION SEGHERS PARIS 1971

4) محاضرات في الألمانية العامة ص: 39

يعبر بها كأصوات مد طويلة لا في اللغات السامية ولا في هذه اللهجات العربية النكرة. وهذه الأصوات الثلاثة كان يرمز بها إلى صوامت تقوم بوظيفة فونيمية صوامسية أو قد، وإنما كانت في هذه الحقب تمثل أصواتاً ساكنةً وصحيحةً.

لكن هذه الأصوات الثلاثة لم تبقى كصوامت فقط بل اتخذت منذ عهد بعيد لدى بعض الشعوب السامية والعربية حركات مد طويلة دالة على نهايات اعرابية، كما سبق أن فعلت في البابلية القديمة والأكادية والعربية الجنوبية والآرامية، فالنماذج اللغوية في هذه اللغات تؤكد استعمالها في مواضع الحركات الطويلة والنهايات الاعرابية، فكل المفردات البابلية والأكادية تنتهي بأصوات حركية تدل على وظائف النحوية في العبارة، وهي تشبه الحركات الاعرابية في اللغة العربية تماماً، فالواو والرفق والالف للفتح، والياء للكسرة والملاحظة أن الأعراب في اللغات الأكادية يظهر حتى في النماذج المنفصلة، إذ تتغير نهاياتها الحركية حسب مواقعها في الجملة، فنكون سرفوعة بالراء، ورفقوعة بالالت، ومجرورة بالياء (1). وهذا يعرف النظر عن الخط السماري السومري الذي كانت تكتب به الساميات القديمة في بلاد الرافدين، وهي كتابة يدل فيها الرمز على المقطع المؤلف من صوت صحيح مرفوق بحركة، لكن الأبجدية التي ورثتها

(1) مجلة مجي اللغة الأردنية ص : 66 دة . باكرة رفيق حلي

العربية عن الكنعانيين لم تقتصر الا على رموز الاصوات الصحيحة () وهذا هو سبب الارتباك الذي وقع فيه العلماء العرب عند بدء التدوين ، وسحولة الانتقال بالابجدية الكنعانية الى مرحلة من التطور يستطاع فيها كتابة اللغة العربية كتابة صحيحة تتمثل فيها كمل الاصوات الحركية الضرورية لسلامة النطق وحفظ الصيغ من الخطأ (١) (1)

وخصوي يقول الدكتور ساكزة ان يكون صحيحا فعلاوة على العناية التي أولاها ابن درستويه وغيره من علماء العرب القدماء ، فهذا السيد البطليوسي يقول : () وقد اضطربت آراء الكتاب والنحويين في الهجاء ، ولم يلتزموا فيه القياس ، فزادوا في مواضع حروفا غشبية اللبس ، نحووا وعروء وباء ، أخى (2) وألف مائة ، وحذفوا في مواضع ما هو في نفس الكلمة ، نحو مالك ، وخالد ، فأوقعوا اللبس بما فعلوه ، لان الالف اذا حذفت من خالد صار (خلدا) ، واذا حذفت الالف من مالك صار (ملكا) ، وجعلوا كثيرا من الحروف على صورة واحدة ، كبالدال والذال ، والجيم والحاء ، والحاء ، وعولوا على النقط في الفرق بينها ، فكان ذلك سببا للتصحيح الواقع في الكلام ، ولوجعلوا لكل حرف صورة لا تشبه صورة صاحبه ، كما فعل سائر الأمم ، وكان اوضح للمعاني وأقل للالتباس والتصحيح ، لذلك صار التصحيح للسان العربي أكثر منه في سائر اللغات (3) (١)

(1) م ه س و ن ه ي

(2) زاد العرب انوا وفي كلمة (اخي) المصغرة للتصل بينها وبين (اخي) الكبيرة

(3) ٢ / ٢ ن ١٩٥٠

نفساً أن هذه الصائغة ليست رفقا على العربية القديمة وحدها
 أو أحوالها الساميات بل هي ظاهرة متفشية حتى في اللغات الأوروبية
 الحديثة التي يمكن أن تصلح بمواثيق ومراسيم لا يمتلكون يمثلون أجيالا
 متعاقبة وأزمنة غابرة .

إننا لا ننكر أن مجموعة الحروف في أية لغة تشكل أبجديتها

(لكن مع الأسف في عدة لغات وفي الفرنسية بوجه خاص نفس
 الحرف (أو مجموعة الحروف) لا تمثل دائما نفس الصوت)

ص

ونفس الصوت ليس مثلاً دائماً بنفس الحرف (أو مجموعة الحروف) .

وعن هذا النطاق فإن كلمة (OISEAU : طير) لا تحتوي أيها

من الأصوات : O, i, s, e, u, وكان ينبغي أن تكتب : wazo

أن الحرف : لا يلتفت به أبداً وهو على الأكثر مهتوت (ASPIRÉ) .

وإذا كان الأسباب في هذا الميدان أكثر خطاً من الفرنسيين فإن

الإنجليز يتقاسمون نفس البلية فكانت الهزليات الساخرة الإنجليزية

برنارد شاو (BERNARD SHAW) كان يقترح أن تكتب الكلمة

: fish (Ghoti) (لـ كما في enough (gh, f)

لـ أ كما هو الحال في women و Shakti كما في

(nation) . بل ترك بموجب وصية مبلغاها مالا بتكار ألباني

مطابق للاصوات في الانجليزية ... ويبدو من الصعب جدا ايجاد

ابجدية تتناسب مع كل اللغات ، بينما هي لا تتضمن كل الاصوات

في (th) الاصوات مجهول في الفرنسية ، وال (u) الفرنسي مجهول

في لغات اخرى . والابجدية الصوتية في حد ذاتها ليست كما سلة ،

وكند الناس لا ينطقون بنفس الشكل ((1) .

وفي لغة اخرى كاللغة الانجليزية ((نجد رمزا خطيا واحدا

يرمز الى صوتين مختلفين وهو الرمز (X) يرمز الى الحرفين : الكاف

والسين ، ونجد فيها العكس ايضا ، فالرمزان (TH) يدلان على صوت

واحد وهو الذا ل ، وكذلك (sh) يرمزان الى الشين ، كما نجد رمزين خطيين

(CH) يرمزان الى صوتي تش . ولا نجد هذه الظاهرة في اللغة العربية

فكل رمز فيها له صوت وركل صوت يدل عليه رمز ، لا يعبر هذا ولا

ذات ((2)

وفي الانجليزية كلمات تحوي عددا من الرموز الصوتية لا يلفظ

بها ، وبهذا صار الجهد المبذول في الكتابة اكثر منه في النطق ، وصارت

الحروف المكتوبة اكثر عددا من الحروف المنطوقة ... واكثر من ذلك

ان في هذه اللغة رموزا صوتية تنطق اوتتو رى برموز اخرى غير

المكتوبة مثل كلمة colonel التي تنطق (كارنيل) و Lieutenant تنطق

Guide pratique de Grammaire Française, Pt 8
Charles Geodert édition Hachette 1978 (1)

(2) في علم اللغة التقابلي ص : 19 - 20 د . احمد سليمان يا قوت

(ط : 1985 دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية)

(لغتنا نت) (1) .

ثم ان اللغة المكتوبة ليست ترجمة عادية للغة الشفوية ،

وكيف كان دائما فردينا ندري سورجين صرح : كما سبق ان اشرنا .

؛ ((اللغة تقليد شعوي مستفاد عن الكتابة وثابت على نحو آخر)) (2)

وكيف انه انتقد بسوب الذي لم يميز - حسب تعبيره - بوضوح بين

الحرف والصوت (3) .

وقريب من هذا ما لا شك الاستاذ انطوان ما يسه من ان الاذن

والاستطاعت ان تنتهي الى تكوين الكتابة الهجائية (التي تحمل

في نفسها نظرية صوتية كاملة ، ولا بد ان تكون تلك الملاحظة قد

اُدركت كل ما هو اساسي في اللغة مادامت اللغات تنتقل بالسمع

من جيد الى جيد . . . ذلك بصرف النظر عن الكتابة التي تعتبر

شيئا ديشا بعيدا او ان يكون عام الاستعمال لدى الشعوب كافة ،

وهي بعد اداة ناقصة تهمل عددا لا حصر له من الفروق الدقيقة) (4) .

وانطلاقا من ان اللغة ليست ترجمة عادية لمن يتكلمونها عبر

الازمنة والاجيان ، لا سيما حين نلتجى الى النصوص الموروثة منقوشة

هنا وهناك ، والتراكيب في اللغات الحديثة تبين لنا بعض هذه التناقضات

(1) م . س . ص : 10 - 20

(2) محاضرات في الالسنية العامة ص : 40

(3) م . س . ن : ص

(4) النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الادب واللغة ص : 439 د . محمد مندور الذي ترجم ما يسه (دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة) (م)

فان الامم تتعلق بالبنية الصوتية ذات الارتباط بينى اخرى
 كما اننى المورفولوجية ه ففى لغة كالفرنسية مثلا يوجد على الاقل
 نظامان ا واربعتان مثلا بعض الفهارس بين ما يكتب فيها وما ينطق ه
 ان (ر) عندما نقول : cheval (الحصان) chevelux (الاحصنة)
 فان علامات الجمع هي نفسها في الشفوي وفي الكتابي :
 Le → Les , cheval → chevaux

وعند ما نقول : L'ENFANT (الولد) ، LES ENFANTS (الأولاد)
 فان علامة الجنس في : ENFANTS لا تترك في الشفوي ه وكذلك :
 chante يغني و chantent يغنون ه فان الشفوي لا يقوم
 بعملية التمييز ه وبما كنا ان نناقش بالمشكلات اخرى :
 L'élève est venu. (التلميذ حضر)
 L'élève est venue. (التلميذة حضرت) (1) ه

فالكتابة ترسم الفرق بين المذكور والمؤنث ه لكن الشفوي لا يرسمه ه ه فالنظام
 او الرمز الكتابي متشدد اكثر من الرمز الشفوي ه لان المخاطب ليس
 هنا من أجل ترسيخ ما قد يبدوله غير واضح (2) ه

(1) يمكن ان نقول : التلميذ حضر مثلما يمكن ان نقول : التلميذة حاضره
 وكذلك في التركيب المؤنث يمكن ان نقول : التلميذة حاضرة بدل :
 التلميذة حضرت ه والمشكل ليس مطروحا بالنسبة لميوز الجنس في العربية ه
 Guide pratique de Grammaire Française (2)
 P. 18 , Charles Guedert , Hachette 1979

ويظهر ان تأخر الصوائت عن الصوامت في الرسم السامي
 او العربي القديم كان راجعا الى ان هذه الاصوات الثلاثة
 (ا-و-ي) كانت تقويم بوظائف دلالية منها الاعراب ، كما شاهدنا
 في بعض اللغات السامية ، وكما عرفنا ان الانباط كان من عادتهم اضافة
 الواو الى الأسماء المصروفة (مذججوه نزر وه شرحوه ظلموه...) ،
 ونحن لو اخذنا نقشا مؤرخا في سنة 565 ، (أي سنة 463 من
 سقوط سلج) ، والمعروف بنقل حسان لوجدناه مرسوما كما يلي : (1)
 بما سمو حصل لهم ظلموا ~~.....~~ والى الم طرول ~~.....~~
 (463) ~~.....~~ ~~.....~~ (2)
 (انما سمو حصل لهم ظلموا) ثبت هذا الم طرول سنة (463) بعد مفسد خير بعام
 رالبلا حظ على هذا النقل انه كتب غير معجم ، وان (نسا) كتبت
 مدفقة على لغة اهل التسهيل بينما اُثبتت الصائت في آخرها ، لان هذا
 الصائت هو جزء لا يتجزأ من الكلمة ، بينما حذف الصائت (اليا) بعد الباء
 من (شرحيل) ، وكتب الصائت (الواو) في آخر (ظلموا) دلالة على
 انه مصروف أو قابل للتثنية ، وان ثبت الواو في (مرطول) لانها

(1) نقلنا هذا النقل من : مصادر الشعر الجاهلي ص : 23 د. ناصر الدين الأسد
 (ط : 4 / 1385 دار المعارف - مصر)

(2) محونا الاعجام قصدا ، ثم ترجمنا النقل ، وسنثنته على أصله في نهاية
 هذا الباب صحت نماذج من خطوط ونقوش أخرى .

جزء من الكلمة ولكننا لا نحسب أنها كانت تلفظ كصوت ساكن بل كانت تنطق كصوت مد طويل وكما هو الحال في ((نسا)) وفتح الستة في (سنت) ليس بالامر العجب وفي طريقة ما لوفة في الخط النبطي بل حتى في القلم الاسلامي الاول او المكمرة وهذه الظاهرة معروفة في رسم المصحف العثماني ونجد ابن فارس يروي جملة تلك الحميمي مثبتا التاء مسروطة في (عريبت) : ((اما انه ليست عندنا عربيت)) من راء ظفار (مصدر) (1) ، بينما اهل الكتاب في هذا النص اثبات الصائت (الالف) في . عام ، مما يقضي بأنها كانت تنطق سريعة ، أي كانت العين تنطق بحركة قصيرة ، بحيث يصل النطق الاول بالثاني الساكن (على الميم) فلا يدع مجالا لزنيا لمد النطق الاول ، ا. ا. ان التلفظ الثاني هو الذي لم يكن يسمح لعارة التكلم بالانتظار في مثل هذه التلفظات .

ثم ان هذه الصوائت الثلاثة بقدر ما كانت تدل على النهايات الاعرابية كدلالة على وظائف نسوية ، كانت تدل في الوقت نفسه على دلالات اخرى في الجمع ، كما اشرنا ، لان الجمع في البابلية (وهن) كما في العربية ، وهو في السريانية (يهرا) وفي العبرية (يهيم) . . . وهذا يدل ان تنسو الثني في العربية ، او الزام بعض اللهجات العربية ثناها الألف مطلقا ، كما سيجيء في بيانه . . .

(1) فقه الحنفية ص : 51 لابن فارس ، وفيه كذلك :

((رتبها الاختلاف في الرفع على التاء حيث مثل : هذه أمهه . . . وهذه بنت)) نعر المصدر الألف : 50

ان تكلف اللغة السكية هذه الصوامت اُصلا بدلالات نحوية
وصرفية وصوتية مكثفة في طلب النطق التي تعد عملية سابقة على اُي
نظام كتابي في اي لغة انسانية ، جعل هذه الصوامت الثلاثة لا ترسم
في النصوص القديمة الا اذا كانت جزءا من الكلمة او خاتمة لا حدى
الفاصل الصوتية الشفوية التي لا نستطيع ان نتصورها اليوم الا من
خلال بعض الآثار الكتابية .

ويستنتج من هذا ان تطور هذه الصوامت الثلاثة كان ينحو
منحصر صوتيا ولفظيا ولا سيما لامحس صوتيا فيزيا عينا اُ وحرفيا اُ في
اُلفيا عينا ، والقراءان الكريم لا تزال كتابته القديمة ماثلة اُ ما منا في
كثير من هذه المسائل ، فليدنا الى سورة اُم القرآن لوجدنا ان
عاصما والكسائي يقرآن قوله تعالى : (مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ) (1) ،
بالالف في (مالك) ، بينما قراءها النسخة الباقون بحذف الألف (2) ،
والرسم ليس اُ سرا هينا ، ولزمنا اما حية المورفولوجية الشكلية احيانا ،
بل قد يرجع القارئ وجهة غير وجهة القارئ الاخر من ذلك ان
حمزة قراء قوله تعالى : (وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ) (3)
بالالف مع ضم الياء وكسر النون ، في حين قراءها الباقون بغير الف لكن

(1) سورة الفاتحة آية 4 .

(2) التيسير في القراءات السبع ص : 18 ابو عمرو وعثمان بن سعيد الداني
(ط : 1930 مطبعة الدولة - استانبول)

(3) سورة آل عمران آية 75 من آية : 21

مع فتح الـ " وضم التـ " ، والأولى من القتال و الثانية من القتل (1) له
وسوا " عدنا إلى النصوص اللهجية العتيقة (أ) والأركية (أ) وبعض
النصوص الجاهلية وبعض القراءات القرآنية ، فإننا نجد أن هذا الحذف
تعدس العناصر () اللسانية المستقلة أو المرتبطة بصيغة إلى حذف
مقطع أو أكثر من صيغة كساملة سوا " كانت اسما أم فعلا ، وهذا مما
اعتاده القوم حيث الحذف لديهم يدل على الاثبات ، ولا نهم يتفاهمون
بالحذف كما لو كانوا يتفاهمون بالاثبات ، وهذا يدل كذلك فسي
إطار الطبع العربي العام والعادات اللسانية الشعبية التي تمتاز
بها كل أمة ، علما بأن هذه العادات غير ما يتعلم الناس من لب
هذه اللغة بين الجدران ، لأن هذه العادات اللسانية تخضع لقاعدة
لسانية شعبية لا تحصل إلا بالمعاشرة الطويلة بين أصحابها ، (2) (3)
ومن ذلك ما حكاه الستأخرون نسبيا عن هذه النصوص اللهجية
المكبرة من أن العرب تقول : ((مخيرك)) في ((ما أخيرك)) ،
وذكر المازني أن العرب تقول : ((ما شر اللحم للمريض)) و ((ما خسر
اللبن)) أي : ما أشره ، وما أخيره ، وسجل الكوفيون عن العرب
أنهم يقولون : ((ما خير اللبن للصحيح ، وما شره للمبطون)) (3) .

(1) م.س.س : 37

(2) " العربية بين الطبع والتطبيع " : 68 عبد الجليل مرتاض (ط : 1993

(ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر)

(3) الضرائر الشعرية ص : 101 لابن عصفور

وعلى الرغم من النقائص المشار إليها آنفا في الرسم

السامي عموماً وبمعه العربي العتيق الموروث عنهم أو عن بعضهم
(الكنعانيين) تلك النقائص التي وقفنا عليها لدى بعض الشعوب الحديثة

من أجل أننا تبليغ متميز عن تبليغ آخر وأفراد مفردة متباينة مع

مفردة أخرى في أوضاعها ودلائلها وعلى الرغم من بعض المبررات

التي حاولنا استنتاجها ، فإن النصوص اللهجية العربية العتيقة التي

وصلتنا - وحتى التسمية خرة نسبياً - لا تخلو من غموض وتعقيد في

بعض رسومها ، حتى أن المرء لينك في قراءة كل من قراءات هذه النصوص

في بعض الأحيان ولا سيما حين تتعارض التراجيم لرموز هذه النقوش .

إن المستشرقين قراءوا هذه النقوش على ضوء الأبجدية

المعروفة (١) في جزيرة العرب والأبجدية الصفوية واستنتجوا

تاريخ النقوش بين القرنين ٥ و 6 ق.م (١) ، (2) . ويصدر هذه النقوش

يقول الدكتور حسن عون : (وهناك صعوبة أخرى يدركها المختصون في

الدرس اللغوي ويلجأون إلى إثباتها في النصوص اللغوية التي وصلت إلينا ،

.. ذلك أن هذه الآثار لم تصل إلينا مسجلة مكتوبة بل مروية مسموعة (2)

وهناك فرق كبير بين اللغة المكتوبة واللغة المسموعة ، فاللغة المسموعة

(1) من الساميين إلى العرب ص : 160 - 161

(2) لووصلتنا مروية مسموعة لما كان هناك إشكال كبير ، فالعربية الباقية
لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ورثناها مروية مسموعة : إذ من ذا الذي
روى عن لحياني أو شمودي أو صفدي أو نبطي ؟؟

ليست صادقة (1) في تصوير الحقيقة كما كان ينطق بها أصحابها
 في عصورهم المتباعدة ، وإنما تصور وضعها في زمن يروونها ، والمعروف
 أن النطق يتطور (2) من عصر إلى آخر ويختلف من بيئة إلى أخرى في
 نفس العصر ، وعلى عكس ذلك اللغة المكتوبة فهي تصور بوضوح كيف كانت
 تنطق في كل عصر وفي كل بيئة ، وإذا كان من السهل الاهتداء إلى
 تطور النطق فبشيء اللغات التي حرصت على تسجيل الحركات القصيرة
 والطويلة بأشكال خاصة ، فإن ذلك بالنسبة للعربية يعتبر من الأمور
 الشاقة (3) ، وذلك أن العربية ظلت كتابتها إلى ما بعد الإسلام
 خالية من رسم تلك الحركات التحركة في طريقة نطقها ، ولنا نقصد
 من ذلك الحركات الضابطة لشكل الكلمة من ناحية الأعراب فقط ،
 وإنما نقد كذلك كل أنواع الحركات الضابطة لنطق الصوامت أو
 الدواكن من حروف اللفظ كله ، (4) .

(1) حتى في حالة كون اللغة المسموعة غير صادقة ، فإن الكتابة أعجز
 من أن تمثلها ، وبالتالي تكون أقل صدقاً منها ، لأن الكتابة نظام
 مستقل عن نظام اللغة الشفوي .

(2) الذي نراه أن النطق يتغير ويتباين حسب المتكلمين .

(3) هذه مغالطة وقع فيها السيد البطليوسي ، وها هو يقع فيها صاحب هذا
 النص ، وقد حاولنا أن نبين أن هذه الاشكالية ليست في العربية وحدها .

(4) دراسات في اللغة والنحو العربي ص : 41 - 42

ومما هو جدير بالذكره ان البنية الصوتية في نصوص ملغزة ا ولبسة
هي غريبا في النصوص السروقة ا غير المشروعة في جميع مستوياتها ،
والبنر كلها متضامنة ومتداعية بجميع عناصرها اللسانية لتنتج في النهاية
بنية واحدة تعرف وتستقل عن بنية اخرد بسمايتها التعارضية على
الرغم من انها تنبئ عن نفس المواد والعناصر لكن المعبرة بكيفية
البناء او النظم وليس بالبناء ذاته ، لكن النصوص التي عثر عليها الدارسون
ه على الرغم من كثرتها ، فهي قصيرة ، وهي ، فيما يبدو ، اجزا من نقوش
وليست نقوشا كاملة ، فالنقوش النحائية مثلا ا كثرها لا يتجاوز كلماته
الثلاث ا ا ا (1) ، لكن اكثر هذه النقوش في امور متذلة
كان تتعلق بأمره خصبة ا رأر متقراطية او تمجيدية لحكام ودعا
للالة () وليس بيننا نمر ادبي ارنس طريد يمكن ان نتبين في
تضاعفه جملة العناصر النغوية لتلك اللغة التي كان يتحدث بها
كتبة هذه النقوش ، وجميعها على لسان النصوص الثالث الغائب ، وليس
بيننا نمر على لسان مخاطب ا رستكم وهي تخلصوا تاما من الشكل
والحركات وحروف العلة وعلامات الاعراب (2) .

ومن الغريب حقا ان نجد باحثا فذا مثل الدكتور شوقي ضيف

يطلق بعض هذه الاحكام المتناقضة مع بعض النصوص المادية بشان

(1) الوجيز في فقه اللغة : 104

(2) تاريخ الاسم العربي ، الجزء الثاني ، ص 116

ورود النقوش كلها على لسان الشخص الثالث الغائب ، وأ^١ أنه لا يوجد بين هذه النقوش مجتمعة (ما اكتشف منها طبعا) نص على لسان مخاطب أ^٢ ومتكلم ، في الوقت الذي نجد في النقش الذي أ^٣ سلفناه (1) :
 (ضمير المتكلم واضحا : (سا سرحيل = أ^٤ي . أنا سرحيل)
 (2) والضمير المتصل السند الى المتكلم : سبت = أ^٥ي بنيت
 ونجد في نقوش صفوية أخرى ضمائر في غير الغائب سرا^٦ ما اتصل
 منها بالفعل ام بالاسم ، كالدعا^٧ الدال على المخاطب عادة للنداء :
 - فهملت سلم = أ^٨ي فيا أ^٩يتها اللات سلمي (أ^{١٠}ي أنت)
 - ف هله سلم = أ^{١١}ي فيا الله سلم (أ^{١٢}ي أنت) ... إلخ (2)
 وفي النقوش الشمودية :
 - لبك سرروهب وصدقي = أ^{١٣}ي قلبك (لبك) سرور و هبة و صدق
 - هله تمد = أ^{١٤}ي ياله شصور
 - ان ز حب = أ^{١٥}ي أنا ز و الحب ... إلخ (3)
 ومن هذا ما زسه انوليتسان المستشرق الألماني من ان الواو
 الملحقة بـ خرا^{١٦} سما^{١٧} الا^{١٨} علام في نقش النمارة وضع لينوب عن التنوين
 في حالة الرفع (4) ، وهذا ، فيما يظهر لي ، وهم آخر ، لان التركيب في

(1) راجع ص : 267 من هذا البحث

(2) راجع من الساميين الى العرب ص : 167 - 168

(3) راجع المرجع السابق ص : 162

(4) انظر فقه اللغة ص : 104 هـ : 1 للدكتوروا في

نقش حيران السابق لا يتفق وهذا التأويل حسب قواعد اللغة العربية التي يمثلها هذا النقش القريب جدا من الفصحى الباقية بشهادة كل المحللين والدارسين :

-أنا شرحيل بن ظلمو

والكلمة هنا مضافة من حقها الكسراً والجراً لا الرفع ، وإذا فكيف تكون الدار هنا دالة على الرفع ؟ وإنما اثبت هنا على نحو ما أشرنا ، أي كدلالة على أن الاسم مصروف أو غير متمكس أي لا مانع من أن ينطق منونا .

وهناك أوهام أخرى وغموضات لا تزال تخيم على هذه النقوش العربية المبكرة بوجه خاص والساميات بوجه عام ، وذلك في جميع مستوياتها ، ولا سيما في مستوييها : الفونيتيكي والفونولوجي ، لأن هذه النقوش ، مهما بذلنا اليوم فيها من جهود مضيئة ، فإنها لا تمثل لنا الا قليلا ، وقد يكون مغلوطا أو مغالطا لنا أحيانا ، مما كان يملكه متكولفاتها على المستوى الشفوي من مناسبة وحركات ونبر و تنغيم رنفي وتأكد وإثبات واستفهام ... الخ .

وإذا عدنا اليوم الى عدة تراكيب موروثة في اللهجات العربية الباقية ، فإن كتبتها ربما كانوا يجتهدون عن دراية أو عن غيـسر دراية منهم ، في رسمها مثلما كانت تنطق ، أو على الأقل كانوا على

دراية بما يجب كتابته مما يهمل نطقه ، ومنها الصوائت ، وليس معنى
 هذا أننا اليوم قادرون على ادراك ما يجب نطقه مما يمكن اهما له ،
 فالتحريك : ((ويلمها)) ، والتي وطفها امرؤ القيس في شعره (1) :
 ويلمها في هوا * الجو طالبة ولا كهذا الذي في الارض مطلوب
 ومثله التركيب ((علما *)) كلاهما يقوم على الاحادية في عملية
 التخليع بين المرسل والمرسل اليه ، لكن الرمز بينهما في هذه الحالة
 يكون شائعا بين التقليد في الخطاب الشغوي وبين النظام الكتابي ،
 والاعدت الكتابة الموروثة هذا ناسا من كمية الصوائت ليست لها
 اي ابعاد دلالية غير كونها صوائتا طبيعية .
 والذي نريد ان نتصوره انسه لم تكن الكتابة لدى اولئك
 الكتاب شيئا ، والنطق شيئا آخر ا * وعلى الاقل بعيدا عنه كد البعد ،
 ان لا شك ان من كان يكتب ((علما *)) لم يكن يقرأ ا * ويتلفظ
 ((علما *)) ، ومثله التركيب السابق ((ويلمها *)) .
 واذا اردنا اليوم ان نفهم هذه الظاهرة التركيبية الصوتية
 ، الى جانب كونها تدل على ظواهر تركيبية اخرى في الاذن ذاته ، فاننا
 نجد انها برزما تكون ماثلة وحية في العارضة العربية المحكية الى

(1) الكتاب ج : 2 / ص : 294 سيمويه (ط : 1968 دار الكتاب العربي القاهرة)

جانب وجودها ماثلة في العربية القديمة والجاهلية الباقية ،
 سيدان انتشار الكتابة أوالغة المكتوبة بدأت تبطل تدريجيا هذه
 النروب والمستويات من اللغة المحكية في الوطن العربي بفضل انتشار
 المدارس والثقافات الرسمية في القرى والمدن ، ففي العامة
 التي نعرف في الجزائر يقال فيها : ((الفدار)) ويراد بها :
 ((فاء أو فم أو فناء الداء)) ، والسبب في هذا أن بداية
 تطور ظاهرة لسانية لا تناسبها الانماية ماثلة للظاهرة نفسها ،
 لكن معاكسة . فالعربية التاريخية القديمة كانت أشبه بما آلت
 اليه الـ مثل هذه العاميات التي أصبحت الرسميات اليوم تحول
 بينها وبين المزيد من تطورها النحتي لتتخذ نفسها قواعد مستقلة .
 والذي لا ننسك فيه أن هذا رغم العواوين الأخرى الكثيرة
 التي لم نرد حصرها كلها هنا (1) ، أن المفاهيم التي كان أولئك
 الكتاب يريدون أن يبلغوها سرّاعم من الملتقطين لرسالتهم كانت
 ذات ترابط بالأصوات التي يكتبون بها برموز اصطلاحية على غرار الكتابة
 الحديثة ، وإن كل صوت عند هم كان يقابل وظيفته ، إذ لا يمكن تصور
 دال في لغة اجتماعية بدون مدلول ولا مدلول بدون دال .

(1) لأن عملنا هنا هو عمل تحليلي وصفي تزامني قدر الامكان ، ولا جدوى
 لنا في الصائل التاريخية المتصلة بدراسات لغة اللغة .

انتالانسر يد ان تتورط أكثر من هذه الاشارات ، والا أخذنا الحديث عن لب الموضوع ونقلب الى اوضاع التواصل المختلفة بين الطابع الشفوي والطابع الكتابي . لأن فيه من غير المجدي أن نتحدث عن موضوع لغة دون أن نأخذ في الاعتبار موضوع لغة أخرى ، وبعبارة أخرى ، يستحيل ان نتحدث عن لغة شفوية دون أن نقابلها بلغة كتابية ، والعكس بالعكس ، لان الكتابة (حسب تعبير روبرت اسكريبيت هي لقاء لغة بلغة أخرى ، لقاء اللغة الصوتية بلغة الخطوط . واستخدام الكتابة يقتضي الانتقال من القناة السمعية الى القناة البصرية الا أن المراد في بحثنا بالتالي تغييرا في نظام الاشارات (أو الرمز نفسه) (1) ومن غير التورط ايضا في ذكر الجرد لهذه الاوضاع التواصلية بين البنية الصوتية ، وهي مرسله شفوية أو كتابية ، الا أننا ندرك بأن هناك (تعارضا أساسيا بين الاوضاع في التواصل الشفوي والكتابي الذي يحدد توظيفاً تباينياً بين رموز الاتصال الشفوية والخطية) (2) . وعموماً ، فان البنية الصوتية في هذه اللهجات ليست غريبة كل الصغرابية عن العربية الباقية ، فاللهجات الثلاث (اللحيانية ، والصفوية ، والشمردية) كتبت بخط عربي هو الخط المسند ، وعدد حروفه تسعة وعشرون ترمز الى تسعة وعشرين صوتاً ساكناً (3) ، على الرغم من بعض الاختلافات

(1) اللسانيات من خلال النصوص : 67 من جمع : د . السدي (الدار التونسية للنشر)
 (2) INITIATION à La problématique structurale P:79
 T:2 Collection dirigée BERNARD Quemada Hachette PARIS 78
 (3) فقه اللغة : 70 د . رافي

الكلمة أو اللفظة في كلمة هذه الخواص كتاب هذه اللهجات ،
وهي فون ذلك () فمثل طر سحاسم الاصوات التي تمتاز بها العربية
الباقية عن سائر اللغات السامية أو ويكثر ورودها فيها دون غيرها
كأصوات الذال والشاء والغين المعجمة والضاد .. غير ان
العربية البائدة تستأز عن العربية الباقية بشدة تأثرها باللغة
الآرامية ، وتختلف عنها اختلافا غير يسير في كثير من مظاهر
الاصوات ((١)) .

رسم في هذه اللهجات التثنية أو والتخفيف ولا سيما في اول
الكلمة ، فالصيغة مثلا يقولون : رن بدل اس أنس ، وودم عوضا عن
أدم () وكانت قبله هذين تصان نفس الصنيع فتقول : رشاح بدل
من اشاح ، ومن ذلك انهم يقولون : واكل بدل اس آكل على نحو
ما تصان في اللهجات المعاصرة ، وهم لا يدغمون الحرف الثاني مع
الحرف الثالث في الأسماء المشتقة من الفعل المضارع مثل : ظن ،
فيقولون أو يكتبون : ظان ((٢)) .

-
- (١) فقه اللغة من : د. د. د. وافي :
وهذا الحكم إلا خير للدكتور وافي هو أقرب الى المنطق الرهمني منه الى
المنطق اللساني ، لأن الحروف بين البائدة والباقية حروف عربية ، وإن النبطية
وهي لهجة عربية قديمة كانت تستعمل حروفا آرامية هي نفس الحروف التي تطورت
فيما بعد الى هذا الخط العربي الموحد ، ثم إن الحرف لا ينم في نقوش مبهولة عن طبيعة
صوته على الرغم من اجتهد الكتاب - فيما يبدو - التوفيق بين الاداء الصوتي والكتابة
(٢) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص ١١٤

ونفر الشيء بالنسبة للهجة النبطية فانها كانت تسهل الهمزة
ولا تحققها ، وهي لهجة عربية باقية منسوبة للحجاز كما سيجي
ان وصول النقوش العربية القديمة اليها على هذا النحو القاصر
او على شكل سطر لها البدائية وانعدامها في كثير من مظاهرها من
علامات الأداة الصوتية الواضحة الذي يوجبها يتحدد الأداة
القريب من الاطمئنان لأداة نطق سليم ، وخاصة فيما يخص خطوطه
جاءت غفلا من الشكل والاعجام علاوة على تشابه بعض حروفه وتداخلها
وصعوبة تهجيتها ، . . . جعل الواقفين عليها يتباينون في الحكم العام
على كثير من جوانبها ، ومن فائدة هذه النقوش العربية القديمة التي
تمثل اصدى تثيل جوانب مهمة من حياة العرب وثقافتهم وتاريخهم
ودينهم وبعض عاداتهم وتقاليدهم يتسلل الباحثون
مختلفين فيها للمزيد من تفصيلها ومراجعة كل النتائج اللسانية التي
توصل اليها الدارسون الأولون واللاحقون ، لان هذه النقوش العربية
على الرغم مما توصف به من عيوب ونقائص من اجل الوقوف على حقائقها
وقاسليها ، فان الواقفين عليها هم ايضا لا تخلو مواقفهم حولها من
غموس حيننا وتناقص حيننا آخر ، واعتقد اعتقادا موضوعيا ومخلصا ان هذه
النقوش ستفكر رموزها وتحل اسرارها بكيفية افضل يوم يدرسها العرب جذريا
من جديد ، ونحن نتساءل عن دور الجامعة العربية وسواها من الهيئات العربية
الثقافية ومسؤوليها في هذا الميدان

1
 2
 3
 4
 5
 6
 7
 8
 9
 10
 11
 12
 13
 14
 15
 16
 17
 18
 19
 20
 21
 22
 23
 24
 25
 26
 27
 28
 29
 30
 31
 32
 33
 34
 35
 36
 37
 38
 39
 40
 41
 42
 43
 44
 45
 46
 47
 48
 49
 50
 51
 52
 53
 54
 55
 56
 57
 58
 59
 60
 61
 62
 63
 64
 65
 66
 67
 68
 69
 70
 71
 72
 73
 74
 75
 76
 77
 78
 79
 80
 81
 82
 83
 84
 85
 86
 87
 88
 89
 90
 91
 92
 93
 94
 95
 96
 97
 98
 99
 100

1
 2
 3
 4
 5
 6
 7
 8
 9
 10
 11
 12
 13
 14
 15
 16
 17
 18
 19
 20
 21
 22
 23
 24
 25
 26
 27
 28
 29
 30
 31
 32
 33
 34
 35
 36
 37
 38
 39
 40
 41
 42
 43
 44
 45
 46
 47
 48
 49
 50
 51
 52
 53
 54
 55
 56
 57
 58
 59
 60
 61
 62
 63
 64
 65
 66
 67
 68
 69
 70
 71
 72
 73
 74
 75
 76
 77
 78
 79
 80
 81
 82
 83
 84
 85
 86
 87
 88
 89
 90
 91
 92
 93
 94
 95
 96
 97
 98
 99
 100

1
 2
 3
 4
 5
 6
 7
 8
 9
 10
 11
 12
 13
 14
 15
 16
 17
 18
 19
 20
 21
 22
 23
 24
 25
 26
 27
 28
 29
 30
 31
 32
 33
 34
 35
 36
 37
 38
 39
 40
 41
 42
 43
 44
 45
 46
 47
 48
 49
 50
 51
 52
 53
 54
 55
 56
 57
 58
 59
 60
 61
 62
 63
 64
 65
 66
 67
 68
 69
 70
 71
 72
 73
 74
 75
 76
 77
 78
 79
 80
 81
 82
 83
 84
 85
 86
 87
 88
 89
 90
 91
 92
 93
 94
 95
 96
 97
 98
 99
 100

نقش من مارب

(لوحة : 8)

وهذه اللوحة تمثل الخط العربي السند مقابلا

بالحروف العربية

الشمالية التي قرر قرارها فيما بعد .

سند لای	سند فردی	سند صفوی	فنیق	عربی نسخ
٧ ٧	٧ ٧ ٧ ٧	×	+	ا
٧ ٧	٧] [	)	9	ب
٧	0 0	٧ ٧	^	ج
4 4 4	4 4 1	4 4	Δ	د
3 3	٧ ٧ ٧	3 ٧ ٧	3	هـ
0 0 0	0 0 0 0	٧	٧	و
1 1	1 1	II	I	ز
1 1	1 1 3	XX 1 1 1 1	II 8	ح
1 1	1 1 3	II	0	ط
1	1 1	1 1	2	ی
٧ ٧	٧ ٧ ٧ ٧	3 3	+	ك
٧	٧ ٧ ٧	(1) 1	6	ل
3 3 3	3 3 3 3	0 0	٧	م
2 2	(1)	(4) 1	٧	ن
٧ ٧	٧	(1) 1 1	1	س
0 0	0	0	0	ع
0 0	0 0 3	(00) 0	٧	ر
0 0	0 0	1	٧	ز
0 0	0 0	0 0	4	ح
0 0	0 0	0 0	W	ر
0 0	0 0	3 3	+	س
0 0	0 0	+	+	ن

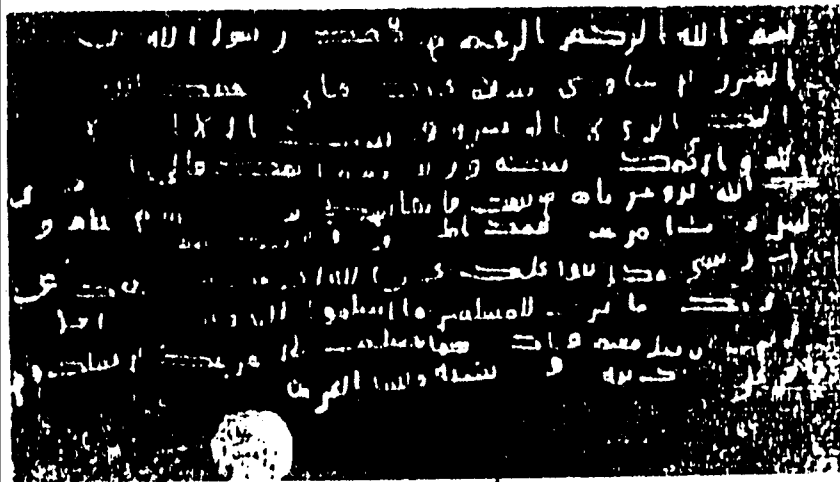
(لوحة : 9)

اسیخ و یونانی و عبری و آرامی

عربی نسخ	براد قدیم	مدرسه	آرامی قدیم
ا	Α Α	Ⲁ Ⲁ	Ⲁ
ب	Β Β	Ⲃ Ⲃ	Ⲃ
ج	Γ Γ	Ⲅ Ⲅ	Ⲅ
د	Δ Δ	Ⲇ Ⲇ Ⲇ Ⲇ	Ⲇ
هـ	Ε Ε	Ⲉ Ⲉ	Ⲉ
و	Ζ Ζ	Ⲋ Ⲋ	Ⲋ
ز	Ζ	Ⲍ Ⲍ	Ⲍ
ح	Θ Θ	Ⲏ Ⲏ	Ⲏ
ط	Θ	Ⲑ Ⲑ Ⲑ	Ⲑ
ع	Θ	Ⲓ Ⲓ	Ⲓ
ك	Κ Κ	Ⲕ Ⲕ	Ⲕ
ل	Λ Λ	Ⲗ Ⲗ	Ⲗ
م	Μ Μ	Ⲙ Ⲙ	Ⲙ
ن	Ν	Ⲛ Ⲛ	Ⲛ
س	Ξ (??) Ξ	Ⲝ Ⲝ	Ⲝ
ع	Ο	Ⲟ Ⲟ Ⲟ	Ⲟ
ی	Π	Ⲡ Ⲡ	Ⲡ
م	Ρ	Ⲣ Ⲣ	Ⲣ
ق	Ϟ Ϟ Ϟ	Ⲥ Ⲥ	Ⲥ
و	ϙ ϙ	Ⲧ Ⲧ	Ⲧ
س	Ϛ Ϛ	Ⲩ Ⲩ	Ⲩ
ب	Ϝ Ϝ	Ⲫ Ⲫ	Ⲫ

عربی نسخ	منه مبروف	نکری ونبطی	میری وانباری
ا	ا ا	ا ا ا ا	ا ا
ب	ب ب	ب ب	ب ب
ج	ج ج	ج ج	ج ج
د	د د د د	د د	د د
ه	ه ه	ه ه	ه ه
و	و و	و و	و و
ز	ز ز	ز ز	ز ز
ح	ح ح	ح ح	ح ح
ط	ط ط	ط ط	ط ط
ی	ی ی	ی ی	ی ی
ک	ک ک	ک ک	ک ک
ل	ل ل	ل ل	ل ل
م	م م	م م	م م
ن	ن ن	ن ن	ن ن
س	س س	س س	س س
ع	ع ع	ع ع	ع ع
ف	ف ف	ف ف	ف ف
ق	ق ق	ق ق	ق ق
ر	ر ر	ر ر	ر ر
ش	ش ش	ش ش	ش ش
ت	ت ت	ت ت	ت ت

عربی	فارسی	عبری	لاتینی	عربی	فارسی	عبری	لاتینی	عربی	فارسی
ا	آ	א	א	ا	آ	א	א	ا	آ
ب	ب	ב	ב	ب	ب	ב	ב	ب	ب
ج	ج	ג	ג	ج	ج	ג	ג	ج	ج
د	د	ד	ד	د	د	ד	ד	د	د
هـ	هـ	ה	ה	هـ	هـ	ה	ה	هـ	هـ
و	و	ו	ו	و	و	ו	ו	و	و
ز	ز	ז	ז	ز	ز	ז	ז	ز	ز
ح	ح	ח	ח	ح	ح	ח	ח	ح	ح
ط	ط	ט	ט	ط	ط	ט	ט	ط	ط
ي	ي	י	י	ي	ي	י	י	ي	ي
ك	ك	כ	כ	ك	ك	כ	כ	ك	ك
ل	ل	ל	ל	ل	ل	ל	ל	ل	ل
م	م	מ	מ	م	م	מ	מ	م	م
ن	ن	נ	נ	ن	ن	נ	נ	ن	ن
س	س	ס	ס	س	س	ס	ס	س	س
ع	ع	ע	ע	ع	ع	ע	ע	ع	ع
ف	ف	פ	פ	ف	ف	פ	פ	ف	ف
ق	ق	צ	צ	ق	ق	צ	צ	ق	ق
ر	ر	ר	ר	ر	ر	ר	ר	ر	ر
ش	ش	ש	ש	ش	ش	ש	ש	ش	ش
ت	ت	ת	ת	ت	ت	ת	ת	ت	ت



رقم (١٠) رسالة رسول الله إلى النصارى

(لوحه : 15)

اعتمدنا في نقل هذه الرسالة النبوية الشريفة على كتاب :

مصادر الشعر الجاهلي ص : 30 .

وهذا نقش باسم الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥) للمقارنة

الطريق
عبد الله عبد المالك
امير المؤمنين
عليه مرا
الميل
الملك

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي هدانا لهذا
 الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله رب العالمين
 والصلوة والسلام
 على سيدنا محمد
 وعلى آله وصحبه
 وسلم

رقم (٩) نقش القاهرة

(لوحة : 17)

والنقش أعلاه في تاريخه أسبق من النقش السابق (لوحة : 16) إذ يعود تاريخه إلى عهد الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان ، وهو مؤرخ

في : 31 هـ .

القسم الثامن

دراسات تركيبية

في

اللهجات العربية الباقية

القسم الثاني : دراسات تركيبية في اللهجات العربية الباقية

الباب الأول : في مدونة اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : المد ونسبة

الفصل الثاني : التقاطع والمد ونسبة

الفصل الثالث : اشكاليات حول المد ونسبة المسموعة

الباب الثاني : التركيب في اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : قراءات لغائية عامة حول البنية التركيبية

الفصل الثاني : التركيب الاسمي

الفصل الثالث : التركيب الفاعلي

الفصل الرابع : التركيب الحرفي والظرفي

خلاصة البحث

الباب الأول : في مدونة اللهجات العربية ابا فيه

الفصل الأول : المدونة

ان حدثنا هنا عن المدونة يعني اننا مقتنعون سلفا
 بأن النصوص التي سنتخذها سبيلا لوصف وتحليل التراكيب في
 اللهجات العربية الباقية هي نصوص على الرغم من شفويتها ،
 تشكل نظاما لسانيا مترابطا ، باعتبار البنى التي سندرس
 كل واحدة منها على حدة ليست الا عناصر لا يطرأ بوجودها وكيان
 مستقل الا من خلال ما يربطها من تداعيات وعلاقات مع سواء
 من العناصر الأخرى ، والطبيعة الداخلية التي تمنح هذه المدونة
 ميزة خاصة بها ، هذه الميزة المتمثلة فيها كلفة أو كنظام ذاتي
 قواعد هي التي تنظم علاقات عناصرها المتعارضة في كل مستوياتها
 المختلفة ، وقراءة مدونة ما لا يعني الا الوقوف على هذه القواعد
 التي تتحكمها ، وحين يقدر لنا الوقوف بشكل من أشكال القراءة
 على هذه القواعد ، يتاح لنا عندئذ الوقوف على بنيتها التي
 يتأسس بموجبها نظامها فيها .
 ونحن انما مدونة لسانية ليست كسائر المدونات ، ان
 في بعض المجالات الأخرى من القراءات المختارة وحتى ذات

ذات قراءة اعتبرها طيبة غير معينة سلفاً بكيفية اجبارية ، تكرس هذه المدونة ذات اختيار نسبي لا لها ليست فقط معدة سلفاً للوصف ، ولكنها محددة أيضاً ، ولتوضيح هذه الاشكالية أكثر ، فانه من غير الممكن مقارنة قصة أ ورواية أ وقصيده أ و أ ي نص خطابي بهذه المدونة المتنافرة التي نحن بصدد النية في دراستها ، ومدونتنا من الصعب اخضاعها حتى الى ما يسميه اللسانيون عادة بالملاءمة اذا لم نحدد الطابع النوعي لمادتنا بشكل دقيق من جهة ، وقواعد أ ولعبة هذه الملاءمة التي نريد أن نطبقها أ ونعامل بها مع نصوصنا من جهة ثانية .

ما زلنا نذكر كيف تعاملنا مع بعض التراكيب في اللغات السامية واللهجات العربية البائدة ، لان لعبه الملاءمة يمكن تطبيقها على كل المستويات في أ ي تحليل بنيوي (مثلاً : المستوي المورفولوجي ، المستوي الفونولوجي ، المستوي الدلالي ، المستوي السانتكسي ... الخ) اذ من المؤكد (أ ن وجهات النظر التي ينطلق منها لساني من أجل أ ن يطور تحليله ، يمكن أ ن تكون متعددة ، والباحث له كامل حرية التصرف لمقتني مستويات يراها ضرورية ليدفع مشروعه الى النجاح ، لأن الأهمية هو أن هذه المستويات يجب

أَنْ تكون محددة باتفاق ، بحيث كل واحد منها يكون محلاً تحليلياً مستقلاً من معايير محددة (1) .

وتُعرف بعض المعاجم اللسانية الحديثة المدونة بأنها (1) مجموعة الأقوال المكتوبة والسجلة التي تتخذ قصد وصف لسانى . ان منهجية المدونة تفتقر في الميدان الوصفي ، لأنه من المستحيل أَنْ نجس كل الأقوال لمجموعه لسانية في فترة معطاة ، ومن الخطر بمكان أَنْ نقوم نحن مقامها بصنع أقوالها . ان اللسانى لا يزيد عن أَنْ يحدد نطاق المدونة بصورة اعتباطية محاولاً أَنْ يجعلها تمثيلية (REPRÉSENTATIVE) لحالة اللغة المجازى فيها . ان المدونة التي نكسونها هي غالباً ما تعتبر كاملة حتى لا يغير الشارح المعطيات ليضع نظرية مصاغة مسبقاً (Théorie préconçue) ، لكن هذا لا يستبعد طعوناً جديدة محددة بالزمن للتأكد من تلك الوقائع أو من أجل ملء فراغات . ان منهجية المدونة تكون ذات ضرر لواءً درجت مواد مختلفة الجنس مثل التنوعات الأسلوبية ، اللهجية ، التكرارات ، والجمل غير المنتهية أو غير النجزة والمتقوّه

بها من المتكلم (LOCUTEUR) (2) .

REVOLUTION EN LINGUISTIQUE PUF
BIBLIOTHÈQUE LAFFONT DES GRANDS THÈMES (1)

DICTIONNAIRE DE LA LINGUISTIQUE P:89
DIRIGÉ PAR GEORGES MOULIN , EDITION PUF (2)
1974

ان الأُقوال اللامنتهية التي يتغره بها مجتمع لغوي هي مدونة
بالنسبة لأُي مستقبل لها ، لكن المدونة محدودة الزمن أُو ينبغي أن
تكون كذلك ، في حين أن المستقبل لها مطلق في هذا الزمن ،
ومن هنا تتشدد المنهجية الخاصة بمدونة ، فنحن اليوم لا يمكن لنا
أن نحدد محل قول تعمي أُو وحجازي أُو أُو متكلم عربي سبقنا ،
بل نحن ابعد من أن نكون مثل أُو ولك الجماعة والرواية للهبائهم ،
لكن هذا لا يمنع قارئنا اليوم أُو وغدا لمراجعة قراءة رواية من سبقونا
ما دامت منجزاتهم متصلة بنا وزماننا متصلا بهم ، لكن هذه القراءة ،
كما نتصورها ، يجب أن تكون في طرائق الاستعمالات لا في الاستعمالات
نفسها التي تشكل معطيات معينة أُو تجرت وانتهت .

لنا اليوم قد نتصرف في التحقيق من قراءة الخليل بن
أُو حمد أُو وتلميذه سيوييه لكن طموحنا يكون اقرب الى الوهم لو
خيل لنا أن نقوم مقام تلك القراءة نفسها ، ويكون طموحنا جنونيا
لو فكرنا لحظة واحدة لأن نحن محد تلك الاستعمالات ، لأن الزمن
سألة وهمية ، ففهيئة منه مثل قرن أُو وقرون ، وهي لا تدرك بما
مضى منه بل بزوايا ما سيمضي منه ، وما يربطني اليوم بما مر القيس
أُو وغيره من مضوا هونفس ما سيربط هو ، لا غدا بأخرين بعصدي ،

لكس ما يربطنا جميعا في سلسلة متوالية هو ما استعملنا أنفسنا،
ويستعمل اليوم، ويستعمل غدا... ونحن حين نفقه بمصطلح
مدونة لا نعني في الغالب إلا عم من وراء هذا الا التقريبي بين
هذه الاستعمالات التي يفترض فيها ألا تكون متناسقة بين
مرسلين حتى على مستوى فترة زمنية واحدة.

ان مرسلين اثنين يصفان شيئا واحدا يختلفان فيه خطابا
واستعمالا حتى ولو كانا من فترة زمنية واحدة ونفسا واحد،
((ومحتسجا جدا أن ما يفهمه شخصان مختلفان قد لا يكون ذاته (1)))
بعد من الغريب حقا أن يقول القائل الشيء ذاته لا يأنس بأعوانهم،
فلو كان العرب كلهم يستعملون نفس الأقوال ونفس التراكيب،
لما تصورنا عندهم فوارق لهجية، ولما أتيح لمن جاء وأبعد هم أن
يلحظوا هذه الفوارق في مختلف المستويات.

اننا حقيقة، ليس بامكاننا بحث من سبقونا، لكنهم متماثلون
أوهكذا يجب أن يكونوا، وذلك من خلال استعمالا تسهم التي
تعد رابطا فضاءيا بيننا وبينهم، وزد على ذلك أننا واعون بأن
نصوصهم التي خلفوها لنا والتي تعود الى زمن معين لا تقدم
بالضرورة كل الاستعمالات الممكنة وغير الممكنة التي تسمح ألا

(1) الألسنية ص: 218 د. ميشال زكريا (والمقارنة أ. والبحث لأندري مارتييني)
(ط: 1/1984 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت)

تسمح بها اللغة من وجهة نظر لسانية أ¹ ومن وجهة نظر احدى عادات التكلم المحلية أو العامة (ر) ولكن اذا كان الولون الى هذه اللغة مستحيلا ، فبوسعنا ، من دون أن يؤخذ علينا أي مأخذ ، اعتبار أن هذه المستندات ممثلة اللغة بصورة تامة . فشروط العمل هذه تأتى بافادة كبيرة لدرجة أننا نحاول أن نوجدها ثانية عندما نهتم بدراسة لغة معاصرة ومن خلال تكوين مدونة أي مجموعة كلام يسجل على آلة التسجيل أ² ويطلى علينا . وبعد أن تتكون هذه المجموعة نعتبرها غير قابلة للتعديل ، فلا يعاد يزاد عليها ، وتوصف اللغة تبعا لما نجده فيها ، والاعتراض النظري الذي بالامكان توجيهه الى هذا النهج الذي يستند على المدونة ، هو أن باحثين يعملان على نفس اللغة ولكن بالاستناد الى مدونتين مختلفتين ، قد يصلان الى وصفين مختلفين لنفس اللغة (1) .

وربما كان زليخ هاريزأ³ وضع بكثير من قول أ⁴ ندرى

مارتيني السابق ، ان بالنسبة لهاريز (أ⁵ وهاريس) أن المخزون

الكلامي المسجل هو الذي يكون المدونة ، وأ⁶ ما التحليل الذي يتناولها

فهو لا يشكك الاوصفا متمسكا بغية توزيع العناصر المندرجة فيها .

ومما يراه أ⁷ أنه لا يجب اغلاق المدونة قبل الشروع الفعلي في التحليل

وبالنسبة لمن يهتمون بنتائج الأبحاث اللسانية () فإن تحليل مدونة معينة يصبح مشيراً للاهتمام فقط ، إذا كان التحليل بصورة فرضية ، مسألة لكل تحليل آخر يتم الحصول عليه وفي النهى نفسه من أية مدونة أخرى ما أخذ من مادتها من اللهجة نفسها ، وليس يكن الأمر كذلك فيما كانا أن نتكهن بالعلاقات القائمة بين العناصر في أية مدونة أخرى على أساس العلاقات الملحوظة في المدونة التي حللناها ، وبشي هذه الحالة ، بالامكان اعتبار المدونة التي تم تحليلها بمثابة عينة موصوفة من هذه اللغة ، وعندما يتبين للألسني أن الموارد المزاره لا تأتية بشي جديد غير مسجود في تحاليله ، بإمكانه حينئذ أن يمتهر مدونته ملائمة (1) .

لكن حين نتحدث عن المدونة ، فإننا نأخذ بالمقابل في الاعتبار أمرين : طبيعة المدونة أوجنسها ، وسعتها أوضيقها ، ففي الأبحاث الفونولوجية مثلاً تكون المدونة الضيقة أوالصغيرة أكثر ملائمة مما هو الحال في الأبحاث المورفولوجية أوالصرفية ، هذا إلى جانب اعتبار أمر آخر سبقت الإشارة إليه ، وهو الفترة التي أنتجت فيها هذه المدونة .

وعلى العموم ، فإن المدونة تتكون من مجموعة الجمل التي

يقتصر في قارئها أن يكون متابعاً سلفاً مع من أنتجوها ، بصرت

النظير عن الفئات التي تشاركت في فترة زمنية فيها ، وهذا في الممار

أ وفي المنهج الوصفي على الأقل .

والمدرسة مهما كانت قصيرة أو طويلة ، قد يمة أ واحد ية ،

ومهما كان شكل الطبقات والفئات الاجتماعية التي تشارك بوعي آني

أ وبوعي تاريخي . . . فانها لا تعدو في النهاية من أ ن تكون عينه

من اللغة الكلية . ان اللهجات العربية المنتمية لمناطق قبلية

أ وبيئات جغرافية ليست أ زيد من عناصر منتمية الى مجموعة واحدة ،

هي اللغة العربية الفصحى ، . . .

ويرى البعض أ ن المدونة تخضع لعدة مواصفات :

(1) أ ن تكون واسمه بالحقرا الكافي تحت سادس ا a

فكرة كافية عن تواتر العناصر اللغوية .

(2) تكون المدونة أ ونصوصها متناسكة وصادرة عن شخص واحد على

أ ن يكون ثمت تواضع واصطلاح بين هذه النصوص وبين ذات اللغة

بالنسبة لمن يتقبلونها .

(3) يشترط في شروط التسجيل أ ن تكون عادية وطبيعية على نحو ما

عهد عليه العرب قبل فساد السليقة وتأسيس هذه القواعد أ وعلى

نحو هذه العاميات العربية في كامل أ نحاء الوطن العربي ، حيث

نجد كل فرد من أفراد المجتمع العربي يتكلم على طريق محليته

بصورة طبيعية وبدون ظهور أي علامة عليه من علامات التصنع أو
التكلف .

(4) على الباحث أن يوسع قراءته في مدونته إذا ما أحس أن
هناك عناصر لغوية مهمة في حاجة إلى المزيد من التركيز والتوضيح
أو بعض الإضافات .

وبتعبير آخر (ر) لا بد من الإشارة هنا إلى أن الباحث الأسنى
يمكنه أن يعتمد كمدونة إما تسجيلاً صوتياً لمكلم اللغة وإما بعض
المقاطع لكتاب كتب في هذه اللغة ، فمما يحتاج الباحث إليه ، في الواقع ،
هو مدونة تمثل اللغة وتحتوي على عينات كلامية لها ، وبواسطة هذه
العينات تتوافر له إمكانية القيام بدراسته اللغوية ((1) .

ويبدو جلياً أن هناك تحفظاً بشأن ما ورد في النقطة
الثانية التي تشترط أن تكون المدونة صادرة عن شخص واحد ، وهذا
ما لا يكاد يتحقق عبر كل الأقسام النسائية ، ولا سيما ما كان منها
فنياً أو أدبياً ، حتى في القصيدة الشعرية الكلاسيكية العربية قد
لا يتحقق في كل واحدة منها هذا الشرط ، فمجرد وجود حوار ، كما
نجد لدى امرئ القيس مثلاً :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيرة فقلت : لك الويلات ، إنك مرجلي

(1) الأسنية (المبادئ والاعلام) ص : 106 د . ميشال زكريا
(ط : 2 / 1503 المؤسسه الجامعية للدراسات والبحوث والتوزيع بيروت)

تقول : وقد مال الفيض بنا معا عقرت بعيري يا امرأ الغيس فانزل
 مقلت لها : سير ي وأرحي زمامه ولا يسعديني من جناك المعلن
 ... الخ .

من خلال هذه الخطابات المتعددة والحوارات المبادنة بين الشعراء
 يمكن أن نقول بأن هذه البنى التي تشكل جزءاً من هذه المدونة أي
 القصيدة هنا ، ليست صادرة عن شخص واحد ، وليس معنى هذا أن
 داخل مدونة واحدة عدة مدونات ، لكن بالمعنى الحصري أن داخل
 كل مدونة عدة مستويات من الخطاب التي يفترض فيها من حيث
 المبدأ ، وتبعا لجنس المدونة ، أن تصدر عن أكثر من شخص
 واحد ، وإذا كان الأمر يمتد إلى جنس أدبي مثل القصة أو الرواية
 فإن المدونة أكثر تنوعا ، وفي مستويات خطاباتها حسب وظائفها
 شخصها ...

وحسب ما أسماه علماء المروءة عند العرب بالضرورات الشعرية
 وأن الشاعر يجوز له ما لا يجوز للناثر ليس له سند لسانی قوي ،
 لأن العرب ورثوا المدونة المسجلة (حفظاً أو رواية ...) شعرا ،
 وليس نثرا ، إلا بعض التراكيب القليلة ، وما زعموه من ضرورات شعرية
 هو موجود أيضا في التراكيب الأخرى وفي غير الأجناس الشعرية

وليس من حقنا أن نقول: ((إن الشاعر قد أصاب في هذا التركيب، وقد أخطأ في التركيب الآخر، ولكننا نريد أن نلج مرة أخرى لاستبعاد هذه التراكيب كضرائر عروضية وقبولها فقط كخطابات شعرية، بأن هذه البنى تنوع بتنوع الخطاب الشعري، وكان المتكلم فيها متصرفا تصرف من يعرف أكثر من لهجة أو نظام لغوي)) (1) .

على أي حال، نريد أن نبين بأنه خلال جمع اللغة العربية من البوادي الجبلية والمناطق الصحراوية، فإن جماع هذه المدونة، كما سنبين في الوقت المناسب، كانوا يحدرون بكيفية صارمة المناطق الجغرافية لهذا الجمع. لم يجمعوا اللغة العربية إلا انطلاقا من لهجة جماعه ذات جبهة أو سليفة غير مطروحة في فضاحه وسلامة مدونتها .

إذا وجدت هناك جراحة من أحد جماع اللغة أو اللسانيين بالمصطلح العام لقبول كلمة أو تعبير لهجي معزول أي خارج هذه المناطق الجغرافية اللسانية التي اعتمدها فضاء مغلقة لمدونتهم

(1) العربية بين الطبع والتطبيع ص 121

فان ذلك كان يرجع - مع فقط الى محاولة ايجاد مخرجاً ومظهر
 سانتكسي لعدم وجود مصدر آخر في تلك المناطق الجغرافية
 اللسانية المحددة .

ان اللهجات العربية كانت غالباً مرة مبهمة ، وتارة مهجورة
 اً ومنبوذة من قبل لسانييننا القداماء لا سباب معيارية غير موضوعية
 وبعيدة كل البعد من ان تكون هذه الاسباب لسانية صرفاً ،
 لأن هو لا الذين يمثلون الطبقة اللسانية الأولى كان يستحوذ
 عليهم العامل الديني المرتبط بوجه خاص بالقرآن الكريم وقراءاته
 وتفسيره ودلالته واستخراج شتى أنواع الأحكام منه ، فهو لا
 وجدوا انفسهم مباشرة اً وبوقت قصير بعيد تدوين القرآن ،
 امام حركة علمية زاهرة محركها الاساسي الاسلام ، ولذلك
 فان الرواة وجماع اللغة الاولين (لم يرووا اللغة لذاتها ،
 بل كانت لهم وسيلة لتفسير القرآن ، وتعميد القواعد ، والبحث
 في اللسانيات ، وهذه الآثار لا تحتاج الى اسما فكريا ولفظاً ،
 والا فأي الكلام العربي الفصيح من العامي ؟... فمن ثم
 لم يلتفتوا الى ما انحط لفظاً وسخت فكراً بولوكسنا نحن اليوم في
 ما نهم لما اُفدنا على غير ما اُفدوا عليه) (1) .

(1) بواردر الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص : ١١٥ عبد الجليل مرتاض
 (طبع ١٩٥٥ مؤسسه الأشراف للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت)

وفي المفاضلة بين المدونات نجد ابن فارس يقول : ((وكانت
 قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا ألتتهم الوفود
 من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفي
 كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحاتهم وسلاقتهم
 التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب ، لا ترى أنك لا
 تسجد في كلامهم عنعنة تميم ، ولا عجرية قيس ، ولا كشكشة أسد ،
 ولا كسكسة ربيعة ، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وفيس ،
 مهمل : تعلمون ونعلم ، وشد : شعير وبعير) (1)

وهذه المستويات النهجية التي وصفها ابن فارس —
 ((اللغات السد مومة)) ليست كلها مذمومة ، فمنها ما هو فصيح وارد
 حتى في بعض القراءات القرآنية ، كما أن بعضها ما هو لا بدالات
 صوتية لا تشكل خطرا على الدلالة مثل قلب الهمزة عيناً ، وكما قال
 ابن دريد : ((حروف لا تكلم بها العرب إلا ضروره ، فإذا اضضروا
 اليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخرجها ، فمن
 تلك الحروف الحرف الذي بين الباء والفاء ، وشد : بور ، إذا اضضروا
 قالوا : فور ، . . .) (2)

(1) فقه اللغة ص : 52 - 53

(2) م.س.ص : 54

وفضلا عن أن هذه المدونة مرتبطة بعامل ديني، فإن
 نشأة الدراسات اللغوية المبكرة عند العرب هي الأخرى مرجح
 ارتباطها بأحد الخلفاء الراشدين، وهو الأمام علي، وأموكده رسمها
 من أبي الأسود الدؤلي المرتبط سياسيا وشخصيا ومذهبيا بالأمام
 السابق، والذي يباشر في سنن ضوابط للمصحف الشريف بنقاط حلت
 فيما بعد محلها حركات، بينما غيرت وظائف هذه النقاط فيما
 بعد انتقالا من دلالتها على بنية سائتسمية إلى الدلالة على الاعجام.
 ولو أن هذه القضية لم تكن إلا مشروعا تمهيديا لماسيا، تي
 بعدها، إلا أنه يجب أن يعترف اعترافا موضوعيا، وبدون أية
 مبالغة بأن هذه الخطوة كانت بحق رائدة ليست فقط للدراس النحوي
 بل للدراسات اللغوية فاطبة، وكما كان متوقعا وفق أبي منهن معيار
 دقيق، فإن هذا النحو العربي الأول لم يذكر التركيب اللغوي
 تبعا لبناء المتعددة والنهائية وغير النهائية، لكنه ذكر ذلك حسب
 المستوى التقليدي، والظاهر في تلك التراكيب القليلة والقصيرة،
 والتي يفترض فيها أنها منسوبة إلى هذه الخطوة الأولى.
 لسكن يمكن القول من بعض الوجوه بأن هذه الخطوة
 التي اعتبرها علاقة، لكن لم تذكر هذه البنية العميقة بكيفية مباشرة
 فإنها عبرت عنها بواسطة الأشكال والظواهر من خلال البنى السطحية،

ذلك أن أعراب لغة متصرفة ، كما هو الحال بالنسبة للعربية ،
 في حد ذاتها ، يؤسس من الداخل على تحليل سا نتكسي ضمني بشكل
 ما ، لأنه بالنسبة لوجهة نظرنا ، فإن الهدف الأكثر فعالية لأي
 تحليل لغوي لمدونة أو واستخراج قواعد منها ، هو أن نميز بين
 شكل أو وتركيب طسا نتكسي أو نتى سلفا ثم استقرى لا حقا كبنية
 اكتسبت هويتها في الذاكرة الجماعية أو والشعبية بحيث أصبحت
 هي عينها ملتزمة بذلك العقد المتجسد في القوانين النحوية
 وأساسا ليب الخطاب الدلالية ، وبين تراكيب سا نتكسية لم تتحقق بعد
 أو لم تسزل في خطابات اعتباطية لم يقع عليها التوافق والاصطلاح .
 والذي يبدو أن الدراسات العربية المبكرة لم تدرك
 بوضوح الأبعاد اللسانية للمادة التي اتخذوها ميدانا لدراساتهم
 تلك ، ولا سيما فيما يخص التحليل لتلك المادة ، وبعبارة أخرى لم
 يميزوا على الأقل قد منهجيا ، بين المدونة النحوية التي هي موضوع
 الدراسة اللسانية وبين الحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة ، بل
 يعتبر باحث معاصر مثل تشيسو مسكي هذا المتكلم بأنه هو نفسه
 موضوع دراسة اللغة (ر) وأيضاً مصدر اللغة عندما يستعمل معرفته
 للغة في أداء كلامي (1) ، ولكن العرب في مقابل هذا أدركوا ما
 هو - في نظرهم - ردي أو مثالي من هذا المصدر إلى درجة أنهم

(1) الألسنية (المبادئ والاعلام) ص : 156

ضعفوا المتكلمين ووزعوه في رقع ومناطق جغرافية .
لكن الخطوة الأولى في البحث اللغوي العربي على الرغم
من أنها تجاهلت أو لم تدرك المستويات الخطابية التي يخلقها
المتكلمون لا اللغة ، فإنها قد أدركت بصورة تنم بنفسها عن نفسها
تكرارية الظاهرة النغمية وافترضت بشكل من الأشكال نهائية
الجمد الأصلية أو النواحي تاركة القياس للمتكلم لا إنتاج صيغ وجمد
أخرى خاضعة للعلاقات الممكنة الكامنة في ذلك الترابط المتضامن
بين كافة عناصر هذا التركيب أو ذوات في مستوييه : النحوي والدلالي
بناءً على معطيات نموذجية جاهزة سلفاً تتجلى بوجه خاص في كفاءة
المتكلم البلدية أو السليقية وعادات أرائه وتواصله من الداخل
(من ذاته) ومع الخارج (مع غيره من المتلقين) ، وهذا يعني
أن تلك الدراسات المبكرة وهي تتعامل مع المدونة أو النصوص
الموروثة قد أدركت فكرة الكل في التركيب قبل أن تتطرق إلى
نيسة الجزء في التحليل ، هي أدركت منذ البداية أن المدونة
التي تتعامل معها مركبة أو وهي نظام يقوم على الكل متمشلاً في
مجموعة تتركب أجزائها من عناصر متماثلة ومتضامنة ، ولا يقوم
الواحد في تركيب إلا من خلال تناسقه وتضامنه مع عناصر أخرى ،
هي العنصر النحوي ، والعنصر الصرفي ، والعنصر الدلالي ، والعنصر
الصوتي ، والعنصر المعجمي . . . الخ .

ليست لدينا نية مبدئية في وصف طبيعة الدرس اللغوي
المعكر عند العرب الذي أسس بموجب اللغة المحكية ، ولكننا أردنا
فقط أن نشير إلى أنه كان من الطبيعي أن ينطلق في بدايته
من التراكيب والقوالب السموية الأكثر تواترا واستقرارا ، وذلك
وفقا لمنهج استقرارى يقوم على تنقي النصوص من متكلمي أو
منتجين لجمل لا تكرر تنتهي ، مما جعلهم يتهنون فكرة الملازمة
منذ البداية لاستخراج القواعد من تلك المدونة المحكية أو المسموعة .
ولكن ذلك الاستقرار المنهجي الصارم عند هؤلاء اللسانيين
المعكرين كان يقوم من حيث المبدأ ، على تسميئة نظرا لارتباطه
بالعام الديني ولبعض الأسباب التي أومأنا إليها (1) ، مما
جعل هذا النهج يزدرى تراكيب لهجية غزيرة إلى درجة الزعم
بأن القرآن الكريم كوحى الهى منزل بكلام عربى قد عمل على
وقاية تراكيب لهجية أكثر مما وقاها ، ولئلا اللسانيون أنفسهم ،
وذلك بفضل قراءاته المتعددة المرخصة بالحديث النبوي المشهور
(أنزل القرآن على سبعة أحرف) ، دون أن ننسى ما سمي عند
الفراء (القراءات الشاذة) ، هذه القراءات التي تعد أقدم
وأصدق التراكيب الشعبية والمحلية التي لا نظير لها في الخطاب العام .

(1) عدوة على ما أشرنا إليه قبل في ثنايا هذا الفصل ، فإنه سبق
لنا أن تناولنا هذه الاشكالية في كتاب :

الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص : 29 - 52 ثم في ص : 53 - 96

ان تلك التراكيب اللهجية التي وقف عليها ان ولك اللسانيين
 لا تفص من المنهج الاستقرائي لانها حقائق ملموسة تدركها حاسة
 السمع وتتطبع بها عادات التكلم لدى فئات لا يستهان بها من
 المتكلمين ، لكن هذا المنهج ، بحسب انه تغاير فضاء عرس هذه
 النصوص حتى يوجه المستجيب الى انتاج جمل متشابهة وفـسـو
 نماذج من الجمل التي ارتفعوا مدونتها ، على انعم من
 ان انص القرآنني نفسه لا يخلو من عشرات الاشكال اللهجية ،
 وبذلك قطعوا الطريق امام الدراسات المنجزة في حقل اللغة
 العربية من ان يظهر ظهورا موازيا ومكروا علم لهجات مستقلة
 ينجم عن هذا ان السفساض الدياكتولوجي (diachnologie)
 في العالم العربي لم يكن ثريا ولا مؤسسا على قاعدة لسانية
 علمية موضوعية خالية من الذات ، حتى اضحى الخوض اليوم في
 في مثل هذا الموضوع اقرب فسي مفهوم البعض الى اشكالية
 سيا سية منه الى اشكالية لغوية واقعية وطبيعية في الان ذاته ،
 مما جعل ان جانب عن هذا الفضا ، يلاحظون هذا الفراغ المهيول
 فيتمساقون الى سبره ودراساته بتعبيرهم غالا بتعبيرنا عن ذواتنا ،
 مثلما فعلوا في الساميات وفي اللهجات العربية البائدة ، حتى انه

ليمكن القبول بأن القراء - بمن فيهم السبعة - كانوا أكثر واقعية وتفتحاً مع هذه الأنماط اللهجية من الفقهيين (فقهاء اللغة) أنفسهم، ولذلك لن يعجب المتبحر لهذا العمل في هذه الدراسات التركيبية للهجات العربية الباقية خلال الباب القادم، إذا ما لاحظ حالات غير قليلة على مصادر مستقاة من القراءات القرآنية.

وللحصول على مدونات أساسية، وجب علينا أن ندرس هذه التراكيب في اللهجات العربية الباقية حسب ما هو مسجل في مدونات قديمة من نصوص لغوية وأدبية وروايات شعبية سجلها العلماء، يصرّف النظر عن موقفهم منها، نقلاً وسماعاً من أفواه الأعراب... إلى جانب القراءات القرآنية وبعض المراجع الأخرى التي لا تبرح تتضمن جملاً وتراكيب تنسجم عن بنى اللهجية في مختلف المستويات، وهذه النماذج المعزولة إلى أقوام بأعيانهم تمكننا من أولاً من الوثوق من هذه المدونة، وثانياً من وضع دراسة للعناصر اللسانية التي تدخل في بنائها هذه الأنظمة اللهجية القليلة.

والإشارة إلى المدونات الرسمية لا تقوم في نظرنا إلا إطلاقاً عما غير مستحسن لنصوص وتعابير عتيقة قد يعود بعضها إلى ما

فلسد اللهجات العربية البائدة ولم لا هذا التحفظ ؟ ان
 المدونة التي نحن مهملون على دراستها ما هي الا تطور لتلك المدونة
 السامية القديمة اُم ليست العربية الا احدى هذه اللغات ان لم تكن
 هي السامية الاُم نفسها على بعض الآراء والا قوال ؟ اننا واعون
 بوجود تسلسل لساني بين هذه التكمات ، ...

وربما كانت العلاقات الفضاوية بين الاُمثال الشعبية
 هي التراكيب الاكثر قدما ، والاكثر دلالة على ذلك الترابط المتسلسل
 بين اشكال المدونة عبر الاُزمنة والامكنة والاجيان ، واُزيد
 من هذا ، فان الدراسات الانثروبولوجية التي ظهرت في مطلع
 هذا القرن تفيد باُن الاُمثال الشعبية هي الاقرب صلة
 باللهجات المحلية للشعوب ، وخاصة تلك التي تعتمد التواصلات
 الشفوية اُسلوبا ونهجا في حياتها وعاداتها ، بحيث لا تعرف
 الا قانونا واحدا هو قانون الطبيعة ، هذا القانون الذي يسمح
 لها بالعبور طليقة في فضاء مشترك بين الخلف والسلف ، ...
 ونحن اذا تبيننا منهجية قائمة على مدونات ضاللة او تتسم
 بالطابع الرسمي اُ والشهرة ، فاننا لن نأمن من الوقوع في
 نفس الشر ك الذي حاولنا انتقاده آنفسا ، ثم لا ننسا
 من خلال ما وقفنا عليه وتعلمناه من سبقوا وخدموا هذه اللغة

خدمة جارية في كل مجالاتها، وما ان الخطه العربيه لا تعد غريبه
 كد الفرابه عن التراكيب السهليه المتباينه عموما -

ان الخصائص البنيويه للهجات العربيه الباقيه لا تشكل

فقط لغة العرب الصحراويه ولكنها تمثل كذلك كنهه مجموعه اللغة

الشفويه المتواضع عليها عموما بين كد المجموعات اللسانيه

العربيه ودون الاخذ بعين الاعتبار وطبعها الحدود الجغرافيه

اوايه عوامل اخرى ايا كانت ، والتي لم يكن لها اي

نفوذ لساني مطلق لفتح التيار اللغوي العام الموروث عن احيان

وتكلمات سابقه يخزن هذه العوامل الوهميه المتعلقه بقوم او

عصيره اكثر مما هي متصله بحركة لسانيه شفويه لا حدود

لفضاءها الرحب في سما الجزيرة العربيه كلها .

وعلى الرغم من تلك الظروف الوقعيه ، والتي كانت

فسي مجملها قاسيه بين المجتمع العربي الجاهلي ، فانه مقاب

ذلك لم يكن بوسع هذه القبيله او تلك ان تخلن تعبيراً جوهرياً

عن تلك اللغه العفويه المشتركه التي كانت تعتبر كارت

جساعي ، اوما التباينات فكانت تقوم غالبا في طرق التواصل

كمكلام فردي غير خاضع للمراقبه القواعديه ، وهذا شيء

طبيعي في بيئة تعيش على عفويتها وطبيعتها، ومن هنا نرى أن المدونة ستكون متعددة تعدد التعابير التي اعتادت كل فئة كلامية التلفظ بها على نحو مختلف في مختلف العناصر التركيبية. وبالنسبة للهجات العربية الباقية التي تشكل المدونة الكلية

لهذه الدراسة، فإنها على تباينها، لا تشكل في حقيقة أمرها إلا هذه اللغة العربية الفصحى ذاتها، والتي تمثل الأساس الشفوي لها ولتكامليها في بلاد يتهم كحاضرهم. ولما كان القرآن حولها حبالا إلى لغة حضارية مكمومة، وذلك منذ عهد النبي (س) .

وإذا كان لدينا ميل إلى رؤية هذه المدونة بنظرة سانتكسية¹ ومنهى سانتكسي بدون رؤيتنا إياها بنظرية سانتكسية، فلا نسه يوجد أكثر من نظرية تتناول هذه الظاهرة المتصلة بدراسة التراكيب اللغوية حسب وجهة نظر بعض اللسانيين المعاصرين مثلما ذهب إلى ذلك جورج مونان الذي كرر هذا المشكل أكثر من مرة (1) .

إن وجود أشكال لهجيه باعتبارها لغة منطوقة والتي لها معايير نوعية مقابلة للغة العامة، لا يستطيع دارس مهتم بالموضوع أن يردّها، وذلك منذ ظهور بعض الأنماط اللسانية

(1) انظر مثلا : *Clefs pour la Linguistique générale* :
p 80 et 109, G. Monin. Et Seghers - Paris
1971.

التي شرعت تفرس وجودها وسط الحقل المعني ، حيث كان اللسانيون العرب القدماء يمارسون بقسوة أشفالهم في علوم اللغة ، لكن هذه الأَشْكَانُ اللهجية المنشقة أوالمتوردة مثلما كانت عقبات أمام هؤلاء السانين المتصلبين ، فإنها كانت في الآن ذاته نبراسا كثيرا ما أصهسا السبيل لقراء القرآن بوجه خاص ، فضلا عن ذلك أنها واجهت اللسانيين أنفسهم حيث منحتهم معلومات لا يستهان بها فيما يخص بعض التخريجات اللغوية عموما منها والسانتكية خصوصا .

وعلى ضوء هذه الأَشْكَانُ اللهجية المؤسسة بكيفية متشابهة أومتباينة تماما ، فإنه محتوم علينا قراءة ما أمكن من هذه الجمل والتراكيب التي تتضمن معايير سانتكية متميزة ، وهذه القراءة تشترط الوقوف على المدونات الأُديهة القديمة التي اهتمت بطريقة مباشرة أغير مباشرة بمشغل هذه الأنماط اللهجية ، ومن هنا أجد نفسي غير متحمس بشكك مفرط لنظرية على حساب نظرية أخرى تغاريا لكل احتمال ممكن لأني تعسف لسانی قد يكون ربما متعارضا جزئيا أوكلها بالقياس الى طبيعة المدونة المعنية ، لا سيما وأن هذه المدونات كانت نتاج لهجتي

مستقر ومعطى سلفاً

وهناك حقيقة أخرى لا يمكن اغفالها، والتفاضي عنها

تكمّل مدّ ثبات في ذلك النظم الداخلي المتناظر بصور مختلفة

لذلك التراكيبي، إيماناً منا بأن كسل جملة وخصتها البنيوية،

إن هناك جمل تركيبيّة، وجمد شعريّة، وجمد مركبة

أحياناً من كلمات أركية (ARCHAÏQUES) أو مؤلفيّة

بقوا عد لم تعد مستعملة في العربية الباقية الحديثة، بل منذ

المراحل التالية لعهود التدوين... إلخ.

وبكلمة واحدة، فإن هناك تداخلاً مشتركاً بين كل القراءات التي تدعي

مبدئياً أنها تحرّروا فاعلاً وإيجابياً، لأننا لا نتصرف في خلق المدونة،

ولكننا فقط ملزمون بقراءتها، لكننا قد نصطدم بطوا هرتوا صلية فيها لم تكن

قط في الحساب. ولذلك فإن ما نتمناه أن نطوّر مدونتنا منسجمة مع

قراءة مفتوحة مع كل الآليات التي تتقاطح لبلوغ نفس الهدف، على الرغم

من توقعنا من عدم الانسجامات المنهجية كلما تجاوزت القراءة الأحادية

لأنه (لا توجد، بأي حال من الأحوال، نظرية أو وصف يوضح كافة الظاهرة

اللغوية، ولا للسان خاص، ولا حتى لقسم من لسان) (1)، ولكن هذا لا

ينبغي أن يكون ذريعة للخلط والغموض، لأن اللغة لم تعد اليوم في مأزق

لدراستها دراسة داخلية،^١ وكما قال سوسور: ((ان هدف
 الألسنية المنفرد والحقيقي انما هو اللغة منظورا اليها
 في ذاتها ولداتها)) (١) .
 لكن مع ذلك نظل هذه الرواية السوسورية عالما ثاليا
 جيد لا يمتس تحقيقه في أرض الواقع، وفي كد حان « لأن ورا »
 كسل هدف هدفنا، فمادة اللسانيات في حد ذاتها لكي تتخذ موضوعا
 للدراسة تصبح هدفنا، لأنه ليس كد ما هو موجود ضمن مستوى التعبير
 وضمن مستوى المحتوى اللذين قال بهما هلمسليف ينتميان حتما الى
 اللغة ((لناخذ على سبيل المثال الاصوات اللغوية في مستوى التعبير،
 نلاحظ ان اللغة في واقعها تستعمل عددا قليلا من الأصوات اللغوية،
 في حين ان مستوى التعبير مكون من مادة مشتركة بين كد
 اللغات، وبالتالي من الاصوات التي يمتس النطق بها، بواسطة الجهاز
 النطقي الانساني)) (٢)

وعلى العموم فان ما نمتص اليه في التعامل مع مدونة
 اللهجات العربية الباقية في هذا المضمار هو كيفية الوصول حسب
 ما تقتضيه المادة من جمع وتحمر وتحليل قد لا يفي ببيانها التصك
 بقرا . شكلا نيه واحدة .

(١) محاضرات في الألسنية العامة ص: 80

(٢) الألسنية (المبادئ والاعلام) ص: 248

الفصل الثاني : التقاط المد ونسبة

خلال الفصل الماضي ، حاولنا أن نلمح إلى أن اللسانيات يجب ألا تنظر إلى المدونة على أساس أنها سجل أحادي للكلام ، لأن المدون كيفما تصورناها فهي ليست أساساً فردياً بصرراً ابداعية مستقلة ، لأنه حتى لو ذهبنا إلى أن الكلام إنتاج فردي حقا ، فإن هذا المتكلم لا يسأل نفسه كيف يتكلم خلال عملية الابداع ، خاصة حين يكون هذا الكلام شفوياً ، ولا أحسب أن أحداً منا سأل نفسه نفس السؤال وهو يتكلم ، لأن المتكلم يحيد دوماً على مرجع جاهز تمت المصادقة عليه ، هذا المرجع هو الجماعة اللغوية الكلمة ، وليس معنى هذا أن المتكلم الفردي محكوم عليه مسبقاً بالتقليد نسخة طبق الأصل لمن سبقوه ، لكن يعني أن ابداعه لا يخرج عن حدود الفضاء التي تواضعت عليه جماعة اللغوية التي وجد نفسه هكذا يحاكي لغتها .

وهو لا يكتسب مبدعاً إلهياً إطار هذه المدونة المتواضع عليها ، والتي سمعها من جماعة اللغوية ، وهذه المدونة الصموية متسلسلة تسلسل المتكلمين وكأنها مجردة من تسلسل خطابتها ، مما

يسمح لكل متكلم تال من خلال فضائها المفتوح ، وجعلها غير
 المتناهية ، أن يدعي ، ولوبشكن من الأشكال ، أنه يقول
 شيئا غير ما سمع أو تلقى من المدونة السابقة عليه زمانا ومكانا
 ووجودا ، وابداعه يكمن في مقاومته المستمرة بأن لا يقول الشيء
 نفسه ، وليس في الابداع ذاته ، والا ليس الوصف إلا فضل
 للعمل هو العمل نفسه على حد قول تودوروف (1) .

وكسب كان قول ملارمي الشهير : ((اننا لا نصنع

الأميات الشعرية بالأفكار بل نصنعها بالكلمات) ((2) جديرا
 بالاعجاب ، ولربما كان جان كوهين أكثر ممن عبر عن هذه السائلة
 وضوحا ، إذ يقول : ((وعندما يخلق الشاعر ان استعاره أصيلة
 فأنما يخلق الكلمات وليس العلاقة ، أنه يجسد شكلا قديما في مادة
 جديدة ، وهنا يكمن ابداعه الشعري ، فقد أعطيت الطريقة ، وبقي
 أن تستعمل ،... ان الصور الابداعية ليست جديدة في شكلها
 بل في الكلمات الجديدة التي جسدتها فيها عبقرية الشاعر
 لا غير . وقد يحدث ان يعاد استعمال بعض هذه الانجازات فتسقط
 لذلك الى مستوى الاستعمال . نحصل حينئذ على هذه الصور

الاستعمالية حيث الشكل والمادة ، العلاقة والكلمات متوفرة سلفا) (3)

- (1) الشعرية ص: 21 تودوروف (ط: 1987 دار توبقان للنشر - المغرب)
- (2) بنية اللغة الشعرية ص: 41 جان كوهين (ط: 1986/1 دار توبقان - المغرب)
- (3) م.س.ص: 44 - ط

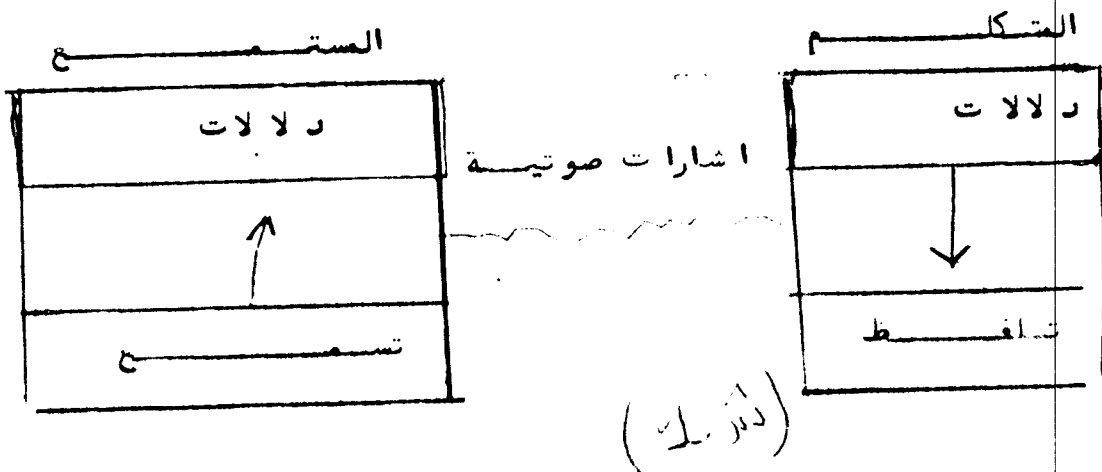
وفي اعتقادنا أن سماع مدونة يختلف اختلافا كبيرا عن قراءة لمدونة أخرى وحتى لتلك المدونة نفسها ، فالملقط لمدونة سماع لا يسعفه الوقت أو ويمهله لتبدل سماع بسماع آخر ، ويوجد نفسه مضطرا بين حالتين : القول أو الرفض ، ويتوسط هاتين الحالتين أو وصف أخرى كثيرة كالاحتفظ ، والتردد ، والقياس ، والاستشهاد بسماعات أخرى تتفاوت نسبتها بين الغله والكثرة ، بين الاطراد والشذوذ ، الخ .

وفي تعديرنا أيضا أن سماع مدونه لا يتعد عن ظاهرة التبليغ أو التواصل اللساني العام بين الفئات المتكلمة للغة أصلية أو مكتسبة ، وما يراه جيرولد كاتز أن التواصل اللغوي ينحصر اجمالا () في إنتاج فونيم سمعي خارجي بإمكان الجميع ملاحظته وتقوم بنيته الصوتية والتركيبية بارساا أفكار المتكلم وآرائه الحميمة والذاتية ، وفي التقاط البنية الفونيتيكية والتركيبية التي تقدمها هذه الظاهرة الفيزيائية التي يقوم بها متكلمون آخرون على أن حيرة ذاتية حميمة لنفس الألفكار والآراء (1)

وان سماع مدونة ما يفترض في ملقطها سلفا أن يتقن

يكون متقنا لقواعد ما وطرائق رمادات استعمالها حتى تكون هذه العملية ممكنة منذ البداية بين الباحث أي صاحب المدونة الأصلية وبين المتلقي أي المستمع () وبما أن التواصل اللغوي صار يكون المعنى الذي يقرن به المتكلم الأصوات هو نفس المعنى الذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها بعد يكون من الضروري أن نستخلص من ذلك أن متكلمي لغة طبيعية معينة يتواصلون فيما بينهم في لغتهم لأن كلا منهم يمتلك بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه ، ويتم التواصل لأن المتكلم يرسل رسالة غير استعمال نفس القواعد اللغوية التي يستعملها المستمع اليه لكي يلتقطها ((1) . لكن كيف يتم التقاط هذه المدونة ، بصرف النظر هنا عن العوامل الخارجية التي كانت تتم فيها هذه المدونة ؟ وهذا الأمر متعلق بالسائل أو ولا والمسؤولين ثانياً أم العكس هو الأمر نسباً أو الأصح ؟ وبعبارة أخرى من الراغب في التكلم من الراغب في الاستماع ؟ ... لا نريد هنا أن نسبق الأحداث لا عطاء توضيحات ميدانية لهذه الاشكالية ، لأن الفصل الثالث القادم ربما سيوضح بعضاً منها ، ونبقى في الميدان الداخلي لنشير إلى أن المتكلم يختار رسالة حسب المقام أو والفرص الشير له ليدفعه إلى التكلم ، وذلك لأبواب ليست مناسبة من الناحية اللغوية وهذه الرسالة

يريد ارسالها ((الى الذين يستمعون اليه : فكرة يريد أن يلتقطوها ، أمر يريد أن يعطيه الزم الأوسواء يريد أن يطرحه عليهم ، ويتم ارسال هذه المرسلات على شكل تشيل صوتي للكلام بواسطة تنظيم قواعد لغوية يمتلكها المتكلم ، وهذا الارسال يصبح اشارة لأعضاء المستمع النطقية ، فينطق المتكلم بكلام يتخذ الشكل الصوتي المناسب ، وهذا الشكل الصوتي يلتقطه بدورها أعضاء المستمع السمعية ... يلتقط هذا التشيل بواسطة التنظيم الممارس للقواعد اللغوية والعائد الى المستمع ، عبر تشيل للمرسلات نفسها التي اختار المتكلم أن يرسلها منذ البداية ، ولأن المستمع يستعمل تنظيم القواعد نفسه الذي يستعمله المتكلم للارسال) (1) .
وتتم عملية التواصل في هذه الحالة بين المتكلم والمستمع على النحو التالي :

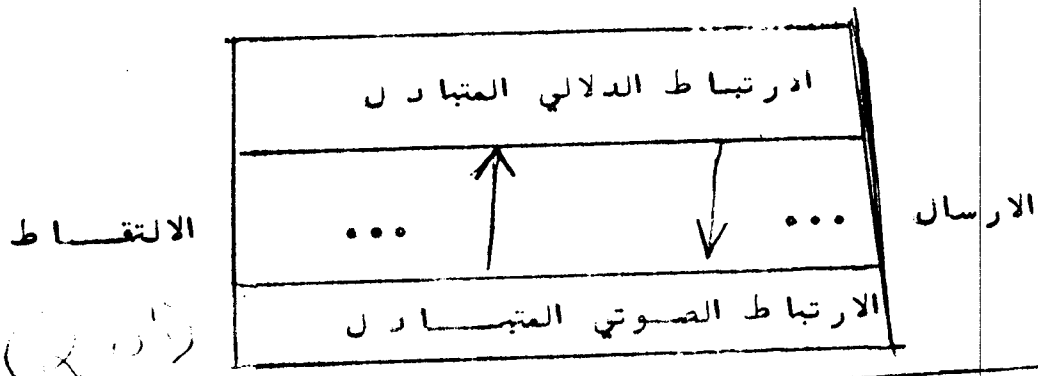


ان الجدول السابق يبيّن عملية التّواصل بين

الدلالات التي تتصلّح من المتكلم الى ذهن المستمع عبر الاشارات الصوتية ، وفي هذه الحالة يقوم المتكلم مقام المرسل ، بينما يقوم المستمع مقام الملتقط ، و المتقبل .

وعلى الرغم من تمايز دور المتكلم والمستمع يرتبط الاستماع والتلفظ بعضهما ببعض من خلال تعاملتهما مع اشارات الصوتية الواحدة . فيتوافق ، في الدماغ ، النطق باصوات المختلفة والانطباع السمعي الذي تدعّيه امّ انسان نتيجة هذا النطق ، نسمي هذا التوافق بين النطق والاستماع بالارتباط الصوتي المتبادر (Corrélation phonétique) (1) . بينما يسمى التوافق بين الدلالات في ذهن المستمع وفي ذهن من يرسل لسمعه تلك المرسله بالارتباط الدلالي المتبادر (Corrélation sémantique) . وبناءً على الترابط الصوتي المتبادر من جهة ، والترابط الدلالي المتبادر من جهة ثانية بين كد من المرسل والمرسل اليه ، فان الجدول المخطط السابق يمكن ان يحوّل على الشكل :

عملية التّواصل



وقبل وصف عملية الالتقاط لدى السامع وهو ينصت
 بكيفية مباشرة أو غير مباشرة أي بتوظيف عوامل خارجية أو يكتفي
 بما يصله بالمتكلم من ارتباطات لسانية داخلية كالتباديل والصوتيات
 والدلالي ، يودنا لو نشير إلى أن عملية السماع بين جامع اللغة
 وبين منتجها أو المتلفظ بها كانت تتم حسب تصورنا كالتالي :

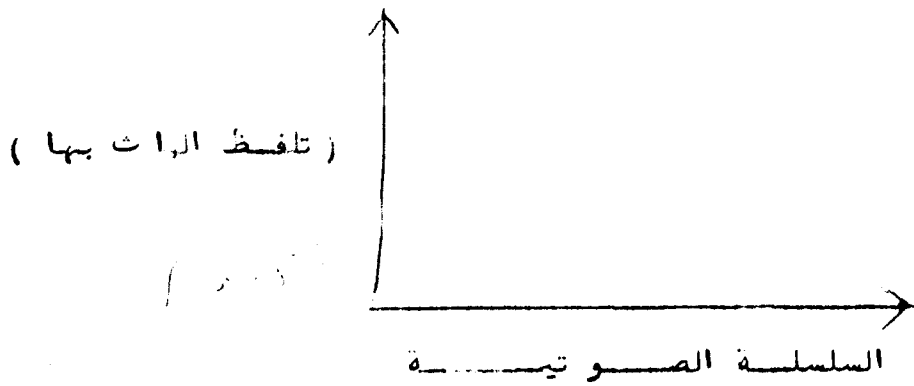
هو ← مصدر السماع ومرسل أوّل للسمع
 أنسبا ← ملتحظ السماع ومرسل ثان للسمع
 أنت ← المرسل إليك السماع

إن الضمير الشخصي الأوّل (هو) يجسد الأعراي في
 باديته ، والضمير الشخصي الثاني (أنا) يشي الراوي عن
 الأعراي ، وأنا الضمير الثالث (أنت) فيمثل المستمع الثاني أو
 المسجل عن الراوي .

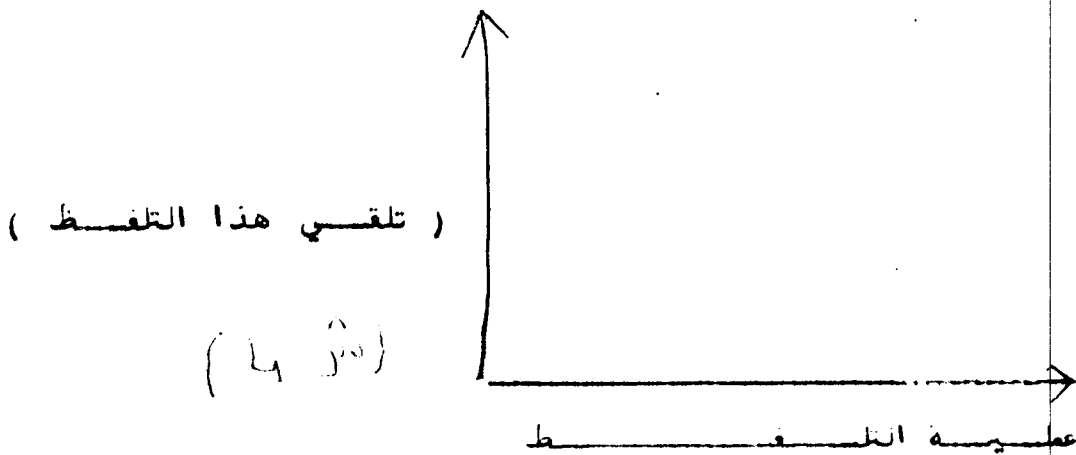
لكن هذه الضمائر لا تثبت على حال واحدة ، فالضميران
 الشخصيان : الثاني (أنا) والثالث (أنت) هما بدورهما يصبحان
 سامعين ، لكن أولهما (أول هذين الضميرين (أنا) أقرب إلى
 الأصل من الثاني (أنت) ، ثم تتكرر الضمائر الثلاثة عبر الزمن ،
 بحيث تتشابه دون أن تفقد طابع التقاطع والتعاضد :

هو أنا أنت هو
 أنا أنت أنا
 هو أنا أنت هو
 ... الخ

والسمع عملية متزاوجة بين المرسل والمرسل اليه، فهي
 في سلسلتها الصوتية تشمل شكلاً أفقيًا، و تلفظ الياث بها
 عبر السلسلة الكلامية يحولها الى شكل عمودي :

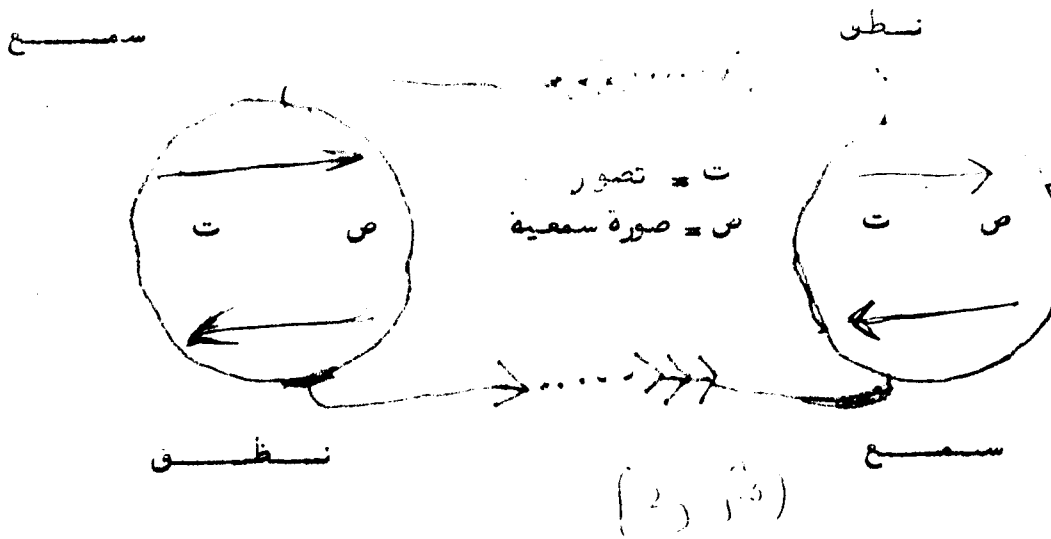


لكن عملية التلفظ هذه لن تلبث أن تتحول الى خط أفقي،
 والتلقي لها الى خط عمودي :



وإذا أردنا أن نحاولنا على الأقل أن نتصور اليوم كيف كانت تتم تلك العملية بين الراوي والمروي له، فإن الوقائع السانبة كانت تترابط بينهما وفق تصورات ذهنية يعبر عنها بصور سمعية مستخدمة لهذا الغرض (ر) فالدماع ينقل إلى أعضاء النطق ذبذبه ملازمة للصورة، ثم تنتشر الموجات الصوتية من فم المتحدث (أ) إلى أذن المتحدث (ب) في اتجاه معاكس: إذ يستقيم الانتقال الفيزيولوجي للصورة السمعية من الأذن إلى الدماغ وفي الدماغ نفسه يعقد الترابط النفسي بين هذه الصورة والتصور الذي يقابلها (1).

ويتصور د. ب. سوسور عملية التواصل بين المرسل والمرسل إليه أ. و بين النطق والسمع :



ويستد وان مخطط سوسور المتساوي يمزج بين الكلمة
 في شكلها التصوري وصورتها السمعية وبين هذه الكلمة نفسها ومن
 يلفظها ويستقبلها ، لأنه لا يمكن فهم فكرته هذه إلا بحالتها على
 المرسل والمرسل إليه ، ولا تخص أحدا منهما دون الآخر فضلا عن
 أن تخص الكلمة وحدها بين كيانها الصوتي وانعكاسه كصورة
 سمعية في ذهن المتلقي وحتى كأن المتكلم ينوب عن السامع على
 الرغم من أن أحدا منهما لا يقوم جوهريا مقام الآخر لأن المتكلم لا
 يفكر لحظة واحدة في الكيان الصوتي أو الدال بقدر ما يفكر نفسيا
 في التلازم بين هذا الكيان الصوتي وبين ما يدل عليه عليه وهو
 الأهم ، انطلاقا من أن المدلول لا ينهني أن يكون اعتباريا ،
 وهذا دون أن نهمل القول بأن الكيان الصوتي المنعكس في ذهن
 السامع أو الملتقط هو كيان صوتي فيزيائي وفي الوقت نفسه كيان
 صوتي فونولوجي .

على أي حال ، إن عملية التواصل بين الراوي والمروي
 له لا تعدو أن تخرج عما هو مألوف في عملية التواصل العادية ،
 والتي وضحتها اللسانيات منذ أمد بعيد ، حتى وإن كان منطلقها
 العلمي لم يتبلور إلا في هذا القرن بشكل جلي بفضل المعلومات

الغزيرة التي قد منها علوم الاتصال وعلوم أخرى إلى اللسانيات
المعاصرة ، وهكذا فإن عملية التبادلات للتواصل بين الراوي الأصلي
والعروي الأول له كانت تقوم ، حسب مخطط سوسور السابق ، على
ما يلي :

(1) المتكلم ، بفعل إثارة للكلام ، يتصور الفكرة ويفرقها بصورة ذهنية
لللمظة التي تعبر عن ذلك التصور .

(2) يتكلم المتكلم بنطقها .

(3) تتقد اللمظة بين هذا المتكلم وسامعه عبر الاشارات الصوتية

(4) يلتقطها السامع بصورة نهائية حيث ينتهي تلص المتكلم منها .

(5) يتكلم المرسل إليه أ والسامع بتفسيرها من حيث هي صورة صوتية

فونولوجية بصرف النظر عن صفات أصواتها أ واحد المعانيات التي

يمكن أن تكون في المتكلم بها ، لأننا هنا نفترض سلفا بشكل غير قابل

للجدل بأن المدونة المسموعة من هذا السامع متواضع عليها بينه

وبين من أرسلها إليه ، إذ لا يعقد أن تتم هذه العملية بيني وبين

متكلم صيني إذا كنت أنا لا أفهم الصينية . وحسبنا هنا أن نتذكر

قول جيرولد كاتز السبق الذي ينص بوجه خاص على أن متكلمي لغة

معينة يملكون بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه ، ولأن المتكلم

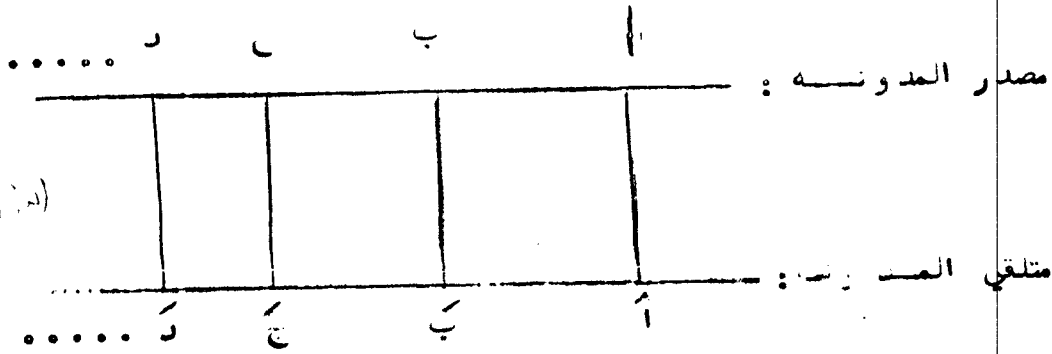
يرسل مرسلة عبر استخدام نفس القواعد اللسانية التسي

وإذا أردنا اليوم كذلك أن نتصور تلك العملية الشاقة التي

كانت تتم بين المرسل والمرسل إليه أ وبين الراوي والمروي له ،

فإن عملية التواصل بين الجانبين كانت تنجز وفق تعدد مصادر المدونة

بالنسبة لتراكيبها ومستويات خطاباتها بالشكل التالي :



فضلا عن التواصل المفروض بشكل اجباري أ وطبيعي بين

الراوي والمروي له ، فهناك أ أيضا تقاطع حتمي بينهما ، إذ لابد

أن يتقاطع أ مع أ ، وب مع ب ، ... الخ .

لكن عملية التواصل من خلال المدونة المشتركة بين الراوي

والمروي له ، والتي عرشناها بالشكل السابق تظل مع ذلك ناقصة ،

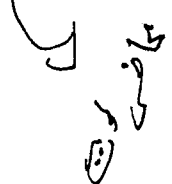
لأنها تغفل على وجه الخصوص القناة والسيان ، وهذان الجانبان

الأساسيان في أية عملية من عمليات التواصل أ وتبليغ رسالة معينة

لم يأخذها سوسور بعين الاعتبار ، لأن اللغة بالنسبة إليه لا توجد

فيها إلا الصور السمعية ، بل هي مستودع لهذه الصور السمعية (1) ،

لكن جاكسون قد أ صرح تصور سوسور لعملية التخاطب بمخطط آخر



يعد هـ اللسانيون مخططاً أساسياً كلما أردنا أن نتواصل أو نكشف
سببر ولعبة التواصل لدى غيرنا ، ومخطظه كما يلي (1) :

السياق
المرسل الرسالة المرسل اليه
الاتصال
رموز الاتصال
(ث ٧)

وبالنسبة اليه أن (ر ك د) واحد من هذه العناصر الستة يعطي
نظماً أو لادارة لوظيفة لسانية مفاهيمية ، ولنقل هكذا على الفور ، بأننا
إذا ميزنا ست حالات (Aspects) أساسية ففهي الكلام ،
فسيكون من الصعب علينا أن نجد الرسائل (Messages) التي
كانت تشغل حيز واحدة فقط ، ان تنوع البرمجات لا تكمن في
احتكار احد الوظائف للأخرى ، بل في اختلاف الترتيب فيما
بينها) : (ث ٨) .

وبعد استطراد لساني في بيان كل وظيفة من الوظائف الست ،
يجعل لكل عنصر من العناصر الستة في مخطظه السابق وظيفة تقابله : (3)
مرجعية
انفعالية ————— انشائية أو شعرية ————— ندائية
اقامة الاتصال
مما وراء اللغة
(ث ٩)

Essai de Linguistique Générale p: 213
R-Jacobson Edition de minuit 1963

(1)

(2) المرجع أعلاه ص : 214

(3) م . م ص : 220

ومن المخططين السابقين لرومان جاكسون نرى أن المتكلم الذي يقابل في مدونتنا الراوي تقابله الوظيفة الانفعالية حتى كأن هذا الراوي لا يدلي بمدونته التي يختزنها في دماغه أوجهاره اللغوي الداخلي إلا بعد انفعاله ، بينما يقابل المتلقي المروي له في مدونتنا المنقولة عن هذا المتلقي الوظيفة الندائية ، ونلاحظ من نفس المخطط السابق أن المروي له من حيث المبدأ لسانيا لا يستطيع أن يواجه مدونته وجهه لوجه إذا ما كان مجردا من تواضع كلي أوعريش مع من ينتج أو يرسل هذه المدونة .

وهذه العناصر الستة هي متضامنة في عملية التبليغ الكلامي ،

وعلى ضوءها يمكن وصف عمل المستمع أ والمروي له خلال عطية

التواصل على النحو التالي (1) :

- (1) يصفى المستمع إلى الكلام الموجه إليه
- (2) يحلل المستمع عناصر الكلام السموتية بالتوافق مع المهارات الفونولوجية التي سبق له أن اكتسبها من نفس اللغة الموجهة إليه
- (3) يتقبل المستمع الكلام باعتباره أنه يؤلف جملا صحيحة تماشيا وتنظيم القواعد نفسه والذي بحوزته

(1) راجع : اللسانية (المبادئ والاعلام) ص : 51 - 52

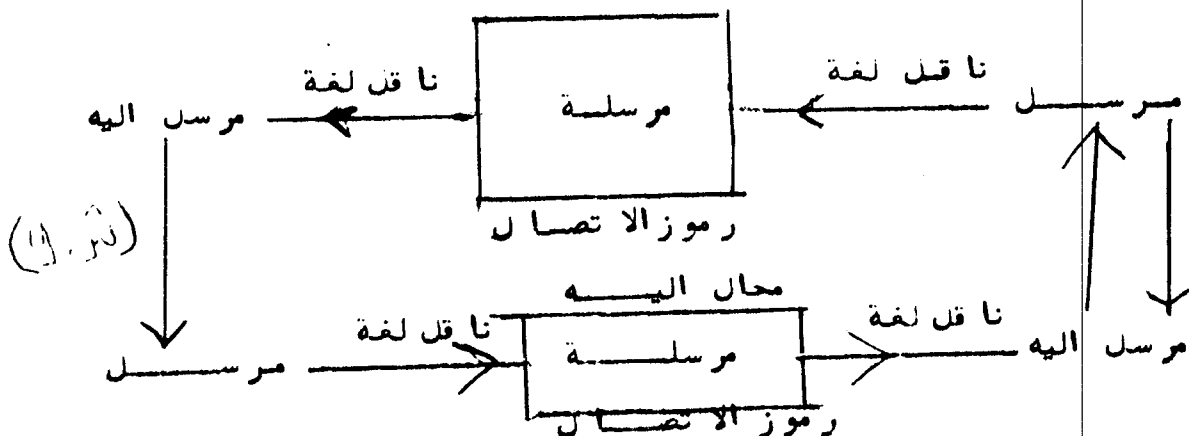
(4) يتقبل المستمع المدونة المرجحة اليه من الراوي المرغوب فيه حيث يعطيها التفسير الدلالي الملائم بها ، والذي لا يدرك كنهه الا بالتعارف مع مدونة أخرى .

(5) يستفهم المستمع هذا الكلام .

(6) أخيراً ، يتأكد المستمع من ملائمة هذا الكلام الذي هو يصدر سماعه نفس التنظيم الذي يعرف في محيطه العام

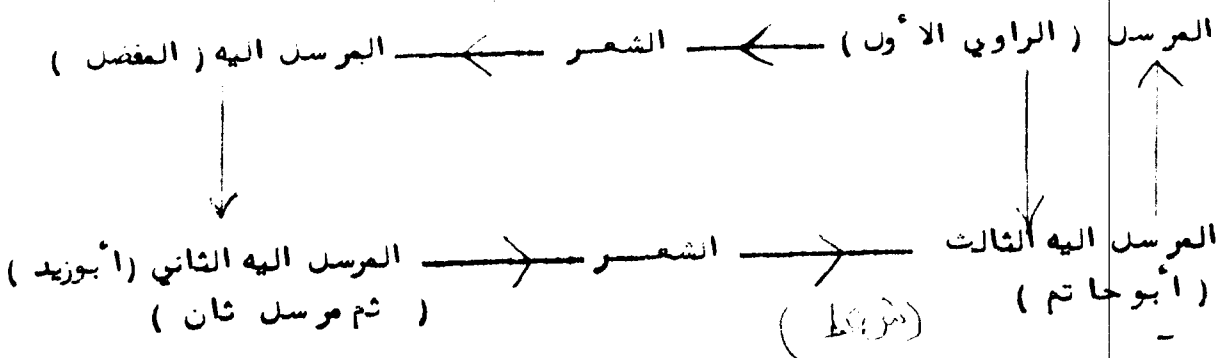
وعلى ضوء الضمائر الثلاثة السابق ذكرها من هذا الفصل (هو ، أنا ، أنت) ، فإنه يمكن تصور النصوص المسموعة بأنها تشكل زمناً للسمع وزماناً آخر للرواية ، وتكون المدونة الملفقة قائمة على ما يمكن أن نسميه بالثنائية الزمنية ، لأن السامع والعروي له بعد رغبة وإرادة منه بشكل من الاشكال لا يروي لنفسه بل من أجل إقامة صرح لسانی أو تفسير دلالي ونحو ذلك ، حتى كسأن السامع يقوم بقراءة شفوية فضائية لما ينعكس عليه عركيان صوتي فونولوجي يتفوه به المتكلم أو ما يسه ، وهذه العملية تتم وفق التصور

التالي :



ومن المخطط السابق الذي رسمناه يتبين أن هذه العملية كما كانت تجري فعلا عملية شاقة ومعقدة ، لأن المتلقي الأول أي السامع هنا يتكلم عليه بأن يتحول إلى إرسال مباشر صوب متلق آخر يتناظره شفويا أو كتابيا أو هما معا ، ولذا فإن هذا المخطط ليس مكررا بدون جدور ، وبعبارة أخرى ، فإن المرسل إليه ، وهو السامع للمدونة هنا ، يضحى فوراً بعد سماعه برسالة نحو مرسل إليه آخر ، وهكذا . . .

إن أول صفحة من كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري نجد فيها (ر) قال أبو حاتم ، فإن لي أبو زيد ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب (1) ، وقد يعكس هذا القول بعد هذه الصفحة مباشرة ، أي ما كان فيه من الرجز فهو سماعي من المفضل ، وما كان فيه من قصيد أو لغات فهو سماعي من العرب . وبالرجوع إلى الشكل السابق نستطيع أن نكتب :

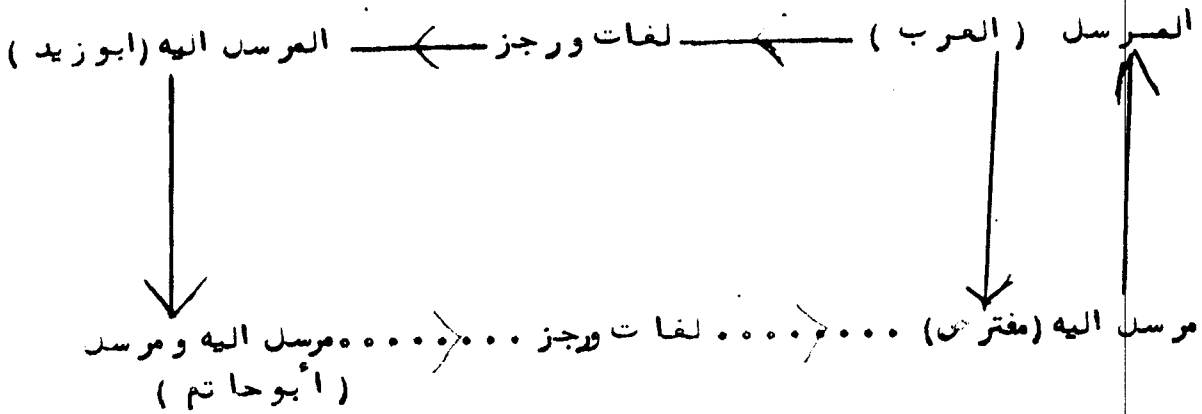


(1) كتاب النوادر في اللغة ص : 1 (ط : 1894 المطبعة الكاثوليكية - بيروت)

ان الشكل السابق يرسم ما تلقاه سماعاً أبو زيد من المفضل

ثم ما تلقاه أبو حاتم من أبي زيد، لكن ما سمعه أبو زيد من

لغات ورجز من العرب، فانه يرسم على النحو التالي :



(س : 11)

والفرق بين الشكلين أن المرسل اليه الثالث في (س : 10) معلوم

وهو شخصية تاريخية، بينما المرسل اليه الثالث في (س : 11) مجهول،

لكنه مفترض إجبارياً بصرف النظر عن شخصيته المعينة، والملاحظة

الأخرى أنه على الرغم مما حكاه أبو زيد بأن شعر الفصيد سماعي

من المفضل، إلا أن مصدر السماع الأصلي أو الأول واحد، ألا وهم

العرب الذين ارتضى جماع اللغة الصسماع عنهم.

ان ما سمعه أبو زيد وغيره من جماع اللغة عن

العرب في بيواتهم من شعر ورجز ولغات وأمثال... لا يعدو

في حقيقة الأمر نماذج تركيبية لسانية، ولا تمثل إلا نسبة ضئيلة

من كلام العرب نوعا وكمية وخطابا ، ولنتصورا حدنا اليوم يحاول
 أن يسجل كلام الناس الذين يعايشهم ويعايشونه في يوم واحد ،
 وهذا مع تطور وتوفر الوسائل التقنية والمادية التي كانت متعده
 عما في تلك الفترة التي كان يتم فيها هذا السماع من قبيلة الى
 قبيلة ، ومن منطقة الى منطقة ، ومن تعبير لهجي الى آخر ، ...
 وإذا كان التواصل اللغوي بين الراوي والمروي به
 يركز بين الجانبين على الشئان الرموز المشتركة ، وبوجه خاص
 على توظيف الدلالات ذات التواصل المشترك بينهما ، باعتبار أن
 اللغة ما هي الا انتاج متسق لنواح الرموز والدلالات (1) ، وباعتبار
 أن الخطاب (ر) سواء كان مسموعا أو حداثيا داخليا مع النفس هو
 دائما قول بصدور شيء معين ، وأن هذا الشيء الذي هو موضوع
 للخطاب يمكن أن يكون واقعا ماديا أو واقعا مجتمعيًا ، وكما نأ
 سيكولوجيا (2) ، فـهل يستمع أو يتلقى المروي له نظام
 لفه ام جزءا فقط من هذا النظام ؟

(1) المرجع والدلالة في الفكر البشري الحديث ص : 33 تودوروف وآخرون
 (ط : 1963 إفريقيا الشرق - المغرب)

(2) م.س.ص : 33

مما يبدو أن السامع لا يتلق نظاماً ولا حتى جزءاً من هذا النظام، لأن اللغة في ذاتها مدونة متعددة الأنظمة، والأمر يتوقف قبل أي شيء على المستويات الخطابية التي يتلقاها أي على التراكيب اللهجية المتفككة والمختلفة، لأنه مهما لبث السامع في البادية سألته فإنه لا يستطيع أن يحيط بكل الكلمات الفردية التي يسمعها، بل ربما كلما طأ مكوته بهذا البلد أو في هذه القبيلة قل سماعه أو وبعبارة أوضح، كلما كثر سماعه قل العامه، ولأنه في هذه الحالة يلتجئ إلى فرز التراكيب وانتقائها، ويجسد السامع نفسه أمام مظاهر فردية غنية من الكلام لا أمام نظام لغوي قائم بذاته، ولا يمكنه أن يقف على كل التراكمات الخطابية أو والصور الشفوية الموزعة بين الأفراد...

إننا اليوم بالرجوع إلى بعض المدونات المكتوبة في اللغة العربية الفصحى المتشككة أساساً من اللهجات العربية الباقية وما بقي مستودعاً فيها من مظاهر لهجية عربية بائدة وحتى سامية أقدم مما نتصور، فإننا نقف على ظاهرة لسانية حقيقية لا تجعلنا نرتاب لحظة بأن هو "الرواة الرواد" لم يسجلوا كل ما سمعوا من لغات أو تراكيب لهجية لها بنيتها الطبيعية الخاصة بها،

ولعل ما يسمى بالروايات، والشاذ، وما يسمى بالقراءات الشاذة،
 ... واللغات المذمومة أو الرديئة أو المرغوب عنها، ... يبين
 لنا أن أولئك الملتقطين الأولين لم يسجلوا كل ما سمعوا من رموز
 ودلالات لسانية بعضها كان لا يزال في طور التكوين أو لا تتأصل
 البطيء بين جماعة لغوية معينة أو مجهولة لدينا اليوم، وبعضها
 الآخر أقسر حيث وجد، وهذه الصائبة لا تخص العرب وحدهم
 بل قد نجدها عند شعوب أخرى سواهم تلك الشعوب التي تعاملت
 مبكراً مع الشكل المكتوب على حساب أي شكل آخر شفوي أو سمعي،
 وذلك إلى الأقل على المستوى الرسمي، وما اختراع القواعد لمدى
 الدهر ثم عند اليونان قبل العرب إلا أحد الدلائل على أن هذا
 الوضع بين الشعوب قد يم قدم الدراسات اللغوية نفسها.
 لسكن هؤلاء الرواد العرب الذين بادروا إلى السماع
 تأكدوا بأن اللغة المحكية بواسطة السماع غير مجرد إذا لم
 تخضع إلى الشكل المكتوب، لأن التراكييب المسموعة خداعه إذا لم
 تعرض على النظام الكتابي، لأنه النظام الوحيد الذي يكشف حقيقة
 هذه التراكييب المسموعة، والتي قد لا يتناسب شكل نطقها لدى المرسل
 وشكل سماعها لدى المرسل إليه، وربما كان هذا في العربية أهون

مما نقف عليه في بعض النغات الأخرى كالفرنسية مثلاً، وسبق لنا أن تناولنا هذا الموضوع في إطار آخر مشابه حين تحدثنا عن البنية الصوتية فصي اللهجات العربية البائدة، وما دام الأمر هنا متعلقاً بسماع المدونة من لغة جسية لا سيمية، فإننا نرى من المناسب أن نورد بعض الأمثلة الأخرى التي تكشف اختلاف اللغة الصموعة عن طبيعة شكل اللغة المنطوقة فضلاً عن اللغة المكتوبة.

(1) بين المفرد والجمع : (1)

نكتب	نسمي
Son fils	Son fils (ولده)
ses fils	ses fils (أولادهم)
son enfant	son enfant (طفله)
ses enfants	ses enfants (أطفالهم)

(2) في الفعل المركب المصروف مع كان :

نكتب	نسمي
je parlais (كنت أتكلم)	je parlé
tu parlais (كنت تتكلم)	tu parlé
il parlait (كان يتكلم)	il parlé
Nous parlions (كنا نتكلم)	Nous parlyon

نكتب

نسم

(كنتم تتكلمون) vous parliez

vous parliez

(كانوا يتكلمون) ils parlaient

ils parlaient

ان النهايات الثلاث للفعل المركب في اللغة الفرنسية هنا (تكلم)

متباينة في ثلاث حالات :

(1) je

(2) tu

(3) il

فالضائر الوحيدة هي التي تقوم بإزالة بعض هذه التناقضات بين

اللغة المسموعة والمكتوبة ، اذ لا يوجد أي فرق في مجال السماع

لدى المرسل إليه بين (Il parlait) و (je parlais) ، وكذلك

بالنسبة للباقي ، ولذلك فإن قول سوسور بأن اللغة عبارة عن مستودع

للصور السمعية ، وأن الكتابة هي شكلها المحسوس⁽¹⁾ لا ينبغي تعميمه

على كل الصور المسموعة بما فيها الفرنسية التي كان يتقنها هذا الرجل ،

وفي العربية هل الكتابة شكل محسوس للصور السمعية : هذا هو السؤال ،

لكن ، ، ، ، كانوا ، ، ، ،

وهذه الأشكال المتعارضة سماعا وكتابة والمتفق عليها في الآن

(1) محاضرات في الالسانية العامة ص : 27

ذاته دلاليًا ، فإلى أي فرع تعود من أجل دراساتها وتتبعها ؟
 إلى على الأصوات أم إلى علم الفونولوجيا أم ندعه للدراسات
 المورفولوجية أم ليس إلى هذا ولا ذاك ونترك الأمر على حاله
 للخطوط الشكلية أو الرمزية تضلل به ؟

من الصعب جدًا أن نجيب على هذه التساؤلات ، لكن من
 العدل بمكان أن نذكر ما وردناه من بعض نصوص ابن درستويه
 حيث وقفنا على ما قد يجيب على بعض هذه التساؤلات ، من هذا قوله
 (لأن الهجاء يلحق الكلام غير المكتوب أيضًا ، . . . ووجدنا كتاب
 الله عز وجل لا يقاس هجاؤه ولا يخالف خطه ، ولكنه يتلقى بالقبول على
 ما أورد المصحف ، ورأيت العروض إنما هو احصاء ما لفظ به من
 ساكن ومتحرك وليس يملحه غلط ولا فيه اختلاف بين أحد) (1)

على أي حال ، إن الدراسات اللغوية الأولية تنشأ عن
 تأملات في اللغة المحكية الباقية عبر عامل السماع المتبادل بين
 متكلميها (2) وذلك أن اللغة المحكية أو السنطومة ذات قوانين
 يراعها المتكلم بدقه ، ويصدر عنها في كلامه ، ولكنه لا يشعر بالعناء ،
 بل إنه لا يكار يفكر فيها ، لأنها عمده لا تزيد على عادات اعتادها

(1) كتاب الكتاب ص : 16

منذ أن تعلم اللغة من المحيط الذي حوله ، وعدم اللغوي أن
يكشف عن تلك القوانين المرعية ، وأن يوضح القواعد التي يقفد
بها المتكلم الأصليون وعلمى هذا ، يكون السماع عطية صعبة ، فهو
مجموعة من الأعمال ، تبدأ بانتهاء ، وتنتهي بالكشف عن القواعد ،
ويسوم بين البدء ، والانتهاء ، التصنيف ، والتقسيم والاستقراء ، على
أن السماع لا يقف عند حدود الاستنباط ، بل تناط به أعمق ، أحرر ،
ومن غير العسير تحديد المهمات التي توكل اليه ((1))
ان السماع عند العرب كان يتم وفق المدونة الشفوية التي
كانت تنطق على علاتها ، وأما المروي له فانه كان يعتمد منهجين
في سماعه :

- (1) الاستقراء القائم على وصي ما يسمع من تراكيب لا متناهية لكنها
متشابهة من حيث قواعدها لا من حيث خطاباتها ومستوياتها ،
لأن السامع كان يصطدم بلهجات جغرافية ، ولهجات اجتماعية ، . . .
فصلا عما كان يلاحظه من كلمات متنوعة لم يجد لها في عياله
وهو في البداية تفاسير لسانية منتظمة صارمة ، إذ علاوة على النوعين
السابقين من السماع الذي يصطدم به ، فانه كان يصطدم بتلك الكلمات
التي ترجع الى لغة واحدة ، كأن يلاحظ أن لغة ل تحتوي على

(1) اصول النحو العربي ص : 15 - 16 د . محمد خير الحلواني (ط : 1979)

لهجات متنوعة مثل لهجات :

ل 1 و ل 2 و ل 3 ، ، ، ، ل ن

هذه الـ ضرب من اللهجات على الرغم من انتمائها بشكل من الـ أشكال

الى اللغة الواحدة (ل) ، فانها تختص بخصائص نحوية اُ وصوتية

اُ وصرفية ، ، ، ، منطقتها .

ومن غير شك ان المروي له في اطار المنهج الاستقرائي كان

يجد نفسه امام مواقف :

أ - من ناحية يسمع النص اُ والمدونة

بد من ناحية اخرى يسجلها اُ ويحفظها

ج - من ناحية ثالثة يعرض مرة اخرى في هدوء و موازنة ما سجل

اُ وحفظ

د - يعتمد الى استخراج القواعد

وبعد هذه الاجازات تأتي مرحلة اصطدامات بغيره

من المرويين لهم الدين عاصروه ورووا من منطقته اُ ومصدر سماعي

يخالف مصدر سماعه هو ، اُ ومن المرويين لهم الذين جاءوا بعده

وروا على شيوخ يختلفون معه ، وهنا يكون السماح مرة اخرى

مصدرا من مصادر التمدد والتقليد مثلما كان مصدرا اُ ساسيا في

نشأة الدراسات اللغوية ذاتها .

(2) الاستنباط : من خلال المواقف الأولية الأربعة التي يمكن للمروى له أن يعتمد عليها لاستقراء مادته اللغوية ، فإنه ينطلق بعد ذلك الى البحث عن دليل أو تفسير يبرر ما استخرجه من قواعد بكيفية دون كيفية أخرى ، ولا يجد طريقة للبرهنة بها في هذه الحالة فيفسر النهج الاستنباطي وهو من خلال هذا النهج يحاول أن يستشف البنية اللغوية العامة ومختلف العلاقات الداخلية الكامنة بين عناصر ما زعمه لنا من نموذج أو مثال أو قالب ... يجب أن يقاس عليه ويحتد ، لأنه هكذا يتواتر ويتكرر بين أصحاب اللغة الأصلية . وهو يلتجئ الى وضع هذا النموذج الأصلي من منطلق ايمانه أن السراوي له أو المتكلم الذي سمعه يرويه أن ينتج عدد لا متناهيا من الجمل في لغته ، وبعبارة أخرى كان المروى له يدرك تمام الادراك وبوعي كما بدأ أن وصف أو مثال ما يسمع من تراكيب هنا وهناك يوميا من هذه اللهجة أو واللغة يستحيل وصفه بشكل نهائي مادامت هذه الجمل مرتبطة بالمتكلم وليس بالمرسل اليه ، لأن هذا الأخير ليس من مسوؤ وليته الحد من الكلام ، ولكن أراد تسميته تتوقف على الاستقبال ، فمن هنا نرى أنه من غير الانصاف أن نغتمر شديدا الاغترار بأن هذه النظرية بقيت في عالم الغيب الى أن كان رجل في منتصف هذا القرن ليكتشفها ، ولكن أو لك اللسانيين العرب

القدما ، تعاملوا مع مدوناتهم تعاملًا واقعيًا مرتبطًا بالناحية الفنية والجمالية والظاهرة المثالية ، وفي حين أن تشوسكي تعامل مع هذه النماذج ، والقوانين تعاملًا سروريًا ورياضيًا ، ولولا تسكه بالعامل الدلالي إلى جانب الاستقامة النحوية لكان عمله معادلات رياضية فارغة من أي محتوى . لأن النموذج يجب أن يكون مرتبطًا بينية اللغة من حيث هي وظيفة بيولوجية إنسانية لا يكونها بنية فيزيائية ، وعليه ، فإن كل مثال أو نموذج حارو العرب أن يؤسسوه راعوا فيه موازاته للموضوع المدروس من حيث هو دال على وظائف ، ويمكن بالتالي استخدام هذا النموذج لدراسة أكثر من موضوع واحد .

إن اللسانيين العرب القدامى فرقوا بين أمرين هامين :

- 1 () التكلم أو النطق دون خط ، وهو يتعلق بالطبع أو السليقة ...
- 2 () وصف هذا التكلم .

وعليه فعملية السامع أو الملتقط للمدونة كان يعنيه الجانب الثاني بالدرجة الأولى ، أما الجانب الأول فلم يكن من نشاطه ، لكن كان مقتصرًا على ملاحظته كأن يحدد المصدر السماعي لمنطقة جغرافية أو قبيلة بعينها قد أن يقدم على وصف هذا التكلم بواسطة ما سمع .

ثم تأتي المرحلة الثالثة بعد عملية الوصف لما يتكلم أو ولما

التقطه السامع ، وهي مرحلة التقيد خلال عملية الاستخدام لهذه اللغة

في سياق معين ووفق النموذج المعطى الذي رواه السامع ، وهذا لا يعني أن المتكلم يطل جامدا لا يطور عليه كلامه ، لأن مفهوم الكفاءة ، حتى لدى تشوونكي ، () ليست مستودعا ساكنا من الرموز ، لكنها نظام متحرك من القواعد والنظم () (1) ، الشيء الذي يسمح بانتاج جم لا نهائية في كل الأُزمنة على مستوى لغة واحدة ، وبالتالي يعطي أ ويضيف على اللغة الإنسانية طابع الابداع المستمر والمتحد ، بحيث لا تتكرر بنفس الأقوال في مجتمع لسفوي واحد .

أما النموذج المستخلص من المدرسة الصموية ، فهو غالبا ما يراعي الجوانب التالية قبل عرضها على متكلم آخر لا استخدام نعان

فرعية على ضوئها : (1)

- (1) يجب تحديد العوامل اللغوية التي يجب تفسيرها
- (2) يجب ايجاد الافتراضات اللازمة لتفسير هذه العوامل
- (3) يجب أن يكون باستطاعة الأنموذج توقع أشياء يمكن لحظها فيما بعد والتحقق منها
- (4) يجب التأكيد من صواب وصحة الأنموذج

(1) علم اللغة : نشأته وتطوره س : 1980 د . محمود جاد الرب
(ط : 1/1980 دار المعارف - مصر)

(2) الأسنينة (المبادئ والاعلام) س : 1986

الفصل الثالث : اشكاليات حول المدونة السموعية

(1) سماع الأم رواية

أعتقد أن هناك اشكالية متداخلة بين لفظ الأم ومصطلح السماع وبين لفظ الأم ومصطلح الرواية ، ذلك ، فيما نحسب ، أن لفظ سيرة الرواية كان موجودا وشائعا منذ العصر الجاهلي حيث كانت كانت هناك مدارس يقوم أفرادها بدور الانشاد والرواية معا ، كمدرسة أوس بن حجر التي امتدت حتى ما بعد الاسلام ، ان كان زهير رواية أوس وطغيل الفنوي (1) ، وكان الحطيئة تلميذ زهير لأنه كان يروي شعره (2) ، وكان كعب رواية أبيه زهير أيضا ، وهو امر طبيعي ، بل يذكر أن امرأ القيس كان رواية لابن دؤاد الا يادي (3) ، واما السماع فهو مصطلح جديد في الدراسات اللغوية العربية المبكرة ، يراد به ماسمع من لغات ولهجات وتراكيب شاذة ومطرودة ... وعلى السماع وحده كان المرويون لهم يعتمدون في جمع المدونة اللسانية ثم تحليلها ومقابلتها بما يتفق أو يتعارض معها قبل الاقدام على استنتاج قواعدها ثم تسجيلها

(1) الشعر الجاهلي ص : 107

(2) الشعر والشعراء ص : 61 ابن قتيبة (ط : 1902 طبع ليدن)

(3) الشعر الجاهلي ص : 107

ومن جهة أخرى ، وكما حاولنا أن نبين ذلك في الفصل الماضي ،

فإن هناك فرقا بينا بين الرواية والسماع من خلال مصدر المدونة

في ذاتها ، وهي في اللغة كما وجدها المستمع أو المتلقي ، و متلقي

نفس المدونة ، ويكون شكلها مرة أخرى كما يلي :

المتكلم المدونة المتلقي

(ش : 1)

ويشك أن عم يمكن تحويل الشكل السابق كالتالي :

اللغة النص أو التركيب السماع

(ش : 2)

ولربما كانت الضمائر الثلاثة المشار إليها أيضا في نفس الفصل المشار

إليه أعلاه يمكن تصورهما بوجه أو وبآخر مع الشكلين السابقين

وكم كان كان ابن خلدون مصيبا حين قرأ أن السمع هو أبو

الملكات اللسانية (1) ، لأن جمع المدونة اللسانية ارتكز فعلا على

عملية السماع كما يركز حصول هذه المستويات اللغوية التي لا حصلها

اليوم في عامياتنا على السماع ، ونحن اليوم حين نتصفح كتاب

سيبويه فأننا نجد ه زاخرا بعطيات السماع المتعددة وبطرق شتى ،

تعدده من ما فيه من ثلثمائة وخمسة وتسعين آية من آي القرآن

(1) راجع المقدمة ص : 546

ففيه تسعة وأربعون وألف من شواهد الشعر، وما لا يحصى من كلام العرب وأحاديثهم (1) .

يسند لنا لو أن نبحث عن صاحب الكتاب لما ظفرنا به مثلاً خارج السماع أو ما ينوب عن سياى هذا المصطلح الذي طوره سوريه كثيراً، ولم أجد له فيما أعلم من تناول هذا المصطلح عنده تناولاً لسانياً مستقلاً، وهو في حاجة إلى مجهودات قراء وبحث ومقارنة جبارة للوقوف على الدلالات العلمية الحقيقية لهذا المصطلح عند الرجل، على الرغم من أنه في شكله يبدو لنا مفهوماً عادياً (2) .

(1) راجع أصول الشعر العربي ص : 17

(2) على سبيل المثال راجع كتابه (الجزء الثاني) :

أ- السماع عن طريق الاحالة ص : 21، 27، 29، 65، 67، 71، 72، 74،

76، 96، 97، 101، 110، 111، 113، ... الخ

ب- الاستقبال العام ص : 95، ... 99، ... الخ

ج- ربط السماع بمصدره مرفوقاً بالعرب والنحويين ص : 19، ...

د- التحفظات ص : 20، ...

هـ- السماع العام ص : 45، ...

و- سماعات مسندة اليه عن طريق التلقي المباشر ص : 20، 27، 28،

51، 69، 92، 112، ...

ز- سماعات عامة أخرى كأن يسندها إلى الغير دون أن يذكر

مصدر الراوي الأول أو الراوي الثاني (الخليل مثلاً) ويونس بن حبيب،

أبو عمرو، وأبو عمرو بن عمر، ... وهو قد يستعمل ضمائر مثلوه ...

(2) السماع و النظام الصوتي :

ليست عملية التسمي عملية سهلة ، وهي أصعب أ وتزيد
صعوبة حين تقرر بالاستقراء الشامل للمدونة بما فيها تراكيبها
التي لا يمكن أن تسمى بالنادرة ونحو ذلك ، ولم يكن توسع المتلقي أن
يستوعب كل التراكيب الموزعة عبر المناطق والقبائل والحنعات
والأفراد ، لأن استقراء مدونه لغوية واسعة كاللغة العربية
((في قرن واحد أ وقرنين أ مدونه مشقات وأ هوان ، ولا
سيما في تلك الحقبة من الزمن وطأة ذلك أن العرب منتشرون
في أصقاع متفرقة من الجزيرة ، وأ أنهم يعيشون قبائل وأ فذاذا
تتبد خيامهم في صحراء واسعة ، وليس في حياتهم مسن الحضارة
ما يتيح لهم أن يدونوا نصوص لغتهم تدويناً يفيد منه اللغوي في
عملية الاستقراء . . . أ ما القرآن الكريم فهو خير لغوي بالغ الأهمية ،
وقد رأينا اعتماد اللغويين له في عملية الاستقراء ، ولكنه إلى
ذلك لم يجمع ظواهر العربية كلها ، ولا بد أن يكون بجانبه
نصوص أخرى ((1)

ومن الناحية الفيزيائية في إصدار الصوت اللغوي من
المصدر الذي ينطلق منه هذا الصوت بالنسبة لأعضاء نطقه ، فإن

المسألة تزاد أكثر تعقيدا، لأنها مسرتبطة بأدراك هذا الصوت
 لدى المثلقي، ذلك أن الأصوات تصدر () من الإنسان فتنتقل
 أولا خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن
 الإنسانية، ومنها إلى المخ فتترجم هناك وتفسر، فالسمع هو الحاسة
 الطبيعية التي لا بد منها لفهم تلك الأصوات. ولقد سبق السمع
 في نموه ونشأته نمو الكلام والنطق، ومزايا السمع يمكن إدراكها
 مسليا - سي :

- (1) أن إدراك الأصوات اللغوية عن طريق السمع يدع سائر الأعضاء
 حرة طليقة، فيمكن الانتفاع بها في ضروريات الحياة الأخرى.
 - (2) والسمع يدرك الأصوات من مسافة قد لا يستطيع النظر عندها
 إدراكها.
 - (3) والسمع حاسة تستغل ليلا ونهارا، وفي الظلام والنور.
- وأخيرا وليس آخرا استطاع الإنسان أن يدرك عين طريق تلك
 المقاطع الصوتية التي نسميها كلاما، أفكارا، أرقى ما قد يدركه
 بالنظر ((1) .

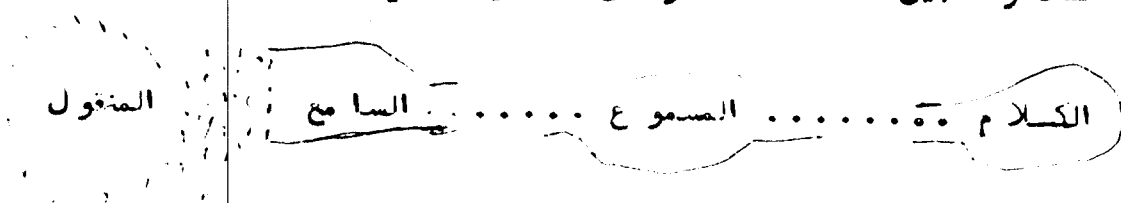
وعليه، فإن تلقي اللغة المسموعة متأثر بأعضاء النطق

عند العناصر التالية :

- (1) الكلام والنصوص التي تم إنتاجها وتحقيقها

(1) الأصوات اللغوية ص: 13 د. إبراهيم أنيس (ط: 6 / 1984 مكتبة
 الانجلو المصرية)

- (2) المسموع ، اذ يجب ان نفرق بين الكلام في ذاته وبين سماعه ،
 فهما شيان مختلفان لا علاقة بينهما الا من حيث كون الكلام المحقق
 مارة صوتية مسموعة في جهاز اذن المرسل اليه ا^و السامع .
- (3) السامع بنية السماع القصدى ا^و بنية السماع العفوى ، ويهنا
 الا^ول ، حتى وان كان الثاني قد يصير قصديا من غير نية سابقة .
- (4) المنقول ، وهو تعالى بالكلام المسموع ، وهنا تتعقد اشكالية
 المسموع ا^و اكثر ، وتزداد ا^و اكثر تعقيدا كلما آلت الى العنصر الرابع
 لان السامع الا^ول لا يسمع لنفسه بل ما هو الا همزة وصل بين المصدر
 السماعى الا^ول وبين من سيروون عنه على الرغم من انهم قد
 لا يتفقهون معيه في كل ما سمعوا عنه ، ويمكن تصور هذه العملية
 المتداولة بين هذه العناصر على النحو التالى :



(ش : 3)

وهذا الشكل متناسب والمصدر السماعى الا^ول المصوب
 نحو مروى له ا^ول ، وا^ول حيانا قد يتعدد المصدر السماعى الا^ول
 ويبقى المروى له واحدا ا^و والعكس ا^و وقد يعتمدان هما معا .

فمن تعدد المصدر السماعي الأول وبقاء المروي له واحدا وما
 جاء في الكتاب : ((ولوا أن هذا القياس لم تكن العرب الموثوق
 بعربيتها تقوله لم يلتفت اليه ، ولكننا سمعنا ما تنشد هذا البيت جريا ،
 وهو قول ابن ميادة العربي ، من غطفان :
 وارثن حين أريد أن يرميننا نبلا بلاريث ولا يقيسنا
 ونظران من خلل الخدور بأعين مرضى مخالطها السقام صحاح
 وسعنا من العرب من يرويه ويروي القصيدة التي فيها هذا البيت ،
 لم يلتفت أحد هكذا .
 وأشد غيره من العرب بيتا آخر فاجروه هذا المجري ، وهو
 قوله :

حمين العراقيب العضا وتركيبته به نفع عال مخالطة بهن (((1)

(1) الكتاب 2 / ص : 20 - 21

شرح الابيات (والشرح من هو من المصدر أعلاه) :
 - ارتاش السهم : اذا ركب عليه الريش
 - والنبل : السهام والقذاح : قدح بالكسر ، وهو السهم قبل أن يراس
 - يشبه الشاعر أشعاره ولا الحسان بالريش
 - خلل الخدور : فرجها
 - والشاهد في تركيب الشطر الثاني من البيت الثاني أن الشاعر وصف
 أُنوعت ((أعين)) وهي نكرة ، ((مخالطها)) وهي معرفة
 بنية التنوين واغفال الاضافة ، ولذلك جرى مجرى الفعل ورفع ((السقام))
 ما بعده ، وهذه التحليلات - طبعا - غير متفقة مع قواعد ومنطق اللغوية ،
 والذي نراه ونطمئن اليه أن هذا التركيب تركيب لهجي أو شائع
 بين فئات عريضة من المتكلمين العرب .

ومن تعدد المرويين لهم وبقا النص موحدًا، ما جاء في الكتاب
أيضًا: ((وأما الصفة، فإن كثيرًا من العرب يجعلونه عفة،
فيتهمونه الأول فيقولون: أهل الحمد والحميد هو، وكذلك الحمد
لله أهله: أن شئت جررت، وأن شئت نصيبت، وأن شئت ابتدأت
كما قال مهلهل:

واقعد خبطن بيوت يشكر خبطة أخواننا وهم بنو الأعمام (1)
وسمعتنا بعض العرب يقول: ((الحمد لله رب العالمين))، فسألت
عنها يونس فزعم أنها عريضة (2)

فأنت ترى أن يونس بن حبيب يتفق في سماعه مع ما
سماه سيويوه من بعض العرب، وهذا أكثر من أن يحصى هنا (3).
وليس المهم في الاتفاق أو الاختلاف بين المرويين لهم، لكن الأهم
في طبيعة التركيب المسموع التي قد يتسع لأكثر من وجه (4) وزعم
يونس أن من العرب من يقول: ((النازلون بكل معترك والطيين))
فهذا مثل ((والصابرين)) (4). ومن العرب من يقول: الطاعنون

(1) على سيويوه (الكتاب 2/ص: 16) قائلا: ((كأنه حين قال: خبطن
بيوت يشكر قيل له: وما هم؟ فقال: أخواننا، وهم بنو الأعمام)) ويقصد
بهذا أن الشاعر أن الشاعر رفع ((أخواننا)) على الابتداء بسا لقطع.

(2) الكتاب 2/ص: 62-63

(3) راجع مثلاً بعضاً من الحالات المشار إليها في هامش: 2/ص: 349 من
هذا البحث.

(4) يقصد بهذه الكلمة ما جاء في سريرة البقرة آية: 177.

والقائلون) (فنصبه كنصب الطيبين ، الا ان هذا شتم لهم و ذم كما
 ان الطيبين مدح لهم وتعظيم ، وان شئت اُجريت هذا كله على الاسم
 الأول ، وان شئت ابتدأته جميعا فكان مرفوعا على الابتداء ، وكل
 هذا جائز في ذين البيتين (1) وما أشبههما هكـ ذلك واسع) (2)
 على أي حال ، ان التلقي متأثر الى حد ما بأعضاء
 النظر أو الارسلان والاستقبال بين العناصر الاربعة المشار اليها
 آنفا ، وقد لا يكون هذا التأثير فيمن سمع أخيرا الا امتدادا من
 تأثير صوتي نشأ في مصدر السماع ثم استقر فيه منذ طفولته ، لان
 الانسان () يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة الحركات التي
 تعودت عليها أعضاءه الصوتية منذ طفولته) (3) ، الا اذا لقن
 نطقا أجنبيا يقوم مقام النطق البلدي ، والنظام الصوتي كالنظام
 الحوي كلاهما اذا ما اكتسب مره بقي يدين باستقراره السي
 استقرار ذهنية المتكلم (4) .

(1) البيتان هما لابن خياط العكبي :
 وكل قوم أطاعوا أمر مرشد هم الا نيرا أطاعت أمر غاويها
 الطاعنين ولما يظعنوا أحدا والقائلون لمن دار نخلهمها

(2) الكتاب 2 / ص : 65

(3) الفسفة ص : 246 فندريس (مطبعة البيان العربي - القاهرة)

(4) م . س : ن . ص

ان القراءة المنسوبة لأبي جعفر المنصور في قوله تعالى :

((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)) (1)

بنصب الحاء ليست قراءة مستقلة ، وإنما يكون أبو جعفر المنصور

قد بالغ في اظهار الحاء شبيهاً مخرجها ، فاعتقد السامع أنها

فتحتها (2) ، والدراسات الصوتية الحديثة أظهرت أن

الاسراف في تبين الحروف والاصوات الحلقية يسلم الى أن

بصارع حركة الفتح (3) .

والحاء صوت كالعين ، ولا فرق بينهما الا في أن ((الحاء

صوت مهموس نظيره المجهور هو العين)) (4) ، ومخرج الحاء كالعين

وسط الحلق ، فعند النطق بأحد هما يندفع الهواء ماراً بالحنجرة ،

فيحرك الوترين الصوتيين ، ولما يصل الى وسط الحلق يضيق المجرى

المار به ، وهذا واضح من نطق أحدنا ((أَلَمْ نَشْرَحْ)) فانه يستطيع

في المسكون الكائن على السنين من نفس الكلمة ، ولكنه لا يستطيع

ذلك مع السدود المرسومة على الحاء ويحس به داخل مجراه أنه

(1) سورة الشرح آية : 1

(2) مفتي اللبيب 1/ ص : 377 ابن هشام (مطبعة المدني - القاهرة)

(3) أصول التفكير النحوي ص : 24 د. علي أبو المكارم

(ط : 1973 دار القلم - بيروت)

(4) الاصوات اللغوية ص : 88

ينحو نحو الفتح شيئاً فشيئاً ولا سيما إذا أُلغى الأسراف في اظهار هذا السكون . لكن هذا التفسير لا ينطبق على كل متكلم ومتقبل ، لان الوصف الصوتي متباين متباين الناطقين والمستمعين ، وهذا في الحالات العادية أو الطبيعية التي لا تعتورها أية آفة من آفات النطق أو الاستماع ، زد على ذلك أن الصوامت في العربية مصحبة دوماً بمصوتات أو وصوات سواء كانت قصيرة (مثل الحركات) أو الطويلة (الصوات الثلاثة) ، والسكون المرسوم على الاصوات الحلقية هو ما ظهر منه في باقي الاصوات .

وكسان بوديان دي كورتناي - فيما يبدو - أول من ميز بين الصوت حين يكون تارة صوتاً لغوياً ، ومرة فونيماً كوحدة لغوية أساسية (فاللغة في نظره لا تتضمن أصواتاً لغوية ، إنما تتضمن فونيمات أو تمثيلات صوتية هي وحدات نفسية وليست ، بالتالي ، وحدات مادية) (1) ، وهو يميز في حالات ثلاث بين الفونيم :

(1) ينظر اليه كنشاط فونوتيكي مركب مكون من مجموعة تمثيلات نظمية وسمعية .

(2) الفونيمات تتمايز من حيث مخارجها في الجهاز النطقي

(2) يعتمد اعتماداً وزناً تشير إلى كل نشاط من النشاطات اللغوية

التي تدخل في تكوين الفونيم (1).

ومنذ القديم فطن العرب، بشكل أو بآخر، إلى هذه الفروع

الصوتية معبرين عنها باصطلاحات مختلفة ((فسموا من يتردد في

نطق التاء ((التعمام))، ومن يتردد في الفاء ((الفافاء))...

وصفة التواء اللسان عند إرادة الكلام سموها ((العقلة)) وصفة تعذر

الكلام على المرء عند إرادته هي الحبسة، وهي أشد من العقلة،

وما يمنع أول كلام الإنسان حين يهيم بالكلام سموه الرتبة (2)...

ومثال فتح الأصوات الحلقية ما سمعه ابن جني من

عبد الله الشجري أنه كان يفتح حرف الحلق في نحو ((يعدو))

و ((هو محموم))، وذكر أنه لم يسمعها من غيره من بني عقيل (3)،

ويؤول العلامة ابن جني هذا بأن من ينطقون بالحروف الحلقية

يستهوهم كثرة ما جاء من العرب من تحريك الحرف الحلقى بالفتح،

إذا فتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين، مثل قول كثير (4):

له نعل لا تطبي الكلب ربحها وان جعلت وسط المجالس شمت

وجاء ((الدهر)) مفتوح الهاء في بيت لأبي النجم (5)،

(1) م. س. : ن. ص

(2) الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص : 57

(3) الخصائص 2/ ص : 9 ابن جني (مطبعة دار الهدى - بيروت)

(4) م. س. : ن. ص

(5) م. س. : ن. ص

والذي نراه أن الفرق بين التأويل السابق لا حد قرأه أي
 جمعقر وما حكاه أو سمعه ابن جني من أحد بني عقيل ، أن الأول
 حكم صوتي متغير ، وأما الثاني فهو مظهر لهجي منسوب لقوم بأعيا نهم
 هم بنو عقيل ، وقبول ابن جني أنه لم يسمعها من غير عهد الله الشجري
 من بني عقيل لا يقوم دليلا على أن المظهر الصوتي لم يكن شائعا بين غير
 عهد الله ، وإنما الأسر هو ما ذكره ابن هشام النحسي ((وكذا ما كان
 على (فعل) بالاسكان قسائه يجوز فيه (فعل) بالفتح عند الكوفيين
 ، إذا كان وسطه حرف حلق ، وهو قياس مطرد عندهم ، والبصريون لا
 يفتحون منه إلا ما كان مسموعا عن العرب ((1) .

ولم تكن مصادر السماع على درجة متساوية في النظام الصوتي ،
 فقد يعجم مصدر صوتا في كلمة ، بينما قديهم مصدر آخر ، وذلك راجع
 فيما نحسب ، إلى ارتك كل مصدر لغة المصدر السابق عليه سماعا ، وفق
 تناوبات تواصلية :

هـ ————— أ ن ا ————— أ ن ت

حيث لم تكن هناك كتب ولا معاجم تحافظ على وحدة اللغة الموروثة من
 جيل إلى جيل : رسما وأعاجمها وضبطا ، ثم كان دور السماع الذي
 عليه اتكل في التدوين ، حيث دون كل واحد من المتكلمين ما سمع ،

وأخطر شيء في النظام الصوتي هو التصحيف الذي لا يكون
 نتيجة لمعطيات سيكولوجية وعصبية تؤدي إلى تفكك صوتي ... بل
 نتيجة مصادر سماعية مختلفة ولا ننا نفترض هنا أن عملية التواصل
 بين السامع والمسموع من جهة ، والناقل والمنقول من جهة ثانية
 هي عملية لا يشوبها أي مراس كلامية ، والا فقد صار موضوعنا شيئاً آخر .
 من هذا أن أبا عمرو بن العلاء وأبا الخطاب الأخفش قد

جمعهما مجلس ، فأشدد أبا الخطاب :

قالت قتيبة ماله قد جللت شيها شواته

فقال أبو عمرو : حذف يا أبا الخطاب ، إنما هو سراته ، وسراة كل
 شيء أعلاه ، ولما انصرف أبو عمرو قال الأخفش الأكبر : (والله إنها
 لفي حفظه ، ولكنه ما حضره) (1) .

ثم أبقى أبا الخطاب الأخفش إلا أن يسأل مصادر متنوعة من

الأعراب ، فقال قوم : سراته ، وقال آخرون : شواته ، فسلم الرجل

ببعد ذلك أن كل واحد ماريون إلا ما سمع (2) .

وفي المصادر العربية القديمة وكتب التراجم اللغوية والطبقات فيها

أمثلة كثيرة على هذا الوضع المتميز للنظام الصوتي في التراكيب العربية

(1) المزهر : ص 363

(2) م . س : ن . ص

على الرغم من أن هذا النظام حدث أول ما حدث مسموعا لا مدونا ،
 وحين نتقدم قليلا نحو عصور التدوين نجد هذه الظاهرة لا تزيد الا
 استفحالا .

(3) السماع بين البصريين والكوفيين :

اننا نتجنب الخوض في هذا الموضوع الشائك في كل ما يتصل
 به من اتفاقات واختلافات ، ولكننا لا بد من الإشارة الى أن القصد
 بالبصريين ليس كل البصريين ، ولا القصد بالكوفيين كل الكوفيين ،
 وانما انقصد بالاولين ، وفيما نحسب ، ما هم الرواد الأوائل من أمثال
 عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي وعيسى بن عفره وأبي عمرو بن العلاء ،
 والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وكذلك القصد بالمدرسة
 الثانية ليست الا الكسائي ومعاذ الهرازي وأبا جعفر الرصاصي
 والفراء

ان الكوفيين كان محتوما عليهم بحكم التأخير الزمني أن
 يأخذوا عن البصريين (1) وكان لأهل البصرة في العربية قدمة ،
 وبالنحو ولغات العرب والغريب عنانية (2) (1) ولأن أبا الأسود
 الدؤلي ، وهو بصري ، (2) كان أول من أسس العربية ، وفتح بابها ،
 واتبع سبيلها ، ووضع قياسيها (3) (2) .

(1) طبقات فحول الشعراء السفر الأول ص : 12 ابن سلام الجمحي
 (مطبعة المدني - القاهرة)

(2) م : س : ن . ص

ولكن أهل البصرة يحكم السبق الزمني واسلمي لم يكونوا محوجين الى
 الاخذ عن الكوفيين () وكذلك أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين ،
 ولكن أهل البصرة يمتنعون من الاخذ عنهم ، لأنهم لا يرون الأعراب
 الذين يحكون عنهم حجة (1) ، بسط قال أبو حاتم : (2) فاذا
 فسرت حروف القرآن المختلطة فيها ، وحكيت عن العرب شيئا فانما
 أحكيه عن الثقات عنهم ، مثل أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة ويزيد
 وثقات من فضحاء الأعراب وحملته إلى علم ، ولا ألتفت إلى رواية
 الكسائي والأحمر والأموي والفرابي ونحوهم ، وأتوّن بالله من شرهم (3) .
 وأما أبو الطيب اللغوي مرة أخرى : (4) وأخذ الناس علم
 العرب عن هؤلاء الذين ذكرنا من علماء البصرة (5) .
 وقال أبو حاتم في موسى آخر : (6) لم يكن لجميع الكوفيين عالم
 بالقرآن ولا كلام العرب ، ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا من
 ذكره لم يكن شيئا ، وعلمه مختلط بلا حجة ولا علم ، إلا حكايات من الأعراب
 مطروحة (7) . (4)

(1) مراتب النحويين ص : 143 أبو الطيب اللغوي (دار الفكر العربي - بيروت)

(2) م . س : ن . ص

(3) م . س : ن . ص 122

(4) م . س : ص : 120 - 121

أما صاحب الفهرست فذكر في ترجمته لأبي زيد الأنصاري
 إحالة على أبي سعيد (1) : () ولا نعلم أحدا من علماء البصريين
 في النحو واللغة أخذ من أهل الكوفة شيئا من علم العرب إلا أبا
 زيد ، فإنه روى عن الفضل النخعي (2) .
 وينسب للرياشي أنه قال : قال عتبا هيا بمصدر سماع البصريين
 حاطا من قيمة مصدر سماع الكوفيين : () إنما أخذنا اللغة من حرس
 الضباب وأكلت اليرابيع ، وهو (3) : أخذوا اللغة من أهل
 السواد أكلت الكواميسخ والشواريز وكلام يشبه هذا (4) .
 ومن المحدثين نجد الأستاذ سعيد الأفغاني يقول : ما يخلص إلى
 القول بأن السماعيين هم البصريون لا الكوفيون يقول : () أميل إذا
 إلى أن المذهب الكوفي لا هو مذهب سماع صحيح ولا مذهب قياس
 مبني على التواريخ يؤيد وجود المذهبين مذهب السماع ومذهب
 القياس ، وهما حقا جدا ، ولكن في البصرة لا في الكوفة (5) .

-
- (1) يظهر أنه أبو سعيد السيرا في المتوفى سنة 368 هـ
 - (2) الفهرست ص : 60 ابن النديم (لم تذكر مطبعة الكتاب ولا زمانه ولا مكانه ...)
 - (3) يقصد بهم الكوفيين طبعا
 - (4) الفهرست ص : 64
 - (5) من تاريخ النصوص : 74 - 75 سعيد الأفغاني (دار الفكر - بيروت)

وعلى هذا في هذه الآراء وما شابهها من غرابة وعصبية ،
 من الرأي اللساني العام على الكوفيين الذين لولا هم السماع تراث
 لسانى لهجي-ولسانى عام كثيره فهم الذين مدوا يد الحماية الزمنية
 لتراكيب عربية عتيقة على الرغم من أن البصريين رغم تحفظهم في
 ميدان السماع ، فانهم لم يكونوا أقل اهتماما في استقراء المادة
 اللغوية المسموعة من نظرائهم الكوفيين ، فهذا أبو عمرو بن العلاء
 كان يأخذ عن أبي عروب (1) ، كما كان يأخذ عن غيره من الأعراب
 المارين به ، (2) وأما الذين يؤمهم في مختلف أوضاعهم من اشتهرت
 بها شيمهم أو رموقهم بالفصاحة وسلامة اللغة ، وهذا الأصمعي كان لا
 يتردد في السماع عن المنتجع الأعرابي ، وهو طائي (3) ، وأبو عبيدة
 الموسوعة كان يسأل أبا مهندية الأعرابي ، وهو من باهلة (4) ، وهذا
 حماد الكاتب يقول : ((كنا نأتي سماك بن حرب نسأله عن الشعر ،
 ويأتي أصحاب الحديث ، فيقبل علينا ويدعهم ويقول : هؤلاء ثقلاء)) (5) .

ويونس بن حبيب كان يسمع من الأعراب وشعرائهم ، وسيبويه اعتمد
 القواعد العربية العامة التي لا أول لها ولا آخر ، في كتابه على الأعراب ،

(1) طبقات النحويين واللغويين ص: 31 هـ ص: 37 للزبيدي (دارالمعارف مصر)

(2) م.س.س : 36

(3) م.س.س : 157

(4) م.س.س : ن.ص

(5) م.س.س : 159

فهو كثيرا ، كما سبق أن أشرنا ، ما يورد : (ر سمعنا بعض العرب) (1)

أو يقول : (ر كذلك سمعنا ، من العرب) (2) . . . إلخ ، ومثل من

مضى أبو الخطاب الأحمس الذي كان يسمع من قبائل مختلفة ، كبني

سليم وغيرهم (3) ، والنايل بن أحمد العالم الذكي الذي درس عرب

رطلا بالبادية (4) . . .

ولا أحسب أن الرعي الأول من العلماء ، كانوا كلهم

يعرفون الأعراب الواقفين عليهم من أي جهة قد موا ، وإلى أي

القبايل ينسبون ، وكيف هي درجاتهم من الفصاحة وسلامة اللغة ، وذلك

لتقدّمهم الزمني وثقتهم في لغة البدو كنموذج أسبق يجب أن يحتذى ،

مادامت السليقة اللسانية لم تكن قد فسدت بعد في هذه المواقع

الناعية عن الحواضر الإسلامية الجديدة ، وعلى العكس من ذلك فإنهم

كانوا يمتحنون من يطيل الإقامة في الحواضر ، أما أحد أقوالهم

جني : (ر فإياك أن تسبخلد إلى كبد ما تسمعه ، بل تأمل حار

مورده ، وكيف موقعه من الفصاحة) (5) فلا يعبر إلا عن أعراب

البدو في زمنه (أو آخر القرن الرابع الهجري) ، ولا عن أخذ عنهم

اللفيف الأول من العلماء المتقدمين أي منذ آخر القرن الأول الهجري .

(1) الكتاب 2 / ص : 63

(2) م . س . ص : 67

(3) م . س : 1 / ص : 4

(4) أصول التفكير النحوي ص : 22 - 23

(5) النماذج : 2 / ص : 1

(4) مصادر المدونة المسموعة:

ان مصادر المدونة المسموعة ، ونقصد بها بطبيعة الحال المدونة

المحكية^١ والشفوية^٢ لا تعد وأن تكون^٣ أمرين :

أ- اما الأعراب البدو في مواقعهم وأصقاعهم

ب- واما ههنا^٤ أنفسهم لكن في حواضرهم لا في بواديهم .

آه ان^٥ أوضح المناطق التي لم يكن يتطرق اليها الشك كمصدر سماعي

مخصص له^٦ وبه من السامعين عموما^٧ وجماع اللغة^٨ هي بوادي

الحجاز وتهامة ، لا عتراء الخليل للكسائي^٩ بأنه أخذ علمه من

هذه المناطق (ر ش م ك ر ن) (الكسائي) الى البصرة ولقي الخليل

ابن أحمد^{١٠} وحلر في حلقته فقال رجل من الأعراب : تركت أسدا

وتيمما وعندهما الفصاحة وجئت الى البصرة وقال للخليل بن أحمد :

من أين علمت هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ،

فخرج الكسائي وأنفذ خمس عشرة قتيبة حمر في الكتابة عن العرب

سور ما حفظه ((1)) .

وحسب تقسيم الدائري للجزيرة العرب ، فان الخليل بن

أحمد لم يدع أرضا في القبائل الشمالية الا أخذ عنها^{١١} وأسمع منها ،

ما عدا اليمن الأقصى والمرور^{١٢} لأن تهامة هي الناحية الجنوبية

(1) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص : 5 ابن الأنباري
(2) نسخة / 70 مكتبة الاندلس - بغداد)

عن الحجاز، ونجد، هي الناحية التي بين الحجاز والعراق،
والحجاز هو ما بين تهامة ونجد، وأما العروس فهي الناحية
المحصورة ما بين تهامة إلى البحرين (1)، وأما ما اعتبرت
تهامة قطعة من اليمن (2)، فنسبى هذا إلى الخليل قد سمع
من سكان اليمن أو من العباد المصلحة بالشمال على الأقل.
وكانت هذه المناطق الجغرافية هي المناطق الثلث
أو المفضلة عند جماع اللغة، ذلك أن العلماء أو جامعي المدونة
كانوا ينطلقون من حواضرهم كالبصرة والكوفة ثم بغداد... قاصدين
مناطق محددة مسبقاً لمشاهدة الأعراب بها في عين أماكهم، فالكسائي
على ما على النص السابق الذي يبين اقتفاء آثار أماكن الخليل،
فإنه بعد خروجه إلى البادية عاب فيها مدة طويلة (3) وكتب
الكثير من اللغة والفريسي عن الأعراب بنجس وتهامة ثم قدم (1000) (3)
دون أن ننسى الآخرين - وما أكثرهم - مثل أبي عمرو والسيدي
الذي دخل البادية ومعه دستيجان من حبر فما خرج منها حتى
أفناهما وهو يكتب سماعه عن العرب، إذ ذكر ثعلب: (4) دخل أبو عمرو
اسحق بن مزار البادية ومعه دستيجان من حبر فما خرج حتى أفناهما
يكتب سماعه عن العرب (4) (4).

(1) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: ص 16-17

(2) المسالك والممالك: ص 26

(3) معرفة القراء الكبار 1/ص: 100 للذهبي (ط 1/1955 مطبعة البابي الحلبي)

(4) نهاية الألباء: ص 100

وفضلاً عن ذلك ، فإن أبا عمرو الشيباني كان عالماً بأيام العرب
 جامعاً لأشعارها ، حيث ذكر أحد أبنائه (عمرو بن عمرو) أن أبا هـ قد
 جمع أشعار العرب ، فكانت نيفاً وثمانين قبيلة (1) ، ويقول فيه ثعلب
 مرة أخرى : ((كان مع أبي عمرو والشيباني من العلم والسمع أضعاف
 ما كان مع أبي عبيدة ، ولم يكن من أهل البصرة مثل أبي عبيدة
 في السماع والعلم)) (2) .

أما الخضر بن عمار فزيادة على ما أخذ من سماعات من
 الخليل وفصحاء العرب الوافدين عليه ، فإنه ضرب الرقم القياسي
 في طول غيابه بابوادي ، إذ يحكى عنه أنه قال : ((أقمت في
 البادية أربعين سنة)) (3) .

ومرئنا كيف أن أبا زيد الأنصاري يقرر في مستهل كتابه
 (الحناوير) أن ما كان فيه من شعر فهو سماعي من المفضل ، وما
 كان فيه من اللغات وأبواب الرجز فهو سماعي من العرب (4) ،
 وأبو عمرو بن العلاء الذي يعد رأساً لمدرسة البصرية يرون في غير
 مصدر أن ما سمعه عن الفصحاء جعل بيته يضيئ كتباً لكثرة ما سجل وألف ،
 إذ قيل : ((كانت دفاتر أبي عمرو ملاً بيت إلى السقف ، ثم انتسك فأحرقها ،

(1) نزهة الألباء : ص : 73

(2) م . س : ن . ص

(3) م . س . ص : 73

(4) راجع ص : 334 من هذا البحث

وكان رأساً في القرآن والحسن في ركايا من الناس ، وفي أنس بن مالك وهو الحسن به وحلقته متوافرة والناس عكوف ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو عمرو ، قال : لا اله الا الله ، كاد العلماء أن يكرنوا أريابا ((1)) .

ورحلات الأريابي إلى أعماق البادية مليئة بمساعله العجائب مع من لقيهم أو سمع عنهم أو عاشرهم . . . من الأعراب وهو واحد من حكي عن بعض رحلاته إلى البادية منطلقاً إليها من العراق ، فأخذ عن بني الصيدا (2) ، وهم على كبر شمع (من بني أسد) ، وكانت أرضهم ما يلي الكرخ من أرض نجد في مجاورة طيء (3) ، وكما أخذ عن حمى ضريبة (4) ، وهم بنو كلاب في جهات المدينة ، وفدك ، والعوالي (5) ، ومن المؤكد أنه أخذ عن مشهور هذه الدراق ، زيادة على ما أخذ وسمع من أعراب البادية بشكل عام من أخبار ولغة وشعر .

أما قصصه مع هؤلاء العرب وغلمانهم فهي أغزر من أن تحصي ، وكلها تنبئ بالهلع من الغربة ، والجفاء من العيش في البادية ، . . . ومع ذلك ، فإن الأصمعي كان يجد فرجة ونسياناً لهذا كله ، وإن ظفر

-
- (1) نهر القيس ص : 25-26 المرزباني (ط : 1964 مطبعة قرائن)
 (2) أمالي القاضي 1/ ص : 169-171 أبو علي القاضي (دار الفكر العربي للطباعة)
 (3) نهاية الأرب ص : 57 و ص : 62
 (4) المزهر 1/ ص : 140
 (5) نهاية الأرب ص : 407

ببعض النواذر أو الأشعار التي يتصمى أن يسميها لا حتواثها على
 بعض العناصر والدلالات أو الأخبار أو الخطابات التي يهرع
 وراءها جماع اللغة أو لم يكن قد سمعها من قبل من شيوخه كأبي عمرو
 ابن العلاء، وعيسى بن عمر، وخفاف الأحمر، والخليل بن أحمد، ويونس
 ابن حبيب، ...

ومن بعض هذه الرحلات ما حكاه عن نفسه: (خرجت من مكة
 فلزمت هذيلًا في البادية أن تعلم كلامها، وأخذ طبعها، وكانت أفصح
 العرب، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحد برحيلهم، وأنزل
 بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار، وأذكر الأدب
 والأخبار وأيام العرب، فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي، فقال
 لي: يا أبا عبد الله، عز عليّ ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة
 والذكاء فقهه) (1)، وينسب إليه في موضع آخر أنه قال: ((أقيمت
 في بطون العرب عشرين سنة أخذ أشعارها ولغاتهما...)) (2).
 وإذا، فمصدر السماع الأول يتبلور فربما أخذ عن
 أعراب البادية الذين كان يقصد هم العلماء، فيقضون معهم
 الأعوام ويقاسمونهم عناءهم وشذات عيشهم... وقد يحتالون عليهم

(1) الأصمعي اللغوي ص: 42 د. عبد الحميد الشلقاني

(ط: 1982 دار المعارف - مصر)

(2) م. س. ن. ص

من أجل استدراجهم الى سماع ما يريدون سماعه منهم بطرق وحيل
 شتى، ثم يدونون ذلك كله في حينه أو يحفظونه ان تعذرت
 عليهم وسائل الكتابة النادرة في ذلك الوقت، وبالضبط في البوادي،
 ولم تكن مهمات أولئك العباقرة الذين جاد بهم الدهر للعرب
 مرة لا مرتين ((في ذلك العصر الا نقل ما يسمعون من العرب
 مشافهة الى التقييد بالكتابة، فأكثر اللغة كتبت في العصر
 العباسي الأول لا قبله)) (١)، ولربما جازلنا أن نتفعل على
 الأستاذ أحمد أمين بهذه العبارة أو الاضافة: ((لا بعده))
 بيد الأعراب في الحواضر لا في البوادي فقط :

مما سبق وسبأني من خلال هذه العنوان يتضح أن الفئة
 الثانية التي اعتمد عليها في السماع هي فئة متنقلة أو متحركة خلافا
 للمصدر السماعي الأول الذي كان قارا وثابتا، حتى وإن تحرك أو
 استقر كان ذلك لا يتجاوز الفضاء البدوي أو المحيط القلي، ولكن المصدر
 المتحرك لم يكن له فضاء معين الوجوده في هذه الحاضرة أو
 تلك كقدوم هؤلاء على البصرة والكوفة والمربد وبغداد... وأماكن
 أخرى من الصعب تتبعها واقتفا آثارها، لأن المشهور منها غلب
 على المغمور.

(1) ضحى الاسلام : 2/ص : 256 أحمد أمين (ط: 10 دار الفكر العربي بيروت)

لأنه لا يذكر أن سيوييه اتخذ منهجا اعتمد فيه

السماع وكما لمحا من ذي قبل ، لكن من أين سمع تلك المدونة

اللسانية التي تكاد جامعة مانعة بالنسبة للعربية ؟

ان احالاته المتعددة وبطرق متنوعة الى شيوخه بأسمائهم

حيناً وبغير أسمائهم حيناً آخر أَسروارد وواضح ، لكن الاشكال

يكن في أقواله المتكررة الأخرى وبتعاير شمسى والعظيمة

مصادر غزيرة للسماع دون أن يفصح عن أصلها الا نادرا بالقياس

الى الكميات السماعية ، إذ لم يفصح لنا كتاب واحد حتى الآن

فيما أعلم - عن رحله واحدة من رحلاته أو سماعه عن العرب

في جهة أوحيزقلي أو فضا ئي بعينه مثلما عرفنا ذلك عن الخليل والكسائي

والأصمعي وغيرهم من الشيوخ اللسانيين (وان قيل ان سيوييه

قد سمع عن العرب ، وأنه كان عالما بلغاتهم وما فيها من كثرة وقلّة ،

وما تتصرف به من قوة وضعف ، فالقول صحيح ، ولكن معرفته بها وما تتصرف

بها كانت معرفة بما عرفه شيوخه الذين تلمذ لهم أو نقل عنهم ،

ولم يكن له باللغات العربية علم سماع مباشر يعتمد على المعايشة والمشافهة ،

ولو عرف ذلك معرفة سيديانية بيئية ، وأقصد بذلك معرفة رحلة

واختلاط ما وقع في اختلاط ، كان رأييه فيها مخالفا للغات

العرب وما هي عليه من شيوع وانتشار في مجالاتها

اللغوية العامة أو مجالها الخاص ((1) .

ويستنتج صاحب النص أعلاه معاً حدث لسيوييه مع

الكسائي في المساجلة اللغوية المعروفة بينهما أن الرجل أي سيوييه لم يسمع عن العرب وهل سمع فقط من شيوخه ، لأنه لو شافه العرب ما كان خلافه مع الكسائي (2) .

أنا نحن فيما مضى من هذا البحث أننا لو أردنا أن نظفر بسيوييه مثلاً لنا ، فالتأني نظفر به خارج السماع أو ميدانه ، دون أن ننكر ما نقله عن شيوخه ، ولكن الإشكال بالنسبة لنا ليس في سماع سيوييه ، لأن هذا امر ثابت ووارد والا أبطلنا مستويات لغوية لا حصلها في كتابه ، وإنما في طريقة وكيفية سماعه : أسمع من أصقاع عربية خارج الحواضر أم اكتفى بالسماع عمس ورد من الأعراب إلى الحواضر وأطرافها ؟

(1) سيوييه جاء مع النحو العربي ص : 35-36 ده فوزي سمود (ط : 1986 الهيئة المصرية العامة للكتاب)

(2) م.س.ص : 37

كما هو واضح أن صاحب هذا الرأي يتعامل على سيوييه تحاملاً غير مبرر ، لأن الخلاف الذي وقع فيه مع الكسائي خلاف العلماء ، وهو قائم على ما كان يعرفه سيوييه من كثرة الشواهد في المسألة المطروحة ، وهو مذهب البصريين ، لكن الكسائي بحكم مذهبه الكوفي قاس التركيب على النصب أيضاً مثلما قاسه على الرفع (راجع : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، ص : 68-71) .

إذا كان سيوييه لم يسمع من البوادي ، أو أن كتب
الطبقات والتراجم لم تذكر ذلك السماع فإنه قد سمع من علماء * تolkوا
مطلق هذه البوادي ، فضلاً عما سمع من أفواه العرب الأقحاح
وشعرائها بصرت النظر عن المكان الذي سمع فيه ، لأن أحد
من القدماء * لم يجرؤ على الطعن فيما سمع إلا في قليل من الأحرف ،
وهي هفوات لم يتسام عنها عالم لغوي واحد بمن فيهم شيوخه ،
فهذا الرياشي يقول : ((حدثني الأخفش (1) قال : كان
سيوييه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه علي وهو
يرى أني أعلم منه ، وكان أعلم مني ، وأننا
اليوم أعلم منه) (2) .

ومن الصعب الحكم على سيوييه بأنه سمع من الفئة الثانية
أ* ومصدر السماع المتحرك دون مصدر السماع المستقر ، ومهما يكن فإن
مصدر السماع المتحرك كان يتجلى في رحلة الأعراب الفصحاء إلى
البصرة والكوفة وغيرهما من مدن العراق ، وكانت لهجات هؤلاء
البدو سليمة صحيحة ، لم تشبها بعد شائبة من الخطأ والفساد
لقربها من المنبع اللساني الصافي المنيع من الامتزاج الأجنبي الذي

(1) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المتوفى سنة 225 هـ

(2) مرآة النحويين ص : 112

يؤدى حتما - اذا طال - الى فساد السليقة اللغوية الأصلية وتطويع
اللغة تطويعا مزيجا من لهجات شتى ، وكان هؤلاء الأعراب يرحلون
الى الحضرة اما انتجا عاكسا للكسب أو التماسا للعلم ، وأولاً موزيارات
أخرى ، وقد نزل بعض بطون قيس عيلان بظاهرة البصرة (1) ،
وكان من ينشأ من الحضريين بين أخصان البدو ولا يلحن فصي
العربية ، مثل بشار بن برد الذي تشابهني بني عقيل ، ويحكى أن
نساءهم كن أفصح من رجالهن (2) .

ومن الأعراب الفصحاء الذين أخذ عنهم العلماء

مع اختلاف أصقا عنهم وتباين أوقاتهم في الحواضر : (3)

(1) أفرار بن لقيط ، كان يجلس على مكان عال ، فيجتمع اليه ويؤخذ عنه .

(2) أبو البداء الرياحي وهو زوج أم أبي مالك عمرو بن كركرة ،

هو أعرابي نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان ، وبقي أيام عمره يؤخذ
عنه العلم ، وكان شاعرا .

(3) أبو مالك عمرو بن كركرة هو أعرابي كان يعلم في البادية وورق

في الحضرة حتى إنه ليقال : إن أبا مالك كان يحفظ اللغة كلها .

وله من الكتب كتاب خلق الانسان ، وكتاب الخيل .

(1) ضحى الاسلام 1/ ص : 258

(2) م. س. ص : 257

(3) ان ترجمة هؤلاء الأعلام من الأعراب محالة على الفهرست ص : 49-55

(4) أبو سرار، وهو أعرابي فصيح يمرز إلى بني عجل، ويوصف بمرارة علم اللغة مثل الأعرابي السابق، إلى جانب كونه شاعرا مملوحا، ولم يصر له أثر في التأليف.

(5) يزيد بن عبد الله، والمعروف بأبي زياد الكلابي، قدم بغداد أيام المهدي حيث لبث في محيطها أربعين سنة، وبها توفي، وهو أيضا شاعر ينتمي إلى قبيلة بني عامر بن كلاب، ومن مؤلفاته: كتاب النوادر، كتاب الفرق، كتاب الابد، كتاب خلق الانسان.

(6) أبو سرار الفخوي أعرابي بسدي فصيح، له مساجلات مع القارئ النحوي محمد بن حبيب (والد أبي عثمان المازني).

(7) أبو الجا موسى، وهو ثور بن يزيد لم يخلف وراءه مصنفات كالسابق، لكن حسبنا أن نذكر بأن عبد الله بن المقفع أخذ عنه الفصاحة، ومن غير شك أن سور ابن المقفع كان يأخذ عنه أيضا، لأنه كان يفتد البصرة على آل سليمان بن علي.

(8) أبو سعد نان، أعرابي مختلف في اسمه: أ هو عبد الرحمان بن عبد الأعلى أم ورد بن حكيم، إلا أنه شخصية تاريخية، فهو بصري وشاعر، بل شوراوية أبي البداء الرياحي، وله من الكتب: كتاب القوس، كتاب غريب الحديث، ...

(9) نهشل بن زيد، وهو أبو خيرة، أعرابي بدوي، قدم كغيره من الأعراب البدو السابقين بعض الحواضر، ومن كتبه كتاب الحشرات.

(10) نصر بن قعين المشهور بـ: دهج بن محرز النصر بنسبه متصل ببني أسد بن خزيمه له من الآثار كتاب النوادر .

(11) أبو محلم الشيباني مختلف كذلك في اسمه ؛ أبو هو محمد بن سعيد أم محمد بن هشام بن عوف السعدي ؛ لكنه اشتهر في كتب التراجم والأسانيد بأبي محلم الشيباني على الرغم من أنه كان يسمى أيضا محمدا وأحمد ، وهو أعرابي يوصف بأنه أعلم الناس بالشعر واللغة ، وما يحكى عنه أنه كان يغلظ طبعه ، ويفخم كلامه ، ويفرب منطقه . وهو على الرغم من ولادته بفارس كما جاء في بعض خطوط ابن السكيت ، إلا أنه منتسب الى بني سعد ، ولذلك قد يقال له : محمد بن هشام ابن عوف السعدي ، ومن بعض أخباره المشهورة ما ذكره المبرور () سمعته يقول : عندي خمسة عشرة هاء ونا ، وقال لي يوما : لم أَرِ الهاون في البادية ، فلما رأيتهُ استكبرت منه ، وله مصنفات عديدة ، وهو من الرواة المتأخرين بالنسبة لمن تراحموا قبله على الحواضر .

(12) أبو سهدية ، هو أعرابي صاحب غريب ، كان الصريون يروون عنه .

(13) أبو سحل ، يكنى بأبي محمد ، واسمه عبد الوهاب بن حريش ، هو أعرابي له مناظرات مع الأعمى في التصريف ، وله بعض المصنفات .

(14) أبو ثروان العكبي أبي من بني عكل ، أعرابي بدوي فصيح ، كان يعلم في البادية حسب ما ذكر يعقوب بن السكيت ، ومن خلفاته كتاب خلق الفرس ، وكتاب مداني الشعر .

(15) البهدي واسمه الحقيقي عمرو بن عامر ، ويكنى أبا الخطاب ، كان هذا الأعرابي راجزا فصيحاً وراوية أبي صدرا للرواية ، ومن أخذ عنه إلا عمي ، حيث جعله حجة في شعره .

(16) وغير هؤلاء كثيرون مثل جهم بن خلف المازني ، وأبي المنهال ، وأبي العميش ، والحرمازي ، وعاد بن الكسيب ، والفقسي ، وربيعه البصري ، ... إلخ .

ورغم امتياز هؤلاء الأعراب بالفصاحة وسلامة اللغة ، فإن جماع

السدنة لم يكونوا كلهم على درجة واحدة من الثقة المعنوية أو المطلقة فيهم دون معرفة أصله وفصله وموقع قبيلته ... من ذلك ، كما رأينا ، ما استنكره المبرد على أبي محلم الشيباني الذي صرح له مرة بأنه لم يسر الهاون في البادية ، ثم إذا به يسمعه يقول في أحد مجالسه : عندني خمسة عشر هاونا ، وإن كان هذا ليس حجة للمبرد على أستاذ ، سواء أكانه سمعه يقول هذا بعد ما سمعها من تلميذه نفسه أو غيره من بعض العلماء ، وهو بالحاضرة ، ويكفي أبا محلم ثقة

أُنه اعترف للمبرد من قبل أنه لم يسمع هذه الكلمة في البادية ،
 لكن يبدو أن المبرد كان يعنيه السماع الأول لا السماع الثاني .
 وقد يختبر أحد جماع اللغة فصاحة بعتر الأعراب أو
 يراجعونهم في حالة ما إذا أطالوا الإقامة في الحواضر ، كما متحان
 أبي عمرو بن العلاء ، أبا خيرة ، حيث سألته ، وتظاهر بتسألته عن
 قول العرب : (استأصل الله عرقاتهم) فنصب أبو خيرة التاء
 من (عرقاتهم) فقال له أبو عمرو : (هيها ت يا أبا خيرة ،
 لأن جلدك) (1) ، لأن أبا عمرو استضعف النصب ، لأنه كان
 سمعها منه بالجرح ثم صار أبو عمرو بعد ذلك يرويها بالنصب والجرح (2) .
 واستحن ثعلب أيضا أحد انصار ، وهو أبو الذؤار ، ولما
 تيقن من فصاحته وصلاح لفظه ، قال : (قد جمع أبو الذؤار
 علما وفصاحة ، فاكثروا عنه ، واحفظوا قوله) (3) .

1 [نزهة الألباء ص : 32]

2 م . س : ن . ص

3 (المزهر : 2 / ص : 337)

الكتاب الثاني

التركيب في اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : قراءة لسانية عامة حول البنية السانتكسية

الفصل الثاني : التركيب الاسمي

الفصل الثالث : التركيب الفعلي

الفصل الرابع : التركيب الحرفي و الظرفي

خاتمة البحث

الفصل الأول : قراءات لسانية عامة حول البنية السانتكسية

1) بين السانتكس التقليدي والمعاصر:

قد أکھون مخطئاً ، لكن هكذا ، تكون لدي اقتناع
بعد قراءات متتابعة ومنذ مدة ، بأن الدراسات اللغوية
الديعة انطلاقاً من الهنود ، مروراً بالآغريق ، وانتهاءً عند العرب ،
قد حققت خطوات عملاقة ، فهي أن لم تعبر عن كل النظريات
اللسانية المعاصرة بشكل مباشر ومنهجي ، مما يميز بين العناصر
التي اتخذتها ميداناً لبحثها ، فإنها قد عبرت عنها بكيفية تسلسلية
ومنهجيتها المناسبة لزمانها ومكانها والمجتمعات مع مستعظمي
تلك العناصر اللسانية وفق عوامل خارجية لا شك أنها
تسبب تكون مختلفة كل الاختلاف عن العوامل التي تؤثر
في استعمالنا للعناصر ذاتها .

ومما أصبح مؤكداً عندنا أيضاً أن أعراب لغة
متصرفية ، كما هو حال العربية ، في حد ذاتها مؤسسية
الداخل أيضاً على تحليل سادنتكسي بشكل من الأشكال ، لأنه

بالنسبة لوجهة نظرنا ، فان الهدى الأسمى لأي تحليل لغوي
 أن وتعميد لقاعدة هوائى نميز بين شكل أن وتركيب سالتكسي
 أن نتج سلفا ثم استقبل أو سمع لاحقا كبنية اكتسبت هويتها
 في الذاكرة الجماعية أو الشعبية بحيث أن تحت هي نفسها
 ملتزمة بذلك العقد المتجسد في القوانين النحوية وأساليب
 الخطاب الدلالية ، وبين تراكيب سالتكسية لم تتحقق بعد أو لم
 تنزل في دوال أن وخطابات ساروا لسانية لم تكتسب نهائيا
 قانون علامة لسانية .

وبعبارة أخرى ، ينبغي أن يميز :

- (1) بين ما هو منتسب إلى الكلام
 - (2) بين ما هو منتسب إلى اللفظة
 - (3) بين ما هو منتسب إلى اللسان
 - (4) بين ما هو مرتبط بخطاب عام وخطاب خاص
 - (5) بين ما هو تركيب لهجي محلي وتركيب لغوي موحد أن وتركيب
 البشر أو أعم شيوعا من الآخر .
- ومسح ذلك ، فاننا لا نريد أن نذهب مذهبا بعيدا في تعريف
 د قيس وشا من لما يسمى بانسا تتكر أو التركيب ، لأنه من غير المقبول

بالنسبة للسانيات العامة والتطبيقية أن نفلج في اعطاء تعريف لهذا المصطلح بجزء جزئي أو كلي عن تعريف الجملة نفسها التي تعد روحه والنقطة المركزية التي تدور حولها أشغال أي سالتكس، ثم انه ستان سابين تعريف قديم أو بسيط وبين تعريف حديث أو معاصر مع أن الاشكالية واحدة وتعدد التعاريف وتنوعت حسب تعدد العصور وتباين المدارس اللسانية الى درجة أنه ((بعد قرن من عمل اللسانيات التي صارت أكثر فأكثر علمية (بعد 1816) ، توصلنا تقريبا الى أربع عشرة تعريف مختلف للكلمة ، وما ثقي تعريف للجملة)) (1) .

وحتى لا ندع هذا المصطلح الجديد القديم موضوعا لتساؤلات متبع هذا العمل ، فالتنا سنحاول أن نستعرض - ولو سطحيا - بعض هذه التعاريف التي يكاد يكون مجمعا عليها في عدة مدارس لسانية ، منها ((أن اسانتكس (Syntaxe) للسان (Langue) هي مجموعة الوسائل التي تمكننا من تنظيم الأقوال والمفوضات (Les Énoncés) لانا طة كل كلمة وظيفية ، ولتعيين العلاقات التي تستقر بين الكلمات . ان ترتيب الكلمات (L'ordre des mots)

هو أحد المميزات لكل سائنكس : ان الدور يكون أكثر
 أو أقل أهمية حسب كون اللغة متصرفية (FLEXIONNELLE) (1)
 أو بالعكس تحليلية (ANALYTIQUE) (2) ، ان ترتيب الكلمات
 في اللاتينية كان أكثر مرونة ، وهو في الفرنسية بالآخر
 متصلب (3) .

واذا اعتبرنا السائنكس بمقابل ما كان يعرف تقليدًا
 بعلم النحو قد يما عند العرب والأجانب ، وإلى وقت قريب جدا
 لدى المحدثين السانين ، فإنه من الممكن أن نورد له تعريفا
 آخر مشابه للأول بحيث ان () نحولسان أيضا كان يمكن
 أن يتصور كنظام من القواعد التي تعكس تشادلا ليا وتشادلا
 صوتيا لجمل هذا اللسان ، وهذا التشلان معطيان مبدئيا في
 كلمات هذين النظامين العامين (UNIVERSELS) مستقيمين
 عن ألسن خاصة : نظام التمثل الصوتي المقترح بأسلوب تشومسكي
 وهان (HALE) (1968) ، ونظام التمثل الدلالي والذي طبيعته
 كما يعرف كل واحد ولا يبرح مجهولا بكثرة . ان النحو يحدد من جهة
 أخرى ، مجموعة لا متناهية للبنى السطحية الأحسن تشكيلا والتي تحول إلى

(1) أي المتضمنة علامات اعرابية تقوم ببيان العلاقات
 (2) أي ليس لها علامات اعراب .

(3) Pour comprendre la linguistique P: 193
 BERNARD POTTIER édition MARBOU VERVIERS 1975

تمثيلات صوتية بواسطة نظام من القواعد الفونولوجية
 ان النحو يحتوي كذلك على مجموعة من قواعد التحويل...
 قواعد التحويل هذه خاضعة لمختلف اقيود بعضها عامة
 وأخرها مخصصة لقواعد كل نحو على حدة (((1) .
 ومما يبدوا أن الساتكر التقليدي تارة ينطلي من معالجة
 قياسية أو عدم قياسية الجمل أو التراكيب المحكية كاشكال غير
 مؤكدة بين المتكلمين غير السليفيين (NON NATIFS)، لكنها ليست
 بمعزل عن المتكلمين السليفيين (les locuteurs natifs) الذين
 يغتفون فيهم أنهم يمثلون المعطيات الجوهرية الحقيقية للخطابات
 المحكية أو المروية عن الأجداد أو الأسلاف أنفسهم وفق كفاءة
 لسانية ثالية وأداء صاحب لها على نحو معين (رؤسها أو غلنا في
 الزمن فان اللغة تبدو دائما ميراثا للحقة السابقة أي كانت. ان الفعل
 الذي توزع به الأسس على أشياءها في زمن سابق الذي تحرر به
 أيضا عقد بين التصورات والصور السمعية أنه لمن الممكن تصور هذا الفعل
 من غير بيا نه أبدأ كما أن شعورنا القوي باعتبارية العارمة يسوحي
 لنا بفكره أن الأمور إنما حسدت بهذا النمط وليس بسواه . وفي الواقع

ليس هناك من مجتمع ادوييرو اللغة أنها نتائج ارتاد جيان السابقة،
 كما لا بد من تأملها بما هي عيبه، ولهذا فليس لمسانة أصل اللغة تلك
 التي دارت حولها بشكل عام، كسل، فليس (1) هذه مسألة للمعالجة
 ولا للنقاش، إن الغرض الحقيقي والوحيد للألسنية إنما هو الحياة الطبيعية
 والمنظمة للغة مكونة ومشكلة، وحالة لغة ما هي دائما نتائج عوامل تاريخية،
 وهذه العوامل نفسها هي التي تفسر ثبات العلامة، ونعني بذلك مقاماتها
 لكن تبدل اعتبارها (2)

واللهجات العربية من بائدة وباقية والتي تمثل في جوهرها بشكل
 عام هذه اللغة العربية لا تخلص استحواد الذهنية العربية البدوية،
 هذه الذهنية المثلثة لتلك الفترة الشفوية، والتي كانت تتميز بسلوك
 وطبيعي عفويين قائمين على التقاضي التقليدي، ولكنه لم يكن تقليد اغيرفا عمل
 في كليته، إلا أن نفوذ الاعجاب المسرف بأخلاق وتصرفات الأسلاف
 قلل مع مرور الوقت من تلك الفعالية التي ظلت غائبة وأدت إلى تأخر
 في كثير من مجالات الخلز والابداع، حتى أن هذا الاعجاب بكل ما هو
 سلفي كان يعمل على خلق المواهب الفردية النادرة أكثر مما كان
 يعمل على تفتيقها وتنميتها وتعهدها.

(1) كذا في الترجمة التي بين يدي

(2) محاضرات في الألسنية العامة من 93-94

عسلى أى حال ، فان السا تتكس التقليدي كان يفترى قبل أى

شيء وجود جمل غير قياسية أو غير تامة ، والتي كانت تفسر انطلاقاً من

نماذج أو قوالب أكثر قياسية أو أساسية ، هكذا في الإغريقية :

ANTHROPOSTREKHEI : أى الرجل يعدو ، كانت (الجملة) تعتبر

ANTHROPOSTREKHONEST كشكل مشتق من شكل أساسي :

أى الرجل جارا أو متسابقا أو : L'homme est un coureur أى الرجل

عداء ، تبعاً لنموذج الاختصار أو التقليل للجمل المنطقية (1) .

وتمت بعض انسانيين من يحكم انطلاقاً من بعض الجمل بأن

السا تتكس القديم كان ينقسم ((بالأولى على نماذج من الجمل

منه على ملفوظات فردية) (2) ، وهذه الاعتبارات التي كانت

تجري أو تتصور دائماً وفي تنظيم دلالي صيغت في كلمات ومصطلحات

لم تدخل في معظم رواها وتفسيراتها وتعاملاتها مع اللغة من التأثير

المنطقي ، مع أن الكلام الانساني هو من تحصيل الحاصل ، لكن هذه هي

النهجية التي سادت في غابر الزمان وفي العصر الوسيط ، وفي نحو

مدرسة بوررويال ، ... لأن النحو التقليدي كرس جهوده منذ

أقدم العصور ((لتصنيف اللغة في أقسام وأصناف تشريحية ، ولم

Guide Alphabétique P:366 A/Martinet
Edition DE NOËL

(1)

(2) م ه س : ن ه ص

يكس همه اللغة ذاتها بل تحديد القواعد النموذجية الملاحظة في
 لغة ما . وهكذا نشاهد في كتب النحو المدرسي الصيغ الشاذة والطرائق
 الاستثنائية الخاصة الى جانب القواعد المطردة وعلى كل حال ،
 كانت اللغة المكتوبة وحدها موضوع الموصف ((1) .
 واذا تذكرنا اشكالية المدونة المسموعة عند العرب التي حاولنا
 أن نقوم بوصفها لا بتحليلها في الباب الفارط من هذا القسم ، لا حظنا
 أن قول دانييل مانيي لا ينطبق على السانتكس العربي لا من قريب ولا
 من بعيد ، لأنه سانتكس قائم ومؤسس على مدونات شفوية مسموعة
 لا على مدونة مكتوبة ، مما يوحي بأن الدراسات اللسانية في الغرب ستظل
 قاصرة ومهتورة ما لم تهتم بالدرس اللغوي العربي القديم ، لأننا كثيرا
 ما لا حظنا مثل هذه المعطيات الناقصة في مجال الدراسات اللسانية
 المعاصرة حتى لدانييل مانيي الذين يعتبرون المؤسسين الحقيقيين
 للدرس اللغوي المعاصر (2)

-
- (1) علم اللغة لدانييل مانيي مترجما في الموقف الأدبي ص : 209 عدد : 35-36/82
 (2) لسنا في مجال الرد هنا على مثل هذه الأوهام ، لكن يكفي أن نذكر بأن دي سوسور
 كثيرا ما يقع في مثل هذه الأوهام : ((بدأ الموضوع بما يسمى بالقواعد ، وهذه الدراسة
 التي شيد بها الاغريق وتاهلها الفرنسيون من بعد وتهدف الى تقديم قواعد
 لتمييز الصحيح السليمة من غيرها ومن ثم وقد فقه اللغة بيد أن هذا المصطلح
 يرتبط بشكل خاص بـ فريدريك ولف منذ عام 1777 ان النقد الفقهي
 يقع في عجز متثل في جانب واحد وذلك لكونه مرتبطا باللغة المكتوبة بصورة حرفية)
 (راجع : محاضرات في اللسانية العامة ص : 11 - 12)

أنه يمكن اعتبار السانتكس التقليدي هو السانتكس الحقيقي الذي مثل الشعور الانساني عن قرب، كما كان يهدف في الآن ذاته الوقائع اللسانية الحقيقية التي كانت تترجم بوضوح حقيقة الانسان الداخلية، بمعنى أن السانتكس القديم يمثل واقع الوظيف من الداخل معبرا عنها بالخارج ((كل الناس متفقون حول هذه النقطة : الوظيفة التبليغية (*FONCTION COMMUNICATIVE*) هي اُون وظيفة، أصلية وأساسية للغة، وكل ما عداها ليس الا طابعا لنماذج ليست ضرورية)) (1).

اننا ندرك الواقع اللساني ليس فقط كقواعد نحوية أو معجمية تم انجازها في لغة طبيعية، لكننا نفهمه أيضا كرسالة تبليغية بين مرسلين ومرسل اليهم :

مرسل ← واقع لساني ← مرسل اليهم

انطلاقا من عدة عوامل أكثرها أهمية : التجربة اللغوية المرتسخة أو المرتسمة في جمها زنا اللغوي الداخلي بشكل لا واع سماعا من الأسلاف المتعاضين معهم (على الاقل فيما يخص لغة طبيعية أو هذه اللهجات العربية حاليا مثلا...).

واذا ما أردنا أن نأخذ فكرة أكثر عمقا على سبيل المقارنة بين السانتكس القديم والحاضر، فإنه لمن المناسب أن نورد بعض التعريفات

التي نعتقد أنها تعمق هذا المفهوم السا نتكسي في ثوبه الجديد دون اضافات جذرية على ثوبه القديم .

ان قليسون (GLEESON) يعرف السا نتكس بقوله : ((من المناسب أن يقسم النحو الى قسمين اثنين : المورفولوجيا ، والسا نتكس . عطيتهما الاشتقاق والتصريف تشكلا البنا (كلمات) ، ان هذا ما تعالجه المورفولوجيا . هذه البنا (ات) تنتظم كبنا (ات) أكثر أهمية في مختلف الأنواع بكيفية تقريبية . يمكن أن نعرف السا نتكس كمجموعة من القواعد التي تراعى هذا التنظيم) ((1) . لكن هذا اللساني المعاصر الذي غدا منذ مدة مرجعا أساسيا في الجامعات الغربية فسي ميدان النظريات السا نتكسية بعد تشومسكي وأندري ما تيني ... يعترف مرة أخرى بأن ((التمييز بين المورفولوجيا والسا نتكس ليس دائما دقيقا) ((2) ، ويفهم من بعض أعماله التي طبقها على لغته الانجليزية ، أنها قد لا تنطبق على كل اللغات انسانية الأخرى ، ولذلك نجد هيرري قائلا : ((من المفيد أن يعرف السا نتكس في عدة لغات كما سنعمل) ((3) .

INTRODUCTION à la linguistique P105
GLEESON

(1)

(2) م . س : ن . س

(3) م . س : ص . ع

وما ورد أعلاه وفي كثير من المواقف الشابهة لا يفهم إلا شيء واحد لا ثاني لهما، وهو أن كل لغة أو عائلة لغوية على أبعد تقدير تتميز بخصائص نوعية، وستبقى طرائق الخطاب، ولربما هذه الفكرة التي نتبناها وندافع عنها طبقاً للوقائع اللسانية الحية وعادات المتكلمين في التخاطب والتواصل قد تتقاطع إلى حد ما مع ما ذهب إليه جورج مونان (1) (ومع ذلك، فإن اللسانيات تيرهن في كل لحظة بأن كل لغة تطابق عادة تنظيم قديرون دائماً خاصاً وفق مصطلحات التجربة، وأن التفصل أو التفظ الأول *première articulation* لهذه اللغة مدقن بالكيفية التي تتحلل وتنظم وتترتب بها التجربة المشتركة لكل الأعضاء لمجموعة لسانية محدودة. هذه الرؤى قد كانت دعت من قبل قيوم *Guillaume* وبالضبط من قبل الفيلسوف *ERNST CASSIRER* واللساني الأمريكي *WARF*، وذلك قبل سوسور واللسانيات الحالية (2) .

وإذا كانت التجربة التي نجدها تتكرر في أعمال أندري مارتيني

اللسانية تتجسد في الفرد المتكلم ومدى درجة كفايته اللغوية، فإن كل لغة إنسانية تتميز بالتباين الفردية المتبادلة (لنفهم فهما جيداً كيف أن لغة يمكن أن تعرف كتفصل مزدوج، يجب أن نقتنى بأن الوظيفة

clefs pour la linguistique Générale p: 72, 73

G. MOUNIN

(1)

الأساسية للغة الانسانية هي أن تمكن كل فرد من أن يبلغ لغزائه
تجربته الشخصية. من خلال ((التجربة)) ، يجب أن نسمع كل ما
يحدث به الانحسار أو يستقبله ، سواء كان المثير (*testimulus*)
داخليا أو خارجيا ، فإن هذه ((التجربة)) تأخذ شكل يقين أو شك
أو رغبة أو حاجة . ان التواصل مع الآخر يمكن أن يأخذ شكلا
من الاثبات ، أو السؤال ، أو الطلب ، أو الأمر ، دون القطع ليكون
تبليفاً)) (1) .

لكن ما أسماه أندري مارتيني بـ ((التجربة)) في التواصل اللساني
لن يكون وفي اعتقادنا ، ذا مصداقية كبيرة الا بربطة بتلك الميزة النوعية
الداخلية التي تنم عنها هويتها والتي لا تتشابه في كل حال مع هويات
أخرى ، وأعني بها هوبشكن خاص ، تلك الطاقة اللسانية الخلاقة في
الأراء والتعبير والمختلفة بين كل لغة وأخرى .

من هذه الطاقة المرتبطة بسانتكر كل لغة ما نجد موزعا
حول طبيعة واشكالية السانتكر العربي القديم الضارب بجذوره في كافة
اللهجات العربية القديمة كلها بما فيها بعض المظاهر السامية ، لكننا
نجتزئ بأول ما ظهر منها علميا لا تاريخيا كدلالة على أصالة النواة الأولى
للنظريات السانتكرية العربية ، ومنها تلك التفارقات في التمازج مع تجربة

المتكلم الفرد أو الطعن عليه ، وذلك لكلا لا حظ الجانب الآخر انحراف
تركيب عن سلفيته المعهودة في جميع ما يدخل في تركيبها أو أرائها
من عنا صرامة .

فما إذا كان أبو عمرو بن العلاء * أشد تسليما للعرب في منطقهم ،
وأن يونس كان يقف أحيانا موقفا وسطا (والذي قال جازحسنا (1)) ،
أو يتفنى علميا أو عقويا في الحيار إلى جانب أبي عمرو أمام بعض المعضلات
السا نتكسية الطارئة أو يتكلم بها فصحا ، فإن ابن أبي إسحاق وعيسى بن
عمر كسانا يطعننا على العرب (2) ، ولذلك وقف ابن أبي إسحاق وهو
من الطبقة الثالثة من النحويين البصريين ، موقفا متصليا من الفرزدي في بعض
التركيب السا نتكسية المشهورة بين الرجلين (3) .

إن الأمثلة من هذا القبيل غزيرة ومعروفة لدى المختصين ،
ولكننا أردنا فقط أن نلمح بطريقة غير مباشرة إلى أن كل تركيب لسانی
له ما يؤصله ويمارس عليه ، وعلى المتكلم أن يلتزم بالعقد الذي يربطه
جماعيا بنفس المجموعة اللسانية التي ينتمي إليها صليمة أولسانا ، وحرية
تکمن في التعبير مع التنظيم والترتيب للعنا صرفيا بينها وبين نفسها

(1) طبقات الشعراء * (لابن سلام) القسم الأول ص : 17

(2) السابى ص : 16

(3) لمن شاء أن يعود إلى : الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص : 125-127

وبين المجموع ، إلا أنه فيما يبدو أن هناك علاقة نسبية فقط ، وليست مطلقة بين المرسل (بكسر السين) من جهة ، والناشئة من جهة ثانية ، والمرسل إليه من جهة ثالثة ، كما أن النظم ليس حراً في كل خطاب ، ولكن سريته في هذا الخطاب أو ذاك أكثر من المتلقي المقيد سلفاً بنص أو سدونة معينة إذ ليس من مهمة سامع أن يغير رسالة ، حتى ولو كانت لديه جرأة واعية فإن مهمته مستحيلة بل لا يمكن تصور لها ، بل هذه المهمة نفسها في شكل إرسالها أيضاً مستحيلة من مرسلها بعد إنتاجها ، وتكون هذه المهمة أكثر استحالة من قارئ متعجج بشفتيه أو مؤول ببصره ، ... وهذه القيود تتعدد وتتعدد كلما تعددت وتعقدت أجناس كلامية ، ومن جهة أخرى ، قد تكون حرية المتكلم الساكنة تنكسية في موقفه إذا انتاج نصي ما في حد ذاتها متغايرة ، وبذلك يتعدد المتكلمون أنفسهم تبعاً للجنس النصي ، وبذلك يكون الناشر في التعبير والبناء أكثر حرية من الشاعر ، ويكون الشاعر ملتزماً بالعروض والقوافي أقل حرية من شاعر آخر لا يلتزم بالعمود الشعري ، بل ناشر لا يحسب حساباً للآخرين اللغوي يكون أكثر سعة من ناشر غيره ملتزم بمعيار ساكن تنكسي صارم ، والفريب أني وجدت عند ابن سلام الجمحي قولاً يكاد يكون معبراً عن هذا ، أن لم يكن انقوى نفسه : (والمنطق

على المتكلم أوسع منه على الشاعر ، والشاعر يحتاج الى البناء ، والعروس
والقوافي ، والمتكلم مطلق يتخير الكلام ((1) .

على أي حال ، ان اشارتنا السابقة الى أن لكل جملة
ما يؤصلها وتحال عليه ، لا تتعارض مع ما ذهب اليه بعض التحليل
اللسانية المعاصرة ، من ذلك أن تشومسكي يفرع دائما ما يسمى بالمتكلم
البلدي أو الأصلي (Locuteur indigène) ليقول جمل مولدة أو
رفضها ((ان الهدى الأساسي للتحليل اللساني للغة هو فصل
السلسلات النحوية التابعة لجمل لغة ل من السلسلات النحوية التي هي
ليست من جمل لغة ل ، ثم دراسة بنية السلسلات النحوية . ان قواعد
ستكون هكذا والية (mécanisme) مولدة كل السلسلات النحوية .
أما وسيلة اختبار معادلتها للقواعد المقترحة للغة ل فهو أن نحذر
فيما اذا كانت السلسلات المولدة هي حقيقة نحوية أو غير نحوية ،
بمعنى أنها مقبولة من متكلم بلدي ((2) .

والجملة الأخيرة لتشومسكي قد تبرأ أحد مواقف عيسى بن

عمر الذي انتقد النابغة الذبياني حين رفع سين السم في قوله :

(1) طبقات الشعراء (لابن سلام) القسم الاول ص 56

Structure syntaxique P:15 Chomsky
édition seuil 1969

فبت كائني سا ورتني ضيليه من الرقص في أنيابها السم ناقع
 وشين الشهد في موضع آخر، مع أن هذه التهجئة علوية (1) .
 لكن مسلسل السا تنكس المعاصر يبقى دائما مطروحا، على
 عكس السا تنكس التقليدي الذي اضطلع بتفسير أعظم مساهمة في الفلسفة
 اللسانية، لأن السا تنكسر لم يعثر في تميز القواعد التي ترتبط
 متضامه مع الانسان يحويها ويختزنها عبر الزمن فضلا عن أنه يتلفظ
 ويتواصل بها، بينما السا تنكس الجديد يناوئ أن يتحرر العلاقات
 المختلفة التي تنظم المفردات كلغة نهائية أو حتى توليد جمل غير نهائية
 ثم عرضها أمام التجربة اللسانية أي على المكمل البلدي في العقلها
 أو رفضها. ثم لا يوجد () بين النحو التقليدي والبنوي اختلاف
 في الطبيعة بل اختلاف في الكمية، فكلاهما ينطلق من النص المكتوب أو
 المنظون نحو إعادة تكوين بسيط للمعطيات اللغوية. ولا شك أن
 اللغة البنوي يمثل تقدما لا تتحدد أنجزاته، إذ تخطى المرحلة الجمعية
 لعلم النحو التقليدي إلى المرحلة الوصفية، ولكن كلا العلمين يتميزان
 بنزوع تصنيفي محدد لا هدف له إلا الحصول على تصنيفات لغوية تفنني إلى
 تصنيفات أخرى أو منها. لقد كان علم اللغة البنوي يصك اللغة ولا يفسرها .

(1) طبقات الشعراء* (لابن سلام) القسم الأول ع: 16

واقترح موسكي القيام بقسزة نوعية تسمى بالانتقال من المرحلة

الوعفية الى المرحلة النظرية التفسيرية ((2) .

الا ان موسكي الذي يميز في نحوه التوليد بين ما يسمى

بالكفاءة (compétence) والأداء ، وهما المصطلحان المقابلان للغة

والكلام على التوالي عند سوسور لم يجب عن كثير من المسائل السانكتسية

التي تركها معلقة (en suspense) كما تكاليف السلسلات والتتابعات

النحوية . هو نفسه طرحت سوء الا حولها ، لكنه لم يعطنا جوابا كاملا لهذه

المسألة اوحى ملوسا . (ر على أي أساس نميز فعليا السلسلات النحوية

من غير السلسلات النحوية ؟ لا أحاول ان أعطي جوابا كاملا لهذه المسألة ،

لكن احب ان أشير الى ان الأجوبة الكثيرة التي تأتي فورا السي

الذهن لن تكون صحيحة . أولا ، من الواضح ان مجموعة الجمل

النحوية يمكن ألا تكون مشابهة لأية مدونة (Corpus) خاصة للمفوضات

المجموعة من قبل لساني في عمل تحقيقه ((2) .

(1) علم اللغة لدى انجيل مانيس مترجما في الموقف الادبي عددان : 135 ، 136 / 1992

٢) فسي السانتكس العربي :

اهم سالا لهذا السانتكس العربي القديم من انكتب اللسانه
الأجنبية المعاصرة والتي تحسب أنه أخر بحقل فقه اللغة وكتب القواعد
منه بحقل اللسانيات وتعميقا للنقطة السابقة ، واعسترا فابمجهودات
اللسانيين واللغويين العرباء في هذا الميدان ،... فاني ارتأيت
أن أخصر نيزا مستقلا للسانتكس العربي القديم الذي لا يبتعد جوهريا
عن التراكيب اللهجية المتنوعة القديمة ، على أن أنزله بمعنى التحليل
اللسانية الأخرى .

ربما أجد من الفائدة أن أشير الى أنه يجب أن يميز
السانتكس العربي كغيره من البنى اللغوية العامة ما قدم منها وما حدث
حين يكون منهجا عما أُنظريه فردية ،... وحين يكون موضوعا
مرتبطا باللغة لا يبقى الا الممارسة والوصف والتحليل ، بمعنى آخر
يجب أن نحاول معرفة ما نعمل قبل أن نسيعل بتفادي ما أمكن
الخلط بين التراكيب والنصوص ،... وبين الأحكام التي لا تكسار
تنتهي ، والتي قد تزيد الموضوع تراكما على تراكم دون طائل .
وحيث انبجسه من المستبعد أن يحيل قارئ في حقل
علمي على الصفر ، فانه لا بد من تكرار الاشارة بتلك النظريات العربية

المبكرة التي تعاملت في أول أمرها مع موضوعها الجامع لعدة مدونات مختلفة انطلاقاً من التفسير أي التأصيل، إلا أن هذا التأصيل ما كان ليعود إلى تلك الرؤى التي تحولت تدريجياً، وزمن قياسي، إلى نظريات سانتكسية خاصة ولسانية عامة ولولا طبيعة الموضوع.

بمسند أن كل قراءة من هذا القبيل ستظل هشة وقاصرة جداً ما لم تتخذ الجملة أساساً لها، إلا أن تعميم قراءة على هذا النحو تقتضي إنجازاً مستقلاً وجزءاً من هذا الانجاز، باعتبار أن الجملة أضحت اليوم، ومنذ مدة، حقلاً سانتكسيا قائماً بذاته، ومع ذلك، فإنه كلما تناول دارس هذا النوع من الدراسة إلا ووجد نفسه متورطاً في الجملة سواء عن قصد أو عن غير قصد، لأن الحقيقة اللسانية تؤكد أنه لا يوجد حديث عن تركيب لسانی ما خارج الجملة.

على أي حال، كانت التراكيب المربية الشفوية السليقية محكمة في نسجها، ومتقنة في بنيتها، ذات سعة بذلة في حقيقتها ومجازها...

الأمرا الذي جعل السانتكسيين العرب الأولين يختصرون الزمر بفضل الإدراك العلمي السريع الذي كان يطبع الفضاء البعري الإسلامي.

فقد سعى كل الميادين الباقية خلال تلك الفترة الروحية المبكرة.

ومما تراءى لي بعد قراءات تراثية متكررة وطويلة أن اللغويين العرب الذين يعدون رواداً :

(1) تعاملوا أول ما تعاملوا مع اللغة كإعلام لسانی خارجي
 آت من باث أو متكلم نحو استقبال داخلي مؤسس على الإدراك الحسي
 من جهة والملكة اللغوية العامة المتبادلة بين المتكلم والمتلقي من
 جهة ثانية . وفي اعتقادي يجب أن تركز على هذه النقطة الإعلامية من
 الآخر نحو الأنسا ، والتي كثيرا ما أهملت ونحن نتحدث عن نشأة
 السا نتكسر العربي القديم (إعلام أسلوبية ، معجمية ، مورفولوجية ، صوتية ،
 فونولوجية ، سانتكسية ، خطاب عام ، خطاب خاص ، خطاب ضمني ، خطاب
 حرم مباشر ، خطاب خر غير مباشر ، تركيب لغوي سليم ، تركيب لهجي سليم ،
 تركيب عتيق جاهز ، تركيب عتيق متجدد . . . الخ) .

(2) تعاملوا أول ما تعاملوا مع الرسالة الإعلامية المطلقة (إسماع ،
 رواية ، نقل . . .) كلفسة (comme un langage) وليس كلفة بمفهوم
 Langue أو لسان . إن أرضية انسا نتكسر العربي القديم مؤسس
 أولا على ظاهرة الكلام Parole . ثم على ظاهرة اللغة كمنظومة كلية .
 حتى التراكيب غير السليمة أورثت هكذا غير سليمة ، والتي عدت موزولة
 أو مطرحة في منطق المعيارية الصارمة ، كانت فيما نرى ، أكبر حافسز
 في إدراك ما غدا اليوم يسمى بالانزياح أو العدول ÉCART تارة
 أو الشعرية تارة أخرى . إن العدول اللغوي كان مهما إلى درجة أنه

كان موجها ثنائيا أساسيا لفك وتحليل البنية السانتكسية السليمية
من الفاسدة .

(3) تعاملوا مع التراكييب المطلقة كفضاء من القواعد في غاية التحديد.

(4) كثيرا ما أظهروا أنفسهم في البحث والتحري لا يجارون مطابقات

أو معادلات سانتكسية (EQUIVALENCE SYNTAXIQUE) مؤدية أو

متبادلة نفس الوظيفة أو متشابهة في ذلك . ولست بحاجة إلى التذليل

على هذا . والقراءات القرآنية مصدر شرعي . ومن هذا ما يروى عن يونس

ابن حبيب أن ابن أبي إسحاق كان يعرف وجهها لرفع () مجلف ()

في قول الفرزدق :

وعسى زمان يا ابن مروان لم يبدع من المان إلا مصححا أو مجلف

بينما قال أبو عمرو بن العلاء : أنه لا يعرف لهذه الكلمة وجهها .

ومثله يونس وهو في رواية أخرى أن أبا عمرو خاطب الفرزدق : () أصبت

هشيو جائز على المعنى ، على أنه لم يكن سواه () (1) . أي أن أبا

عمرو المعروف بتساوله مع النصوص الموثوقة لديه والعرب بشكل عام

في تراكييبهم ، كان يعرف ، حسب الرواية الثانية ، للرفع معادلة سانتكسية

سأعلى المعنى لم يفتض لنا عنها ، لأنها يجب أن تفسر ببنية عميقة ، بمعنى

أن هذا العالم تعامل مع الفرزدق كمتكلم ومع تركيبه ككلام ،
وليس مع الفرزدق كشاعر ولا مع تركيبه كلفة .

(5) لم يتعاملوا مع السانتكس كتركيب متوقع (PRÉVISIBLE) بل
كانتاج من الأشكال بنى وانتشر ، هذا في العملية الأولى ، ثم
أدركوا تكرار الظاهرة ، فنظروا إلى السانتكس كجمل متوقعة وغير
منتظمة ، لكن هذه التوقعيات السانتكسية يجب أن تخضع لقاعدة نموذجية
عمر عنها الزجاجي فيما بعد بـ ((العلل التعليمية)) بقوله : ((فأما
التعليمية فهي التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب ، لأننا لم نسمع
نحن ولا غيرنا كل كلامها منها نطقاً ، وإنما سمعنا بعضاً ففطنا عليه
نظيره ، مثال ذلك أننا لما سمعنا : قام زيد فهو قائم ، وركب فهو راكب ،
عرفنا اسم الفاعل ، فقلنا : ذهب فهو ذاهب ، وأكل فهو آكل ، وما
أشبه ذلك . . .) (1) . وإذا كان الزجاجي قد اكتفى بالإشارة
إلى الجمل النحوية ، ولم يشر إلى غير النحوية ، فلأن ذلك كان عند هم
من قبيل العبث وليس معنى هذا أن العرب القدماء لم يفتنوا إلى هذا
الشكل من التوليد الصوري الذي بنى عليه تشومسكي نظريته السانتكسية
انطلاقاً من تهجمه على النحو البنوي وخلو الدراسات الغربية القديمة ما
توصل إليه العرب قبله ، ولست هنا بحاجة إلى البيان القاطع على أن العرب

(1) الأينساح في علم النحو ص : 64 الزجاجي (ط : 1959 مطبعة

المدني ، المؤسسة السودانية ، مصر)

قد عرفوا هذا النوع ، ولوبشكن غير مباشره من الدراسات السانتكسية
 التي هي عادة ما تنسب لفترة لا تتجاوز أربعة عقود من الزمن ، ان
 كتاب سيوييه وحده دليل على ما نقول لمن أراد الوقوف على هذه
 المقارنة (1) . . . المهم أن اللغويين العرب قد أدركوا بشكن أو بآخر
 إلى أن المنظومة اللغوية شكس غير منتبه من الجمل ، وأن المتكلم الأصلي
 يعرف النحوية من غير النحوية ، والمقبولة دالاً من المفوضة ، كان
 يدرك الفرق بين الجمل الثلاث أدناه :

أ - صنع النجار الباب

ب - الباب صنع النجار

ج - النجار الباب صنع

(هـ) على ضوء هذه التعاملات المبكرة ، صار الناس من عرب متأخرين
 (حسب المدينة أو البادية) وعجم متقدمين يتعاملون مع السانتكس
 تعاملًا أقرب إلى الملاحظة العلمية منها إلى كلام سليقي قائم على
 العفوية والشفوية ، ثم كان التعامل مع المنظومة اللغوية بشكل عام

(1) يمكن مراجعة الكتاب : 1/ 25-26 مثلاً ، وما هو متشبه ولا يتكلم به
 يمكن مراجعته كتابه : 2/ ص : 92 و 121 . . . مثلاً ، وما أسماه بالتراكيب
 الرديئة ، يمكن مراجعته : 2/ ص : 34 ، 26 ، 153 ،
 164 ، 227 ، 122 ، 121 ، 305 . . .

ولفهم كتاب سيوييه فربما أن يجب عزل كل جملة الدالة على بنيات سطحية
 من جملة الدالة على بنيات عميقة ، لنقف بعد ذلك على ما قال به السانتكس الجديد

وأخيرا ، وهو الأهم ، التأليف والنصر .

وهذه الانجازات العقلية سبقتها انجازات طبيعية تتصل
بالموضوع . ان الدراسات السانتكسية انطلقت من نهاية أوج ما انتهت
اليه الصنعة الكلاسيكية عند العرب ، والتي لفتت أنظارهم الى بناءها
السلطانية والرائع تنكسيها ، فراحوا يشتقون ويولدون منها بني عميقة
لم يكن ممكنا أن يحصروها الا بالشواهد أو بالأحرى بدونات متنوعة
تنوع العادات الكلاسيكية في الأراء والتعبير . ولذلك ، فإن السانتكس
العربي القديم الشارب بجرائه وجذوره في هذا السانتكس العربي
الجديد ، سيقس مختلفا من أي انطلاقة لأي سانتكس غير عربي ،
باعتبار نقاط هذه الانطلاقة مختلفة في تاريخها وطبيعتها وظروفها ،
اذ لست ان ما بين سانتكس عفوي عفوي قائم على تراث سليلي ناضج ،
وبين سانتكس تتدخا أحيانا اختلا نيمس والمرايم في تعد يله .
ولذا ، فانتا نركند على تلك الطاقة اللغوية الكامنة في كل
لغة ، واذ كان هناك تفاوت محتمل أو حتمي بين لغة وأخرى ، وهو أمر
عادي ، فإن ذلك لا يرجع الى الفرق المشترك والوحيد الذي يختص
بالتواصل الانساني من خلال بنيات سانتكسية ، وهذا ما يفوق بين لغة
الانسان ولغة الحيوان المزعومة ، ولكن في البنية السانتكسية التسي

تستقل بهالفة دون أخرى حسب خصائص داخلية صارت في وقت
 مبين الأوقات جزءاً من دليل الخطاب وعادات التكلم لدى أصحابها
 بكيفية عن الشيء نفسه لكن ليس بالكيفية نفسها .

ان ما قد يكون غامضاً في لغة كالفرنسية مثلاً ليس ضرورة

ان يكون كذلك في لغة أخرى كالعربية فجملة :

Les enfants ont regardé les fleurs de la fenêtre

يسودها الغموض في الفرنسية ، ان هذا :

الأول شاهدوا الورود من النافذة

ثم :

الأول شاهدوا ورود النافذة ؟

في حين أننا في العربية يمكن أن نقول :

شاهد الأول والأول شاهدوا الورود من النافذة

أو :

شاهد الأول والأول شاهدوا ورود النافذة

ثم يمكننا أن نعبر عن هذا الشيء نفسه بأكثر من أربعة تراكييب لكن ليس
 بالكيفية نفسها .

وليس معنى هذا ان السانتكسر العربي منزّه من مثل هذه

الغموضات ، ولكن البنيات السانتكسية ليست متطابقة بنظام مشترك بين

كسل لغة وأخرى، وهكذا نرى أن هذا الاختلاف هو حاصل في كسل المستويات .

وفي الوقت نفسه ، ليست اللغة مسوءٍ به بطريقة بنيوية

مباشرة ، على الغموض في هذه الجملة أو الوضوح في تلك ، فهذا

وهم تأملي أو ميتافيزيقي كثيراً ما عزي إلى اللغة وكأنها تتصرف

كما تتصرف سائر الكائنات الحية في دوسا . أن ظاهراً أو وضوح

أو الغموض إنما تنجم ، في نظرنا ، من جراء الفرد المتكلم الذي يحسن

أو يسيء استخدام أو توظيف المواد أو الموارد التي توفرها له لغته .

ثم إن الغموض أو الوضوح في بنية سائتكسيه ينعكس في

ذهن المتلقي الذي قد يعجز إدراكه الحسي عن فك أو تحليل

شفرة الخطاب الذي يكون مرجعه المتكلم كجزء لا اللغة ككل .

إن المطلع على هذا السائتكسي العربي القديم يدرك بأنه

صحيح وشكل انطلاقاً من تلك الحياة العربية كمشاتل ثقافية ، بيد أن

تلك السقواعد الصارمة كانت ذات ميل أو نزعة إلى الطابع المنطقي بصورة

منهتقة من ذات العربية القديمة نفسها ، ولم تعد تسمح للمتكلمين للتلفظ

بأية طريقة سائتكسية أو مورفولوجية أو معجمية . . . ، ولم تعد فترة تعميد

القواعد تحتل ما احتمل من ذي قبل في غياب هذه القواعد العلمية

الا القواعد السليقية . من هذا مارواه خلف الأحمر بأن رجلاً وشيخاً
من أهل الكوفة قال له : ((أما عجبت من الشاعر قال :

أنبت قيصوما وجشجاشا

فاحتمل له ، وقلت أنها :

أنبت اجصاصا وتفاحاصا

فلم يحتمل لسي) (1) ؟

وأردف ابن قتيبة التي يعد من المنصفين للسانتكن والصور الجديدة
للمحدثين : ((وليس له أن يقيس على اشتقاقهم فيطلق ما لم
يطلقوا) (2) .

وأما الخليل بن أحمد ، فقال من جهته : ((أنشد نسي

رجل :

ترافس العزينا فارفنعسا

فقلت : ليس هذا شيئا . فقال : كيف جاز للعجاج أن يقول :

تقا عس العزينا فاقعنسسا

ولا يجوز لسي) (3)

(1) الشعر والشعراء * س : 16 ابن قتيبة (طبعة ليدن : 1902)

(2) م . س : ن . ص

(3) م . س : ن . ع

وحاول الفيلسوف (فقيه اللغة) هنري فليش في مرجعه المشهور

أن يوسع بعض الخصوصيات لهذا السانتكس في مبدئين :

أولهما : أن نميز قوة عمل الجبر والنسب (Forces des Réductions) ، أجدهما

قوي وأخرهما ضعيف ، وببساطة هناك أشكال قوية وأشكال ضعيفة ،

الشيء الذي كان يمكن من وسع اتباعات . مثلا ، نصب الأفعال معتبر

كقوة ، لكن الأدوات تعتبر ضعيفة ، وبالنسبة للاسم يعتبر المفرد في

الدرجة الأولى وأكثر قوة ، وبينما الجمع هو أكثر ضعفا ، وهذا يمكننا

من أن نضع الأصول (les principes) والفروع (les conséquences) .

إن القوائم الموضوعية كانت تكون من إظهار الرتب التي كان يجب للكلمات

أن تحتلها في الجملة (رتبة مرتبة) . ككل كلمة كان يجب أن تحتل رتبها

كسائر تلك دور الأدائه (حكم) ، وكان لها حق لتمارس حقوقها

في نطاق ما يسمح لها بأداء هذا الدور .

ثانيهما : أن هناك ما يبدو في مفهوم أو تصور الشبه وتنوع الفرق ،

بوجه آخر ، فإن الشبه الجزئي يمكن من إقامة علاقات بين الكلمات

المختلفة وإنشاء أصل وفروع (١) .

أ. ماجيرار ليكومت: GÉRARD Leconte فانه في دراسته الوصفية

يخصر السانتكس العربي في أربعة محاور: (1)

(1) السانتكس الاسمي Syntaxe nominale

(2) الجملة الاسمية Phrase nominale

(3) الجملة الفعلية المستقلة Phrase verbale indépendante

(4) الجملة الفعلية المتفصلة phrase verbale articulée

ويقصد بالنوع الرابع:

A = الجملة المجاورة والمتجاورة Juxtaposition

B = الجملة التابعة أو الاتباعية أو الثانوية Subordination

C = الجملة الشرطية hypothétique

إذا تناولنا بنويها من اللغة كقوة خارجية فانه لم تكن الا

علامة اعتبارية صارت قانونا وعرفا اجتماعيا بين أعضاء مجموعة لسانية

وإذا تناولنا بنويها كقوة داخلية فانه لا دخل لعوامل نسب أو جبر

أو رفع في قوة هنا وضعف هناك أو المنصوب (هنا الاسم والفعل

على السوا) قد يكون واحدا والعوامل مختلفة وكذلك المرفوع والمجرور.

(1) Grammaire de l'arabe p: 31, 123

Gérard Leconte éd: (que sais je?)

فنحن اذا قمنا بقراءة للتراكيب المنصوبة التي جاءت في

((الجمل في النحو)) المنسوب للخليل بن أحمد ، فاننا نقف فيه على

واحد وخمسين وجها للنصب (1) ، ووظيفة الأدوات تختلف في تركيب

او من تركيب ، ساءت كسي الى آخر ، وتبقى هي هي ، مثل (حتى) التي

تجر تركيبا وتخفى تركيبا آخر ، ... الخ

ان نظرة الفيلسوف هنري فليش لاشك انها كانت تغلب عليها

فكرة شليجل بأن اللغة منظومة حية أي كأنها ظاهرة بيولوجية

يتعامل معها اللساني مثلما يتعامل عالم الطبيعة مع الكائنات .

ان اللغة أبعد من أن تكون منظومة من هذا القبيل فهي

لا تملك الارادة حينما وتعد منها حينما آخر كأعضاء جسم الإنسان حي ،

واذا كان لابد من قوة مفترضة فانما تلك القوة تتوزع بشكل ضمني

ومتداع تحت البنى السطحية .

وعلى ذكر القوة والضعف اللذين هما عاملان خياليان وفقا

للوقائع اللسانية رأتها ، فاننا نريد أن نشير ما أسماه المسرّب

بـ ((الفضلة)) معتبرين كثيرهم من الأجانب المسند والمُسند اليه

أساسا في التركيب ، والخشيق أن الفضلة ليست بكون المسند والمسند

(1) كتاب ((الجمل في النحو)) ص : 35 - 115 الخليل بن أحمد ؟

(ط : 1/1505 مؤسسه الرسالة - بيروت)

اليه ،كلما توسعت الجملة النواة على الأقد في مجالها الفضائي الدلالي
الذي يكون اعلانيا مشتركا بصفة تلقائية في كثير من الحالات بين
المرسل والمرسل اليه من خلال مرسله قد يعبر المرسل اليه والمرسل
عنها قبل ارسالها أو ويتركها تساويات مشتركة بين المرسل اليهم :

المرسل اليه	المرسل	الفضاء الدلالي
القاضي	يماقب	؟ (الجاني مثلا)
الحكم	_____	؟ (اللاعب مثلا)
الضابط	_____	؟ (الجند مثلا)
المعلم	_____	؟ (التلميذ مثلا)
القانون	_____	؟ (المزور مثلا)
الشمس	تشرق	؟ (من الشرق)
_____	تغرب	؟ (من الغرب)
_____	حارة	؟ (في الصيف ، في الصحراء ..)
البحر	معتدل	؟ (في الربيع مثلا)
_____	بارد	؟ (في الشتاء مثلا)
..... الح		

وهذا الفضاء الدلالي تقاطع لغوي راس مشترك بين

المتكلمين على مستوى لغة واحدة وعلى مستوى أكثر من لغة.

وهو كما نلاحظ من الجدول أعلاه أعم في الفضلة منه في السند فضلا

عن السند إليه، لأن وظيفة القاضي ليست فقط العقاب، كما أن المعلم

مثلما يعاقب تلميذه قد يجازيه، والضابط قد يقترح ترقية جنده...

لكن السند سرا، تقدم أم تأخر في السانتكس العربي، هو الذي

يوحي للمتلقين الفضاء الدلالي العمومي للتركيب. ولذا فإن أهمية

التقديم والتأخير لا تأثير لها على البنية السانتكسية العربية في

شد هذه التراكيب ما دامت محافظة على سياقها النحوي والدلالي.

ومقابل هذا فإن الغموس يبقى سائدا هذا الحق بالنسبة لتوزيع

الأدوار للعناصر المتقاطعة سانتكسيا وداليا ومورفولوجيا. أن النحويين

مثلهم مثل المناطقة يقولون بأن السند يخبر عن السند إليه، وإذا قلنا بأحد

الأحاديث النبوية: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)) موزعين عناصره:

السند إليه	المضاد إليه	السند	المضاد إليه	الجار	المجرور
(1) خير	كم	خير	كم	—	—
(2) خير	كم	خير	كم	لـ	أهل + هـ
(3) (و) أنا	—	خير	كم	—	—
(4) أنا	—	خير	كم	لـ	أهل + ي

فما نرى أن منحه لا المسند يكون دائما خبرا موضحا ومزيلا
الغموس المسند اليه ، ولا ما سمي به ((الفضلة)) هو فضلة بالمعنى
الوظيفي الصحيح في السانتكس العربي .

ففي جملة (1) كأن المسند تؤكد بمسند اليه ، وجملة (2)
بفضل الفضلة صارت ذات دلالة كلية ، وجملة (3) كما نت بنيتها
أكثر غموضا اذا كنا نجهل المرجع للخطاب أو المرسل (بكسر السين) ،
أي جملة (4) فانها تعادل في وضوحها جملة (2) باعتبار البنية
السانتكية المتشابهة .

فعلى اللسانيات العربية الجديدة أن تجتهد في ايجاد مخرج
تنظيمي وعلمي قائم على التطبيق التحتي لثل هذه الاشكالية السانتكية
التي مازالت تسود كثيرا (من) تراكيبتها اللغوية .

ان التحليل اللساني الحالي للعبارة والقول يتعامل مع
المرسلة تبعالما يؤديه كل عنصر أو وحدة دالة من وظيفة ، والسانتكس
العربي القديم كان يقوم على التحليل النحوي الكلي للأدوار التي كانت
تؤديها المصطلحات التي اكتسبت دلالات علمية جديدة ، الى جانب
الوحدات النحوية المستقلة التي كسيت بمصطلحات متعددة الوظائف ،
والذي يبدو أن الدرس اللغوي القديم عند العرب بشكل عام كانت

عنايته مركزة على التركيب في ذاته أزيد مما انصبت جهود ه على التحليل ، لأن هدفه المبدئي والأصلي كان بناء وتشديد لقواعد ولغير تحليلها ، ولكن التحليل كان يسبق البناء من خلال التعامل مع المصطلحات النظرية أو المدونات الجاهزة سلفا .

وتلك التحاليل كانت تفرس مسبقا بأن أي نوع خطابي الا وكان يملك وظائف ساءت كسبة مختلفة كما أنه تحت البنى السطحية . وهذه العملية في التعامل مع اللغة من الخارج باعتبارها خطابات شفوية ومن الداخل باعتبارها منظومة قائمة بذاتها أي متميزة عن باقي الظواهر والعلوم الأخرى ، هو ما تذهب إليه بعض المواقف اللسانية المعاصرة ، حيث نجد أن (ر) اللساني يستند على مجموعة الأقوال أو اللفوظات المحققة : أنها المدونة . هو يحاول انطلاقا من هنا أن يؤسس قواعد هذه المدونة مستعملا ما تجلس منها من القواعد القياسية التوزيعية لعناصرها المؤلفه لها . إن اللفظه في الواقع مكونة من عناصر مميزة أو قائمة بذاتها والتي تتركب فيما بينها بمختلف المستويات لتكوين وحدات أعلى : المستويات

الفونيمسي ، المورفولوجسي ، السانتغامي (Syntagmatique) ،
 الجملسي (phrasatique) . هذه الوحدات الاعتبارية
 والتي تعداد غايتها منه ، لا تتركب كيفما اتفق ؛ كل لغة تحدد
 لآلي مستوي نظاما من القيود (contraintes) وقواعد
 (restrictions) لا مكانياتها التركيبية (combinatoires) (1) .
 وهذه المراقبة أعمالا لم تخذ منها أو من مقارباتها الدراسات
 السانتغامي العربية القديمة .

Initiation à la problématique structurale

(1

P 17 T/2

HACHETTE 1978

الفصل الثاني : التعبير كسبب الاستدلال

لا أخفي المتتبع لهذا العمل بأنني ترددت أيا ما وأيا ما
 قبل الاقدام على تحرير هذا الفصل على هذا النحو، كما أنني لا أخفيه
 سرا آخر بأنني قمت بعمل مواز لعمل هذا الفصل معتقدا أنني
 سأجد ألفة ما بين العاملين أو القراءتين، ولكنني في النهاية
 وجدت نفسي مجبرا على اعتماد أحد العاملين أو أحدي القراءتين،
 هي القراءة التي تنطلق من المفهوم العربي القديم الجديد للتركيب
 أو الجملة أو الكلام... والتي تتجسد بوجه خاص، كما انتهت عند
 ابن هشام، أي كل كلام جملة، وليست كل جملة كلاما (1)،
 وكأنني به يريد أن يقول، وهذا ما نفهمه فعلا من كلامه، أن التراكيب
تنتمي إلى اللغة، لأن اللغة هي المجموع الكلي المتصور، بينما الجملة
 تعبر عن الفعل الحر الذي يشخص كلام المتكلم.

وسوسور على الرغم من تقدّمه نسبيا، فهو يعتبر أفضل
 واحد حتى الآن، حسب وجهة نظرنا، بعد العرب، من عبر تعبيراً واضحاً
 ومفيداً للموضوع، على الرغم من أنه صرح عن ذلك، مثله مثل سيويه (2)

(1) راجع : الأعراب عن قواعد الأعراب ص : 60 - 61 لابن هشام مثلاً

(2) راجع الكتاب : 1/25 - 26 ففيه خمسة تراكيب متنوعة للجملة المقولة وغير المقولة

عرضاً ، ولم يخصص حيزاً كبيراً للتركيب على الطريقة المألوفة منذ مدة
 لدى شومسكي وبعض اللسانيين الأمريكيين بوجه خاص ، والذين تهافت
 على نظرياتهم باحثون عرب معاصرون ، لكن محاولاتهم باءت تقريفاً
 كلها بالفشل حين أرادوا أن يطبقوا هذه القواعد التوليدية التحويلية
 على اللغة العربية بطرق منهجية شكلانية تعسفية .

ومما أبداه سوسور حول هذا الموضوع قوله : ((أن الجملة
 هي النمط الأفضل للتركيب غير أنها تنتمي إلى الكلام لا إلى اللسان ،
 أفلا ينبج من ذلك أن يعود التركيب إلى الكلام ؟ اننا لا نعتقد ذلك ،
 فخاصية الكلام هي من حرية الانسان ... وليس هذا هو كل شيء ، إذ
 يجب أن نسند إلى اللغة لا إلى الكلام جميع أنماط التراكيب المنبثقة ،
 بحسب صيغ نظامية) (1) على الرغم من اعتراف هذا اللساني بأن
 هناك غموضاً مخيماً بين التركيب من جهة والكلام من جهة ثانية ، باعتباره
 الفوارق المعروفة عند هذا اللساني بين اللغة واللسان والكلام ((ولكن
 يجب الاعتراف أن لا حدود هناك واضحة في مجال التركيب وذلك بين
 واقعة اللغة التي هي علامات الاستعمال الجمعي ، وواقعة الكلام الخاضعة
 للحرية الشخصية) (2) .

(1) محاضرات في الألسنية العامة ص : 150 - 151

(2) م . س . ص : 151

ومن باب الاعتراف علميا ومنهجيا ، لا تهربا ، ومحاولة التخلص

من هذا الموضوع الشائك ، أنني ارتأيت أن أتناول هذا الموضوع

من خلال دراسة تأخذ بعين الاعتبار المخاضور اللهجية التالية :

(1) التركيب الاسمي (خلال هذا الفصل نفسه)

(2) التركيب الفعلـي (في الفصل الثالث أي القارم)

(3) التركيب الحرفـي والظرفـي (في الفصل الرابع)

ويجب أن ندلي بملاحظة أخرى تخص التراكيـب اللهجية القبلية

العربية ، تتلخص في أنه لا يمكن إلا لما جملة وتفصيلا بكل هذه التراكيـب ،

لأننا لم نتمكن من صفا واحدا من هذه اللغات بل حاولنا أن نتناول

أصنافا شتى من هذه التراكيـب انطلاقا من بعد التراكيـب التي اجتهدنا

في الوقوف عليها من خلال اللغات السامية المشهورة ، وكذلك التي لا

تزال حية مستعملة ، وخصوصا باللهجات العربية البائدة التي نجد

علامي منها مطبوعة ومرسومة في التراكيـب اللهجية لهذه العربية

الباقية لغة القرآن والشعر والآداب والحكم والأمثال ...

إن الإلمام بكل هذه التراكيـب يفسر طموحا ينبغي أن

تجسده قراءات متعددة لا قراءة واحدة ، وأعني بهذه القراءة هنا

أن يحدث كل تركيب مستقلا عن التركيب الآخر ، لأنه شتان ما بين قراءة

متأنيب في حسب اسمه ((التركيب الاسمي)) وقراءة مماثلة
 لكنها مختلفة في حقل ثان اسمه ((التركيب الفعلي)) ، وقراءة ثالثة
 مختلفة تمام الاختلاف عن القراءةتين السابقتين في حقل ثالث اسمه
 ((التركيب الحرفي)) .

غير أن هذه الملاحظة لا تنل من مسوؤلية موضوعية لو أعرضت
 أو حاولت أن تقلب ظهر المعبر لتركيب على حساب تركيب آخر ، والذي
 نراه أن تكون هذه القراءة في الحقل السانتكسي بين اللهجات العربية
 الباقية في هذا الفصل بالذات متوازنة إلى حد ما تبعاً للمدونة الشريفة
 في هذا التركيب دون التركيب الآخر وليس تبعاً لاتباع أهواء قراءة
 أو لانسيمان وراة تفضيل تراكيب لهجية على حساب تراكيب لهجية
 باقية ، لا سيما حين يتعلق الأمر بالتراكيب اللهجية الفصيحة بما فيها تلك
 التراكيب اللهجية التي وردت فيما يسمى بـ ((القراءات الشاذة)) .

1) التركيب الاسمي :

1-1 : الجنس : الجنس من الفصائل النحوية الهامة في التركيب الاسمي ،
 والذي يعني بمسألة اللغويين المحدثون مثلما عني به اللغويون
 القدماء . فعلايات التأنيث الثلاث في العربية بشك عام هي التي
 تميز المذكر من المؤنث ، ولكن لغة خصوصيتها في الجنس .

ان المفهوم الشائع ، ولا سيما التعليمي منه ، أن الجنس في العربية يتميز هوياته ما بين المذكر والمؤنث من خلال ما يتصل بنهاية المؤنث ، ومنه قول المفراء : ((للمؤنث علامات ثلاث : منها الهاء التي تكون فرقا بين المؤنث والمذكر ، مثل فلان وفلانة ، وقائم وقائمه .

ومنها المدة الزائدة التي تراها في ((الضراء)) و ((الحمراء)) ، و ((الصفراء)) ، وما أشبه ذلك .
ومنها اليا ، التي تقرأها في ((حبل)) و ((سكر)) و ((ضغرى)) .
فأما المدة واليا ، فلا يقمان لمذكر في حال أبدا .
وأما الهاء ، فلها ضروب تقع فيها ((١))

ثم يستمر المفراء في بيان أسماء لا يميز فيها ، لكن هويتها كمؤنث تظهر جلية من خلال الوظيفة المسندة الى طبيعة هذه الأسماء ، وهي وظيفة تارة تكون منطقية مثل الأوصاف التي لا حظ فيها للمذكر مثل : حائض ، طامث ، شاة ، حامل ، مريض ، الخ ، ومرة تكون متصلة بالعادة الكلامية التي توحد الجنس على الرغم من اختلاف الهوية في الآن ذاته ، كمدن ((صابر)) الى ((صبور)) بدون هاء في المذكر

(١) المذكر والمؤنث ص : 57 - 58 المفراء

(ط : ٥٧٠ مطبعة قاصد خير - القاهرة)

كالموث .

وقد يرد في اسربية من التأنيث والتذكير ما لا يعلم ما قصد به () كما أنه تأنيث من الأسماء ما لا يعرف لأي مسمى هو، وإن كان الموث والتذكير مشترك فيهما وزن واحد، تقول : () عدل () و () حمل () فهذه على () فعل () وهو مذكور، وتقول : () فهر () فهي مؤنثة، وتصغيرها () فهير () (1) .
وأما ما يعرف باسم الجنس الجمعي، ويسميه الفراء اسم موضوع (2) ، فإن العرب إذا أرادت أفراده قالوا في واحد : () شاة () من الشاة، للذكر والأنثى معاً، وهي لم تزد () بالها * ها هنا، التأنيث المحض، إنما أرادوا الواحد... وربما فعلوا عند موضع الحاجة فجعلوا الأنثى مفردة بالها *، وجعلوا الذكر مفرداً بطرح الها *، فيكون الذكر على لفظ الجمع، من ذلك () رأيت نعاماً أقرع () و () رأيت حملاً ما ذكر () ويقولون : () رأيت جرادة على جرادة () و () حملاً ما على حملاً () يسمون ذكرها على أنثى... قال : وسمعت الكسائي يقول : سمعت كل هذا النوع من العرب بطرح الها * من ذكره إلا قولهم : () رأيت حية على حية () فإن الها * لم تطرح من ذكره () (3) .

(1) المذكر والمؤنث ص : 112 المبرد (ط : 1970 مطبعة دار الكتب - القاهرة)

(2) المذكر والمؤنث ص : 69 الفراء

(3) م.س.ص : 69 - 70

وأما الخليل بن أحمد فقال : (هذا شاة بمنزلة قوله تعالى :

((هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي)) (1) .

وأما سيوييه فقد تعرض للجنس في أكثر من موضع وتناوله بعدة

أفكار لسانية أكثر منها نحوية ، وهذا هو الأصل في الدراسات اللغوية

المبكرة بما فيها الدراسات التي سبقت سيوييه نفسه ، وهذه الرؤية

العربية لهذا النوع من التركيب هو عين ما غدت تميل اليه الدراسات

اللسانية المعاصرة حيث أضحت تدرس هذا الصنف من اللغة الانسانية

ضمن التركيب بشكن لساني واسع لا بشكن نحوي ضيق .

ان سيوييه يرى ان المذكراؤف من المؤنث (واعلم ان المذكراؤف

أخف عليهم من المؤنث لأن المذكراؤف ، وهو أشد تمكنا ، وانما يخرج

التأنيث من التذكير) (2) . وقال في موضع آخر بعد هذا : (لأن

الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد ، فكل مؤنث شيء ، والشيء

يذكر ، فالتذكير أوف ، وهو أشد تمكنا) (3) .

كما أن التبادل قد يحصل بين المذكراؤف والمؤنث (قد يكون

الشيء المذكور يوصف بالمؤنث . . . ويكون الشيء المؤنث يوصف

(1) الكتاب : 3 / ص : 562 والآية : 38 من الكهف

(2) م . س : 1 / ص : 22

(3) م . س : 3 / ص : 241

بالمذكر وقد يكون الشيء المؤنث له الاسم المذكر، فمى ذلك : هذا
رجل ربيعة وغلام يفعة وفمزه الصفات . . . ومن ذلك أيضا قولك :
هذه امرأة عدن ، وس الأسماء فرس . . . والمذكر فجعلوه لهما ،
وكذلك عدن . . . (١)

أما الخرون عن مميزات الجنس لمعرفة هويته ان كان مذكرا
أو مؤنثا من خلال حمله على المعنى ، فان سيويه قد بلغ الرقم
القياسي في هذا البحث دون اعتبار الشكل الظاهري في كل حال للكلمة ،
ومن هذه الأمثلة الغزيرة في مختلف المستويات التي يؤول الكلام
فيها على المعنى لا على العبنى فقد قوله المرتبط هنا بموضوعنا : (ر وزعم
يونس عن روية أنه قال : ثلاث أنفوس ، على تأنيث النفس ، كما يقال : ثلاث
أعين للعين من الناس ، وكما قالوا : ثلاث أشخاص في النساء ، وقال الشاعر
وهو رجل من بني كلاب :

وان كلاباه سرأبسى وأنت ببي من قبائلها المشمر
وقال القتات الكلابي :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاث وأكثرو
فأنت أبطننا ان كان معنا القبايل . . . وقال عمر بن أبي ربيعة :

فكسار نسيري دون من كنت أُنقي ثلاث شخوص : كما عيان ومعصر

فأنت الشخص إذا كان في معنى أنثى (1) .

ومن اللغويين المتقدمين من يرفض أن يكون أمر

الجنس في العربية قياساً مطرداً ، وأن العلامات الثلاث التي تعتمد

في التعليل التقليدي علامات سيوة لهوية الجنس حين يكون مؤنثاً

على الأقل ليست قياسية في كل حال (ليس يجرب الأمر المذكور

المؤنث على قياس مطرد ، ولا لهما باب يحصرهما ، كما يدعي بعض الناس ،

لأنهم قالوا : إن علامات المؤنث ثلاث :

— الهاء في قائمة وراكبة

— والألف المدودة في حمراء وخفصاء

— والألف المقصورة في مثل سبل وسكر

وهذه العلامات بعينها موجودة في المذكور : أما الهاء ففي مثل قولك :

رجل باقعة ونسابة وعلامة وربعة وراوية لبشر... وأما الألف

المدودة فمثل : رجل ذوبزلاء إذا كان جيد الرأي ، وأما الألف المقصورة

ففي مثل : رجل شئش ، وزبعرر للشيء الخلل... ووصفوا أن المذكور

هو الذي ليس فيه شيء من هذه العلامات ، مثل زيد وسعد ، وقد يوجد على هذه

الصورة كثير من المؤنثات مثل هند ودعد ، وأتان ورخل وعنز... (2)

(1) الكتاب : 3/ ص 555 - 556

(2) المذكور والمؤنث ص : 17 - 18 . سعيد بن ابن إبراهيم التستري الكاتب
(مطبعة الهندسي - القاهرة)

وسا ابن فارس فقال وهو يتحدث في باب أجناس الأسماء: ((قال
بعض أهل العلم: الأسماء خمسة: اسم فارق، واسم مفارق، واسم مشتق،
واسم مضاف، واسم مقتضى)) (1) .

ان الفارق مثل: رجل، فرس، والفارق مثل: طفل، يفارقـه
ان اكبر، والمشتق مثل: كاتب، والمضاف نحو: كسل، وبعض، وذلك
لاعتقادهما بأن هذين الاسمين الآخرين مضافان أيـدا، وإما المقتضي
فمثل: أخ، شريك، خصم، ابن... إلخ.

والملاحظ أن الجينس في هذه الأصناف الخمسة ليس واضحا، لأنها
لا تحتوي كلها على مميزات تصحب كل صنف للدلالة على تأنيثه، إذ
أقول: طفلة، وكاتبة، وأخت، وشريكة، وابنة... ولكن هل باستطاعتي
القول أيضا: رجلة، فرسة، خصمة... حتى وإن كان الفراء قال:

((وقد قالت العرب حروفا، بنت فيها الأنثى على الذكر، وقد كانت الأنثى
في ذلك سماعة باسم يؤدب عن تأنيثها، فقالوا: ((غلام)) و ((جارية))
و ((شيخ)) و ((عجوز))، فأثبت الجارية عن نفسها، ثم قالوا: ((غلام))
و ((غلامه)) و ((شيخ)) و ((شيوخ))، وجاء في الحديث: ((كانت
عائشة رجلة الرأي))، وقد قالوا: ((ثور)) و ((ثيرة))، وقال آخر:
ومركضة صريحى أبوهما تهان لها الغلامه والغلام

وقال آخر :

وتضحك مني شيخه عشميمة كأن لم ترى قبيلي بما نيسا

فلا تنكرن أن بيني مؤنث على مذكرة ((1)) .

هذا ، واشكالية تميز هوية الجنس ليس بدعا في العربية وحدها

بقد ربما نجد هذه الاشكالية متفشية في لغات انسانية أخرى وفي الفرنسية

مثلا لا ينتهي المؤنث فيها دائما بعلامة ((E)) مثل :

.. (la Souris) (فأر ، فأرة)

.. (la Foi) (إيمان ، إعتقاد ...)

.. (la liberté) (الحرية)

وعلى العكس من ذلك ، فإن بعض الأسماء المذكرة تأخذ بميز المؤنث

((E)) في آخرها مثل :

.. (le Lycée) (الثانوية)

.. (Le musée) (المتحف)

.. (Le Foie) (الكبد) (2) .

وإذا ما عدنا اليوم الى بعض المعاجم اللسانية المعاصرة ، فإننا

نجدها تنظر الى الجنس في اللغة على أنه نحوي أو شكلي ، لا أنهما الشيطان

(1) المذكر والمؤنث ص : 120 - 121 الفراء

(2) } la Grammaire pour tous p177 - Le Bescherelle
Edition HATIER Paris 1984

الوحيدان اللذان يلاحظان في الواقع ، وعليه فهي معرفة بواسطة خصوصيات شكلية وليست دلالية () غير أن بعض اللغات تميز بين الجنس المتحرك والجنس الجامد (الروسية) ، بينما تصنف الأسماء إلى جنسين في الفرنسية والاطالية والاسبانية ، وإلى ثلاثة أنواع في الروسية والألمانية . . الخ . وبالنسبة لاندري مارتيني ، فإن الجنس لا يعتبر كوحدة دالة (مونييه) ، لأنه لا يشكل بشكل عام موضوع اختيار : إذ ليس بإمكاننا أن نختار في قولنا اجاصة دون أن نختار في الوقت نفسه الجنس المؤنث ، ليس فقط لأن الجنس المؤنث والنوع المؤنث هما شيان مختلفان ، ولكن زيادة على هذا ، فإن نفس التعارض للنوع يمكن أن يغطي التعارض في الجنس من ناحية والتعارض اللكسيكي (المعجمي) من ناحية أخرى (١) .

ومن جهة أخرى يلاحظ غياب التغير في الجنس بالنسبة للفرنسية لأنه () من المستحيل من الناحية الدلالية إثبات العدد الكبير من المؤنث والمذكر ، بينما التطور الصوتي هو الذي قرره بصفة أساسية ، وهذا لا يسهل من مهمة التمييز ، لأن بعضاً من الكلمات تغير جنسها خلال التاريخ ، بينما البعض الآخر من الجنس بقي غامضاً لدى الكثير من المتكلمين ، وذلك على الرغم من جهود الصفايين (*Puristes*) وخاصة عندما تبدأ الكلمة بواسطة حرف علة أو تنتهي بـ (*د*) (غير المستقرة) (٢) .

(١) Dictionnaire de la Linguistique p. 154 (G. Mounin)
 C'Édition 1914 Presse Universitaires de France

Initiation à la problématique structurale
 T. 2 / p. 20

ويظهر أن العرب كانوا أكثر من غيرهم تمييزاً لهذا النوع

من القول حيث أجمعوه إلى ما يقتضيه المنطق الدلالي، واللساني

ما يقوله الذوق والطبع السليمان، من هذا ما روى الأصمعي نقلاً عن

أبي عمرو أن هذا الأخير سمع رجلاً من أهل اليمن يقول: فلان لغوب،

جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له (أبي الأصمعي): اتقون: جاءته

كتابي؟ فقال: نعم. أليس بصحيفة؟ (1)

أما ابن عصفور فقد ذهب مذهب من تبعهم من البصريين أو

سواهم من اللغويين الآخرين الذين سبقوه، حيث عد هذه الوحدات

من التركيب فيما أسماه بـ ((الضرائر الشعرية))، ولا يدل على ذلك من

عقده باباً طويلاً لهذا الموضوع، وما ذكره أن الاسم قد يكون مذكراً

((فيحكم له بحكم المؤنث بدلاً من تذكيره، أو يكون مؤنثاً فيحكم له

بحكم المذكر بدلاً من تأنيثه حمل على المعنى)) (2) مردداً مرة أخرى

ما رده الأولون ((وتذكير المؤنث أحسن من تأنيث المذكر، لأن

التذكير أصل التأنيث، فإذا ذكرت المؤنث أحققت بأصله،

وإذا أنثت المذكر أخرجته عن أصله)) (3)

(1) راجع الخصائص: 1/ص: 42 و 2/ص: 416

(2) ضرائر الشعر ص: 271 ابن عصفور (ط: 1/80 دار الاندلس - بيروت)

(3) م.س.ص: 279

ونلاحظ أن قول ابن عصفور السابق يصب في قول ابن جني :

وتذكير المؤنث واسع جدا ، لأنه رد فرع المسأله ، لكن تسلية

المذكر أن ذهب في التناكر والاعراب (1) .

والذي يبدو لي أن نص ابن جني هو الأغر ، إذ من الإمكان

أن المذكر يبدأ ~~أهل~~ لكل مؤنث ، وهل من الضرورة بمكان أن

توجد دائما المداليل المذكورة قبل المداليل المؤنثة ؟ بل ما هو مذكور

طاولة ، شجرة ، باب ، ورقة ، ... وما هو مؤنث قلم ، جبل ، بحر ، جهاز ،

... ؟ بل ما هو مؤنث محمد ، ومصطفى ، ... ومذكر عائشة ، وهند ، ... ؟

إلا أن مثل هذه النظرية يجب أن تزول من الأذهان بحيث لا يقارن

الشيء إلا بما يقابله (2) .

على أي حال ، أن الجنس في العربية وغيرها من اللغات

الإنسانية يعد من أوسع وأعمق المباحث اللغوية قديما وحديثا ، ولعل

بحثه في إطار اللسانيات التقابلية والمقارنة يكون أكثر فائدة من

بحثه مستقلا على مستوى لغة واحدة ، لكن هذا المطلب في علمنا

هنا أن لم يتحقق معظمه ، فانا نعتقد بتحقيق بعضه ما دنا نبحثه

على مستوى لغة واحدة قديمة متجسدة في تراكيب لهجية متباينة

(1) الخصائص : 2/ ص : 415

(2) العربية بين الطبيع والتطبيع ص : 110

أو موزعة على مستوى القبائل والمشائر والأفخاذ .

إن أفراد قبيلة واحدة قد يختلفون في تأنيث اسم أو تذكيره ،
ويغلب لدى قبيلة التذكير أو التأنيث خلافا لقبيلة أخرى قد تعاكسها
في نفس الوحدة ، من ذلك أن أهل الحجاز يقولون : ((هي التمر ،
وهي النخل ، وهي الشعير ، . . .)) (1) ثم أراد الفراء : ((وكذا
جمع كان واحدته بالهاء ، وجمعه ينطرن الهاء ، فإن أهل الحجاز
يؤمنون به وربما ذكروا ، والأغلب عليهم التأنيث ، وأهل نجد يذكرون
ذلك ، وإنما أنشوا ، والأغلب عليهم التذكير)) (2) ثم . وأما ابن
التستري الكاتب فقال : ((وكذا جمع في واحد هاء ، فإذا حذف صار
جمعا ، جاز فيه التأنيث والتذكير نحو : حبة وحب ، وتمرة وتمر ، وبقرة
وبقر بالتأنيث للحجاز والتذكير لنجد)) (3) .

وأما الكتف والعضد والذراع والكف واليد والضمال واليمين
والورك والفخذ والساق والعقب والرجل والقدم ، فكلها مؤنثة ،
ومثلها الأصابع إلا عند بني أسد فانهم يذكرون كل هذه الأشياء من
بدن الأنسان (4) ، بينما عقب الفراء : ((والأصابع أناث كلهن ، إلا
الأيهام فإن العرب على تأنيثها ، إلا بني أسد وبعضهم فانهم يقولون :

(1) المذكر والمؤنث ص : 101 للفراء .

(2) م . س : ن . ص

(3) المذكر والمؤنث ص : 52 ابن التستري الكاتب

(4) م . س . ص : 50

هذا ابهام ، والتأنيث أجوز وأحب إلينا ((1) . ونفس الشيء أكدته

فيما بعد ابن التستري الكاتب : ((الإبهام : تؤنثها جميع العرب إلا

بعض بني أسد فانهم يذكرونها ، وجمعها إبهام ((2) .

وبالنسبة لجمع التكسير ، فإن ((كل جمع لغير الناس ، مذكرا

كان واحدا ، ومؤنثا كالابل جمع جمل ، والارجل جمع رجل ،

فهو مؤنث ، وكل جمع على جمع التكسير للناس وسائر الحيوان الناطق

يجوز تذكيره وتأنيثه . . .) (3)

ومن الصعب أن نحصر اختلاف القائل في الجنس على هذا النحو

من الدراسة والمقارنة والتحليل ، ولكننا نحاول هنا أن نلم بأكثر مما

في هذا الجنس من اختلافات بين القائل العربية من خلال قراءة

تراثية مستوحاة من كتاب ((المذكر والمؤنث) (لابن التستري الكاتب

مصحوبة بقراءة أخرى من كتب متنوعة .

إن ابن التستري الكاتب على الرغم من أنه جاء بعد الفراء

والمرود (4) ، إلا أن المنهجية التي اتبعها في كتابه أعلاه تفري

القاري ، اليوم باتباع قراءته ، لأنه يبنى ما سمع من اختلاف في الجنس

بين القائل العربية والعرب عموما على نسق حروف المعجم .

(1) المذكر والمؤنث ص : 78 الفراء

(2) المذكر والمؤنث ص : 57 ابن التستري الكاتب

(3) م . س . ص : 68

(4) توفي الفراء عام 207 هـ ، وتوفي المرود عام 285 هـ ، بينما توفي

ابن التستري الكاتب فهي سنة 361 هـ .

- ١- الأبط : الفرا : يذكروه ويؤنثه ، والأصمعي لا يجيز تأنيثه (1)
- ٢- الأمل : يذكرون ويؤنثون ، والتذكير أجود لدى الفرا (2)
- ٣- البسر : يؤنثه الحجازيون ، وسواهم يذكرونه (3)
- ٤- التمر : يذكروه أهل الحجاز ، ويؤنثه غيرهم (4)
- ٥- الحار : مؤنث ، وأهل الحجاز يذكرونها . (5)
- ٦- الذراع : مؤنثة تصغيرها ذرّيسة ، وجمعها ثلاث أذرع ، بيد أن الفرا حكى أن بعض عكس يذكرونها ، وبالتالي بصغرها : ذرّيس (6) ، لكن ابن التستري يرى أن لهجة بني عكس في تذكيرها وتصغيرها أمر شاذ غير مختار ولا معمول عليه البتة (7) .
- ٧- الذهب : مؤنثة ، وربما ذكرت ، وعزا اللسان تأنيثها إلى الحجاز (8) .

(1) المذكر والمؤنث ص : 57 لابن التستري

(2) المذكر والمؤنث ص : 106 للفرا

(3) المذكر والمؤنث ص : 64 لابن التستري

(4) م.س.ص : 65

(5) م.س.ص : 69

(6) المذكر والمؤنث ص : 77 للفرا

(7) المذكر والمؤنث ص : 76 لابن التستري

(8) لسان العرب : 6/ ص : 62 ابن منظور

— الزوج : مذكرة ومؤنثة لدى الحجازيين ، وهم مختلفون مع غيرهم من العرب ، ((الزوج : عند أهل الحجاز يقع على الذكور والأنثى جميعا ، وعلى واحد منهما . الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل ، بغيرها ، وهما جميعا زوج ، وذلك أفصح عند العلماء ، وأصح ، وأهل نجد يقولون : زوجة للأنثى وهو أكثر من زوج ، وزوج أفصح من زوجة) ((1) ، بينما قال الفراء : ((الزوج يقع على المرأة والرجل . هذا قول أهل الحجاز ، قال الله عز وجل : ((أَشِيكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) ((2) . وأهل نجد يقولون : زوجة ، وهو أكثر من زوج ، والأول أفصح عند العلماء . قال الشاعر :
وان الذي يحشي يحرس زوجتي كما شال إلى أسد الضمري يستثيرها
... فمن قال : زوجة ، قال في الجمع : زوجات ، ومن قال : زوج ، قال في الجمع : أزواج ، قال الله عز وجل : ((قُلْ لَا زَوْجَ لَكَ وَهَاتَكَ) ((3) . قال ، أنشدني أبو الجراح :

يا صاح بليح ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب) ((4)
في حين أنه قال في موضع آخر : ((وأهل الحجاز يقولون للمرأة : زوج ،

وسائر العرب يقولون : زوجة) ((5)

-
- (1) المذكر والمؤنث ص : 80 ابن التستري
 - (2) سورة الأحزاب آية : 37
 - (3) سورة الأحزاب آية : 59
 - (4) المذكر والمؤنث ص : 95 الفراء
 - (5) م. م. م. ص : 108

وبصرف النظر هنا على قول الفراء السابق بأن زوجة أفصح عند العلماء

على أن سائر العرب يقولون : زوجة ، فإن القرآن نزل بلهجة أهل الحجاز
في هذا النوع من الجنس ، فعلاوة على الـيتين السابقتين ، جاء فيه :

— ((وَقُلْنَا : يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)) (1)

— ((وَإِنَّ آدَمَ تَمَّ اسْتِهْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ)) (2) .

وفي الوقت الذي يجزم فيه الفراء بفصاحة ((زوجة)) ، فإن الأصمعي

يعاكسه مصرحاً بأن العرب لا تكاد تقول : زوجته ، إلا أن علي بن حمزة

البصري على أن فصحاء العرب يقولون : زون وزوجة ، كقول الفرزدق

السابق (مع اختلاف في الرواية للبيت طبعاً) :

وان الذي يسمي ليفسد زوجتي كساع إلى أسد الشرى يستبيلهما

وقال العجاج :

لا تسأل الزوجة ريح العطر

وقال الشماخ :

فمن العفيفات الجميلات الصور قد أصيحت زوجة شماخ بشعر

وقال ذو الرمة :

أئذ وزوجة بالمصراة ذو خصومة أراك لها بالبصرة العام ثاويها ؟

(1) سورة البقرة آية : 35

(2) سورة النساء آية : 204

وأنشد أبو عمرو :

وزوجة كثيرة السيات

وأنشد الآخر :

تحب زوجات أقوام حلائله إذا الدخان تغشى الأشمط البرما

في حين أنشد البعض لأخي المزار بن منقذ :

تحب زوجات أقوام حليلته إذا الأيوف امترى مكنونها الشبم (١) .

ومذهب الأصمعي في عدم الاحتجاج بالشعر إلا سلامي كاستان .

أبي عمرو بن العلاء لا يورد قول علي بن حمزة في هذه المسألة ، ما دام أن الرجل قد أورد شواهد أخرى لغير الفردوس وذي الرمة .

واعتقد ابن تباين الأصمعي والفراء لا يرجع إلى كون الأول بصريا

والثاني كوفيا بقدر ما يعود إلى المصادر اللغوية التي استقى منها كل

واحد منهما ، فعلى نسبة تفاوت سما عهما واختلاف المناطق اللغوية بينهما

كان حكمهما ، والأفان لغة العرب واحدة بدليل أن التنزيه جاء على لغة

الحجاز ، وأن شعرا^١ ورجا زاجا هليين واسلاميي وظفوا الوجه الثاني في أشعارهم .

السبيل : يذكروني^٢ ، وكلاهما فصي ، وما ذكره الأيخس : (راجل

(١) المنقوص والمدود للفراء^٣ والتنبيهات لعلي بن حمزة ص : ٢٠٤ - ٢٠٦

(دار المعارف - مصر)

الحجاز ، يوثنون الطريق ، والمصراط ، والسبيل ، والسوى ، والزقاني ،

والكلاب ، وهوسون بالبصرة ، وبنو تميم يذكرون هذا كله) ، (1)

وجاء في القرآن :

((قُلْ : هَذِهِ سَبِيلِي)) (2)

((وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ آلِفِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)) (3) ، وفي قراءة أخرى :

((يتخذوها)) (4) .

وقال الشاعر :

فلا تجزع فكل فتى أناس سيصبح سالكا تلك السبيل (5)

- الشعير : يذكروا أهل نجد ، ويوثقه غيرهم (6) .

- الصاع : يوثقه أهل الحجاز ، وجمعه عندهم : أصوع مثل أشهر ،

وفي جمع الكثرة : الصيعان ، وفي حين أن أسدا وأهل نجد يذكرونه

ويجمعونه على أصواع ، وربما أنثته بعض بني أسد (7) ، وهذا ما أكدته

الفرا (ر وربما أنثته بعض بني أسد) (8)

(1) المزهر : ص : 225 ، ولاندري أي الأخافشة ، لأن المحقق لم يشر إلى هذا

(2) سورة يوسف آية : 108

(3) سورة الاعراف آية : 146

(4) المذكروا للمؤنت ص : 87 الفرا

(5) المذكروا للمؤنت ص : 115 المبرد

(6) المذكروا للمؤنت ص : 86 ابن التستري

(7) المذكروا للمؤنت ص : 88 ابن التستري

(8) المذكروا للمؤنت ص : 86 الفرا

- القدر : مؤنث تصغيرها قديرة ، وروى الفراء * أن بعض قيس يذكرونها (1) .
- القفا : يذكرونها ، والتذكير أغلب عليه (2) ، وهذا ما حكاه الفراء * ،
- أما الأصمعي فقال : (ما سمعت أحد يذكرها) (3)
- الهدي : مذكرونها جميع العرب ما عدا بني أسد ، فانهم يؤنثونه
- ويقولون : هذه هدي حسنة (4)

وكما أشركت أنفسا ، فإنه من الصعب حصر كل الفروق اللهجية القبلية في الجنس إلى جانب الاختلافات العامة بين العرب من جهة ، وبين العلماء * من جهة ثانية في هذا الحقل الشاسع الذي لا نحسب أنه يدنو من الاكتمال إلا ببحثه موضوعا مستقلا عمن باقي التراكيب الأخرى ، ومع ذلك ، فيمكن تلخيص الظواهر اللهجية في الجنس بين القبائل العربية على النحو التالي :

- أ - ما يختلف فيه الحجازيون من تذكير وتأنيث فإن الأغلب عليهم التأنيث .
- ب - أهل نجد إذا اختلفوا في تذكير أو تأنيثها - أحيانا - فلا أغلب عليهم التذكير خلافا لأهل الحجاز .
- ج - ما يؤنثه الحجازيون أو يختلفون فيه ما بين تذكير وتأنيث ، يذكروه التميميون مطلقا .

- (1) المذكرو والمؤنث ص : 82 الفراء *
 (2) م.س.ص : 103
 (3) المذكرو والمؤنث ص : 98 ابن التستري
 (4) م.س.ص : 109 ، وقارن بالمذكور والمؤنث ص : 87 للفراء * .

د - أهل نجد يذكرون مذهب تميم في التذكير .

هـ - إذا انفردت أو شردت قبيلة غير مشهورة لهجياً أو نفوذاً طبقاً

بظاهرة تذكير مطلقاً مثل شروود عكل ونجدها في تذكير الذراع ،

وانفراد أسد بتذكير الأبهام والرياح (1) ، وشذوذ قيس بتذكير

القدر ، فإن الحجاز وتيمم وسائر القبائل العربية الأخرى من حضرية

وبدوية تعاكسهما أي تؤنث ، حتى كأن تيمم والحجاز لا تكاد أن

تتفقا في التذكير والتأنيث إلا حين تختلف قبيلة مع أحدهما .

و - إن الجنس الذي ميز واحداً بهما يؤنثه الحجازيون - غالباً -

ويذكرونه التميميون - غالباً أيضاً - ومع هذه الأخيرة أهل نجد .

وكان لهذه الاختلافات اللهجية أثرها الواضح على القراءات

القرآنية أي في التراكيب التي وردت فيها كلمات من هذا القبيل ، من ذلك

أن حمزة والكسائي وأبو بكر قراءوا ((وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)) (2)

بألفاً ، والقراء الباقين بالتاء (3) ، بمعنى أن الثلاثة ذكروا لفظ السبيل

على لهجة تميم ، والباقون أنشأوا اللفظة ذاتها على لهجة الحجاز . . .

(1) لم أتطرق إلى هذه الكلمة (الرياح) في هذا البحث ، لكن الظاهر

أن بني أسد يذكرون هذه الكلمة ، إذ قال للفراء : ((الرياح : كلها إناث و

أنشدني بعض بني أسد :

كم من جراب عظيم جئت تحمله ودهنة ريحها يغطي على التفسل

(راجع المذكر والمؤنث للفراء ص : 97)

(2) سورة الأنعام آية : 55

(3) التفسير في القراءات السبع ص : 103 للداني

1- 2 : فعال المعدولة عن فاعلة :

ان المعرب عند النحاة العرب هو ما يتغير آخره بسبب
العوامل الداخلة عليه لا اختلاف بين اللغويين العرب لا يريد أن
أخوص فيه أهويد خل لفوائد دلالية أهول وصل الكلام بعضه ببعض
أم لعل أخرى ؟ ويرى النحاة العرب مرة أخرى بأن الأسماء المعربة
في العربية هي الأصل والمبنية هي الفروع (1) ، وأما البناء فهو
لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من الحركة ولا تحدث العوامل فيسه
شيئا (2) ، والمبنى في هذا التركيب بالنسبة للهجات العربية الباقية
يظهر في أربعة أقسام :

أ - ما بني على الكسر

ب - ما بني على الفتح

ج - ما بني على الضم

د - ما بني على السكون

ان المبنى على الكسر قسما ن : قسم متفق عليه بين جميع اللهجات العربية

العربية مثل هو لا ، وقسم مختلف فيه ، وهو ما كان :

(1) قطر الندى ص : 5 ابن هشام (المطبعة العربية - مصر)

(2) الخصائص 1 / ص : 57

شرح

(1) على وزن ((فعال)) التي تعدل عليها الأسماء من الأعلام
المؤنثة .

(2) ((أيس)) المراد به اليوم الذي قبل يومنا ،

وهنا يعنيها هنا ((فعال)) المعدولة عن فاعلة به حيث

تهنيه الحجاز على الكسر مطلقا ، فتقول :

ـ جاءني حذام (اذا كان مرفوعا)

ـ مررت بحذام (اذا كان مجرورا)

ـ ما فت قطام (اذا كان منصوبا)

وقال سييويه فيما جاء معدولا عن حده من المؤنث : ((واعلم

أن جميع ما ذكرنا اذا سميت به امرأة فان بني تميم ترفعه وتنصبه

وتجريه مجرى اسم لا ينصرف ، وهو القياس ، لأن هذا لم يكن اسما علما ،

... ألا ترى أن بني تميم يقولون : هذه قطام وهذه حذام (1) ، لأن

هذه معدولة عن حازمة ، وقطام معدولة عن قاطمة أو قطعة ، وانما كل

واحدة منهما معدولة عن الاسم الذي هو علم ليس عن صفة ، كما أن عمر

معدول عمن عامر علما لا صفة... وأما أهل الحجاز فلما رأوه اسما

لمؤنث ورأوا ذلك البناء على حاله لم يغيروه ، لأن البناء واحد

(1) سند مرفوع طبعها بضمة على الميم .

وهو ههنا اسم للمؤنث . . .

فأما ما كان آخره را^١ فإن أهل الحجاز وبني تميم فيه متفقون ،
ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز كما اتفقوا في يرى ، والحجازية هي
اللغة الأولى (القدمى) (١) .

وشرح السيرا في نى سيبويه بقوله : ((يعني أن بني تميم تتركوا
لغتهم في قولهم : هذه حضار وسفارة وتبعوا لغة أهل الحجاز بسبب الرا^٢ .
وذلك أن بني تميم يختارون الإمالة ، وإذا ضموا الرا^٣ ثقلت عليهم الإمالة ،
وإذا كسروها خفت أكثر من خفتها في غير الرا^٤ . . . فلذا اختاروا موافقة
أهل الحجاز كما وافقوهم في يرى . وبنو تميم من لغتهم تحقيق الهمزة ،
وأهل الحجاز يخففون ، فوافقوهم في تخفيف الهمزة من يرى)) (٢)

وعلاوة على ما جاء لدى سيبويه وتفسير السيرا في لكلامه ،
فإننا نريد أن نوضح بأن أهل الحجاز يبنون ((فعال)) المعدولة
من فاعلة على الكسر مطلقا ، كما سبق أن أشرنا ، ولذلك حين تكون علما
مؤنثا ، أي بنو تميم فإنهم قد اختلفوا في هذه التراكيب فريقتان :

(١) فريقتان منهم يعرب ذلك كله بالضم رفعا وبالفتح نصبا وجرا ، وفئة قليلة
منهم تنحو هذا النحو .

(٢) وفريقتان منهم - وهم الأكثرون - يميزون بين ما كان آخره را^٥ مشبلا
وبسار (قبيلة) ، وحضار (كوكب) ، وسفار (ما^٦) . . . فيبنونه على

(١) الكتاب ٣ : ص ٢٧٧ - ٢٧٨

(٢) م. س. ص ٢٧٨ هـ : ٢

الكسر مطلقا عملا بلغة أهل الحجاز (1) ، وأما ما كان آخره غير را ،
مثل : حذام ، وقطام ، ورقاش ، فانهم يعربونه أعراب ما لا ينصرف
مطلقا .

ويلاحظ أن التميميين قاسوا ((فعال)) المنتهية بغير الراء
على الأسماء المعدولة ثم أعربوها أعراب ما لا ينصرف للعلمية والعدل ،
فكانهم تصورا غلاب ورقاش ونحوهما معدولين من غالبه وراقشة
ثم ساعد ل عمر وجشم من عا مروجا شم .

1-3 : أمسس :

حسنون نعود إلى الكتب القواعدية التي تتحرى المعيارية
الصارمة غير آبهة بالتكلمات والعادات الكلامية والتواضعية جملة
ولا تفصيلا نجد ها تقول لنا ((أعلم أن)) ((أمس)) في كلام العرب
منسي على الكسر (سدا) (2) ، غير أن هذه الكتب نفسها تصطدم
بتراكيب مفارقة للحكم السابق فتتحفظ في قولها ، لأن من العرب من
ينهي على الفتح (3) . أما إذا ما أضيف (أمس) أو أدرخل عليه
الألف واللام فإنه يعرب ، ويمكن أن نقول : كان أمسنا طيبا . . .

(1) شذور الذهب ص : 6 ابن هشام (مطبعة السعادة - مصر)
وانظر كذلك : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص : 223 ابن مالك (دار الفكر العربي)

(2) الجمل ص : 21 الزجاجي (ط : 2/57 مطبعة كلنسكسك - باريس)

(3) م . س : ن . س

بفتح

وأما سيوييه فقال في هذا الموضوع : ((واعلم أن بني تميم
يقولون فهي موضع الرفع : ذهب أُمس (1) بما فيه ، وما رأيتَه مذ
أُمس ، فلا يصرفون في الرفع . . . ألا ترى أن أهل الحجاز يكسرونه
في كل المواضع ، ويمنون تميم يكسرونه في أكثر المواضع في النصب والجس) (2)
ويذكر سيوييه أن قوما فتحوا ((أُمس)) في مسد (3) .
وجاءت تراكيب متنوعة تنهية على لغة الحجاز ، وطورا على لغة
تميم ، فعلى لغة الحجاز الشائعة قال راجز قديم :
ما زال ذا هزيرها مذ أُمس صافحة خدودها للشمس (4)
ومتضمن تعقيب أبي زيد الأنصاري على هذا التركيب أنه قال : ((ومن
لغة هذا الراجز أن يميني أُمس على الكسر فلذلك قال : مذ أُمس)) (5)
وما سمعه أبو زيد من الرجز نقلا عن العرب قول أحد الرجاز :
لقد رأيت عجيبا مذ أُمسا عجايزا مثل الأفاعي خمسا
ياكلسن ما في رحلهن همسا لا تترك الله لهسن ضرسا (6)
ثم عقب على هذا التركيب ((قوله : أُمسا ذهب بها إلى لغة بني تميم
يقولون : ذهب أُمس بما فيه فلم يشصرفه)) (7) .

(1) أبي مرفوعا بالضم ، وكذلك التركيب الذي بعده (ما رأيتَه مذ أُمس)

(2) الكتاب : 3 / ص : 283

(3) م . س . ص : 284

(4) النوار في اللغة ص : 12

(5) م . س . : ن . ص

(6) م . س . : ص : 57

(7) م . س . : ن . ص

واذا كان الحجازيون قد اجمعوا في تراكيبهم على بنائها على
الكسر في كل حال ، فان بني تميم انقسموا في خطاباتهم فيها
ما بين حجازي وتميمي الى فريقين .

(1) فريق منهم اعرب به بالسمة رفعا ، وبالفتحة مطلقا .

(2) فريق ثان اعرب به بالضمه رفعا ، وبناه على الكسر نصبا وجرا .

واما قول الزجاجي بان من العرب من ينيه على الفتح كقول

الهمعاج السابق (1) ، فان ابن هشام لا يوافقه واصفا مذ هبه بالوهم (2) ،

مؤ ولا ان ((امسا)) في البيت فعل وفاعله ضمير مستتر ، والتقدير : مذ

امسى امسا (3) .

ان ابن هشام يقف هذا الموقف السلبي من الزجاجي على الرغم

من ان سيمويه المعروف بتشده قد اعترف بان قوما يفتحون ((امس)) ،

وعلى الرغم من ان ابا زيد نسبها الى بعض بني تميم ، ونفس الشيء ذكره

السمراني (4) ، ثم ما هذا الوهم ؟ في الواقع اللساني الحي الذي يتكلم

به الناس ويتماطونه ام في التلاويل التي قد تكون صحيحة وقد تكون مخطئة ؟ .

(1) اننا لم نذكر البيت بانّه للعجاج ولكنه موجود في ديوانه فعلا

(2) قطر النعماني ص : 6 -

(3) م : س : ن . ص

(4) راجع : الكتاب : 3 / ص : 284 هـ : 3

1-4 : في أسماء الإشارة :

من المتفق عليه بين اللهجات العربية الفصحى أن

مثنى ((ذا)) للمذكر و ((ذين)) للمؤنث هما : ((زان)) و ((تان))
 رفعاً و ((زين)) و ((تين)) نصباً وجرّاً بيد ابن الحجازية
 والتمييزية اختلفتا في جمعهما فهو في الحجازية مدور أي ((أولاء))
 وفي التميمية مقصور أي ((أولى)) (1) ، وقال ابن مالك مفضلاً الحجازية
 على التميمية :

وبأولى أشرف للجمع مطلقاً والمد أولى ، ولدى البعد انطقاً (2)

ويظهر أن من بني تميم من كان يستعمل هذا الاسم الدال على

الإشارة لغير العاقل ، علاوة على قصره عندهم ، كقول شاعرهم جرير :

ثم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأقسام (3)

وإذا كان المشار إليه بعيداً زيد في ((ذا)) كاف ولا ليصبح

((ذلك)) وهذه ، على ما يظهر لغة حجازية باعتبار أن بنمسي

تميم لا يأتون باللام مطلقاً (4) .

(1) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ص : 24 ابن هشام (ط : 1949 دار

السعادة - مصر)

(2) شرح ابن عقيل : 1 / ص : 131 (ط : 1965 / 14 مطبعة السعادة - مصر)

(3) م.س.ص : 132

(4) أوضح المسالك ص : 24

1-5 : فسي الموصولات الاسمية :

من الشائع أن شئ ((الذي)) و ((التي)) اللذان واللذان
 رفعاً ، واللذين واللتين نصباً وجراً في جميع اللهجات العربية القديمة ،
 الا عند من ألزم الشئ الألف مطلقاً ، وقد تشدد نون اللذان واللذان ،
 وقرئ بهتديد النون في الآيات الثلاث التالية :

— ((وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُم فُلَانٌ وَهَآ)) (1)

— ((رَبَّنَا ارِنَا الَّذِي يَنْ أَضَلَّانَا)) (2)

— ((فَذَانِيكَ بَرَّهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلْئِيهِ)) (3)

ومن شدد النون في الآية الثانية أعلاه ابن كثير (4) ، ويؤول
 النحاة كعادتهم أن تشديد نون شئ اسمي الإشارة والاسمين الموصولين
 هو عوض عن الألف المحذوفة في ((ذا)) و ((ثا)) ، والياء المحذوفة
 من آخر ((الذي)) و ((التي)) اثنا تشنيته (5) ، وكان التراكيب
 اللسانية أو اللغة الانسانية بشكل عام صناعة ((تفيرك)) قبل النطق

بها في كل حال .

(1) سورة النساء آية : 16

(2) سورة فصلت آية : 29

(3) سورة القصص آية : 32

(4) التيسير في القراءات السبع ج 2 : 95

(5) انظر شرح ابن عقيل : 1 / 141

وبعيدا عن كل تعسف من التأويل ، فان تشديد النون مما مضى
 ظاهرا لهجيسة لتميم وقيس (1) ، ولقد ذهب الكوفيون الى تشديد النون
 على طبيعة العلويين والتمميمين ، ولا عجب في هذا ، فالقبيلتان كانتا تقطنان
 موجا ورتين ، وهما متأثرتان ببعضهما بعضا في اكثر من مستو لهجي
 واحد ، وما كان يرويه جماع اللغة الكوفيون من احدا هما قد يكون
 بمشابهة ما كانوا يروونه من الاخرى في بعض المسائل اللغوية ، زيادة على
 مناسبة هذا مذهبهم القائم على الشوارد والنوارد الى جانب الكثرة خلافا
 للبصريين الذين لا يقلون القياس الا على ما اطرده غمرا في اللهجة او
 اللغة واقع لساني اجتماعي لا يرد القياس البصري ولا يعلي من شأنه
 القياس الكوفي ، لأنه واقع لساني قائم بذاته من حيث كونه نظاما محكما
 بعنا صرتصل بذات اللغة اتصالا ، وواقع لساني اجتماعي قائم في كل
 خطاب اكتسب عاداته التواصلية بهذه الصورة وتلك ، وبهذه الصورة
 دون تلك .

وأما حذف النون من آخر مثنى الذي والتي فقد ورد في اشعار
 الفحول ، وأستبعد استبعاد اسأل يكون هذا ايضا من الشرورات
 الشعرية ، ان قال العديل بن الفرخ العجلي :

هما كنا الأرض للذا لو تزعزعا تزعزع ما بين الجنوب الى الشد (2)

(1) أوضح السمسالك ص : 25

(2) حماسة أبي تمام : 2/ ص : 738 (ط : 1/ 1959) ، القاهرة

وقال الأخطل :

أهنسي كليب : ان عمي اللبذا قتلا الطوك وفككا الأغلا (1)

وقال أهنسا :

هما اللتسا لوولد ت تميم

واذا كان قد ظهر لنا أن تشديد نون مشى الاسم الموصول لغة لقيس

وتميم ، فإن حذف النون منهما لغة بلحارث بن كعب وبعض ربيعة (2) .

وبنو الحارث بن كعب بطن من مذحج من القحطانية (3) ، ولهجة

مذحج من اللهجات العربية التي وصفها الهمداني حتى نهاية القرن الثالث الهجري بالفصاحة ...

و ((الأولى)) أو ((الأولى)) ، جمع العاقل المذكر ، وهسي

مقصورة وقد تمد ، فالقصر مثل قول العديل بن الفرخ العجلي :

ظلمت أساقي الهم اخوتي الأولى أبوهم أبي عند المزاح وفي الجسد (4)

والمد مثل قول خلف بن خليفة :

الى الغفر البيض الأولاد كأنهم صفائح يوم الروح أخلصها الصقل (5)

والأولى والأولاد في معنى الذين ، ويمكن نسبة القصر الى تميم ، والمد الى

الحجاز ما دامت كل لهجة منهما تتميز بأحد ظاهرتي القصر فقط أو المد فقط (6) .

(1) الموشح ص : 200

(2) أوضح المسالك ص : 25

(3) نهاية الأرب ص : 40

(4) حماسة أبي تمام : 2 / ص : 731

(5) السابن : 4 / ص : 1768

(6) راجع البحر المحيط : 1 / ص : 138

وأما الذين ، فان الأشهر فيها أنها بالياء ، غير أنها قد ترفع
بالواو ، وعقيل وهذا هما اللتان تعربان هذا الاسم رفعاً بالواو
ونصباً وجراً بالياء (1) ، وهو لا ، قد يكونون عاملوها معاملة أعراب
جمع المذكر السالم ، وقال سائر جاهلي مختلف في نسبه :

نحن الذون صبحوا الصبا حـ يوم النخيل غارة ملحاحا (2)
الا أن أبا زيد الأنصاري قال : ((قال أبو حروب بن الأعم من بني عقيل
وهو جاهلي :

نحن الذين صبحوا الصبا حـ يوم النخيل غارة ملحاحا
نحن قتلنا الملك الجحبا حـ ولم ندع لسارح منرا حـ
الاديارا أودما فحاحا نحن بنو خويلد صراحا
لا كذب الموم ولا مزاحا (3)

وعلى الرغم من ورود هذا الاسم مرسوماً بالياء ، باللغة الشائعة
فان النسبة للهجية شائعة فيها لعقيل ، لأن أبا زيد نفسه يقول مرة أخرى
في نفس المرجع : ((وسمعت رجلاً من بني عقيل يقول : هم الذون ، قالوا
ذاك ، ولم يقيم للذين)) (4) .

أما ((ذو)) فيستعملها الطائيون استعمال الموصول كاسم للعاقل
وغير العاقل ولغاتهم فيها في كل التراكيب أن تكون بلفظ واحد مذكراً

(1) شرح ابن عقيل : 1 / ص : 44 و قطر الندي ص : 39

(2) م. س. ه. ن. ص

(3) النوادر في اللغة ص : 47 - 48

(4) م. س. ه. ص : 89

ومؤنثا مفردا ومثنى وجمعا، وقال شاعرهم : وقد أدرك الاسلام :

فان بيت تميم ذ وسمعت به فيه تنمت وأرست عزها مفسر (1)

وقال طائي آخر :

فان لم تغير بعض ما قد صنعت لا تحين للعظم ذ وأنا عارقه (2)

ومن مظاهرا عرابها قول غسان بن ولة العربي العبادي :

فما كرام موسرون لقيتهم فحسبي من ذي ما عندهم ما كافيا (3)

ومن مظاهرتذ كبرها وتأنيشها قول سنان بن الفحل الطائي :

فان الماء ما أبي وجدي وبثري ذ وحفرت وذ وطويت (4)

وقال حبيب بن أوس الطائي :

أنا ذوعرفت فان عرتك جهالة فأنا المقيم قيامة العذال (5)

وقال الحسن بن هاني :

حب الدامة ذ وسمعت به لسم يبق في لغيرها فضلا (6)

وقال الحسن بن وهب الحارثي :

أنا ذ ولم يزل يهون على الذ ما ن ان عصير جانب الندمان (7)

(1) النوا در في اللغة ص : 61

(2) م.س : ن.ص

(3) شرح ابن عقيل : 1 / ص : 150

(4) م.س. : ن.ص (هوا مش)

(5) الكامل : 3 / ص : 219

(6) م.س : ن.ص

(7) م.س : ن.ص وهو على المبرد على هذه التراكيب : (ومن ظرفا المحدثين
اليمانية من يعمل هذا اعتما دالا يشار لفة قومه) (الكامل : 3 / ص : 219)

1-6 : فسي الأسماء الستة :

من الشائع في اللهجات العربية الباقية المعتمدة من المجتمع اللغوي العربي بشكل عام أن الأسماء الستة تعرب بالوا ورفعا، وبالالف نصبا، وبالياء جرا.

وفي مذ هب ابن مالك أن الأسماء الستة تعرب بهذه الحروف الثلاثة (الصوائت الطويلة) نهاية عن الصوائت الثلاثة القصيرة، ولكن ابن عقيل يخالفه، والصحيح لديه أنها معدومة بحركات مقدرة على الواو والالف والياء (1) .

ومن يذهب مذ هب هذه التقديرات الخيالية هنا، فينهني له أن يعرب كذلك جمع المذكر السالم، وكذا الثنئ بحركات مقدرة لكون الصوائت الثلاثة تنوب عن الحركات الثلاث فيها (الالف والياء في الثنئ) (والوا والياء في جمع المذكر السالم) .

ومن العرب من ينقص (ائها، ائخا، حما) بحذف الواو والالف والياء منهم، ويعربهم بالحركات الظاهرة على الياء والخاء والميم، وعلى هذه اللغة، قال العجاج :

بأبيه اقتدى علي في الكرم ومن يشابهه أبيه فما ظلم (2)

(1) شرح ابن عقيل : 1 / 44

(2) م. س. ص : 49 - 50

ومن العرب من يلزم هذه الأسماء الثلاثة (الألب ، الأخ ، الحم)
الألف أبداً أي في جميع الأحوال أعربها ، ومن هذا قول ابن الأنباري
في شرح قول زهير المشهور :

سئمت تكاليف الحياة ومن بعض ثمانين حولاً لا أنبالك يسأماً
((والألب منصوب بـلا على التثنية ، ولك خبر للتثنية ، وهذه اللغة العالية ،
وهي مبنية على لغة الذين يقولون : قام أبك ، وأكرمت أبك ، ومرت
بأبك ، ويقال على لغة الذين يقولون : قام أبك ، وأكرمت أبك ، ومرت
بأبك) (1)

وتوجد هذه التراكيب السانتكسية متفشية في أشعارهم الماثلة
في مختلف الكتب التراثية القديمة ، ويظهر أنها تراكيب تعود إلى تعابير
فصيحة قديمة قدم اللهجات العربية ذاتها ، من ذلك أن أباً زيد الأنصاري
قال : ((وأشدني المفضل لرجل من بني ضبة هلك منذ أكثر من مائة سنة ؛
ان لسعدن عندنا يسوانا يخزي فلانا وابنحه فلانسا
كانت عجوزا عرت زمانا وهي تسرى سيثها احسانسا
أعرف منها الألف والعينانا ومنخران أشهبها ظهبانسا (2)
وظبيان اسم رجل ، أراد هذا الشاعر الضبي أن يقول : منخري

(1) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص : 8 و 8 2

(2) الخوار ص : 15

ظبيان فحذف المضاف اليه، فهذا الشاعر ألزم ((العينانا)) الألف مع
أنه منصوب ، لأنه معطوف على ((الانف)) (مفعول به منصوب) لأن
((العينانا)) هنا مثني العين (خسارة الرئيسية) ، ولأنه يعدر صفات
وجه هذه العجوز ، وكذلك ألزم ((منخران)) الألف مع أنه منصوب .

1- 7 : المثنى :

ليس موضح التثنية في اللهجات العربية القديمة أمرا غريبا
في تعدد تراكيبه السانتكسية على خلافه في العربية العامة أو المشتركة ،
لكن غرابته تكمن في ثبوته في هذه اللهجات واختفاؤه من كثير من
اللغات التي سبقت أو عاصرت هذه اللهجات سواء تعلق الأمر بلغات
متماهرة معها أو أجنبية عنها ، وما هو مؤكد أن ظاهرة التثنية
وجدت ((في اللغات السامية ، واللغة اليونانية ، وفي السنسكريتية ،
ولها آثار في اللغات الجرمانية ، ولكننا نستطيع أن نقرر أن التثنية
ظاهرة سامية أو قل عربية قد كل شي*)) (1) .

وعلى الرغم من بروزها في الساميات القديمة إلا أنها لم تلتفت
الانتباه بشكل جلي إلا في العربية ، فهو مثلاً قد زال نهائياً من اللغة السريانية
ولم تبق فيها إلا خمس كلمات تحمل صيغة المثنى (2) .

(1) فقه اللغة المقارن ص : 75

(2) م.س.س. ص : 79

وفي لغة العرب الدائمة أو المشتركة أن الشئ يرفع بالآف ويتصب

ويجر بالياء ، إلا من العرب من يجعله هو والحق به بالآف مطلقا :

رفعا ونصبا ، وجرا ، كقول بعض أهل اليمن :

أي قلوب راكب تراها طاروا عليهم فشمل علاها

واشدد بمتني حقب حقواها ناجية وناجيا (1) ياها (1)

ويتناقل اللغويون تركييين مشهورين : أحدهما بيت شعر وهو :

إن أباه وأبأ أباهما قد بلغا في العبد غايتها

حيث اختلفوا في نسبته واسمه اختلافا كثيرا ، وثانيهما قوله تعالى :

((إِنِّ هَٰذَا نِ كَسَا حِرَانِ)) (2)

ولا ستعراض هذه التراكيب الساكنة غير المتطابقة ، نرى

أنه من الفائدة للموضوع أن نورد أوجه القراءة لهذه الآية .

(1) قراء ابن كثير وحفص باسكان نون ((ان)) والباقون قراءوها بتشديد

(2) قراء ابن كثير بتشديد النون في هذين والباقون بفتحها .

(3) قراء أبو عمرو بن العلاء : ((هذين)) بالياء ، والباقون بالآف . (3)

(1) الجينوار في اللغة ص : 58 ، ثم أورد أبو زيد : ((القلوب مؤنثة ،

وعلاها أراد عليها ، ولغة بلحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح

ما قبلها ألفا يقولون : أخذت الدرهمان ، واشتريت ثوبان ، والسلام عليكم ،

وهذه الأبيات على لغتهم . وأما أباه فيمكن أن يكون أراد : أبوها فجاء به

على لغة من قال هذا أباه في وزن هذا قفاه (. . .) (السابق ص : 58)

(2) سورة طه الآية : 63

(3) التيسير في القراءة السبع ص : 151

ويتضح من هذه الأوجه الثلاثة أن :

- (1) من قراءها سكان نون ((ان)) لا أشكال في قراءته ما دام أنه قد قراها على لغة أهل التخفيف والالفاء ، وصاحبها هذه القراءة هما ابن كثير وحفص عن عاصم .
 - (2) أنها عروقا على اللغة المشهورة ، إذ نصب بالياء ، ورفع بالالف ، وباعمال ((ان)) على القاعدة المطردة المألوفة .
 - (3) الباقيين ، وهم نافع المدني (169 هـ) ، وابن عامر الشامي (128 هـ) ، وحمزة الكوفي (156 هـ) ، والكسائي (189 هـ) تلميذ السابق قراءوا ((هذان)) بالالف مع أنهم شددوا نون ((ان)) .
 - (4) ابن كثير المكسي (120 هـ) انفرد بتشديد النون في ((هذين)) على لغة قيس وتميم .
- وفي الحجة لابن خالويه أن من قراء ((هذان)) بالالف مع تشديد النون في ((ان)) ، قراءها على لغة بلحارث بن كعب خاصة ، لأن هو لا يجعلون التثنية بالالف في كل وجه ، ونسب البت السبق :
 ان أباها وأباهاها قد بلغا في الجسد غايتها
 إلى شاعر منهم (بلحارث) لم يسمه (1) .
- وفي مصدر آخر أنها لبلحارث بن كعب وخثعم ، وزبيد .

(1) راجع الحجة في القراءة السبع ص : 217 لابن خالويه (ط : 1971 دار الشرق - بيروت)

وكنانة ، ((وقبائل أخرى تستعمل الشئ بالالف مطلقا)) (1) ، ونسبها
الكسائي إلى بني الحارث بن كعب ، وخثعم ، وزبيد ، وهمدان ، وبيننا
عزاه البعض الآخر لبني العنبر ، وعذرة ، ومراد (2) ، كما نسبت أيضا
إلى بني الهجيم ، وبطون من ربيعة وبكر بن وائل (3) .
ومما يراه البعض الآخر أن ((ان)) في صدر الآية المختلف
في قراءتها كاختلاف الهنات الساكنة اللهجية نفسها في الشئ تعني
معنى ((نعم)) أو أجمل (4) ، وهذه التأويل لا حظ لها ، وفي نظرنا ،
أما التفسير الواسع لهذه البنية والتي تتكلم بها لهجات عربية واسعة (5) .
وقد تفتح نون الشئ أيضا في بعض اللهجات العربية
الأخرى ، كقول حميد بن ثور الهلالي :
على أحوز يمين استقلت عشيمة فما هي إلا لمعة وتغيب (6) ،
وفي هذا يقول الأستاذ عبد العزيز الميمني : ((وقد استشهد النحاة بهذا
البيت على فتح نور الشئ والقياس كسرهما ، والفتح هنا ليس ضرورة شعرية ،
فإن وزن البيت يستقيم من الكسر ، وإنما الفتح لغة بني أسد نقلها الغراء عنهم ،
كما جاء الضم في بعض اللغات)) (7) .

-
- (1) شذور الذهب ص : 47
 - (2) الحجة في القراءات السبع ص : 217 هـ : 4 لابن خالويه
 - (3) البحر المحيط : 6 / ص : 255
 - (4) انظر هذه التفاصيل في : ظاهرة الاعراب في النحو العربي ص : 123 - 127
 - (5) انظر هذا الموضوع في : العربية بين الطين والتطبيع ص : 88 - 93
 - (6) ديوان حميد بن ثور الهلالي ص : 55
 - (7) م.س.ص : 55 (هامش) .

1 - 8 : جميع المذكرات السالمة :

جميع المذكرات السالمة من التراكيب السانتكسية المختلفة التي ظلت
تفذي الخطاب العربي القديم جاهليا واسلاميا ، وبنيتهما الارابية فيها
ليس على نحو ما هو شائع في العربية المشتركة ، والتي تتجلى بوضوح في
اعرابه رفعا بالواو والنون ونصبا وجرا بالياء والنون ، بل باظهار
الحركات القصيرة على النون وعدم حذف هذه النون حتى في حالة
الاضافة .

بعض العرب يقصرون في الرفع : هذه سنينك ، ومرة سنينك (1)
ومرة بسنين ، ذاكرين لنا ان هذا الباب مقصور عند هم على السماع .
ومن هذه التراكيب التي وردت فيه ((السنون)) مضافة دون حذف نون
الجمع فيها قول قطيب بن سنان الهجيمي :

أحين صفحت ثم صفحت عنكم علانية وأفلح مستشير
سنينسي كلها فأنشبت حربا أعبد مع الصلابة الذكور (2) .

وقال الصمة بن عبد الله :

ذرا نى من نجد فان سنينه لعين بنا شيبها ، وشيبتنا مردا (3)

(1) مجالس ثعلب ق : 1 / ص : 266 ط دار المعارف - مصر

(2) النوارى في اللغة ص : 162

(3) مجالس ثعلب ق : 1 / ص : 147

بينما قال جرير :

أرى من السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال (1)
وقال آخر :

ألم تسق الحبيب - سلي معدا - سنيننا ما تعد لنا حسابا
وقال سحيم بن وثيل الرياحي في كسرون جمع العذكر السالم في الاضافة :
وما ذا يعني الشعراء منحي وقد جا وزت رأس الأربعمسن ؟ (2)
وقال ذو الاصبغ العدواني :

اني ابيس رأيتني ومحافظة وابن أبي أبي من أبيس
وقال جرير ايضا :

عرفنا جعفرأوبني أبيه وأنكرنا زعانف آخريس
وملخص هذا النوع من التراكيب اللهجية أن ((اللغة الفصحى ،
وهي لغة الحجاز ، وعليها قيس من مضر ، قولهم : (السنون) رفعا ،
(السنين) في النصب والجرح ، وشذ بنو تميم من مضر وبنوعا من قيس عيلان
عن هذه القاعدة فأعربوا : (السنين) بالضم والفتحة والكسرة ، ووثقها
بنوعا م)) (3) .

ولا يمكن فهم النمر السابق الذي اقتصر على ذكر (السنين) الا كشاف

على بقية ما تعامل به بعض اللهجات العربية جمع العذكر السالم بشكل عام .

(1) شرح ابن عقيل : 1 / ن : 64

(2) مجاليس ثعلب ن : 1 / س : 176

(3) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 35

1- ن : في المنوع من الصرف :

سيس أن أنثرنا حين تحدثنا عن البناء والمعرب إلى أن ما كان على وزن فعال (من العلم) مختوما بالراء ، فإن الحجازيين لا خلاف بينهم في بناءه على الكسر ، وذهب في هذا معهم التميميون أيضا ، غير أن الحجازيين يبنون كل ما كان على هذا الوزن سوا * كان مختوما بالراء * أم بغيرها من الحروف على خلاف التميميين الذين يعاملون ما كان مختوما بغير الراء معاملة المنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أول للعلمية للعدن .

وخلاصة هذه المسائل كما يلي :

1- ن : علم المؤنث على وزن فعال :

للعرب في هذا الاسم لهجتان :

- (1) بنو تميم يعربونه أعراب ما لا ينصرف للعلمية والعدن ، فيقولون : (ر هذه قطام قد جاءت) ، (برفع قطام على أنها خبر) (1) .
- (2) أما أهل الحجاز فيقولون : (ر هذه قطام قد جاءت) بالكسر في قطام (2) ، وعلى لغتهم جاء التركيب المشهور :
- إذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام (3)

(1) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 76 لا أثر اسحاق الزجاني (ط : 1371 مطابع الأهرام التجارية - القاهرة)

(2) م . س . ص : 75

(3) ينسب البيت لأكرم شا عرجا هلي هو البيت موجود في مختلف المصادر ومنها :
الكامل : 71/2 ، ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 75

(3) اذا كان آخر الاسم را ، فان بني تميم وأهل الحجاز - كما أشير -
 مجمعون على كسره (د) ، وهذا ما قطع به الزجاج خلافا لما نعتت عندهم ،
 ان بنو تميم في هذه الحالة أن لا أكثر منهم يميز ما كان آخره را فيبينه
 على الكسر عملا بلفظة أهل الحجاز ، وأما الباقي منهم فقد يعربونه
 اعراب ما لا ينصرف ، كما في بيت الأعرابي :

ومرد ضر على وبسار فهلكت جهرة وبسار (2)

حيث منع ((بار)) الموجودة في العروس من الصرف .

1- 2- 3 : أميس :

(1) يبينه أهل الحجاز على الكسر

(2) بنو تميم يمنعون صرفه مطلقا ، وهو في نظرهم معدول عن الأميس

(3) جمهور بني تميم يخصصون أميس في حالة الرفع كقول الشاعر :

اعتصم بالرجاء ان عن بأس وتناس الذي تضمن أميس (3)

بينما ذكر ابن هشام أن هذا الجمهور يعربه اعراب ما لا ينصرف في حالة

الرفع خاصة ، ويبينه في حالتي الجر والنصب (4) .

(4) ذكر الزجاجي أن من العرب من يبينه على الفتى ، إلا أن ابن مالك

ينكر أن يكون بناؤه على الفتى لغة (5) ، وأذا نكرا وكسرا وصغرا و

(1) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 76

(2) م. س. ص : 77

(3) أوضح المسالك ص : 207

(4) شذور الذهب ص : 100

(5) التسهيل : 95

(6) م. س. ص : 95

أُضيف أو عرف بالالف واللام فيمر بيا جماع ساثر اللهجات الفصحى (1)

1- 3 : الصفة وزيادة الف والنون :

المشهور في لهجات الجمهور أن فعلا ن تنفع من الصرف

للصفة وزيادة الف والنون ، على أن مؤنثها فعلى ، ولا يقال : فعلا نة .

أما إذا كان مؤنثها موجودا على فعلا نة فان فعلا ن تصرف عندئذ مثل :

رجل سيفان (طويل) ، لأن مؤنثها سيفانة أي فعلا نة .

لسكن بني أسد كانوا يصرفون فعلا ن وما نا ظره استغنا .

فيه بفعلا نة عن فعلى (2) ، ومن نحو هذا التركيب يظهر أن كل ما كان

مؤنثه فعلا نة قد يرجع إلى اللهجة الأسدية ، وقد يكون بنو أسد

نحو هذا النحو هرويسا من منع فعلا ن في المذكر من الصرف .

1- 9- 4 : صيغة منتهى الجموع :

لعسل خير من يمثن ابرا زهذه التاكيب على حقيقتها القراءات

القرآنية ، فقد اختلف القراء في قراءة قوله تعالى :

((إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا)) (3) .

ان قرأنا فع والكسائي وأبو بكر وهشام ((سلا سلا)) بالتثنية ، وقرأ

الباقون بغير تنوين . (4)

كذلك اختلفوا في قراءة قوله تعالى :

(1) التسهيل ص : 85

(2) م.س.ص : 218

(3) سورة الانسان آية : 4

(4) التيسير ص : 217

((وَأَكْثَرُ قَرَأَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِصَّةٍ)) (1)

حيث قرأ نافع والكسائي وأبو بكر بالتنوين في قوله ((قوارير قوارير))
في حين أن ابن كثير قرأ الأولى منهما منونة والثانية منهما بسد ون
تنوين فيهما (2) .

والملاحظ على هذه القراءات المتعددة المستويات لهذه الصيغة
أن الكسائي كان مولى لبني أسد (3) وكذا أبو بكر (شعبة بن عياش)
كان مولى لهم (4) ، وأما هشام فهو شامي من مدرسة ابن عامر ، وعليه
فالأولان كوفيان ، وكلاهما كان مولى لبني أسد ، والكسائي يعد واحدا
من جمع اللغة عنهم ، مما يدل على أن اللهجة الأسدية كانت على رؤس
اللهجات العربية التي تصرف صيغتي (مفاعل ومفاعيل) .

وأما نافع المدني فقرأ الآيتين على اللهجة الأسدية ، ومثله ابن
كثير في تنوين ((قوارير)) الأولى .

ويذهب البعض مذاهبا تأويليا تصفيا غير مقبول عندنا البتة على
الأقل من الوجهة الوصفية والوقائعية اللسانية التوافقية العارضة الموروثة سماعا
عن أقوام بها عيانهم ، إذا يذهب هؤلاء إلى أن قراءة بعض القراء الذين
صرفوا فيهما وفي غيرهما يراود بها التماس (5) .

(1) سورة الانسان آيتا : 15 و 16

(2) التيسير ص : 217

(3) م.س.ص : 7

(4) م.س.ص : 6

(5) انظر مثلا : شرح ابن عقيل : 2 / 33 وأوضح المسالك ص : 208

1- 9- 5 : العلم في اللسان الأعجمي الزائد على ثلاثة أحرف :

على الرغم من أن صرف ما لا ينصرف ظاهرة شائعة في جميع اللهجات الفصحى ، إلا أن أشهرها بنو أسد ، حتى أن صاحب التحاف يذكر أن لهجة بني أسد الصرف مطابقا (1) ، ومن هنا نجد اختلاف بني تميم مع الحجازيين في صرف بعض ما ذهب الحجازيون إلى بناءه لتناسب التميميين في الجوار والبدواة مع بني أسد وسط الجزيرة العربية ، وليس هذا التأثير مقصورا على هذا المظهر اللهجي وحده بل هو موجود في تراكيب أخرى شتى .

ومن قراء على اللهجة الأسدية الأعشى في قوله تصعالي :

((وَلَا يَغْنُونَا وَيَعُوقَا)) (2)

بتنوين كلا العلمين (3) ، ونحن نعلم أن الأعشى ممن أخذ عنه أساتذة حمزة بن حبيب ، وهذا الأخير كان أستاذ اللكساني في القراءة .

1- 10 : في الضمائر :

1- 10- 1 : يا * الاضافة

مما قاله سيويه في باب اضافة المنقوص الى اليا * التي هي علامة

المجرور المضمَر : (ا علم أن اليا * لا تغير الألف ، وتحركها بالفتحة لئلا يلتقي

(1) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص : 82

(2) سورة نوح آية : 23

(3) اوضح الصالك ص : 208

ساكنان . وذلك قولك : بشراني ، وهداني ، وأشاني .

وناس من العرب يقولون : بشريّ وهدنيّ لأن الألف خفية ،

والياء خفية فكانهم تكلموا بواحدة فأرادوا التبيان ، كما أن بعض

العرب يقول : أفعي لأف في الوقف ، فإذا وصل لم يفعل .

ومنهم من يقول : أفعي في الوقف والوصل ، فيجعلها ياء ثابتة (1)

ولواحب سيويه أن يعزوها لما تعذر عليه أن يقول : إن هذه

الظاهرة اللهجية لهجة هذلية (2) خاصة وإن الأصمعي الذي لبث

السنين بين الهذليين رواها أيضا (3) ، وقال شاعرهم الكبير أبو

ذؤيب مدغما هذه اليا * المضافة في الاسم المقصور :

سبقوا هويّ وأغنقوا لهواهم فتخرمينوا ولكل جنب مصرع (4)

هذا ، وقد تفاوت القراء في قراءة قوله تعالى :

((إِنَّا صَلَاتِي وَنُسُكِي رَحِيمًا وَمَسَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) (5)

حيث سكن نافي ياء (6) ، بعد الألف (6) ، وحتى وإن جاء

اسكانها نادرا (7) ، وقد تكسر اليا * بعد الألف في بعض اللهجات

(1) الكتاب : 3 / ص : 413 - 414

(2) شرح ابن عقيل : 2 / ص : 85 ، والتسهيل لابن مال : ص : 46 ...

(3) المفضليات ص : 854 المفضل الضبي (مطبعة المدني - القاهرة)

(4) ديوان الهذليين : 1 / ص : 2 (ط : 1965 دار القومية القاهرة)

(5) سورة الأنعام آية : 162

(6) التيسير ص : 105 - 106

(7) أوضح المسالك ص : 142

غير مسجل

كقراءة الأعمس والمسين : (رَقَالَ : هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا) (1)

بكسر اليا * في عَصَايَ (2) ، واختلفوا أيضا في قوله جل ثناؤه :

(مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ، وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) (3) .

انذ قرأ حمزة بكسر اليا * في جمع المذكر السالم (بمصرخي) ، وهذه

اللفظة حكاهما الفراء وقطرب ، وأما أبو عمرو ، وأما الباقون فقرأوها

بفتح اليا * (4) .

أما كسر اليا * في الاسم المقصور ، وفي اليا * المضاف إليها

جمع المذكر السالم ، كقراءة تي الأعمس والحسن وكذا حمزة فلسفة

مطردة في بني يربوع (5) ، وهم بطن من حنظلة من تميم (6) ،

ومن المرجح جدا أن كلام الفراء وقطرب قد نقل هذه اللهجة

عن بني يربوع ، ثم إن أبا عمرو لم يجزها إلا لتأكد من فصاحتها .

1 - 10 - 2 : ضمائر متفرقة :

T - (رَأَيْتُ) : تفاوتت القراءات في حذف الألف من هذا الضمير في

حالة الوصل في كل القرآن إلا أبا جعفر ونافعاً قرأ بتثبيت الألف في

الوصل إذا لقيتها همزة في جميع القرآن ، إلا في قوله تعالى :

(لَإِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (7) .

(1) سورة طه آية : 18

(2) أوضح المسالك ص : 142

(3) سورة إبراهيم آية : 22

(4) التيسير ص : 134

(5) أوضح المسالك ص : 142

(6) نهاية الأرب ص : 150

(7) سورة الشعراء آية : 115

فانهما يطرحا نهما ، ولم يختلف القراء في اثباتها في حالة الوقف (1) .
ومما لا شك فيه أن التراكيب الواردة متباينة في هذا الضمير محالة
الى لهجات فصيحة منسوبة لأقوام بأعيا نهم ، حتى ان الأشمونى صرح
أن في هذا الضمير خمس لهجات ، فصحا هو اثبات الألف فيه وقفا ،
وخذفها وصلها ، أما اثباتها وصلها ووقفا فهي لهجة تميمية (2) ،
وفي مصدر آخر ((أنا محذوف الألف في وصل عند غير بني
تميم)) (3) .

والعالمان أعلاه كلاهما متفق مع على أن هذه اللهجة

لبنى تميم .

وفي بعض المباحث الحديثة أن الحجازيين ينطقون بألف
(أنا) وقفا ، ويخذفونها وصلها ، وتوافقهم تميم في الوقف ، وتخالفهم
في الوصل ، فان قبيلة تميم تظهر الألف في الحالتيهن ، ويقلب أهل اليمن
ألف (أنا) ها ، وفي (أنا) لغات مجهولة مثل (آن ، وأن) (4) .
وبالنسبة لضمير الغائب من هو وهي ، كان أبو عمرو والكسائي
يسكنان الهاء من هو وهي اذا كان قبلها واو ولا م ، وزاد الكسائي
على أبي عمرو أن سكنها مع شم في قوله تعالى :

((شَمَّ هَوَيْوَمَ الْقِيَامَةِ)) (5) .

(1) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص : 160

(2) م.س.ص : 161

(3) التسهيل ص : 25

(4) اللهجات العربية القديمة ص : 36-37

(5) سورة القصص آية : 61

وقرأها معه قالون (1) .

وبينما تخبرنا المصادر المهمة بهذا النوع من التراكيب أن تسكين

الضمير المتصل (الها) هي لغة لبني عقيل ومعهم بنو كلاب ، فان

أما الحسن الأخفش (أبي الأخفش الصغير) حكى أن تسكين الها في

هذه الظاهرة لغة لأزد السراة كقول الشاعر :

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش إلا لأن عيونه سبل وأديها (2)

حيث السكون على الها في ((عيونه)) . أما أبو حيان الفرناطي

فقد ذكر أن تسكين الها لهجة لكتاب وعقيل ، وأنهم كانوا يقرأون :

((لِرَبِّهِ لَكَنَوُودُ)) (3) . وعلى هذا ، فان هذه التراكيب والقراءات

تنسب إلى كل من عقيل وبني كلاب وأزد السراة .

وبعض القائل أن العرب يكسرون هذا الضمير المتصل إذا

ما وقع بعد حرف جر كضمير فائب للمذكر المجموع ، ونعت اللغويون هذا

النطق على هذا النحو بالوهم (4) .

وبشأن تسكين الواو من هو والها من هي قال بعض الشعراء :

غفلت ثم أتت ترقبه فاذا هي بي بعظام ود ما (5)

(1) التيسير ص : 72

(2) الخصائص 1 / ص : 128

(3) البحر المحيط : 2 / 499 والآية من سورة العاديات رقم : 6

(4) المزهر 1 / ص : 222

(5) الحجة في علل القراءات السبع 1 / ص : 100

وذكر أبو علي الفارسي أن تسكين الياء هنا ضرورة شعرية (1)،

وقال الآخر في تسكين الواو من هو :

وكنا إذا ما كان يوم كريهة فقد طموا أني وهو فتيان (2)

والواقع أن تسكين الياء من هي والواو من هو هي ظاهرة لهجسية

لقيس وأسد (3) وليست ضرورة شعرية في شيء .

وقد تحذف الواو والياء من هـ من الضميرين المنفصلين كقول

الشاعر :

فبينما يشرى رحله قال قائل : لمن جمل رخو البلاط نجيب (4)

حيث حذف المتكلم الواو من هو بعد بينا ، كما حذف متكلم آخر الياء من

هي في نحو التركيب : ((ازه من هواكا) (5) .

وقد تشدد الواو من هو والياء من هي كما جاء على لسان

يزيد بن أبي أسنود النهشلي :

ألا هي ألا هي قد عها فانما تمنيك ما لا تستطيع غرور (6)

حيث سكن الياء من هي (الأولى) وشدد الياء من هي (الثانية)

بـل نونها وكسرهما ، لأن الشطر الأول ~~موزون~~ على نحو :

(1) الحجة في علم القراءات السبى ص : 100

(2) الضرائر ص : 177 الألويسي (ط : 341 هـ المطبعة السلفية - القاهرة)

(3) التسهيل ص : 23

(4) الحجة في علم القراءات السبى ص : 100

(5) م. ن. ص

(6) النوادر في اللغة ص : 122

فَعُولُن مَفَاعِلُن فَعُولُن مَفَاعِلُن

مما يدل على تشديد الياء من هي الثانية ، وأن تنوينها بالكسر واية

سليمة ، وقال الآخر في تشديد الواو من الضمير هو :

وان لسانني شهدة يشتقى بها وهو على من صبه الله عقيم (1)

وفي بعض المصادر النغوية التي وقفت عليها أن تشديد الياء من هي

والواو من نسولهم مفعولة لأش همدان (2) ، وأما حذف الواو

أحياناً من النسيب إذا ما وقع بعد ألف ساكنة فتنسب إلى بني أسد (3)

وفي ضمير الفاعل المتصل في حالة اثباته أو حذفه أو إضباعه

تراكيب متنوعة واسعة هي في حد ذاتها يجب أن تكون بحثاً مستقلاً ،

وفي هذا الباب يقول سيويو : (ر) وإذا كانت الواو والياء بعد الميم

التي هي علامة الإضمار كنت بالخيار : إن شئت حذفته وإن شئت أثبتته

فإن حذفته أسكنت الميم .

فلا ثبات : عليكمم ، وأنتمم زاهبون ، ولد يهيمم ما (((4)

ثم استطراد قائلاً : (ر) لما كثر استعمالهم هذا في الكلام واجتمعت الضمات

مع الواو والكسرتان مع الياء ، والكسرات مع الياء ، نحو يهيمم ذا ، والواو

مع الضمتين والواو ونحو أيوهمو ذاهب ، والضمات مع الواو ونحو : (ر) رُسُلُهُم

بِالْبَيِّنَاتِ (((ق) حذفوا كما حذفوا من الياء في الباب الأول (((5) .

(1) الضرائر ص : 175 للأوسى . (2) التسهيل ص : 26

(3) اللهجات العربية القديمة : 37 . (4) الكتاب : 4 / ص : 181

(5) سورة الأعراف آية : 101 (6) الكتاب : 4 / ص : 182

راشيان الضمير الغائب وا والفة نسبها سيويه الى أهل الحجاز ،

اذ قال : ((وأهل الحجاز يقولون : مررت بسهو قبل ، ولد بهو ما لآه

ويقولون : ((فخشفنا بهو ووبدار هو الأرض) ((1) .

وأما كسر هذا الضمير المتصل في مثل : منهم ، فنسبها لقوم من ربيعة (2) .

بينما كسر ضمير المخاطب (الكاف) في نحو : بكم ، أحلامكم ، فقد عرأ هذا الناس

من بكرين وائل ، واعتبر هذه التراكيب من اللغات الرديئة (3) .

وأما أبوزيد الأنصاري فقد قال : ((وقال رجل من بكرين

وائل : أخذت هذا منه يا قتي ومنهما ومنهم فكسر الاسم الضمير في الإدراج

والوقف ... وسمعت أعرابيا من أهل العالية يقول : هولك ، وطيك ،

هولك ، وطيك ، وجعل الله البركة في دارك ، هذا في الوقف ،

ومما أكرم حسبك في الوقف ويطرحها في الإدراج ((4) .

وتفاوت القراء في ضم الهاء من عليهم ، فقرأ حمزة وحسد

((عليهم) ((بضم الهاء ، وكذلك : لديهم ، والهم ، هذه الثلاثة أحرف بالضم

واسكان الميم ، وقرأ الباقيون : عليهم وأخواتها بكسر الهاء (5) ، وضم الهاء

مع الميم - فيما يرون - هي اللغة والقراءة القديمة ، وهي لقريش والحجاز ومن

حولهم من فصحاء اليمن (6) .

(1) الكتاب : 4 / ص : 195

(2) م.س.ص : 196

(3) راجع المصدر السابق ص : 196 - 197

(4) النواذر في اللغة ص : 171 . (5) الحجة للفارسي ص : 42

(6) م.س.ص : 42

1 = 10 = 3 : التركيب النهجي للضمير المنفصل الدال على الغائب :

على الرغم من حد يثنا على ضمائر مختلفة في مختلف التراكيب ، إلا

أننا لا حظنا أن التراكيب اللهجية لهذا الضمير أعلاه على المستوى

السا نتكسي بين العرب الفصحى متعددة ومتنوعة بشكل جعلنا نعتقد

له حيزا مستقلا لا يحصره وبيان كل تراكيبه ويمكن لمحاولة تلخيص

ما ورد فيه من هذه التراكيب الغريبة .

مما قرأناه في أكثر من مصدر أن ناسا كثيرين من العرب الفصحى

جعلوا هو وأخواتها فضلا بين كل معرفتين لا تستغني أحدهما عن

الأخرى ، وبين معرفة وفكرة إذا قاربت هذه الأخيرة المعرفة ، وذلك

في باب كان وأخواتها وباب ان وفي الظن والابتداء في الخبر (1) .

ومما ذكره سيوييه في هذا الباب أنه أن تكون (هو) فضلا حتى

يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة ، ولم تدخل عليه الالف واللام (2) ،

وإذا كانت بين معرفتين فجوز رفع ونصب ما بعدها نحو : كان محمد هو

القائم ، وأزحوه كنت أنت القائم ، وقرأ ((الرقيب)) في قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا تَوَقَّعْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (3)

بالرفع والنصب ، وقرئ في نحو هذا بالنصب والرفع (4) .

(1) الجمل ص : 153 للزجاجي

(2) الكتاب : 2 / ص : 382

(3) سورة المائدة آية : 117

(4) الجمل ص : ص : 153 - 154 للزجاجي

وما رواه سيويه أن عيسى بن عمر نقل له أن ناسا كثيرا يقرأون

قوله تعالى : ((وَمَا ظَلَمْنَا هُمْ ، وَلَكِنَّ كَانُوا هُمْ الظَّالِمُونَ)) (1) برفع

((الظالمون)) (2) ، ثم قال : بلغنا أن رؤبة كان يقول : ((اظن

زيدا هو خير منك)) (3) ، وفي هذا يقول قيس بن ذريح :

تهكي على ليل وأنت تركتها وكنت عليها بالملاء أنت أقدر (4)

وتكون (هو) وأخواتها بمنزلة اسم مبتدأ ، إذا كان ما قبلها

نكرة ، ويلغى كونها فصلا في هذه الحالة نحو الآية التي أوردها سيويه :

((ما اظن أحدا هو خير منك . . . وما أخا رجلا هو أكرم منك)) (5) .

ولكن أهل المدينة ينزلون (هو) ها هنا بمنزلة بين المعرفتين ،

ويجعلونها فصلا في مثل هذا الموضع ، حتى وإن كان أبو عمرو ، كما

حكى يونس بن حبيب ، كان يرى هذا التركيب لحناء .

والذي ذكره أبو حيان الغرناطي أن الجرمي وأبا عمرو

ذكرا أن لهجة بني تميم ترفع ما بعد ضمير الفصل مع جعل هذا الأخير

مبتدأ (6) ، وسمعهم أبو زيد يقرأون ((تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا)) (7)

بالرفع (8) ، رغم وجود (هو) بين معرفة ونكرة .

(1) سورة الزخرف الآية : 76

(2) الكتاب : 2 / ص : 392 - 393

(3) م.س.ص : 392

(4) م.س.ص : 395 - 396

(5) م.س.ن : ص

(6) البحر المحیط : 278 ص : 271 (7) سورة المزمل آية : 20

(8) انظر التسهيل ص : 29 هـ : 5

الفصل الثالث : التركيب الفعللي

ان الاشكال المطروح في التركيب الاسمي بين اللهجات

العربية القديمة كمدونة لهذه الدراسة هو نفس مطروح

في التركيب الفعللي ، ان ندرس هذا التركيب على مستوى البنية

الافراية او الوحدة الدالة ام على مستوى الجملة ؟ والذي رأيناه

وفق منهجيتنا هذه ان ندرس نماذج من هذا التركيب على مستوى

بنية الجملة في هذه اللهجات ، لانه من المستحيل ، كما اشرنا اكثر من

مرة ، ان نلم ونحيط بكل المستويات المتشعبة في التركيب الفعللي

اللهجات العربية القديمة ، لاننا نؤمن بكل الايمان بان هذه التراكيب

ما هي الا صور للتراكيب الكائنة في هذه العربية الفصحى بشكل عام ،

ولم لا نقول بانها التراكيب عينها ؟ .

ونفس التضارب الذي شعرنا به في الفصل الماضي الذي خصص

للتراكيب الاسمي ، والذي تناول نماذج لهجية ، نشعر به الآن في

هذا الفصل ، ان ما هي النماذج اللهجية التي نركز عليها من بين النماذج

الغزيرة والعريضة ؟ ثم هل نتناول هذا التركيب من خلال ما يسمى

بالعوامل بصرف النظر عن كونه فعلا ما شرا او اسم فعل او حرفا يعمل

عمل فعل معين ؟ .

ان ما رأينا هنا أكثر ارتياحاً لهذا العمل في هذا الفصل أن
نوجد التراكيب الحرفية والظرفية الى فرع مستقل عن التراكيب الفعلية
المباشرة ، ولا يهملنا أحوال هذه العوامل الا من خلال وظائفها .

1- تراكيب فعلية لهجية مختلفة :

1-1 : الجملة الفعلية من حيث التباين العددي :

لن نريد أن نتعرض الى العدد من حيث هو تركيب اسمي ،
والا أن نتناوله مباشرة بعد حد يثنا عن التركيب في الجنس ، لأننا رأينا
أن تلك الاختلافات أكثر اتصالاً ببنية العدد على المستوى الفردي منها
ببنية هذا العدد على المستوى الجملي ، أما هنا فان الأمر مختلف تماماً ،
لأن المسألة تتعلق بتركيب الجملة في الصميم من حيث التطابق العددي
مع الجملة الفعلية ، ولا سيما ما يتصل بالتطابق بين الفعل والفاعل .
واننا لا نريد أن نتعرض هنا أيضاً لدراسة التركيب العام في
الجملة الفعلية المعروفة في العربية المشتركة ، لأن هذا موضوع ساء نتكسى
آخر ، لأننا ملزمون بمدونة مفروضة هي التراكيب اللهجية للقائل العربية ،
ولسنا مخيرين حتى في المجال الوصفي لا ستعرض النماذج البنيوية
العامّة للجملة في اللغة العربية المشتركة .

الكسل يعلم أن الفعل حين يتقدم فاعله يظل ثابتاً على
بنية واحدة سواء كان فاعله مثنى أو جمعاً، لكن هذا التركيب
العادي تسخيه لغة بعض القبائل العربية التي تلحق علامات التثنية
أو الجمع حتى ولو تصدر الفعل هذه الجمل، وهذا النوع من التراكيب
جاء في القرآن والحديث والشعر وكلام العرب، وكان موقف النحاة
منه مختلفاً، ونحن غير معنيين بهذه المواقف هنا إلا من حيث الألفاظ
بطبيعة هذه التراكيب كالكلمات وخطابات.

مما ذكره سيوييه في هذا المقام أن من العرب من يقول :
((ضربوني قومه ، وسرباني أخوات ، فشبهاوا هذا بالتاء التي يظهرونها
في ((قالت فلانة)) وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجميع علامة كما جعلوا
للمؤنث ، وهي قليلة) (1) .

ومن خلال الرجوع إلى اللغات السامية نجد أن الظاهرة
ذاتها متفشية فيها ((وتدل مقارنة اللغات السامية ، وأخوات العربية ،
على أنه في تلك اللغات ، يلحق الفعل علامة التثنية والجمع ،
للفاعل المثنى والمجموع ، كما تلحقه علامة التأنيث ، عند ما يكون الفاعل

مؤنثاً سواء بسواء ، ففي اللغة العبرية مثلاً :
wayy āmōt ūgām s nēhemmah lōnw - kilyon

وترجمته الحرفية : ((فما تا كلاهما محلون وكليون)) ، ومثل ذلك أيضا :
 LŌYĀ KŌNŪR ŠĀIN BANNI Š PĀT

وترجمته الحرفية : ((لا يقومون الا شرار بالعدن)) ، ومثل ذلك في الآرامية :
 DALNĀ NGŪRŪRN HRĀNE BATTĀK

وترجمته الحرفية : ((لئلا يزونا الآخرون بامراتك)) ، وكذلك :
 WAHŌRŪ AHZĀB الحال في الحبشية :

وترجمته الحرفية : ((فعادوا الشعوب)) ، ومثل ذلك أيضا :
 WABZ HŪ WELŪDŌMU -

وترجمته الحرفية : ((وكثروا أطفالهم)) (1) .

من هذه التراكييب قوله تعالى :

((وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)) (2)

ونذكر سبويه أن هذا التركيب ، كقوله تعالى السابق ، انما يجيء على البدل

وكأنه قال : ((انطلقوا ، فقيّل له : من ؟ فقال : بنو فلان . فقوله جل وعز

((وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)) على هذا فيما زعم يونس)) (3) .

وجاء تركيب قرآني آخر على هذا النحو : ((ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ)) (4)

وتفسر كثير هنا على البدل من الواو حسب الاسناد الذي حكاه سبويه

(1) المدخل الى علم اللغة ص : 300 - 301 د . رمضان عبد التواب
 (ط : 1985) (ط : 2) مطبعة المدني - القاهرة

(2) سورة الانبياء آية : 3

(3) الكتاب 2 / ص : 41

(4) سورة المائدة آية : 71

وفي بعض الأحاديث النبوية : ((يتعاقبون فيكم ملائكة

بالليل ، وملائكة بالنهار) (1) ، واستطرد ابن هشام قائلا :

((وهي عند سيوريه حرف دال على الجماعة كما أن التاء في ((قالت))

حرف دال على التأنيث ، وقيل : هي اسم مرفوع على الفاعلية ، ثم قيل : إن

ما بعدها بدل منها ، وقيل : مبتدأ والجملة خبر مقدم) (2) .

ويظهر أن الخليل كان من الأوائل ، وإن لم يكن الأول ، الذين

سموا مثل هذه التراكيب المخالفة للقاعدة العامة بلغة ((اكلوني البراغيث)) ،

لأننا نجد في الكتاب ما نصه : ((وقال الخليل رحمه الله : من قال :

اكلوني البراغيث أجرى هذا على أوله فقال : مررت برجل حنين

أبواه ، ومررت بقوم قرشيين آباء وهم . وكذلك أفعل نحو أغور وأحمر ،

تقول : مررت برجل أغور أبواه وأحمر أبواه ، فإن شئت قلت : مررت

برجل أحمر أبواه ، تجعله اسما ، ومن قال : اكلوني البراغيث قلت

على حد قوله : مررت برجل أغور من أبواه) (3) .

وإذا كان اللغويون المتقدمون قد أطلقوا على هذا النوع

من التراكيب اللهجية التي لا ترد ولا تنكسر لبيغة ((اكلوني البراغيث)) ،

فإن بعض النحاة المتأخرين كما بن مالك أصبح يطلق عليها تسمية

(1) معنى اللبيب : 2 / ص : 365 لابن هشام (مطبعة المدني - القاهرة)

(2) م.س.س : 365 - 366

(3) الكتاب : 2 / ص : 41

آخرى قريبة من الأولى ، وهي لفظة (ر يتعاقبون فيكم ملائكة) ، وعلى
 الدكتور عبد الجواد الطيب على هذه التسمية الأخيرة قائلا : (ر وهذه
 العبارة قد أخذت أخذاً غير موفق من حديث شريف هو قول الرسول
 الكريم (ر ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار) .
 قالوا وفي (ر يتعاقبون) لا تتجه الى لا حسم لها بل تعود على
 سابق عليها . . . فابن مالك على غير حق فيما ذهب اليه . (1) .
 وما ذكره صاحب البحر المحيط أن ابن مسعود وأصحابه قرأوا
 الآية الكريمة : (ر قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) (2) على نحو الآيتين
 السابقتين ، هكذا : (ر قد أفلحوا المؤمنون) (ر حتى لقد روي أن
 طلحة بن مصرف حينما اعترض عليه عيسى بن عمر بشأن قراءته هذه
 قائلا : أتلتحس ؟ أجابه في ثقة واعتدال : نعم
 كما نحن أصحابي (3) .

وما يجب الاشارة اليه أن القراء قرأوا الآيتين :

(1) (ر وأمسروا النجور الذين ظلموا) ،

(2) (ر ثم عموا وصموا كثير منهم) ،

بدون اختلاف بينهم ، مما يدل على طبيعة هذا المستوى من الخطاب

(1) لفظة هذا يدل ص : 373 (سبق أن أشرت أن هذا الكتاب معدوم الكل وحتى
 الغمان)

(2) المشهورة المؤمن آية : 1

(3) لفظة هذا يدل ص : 374

عند بعض القبائل العربية كخطاب عريس تبناه العرب في عصرهم الجاهلي
والاسلامي ، لا سيما وأن البصريين المتشددين هم من رَووا هذه اللهجة
عن طي (1) ، بينما رَوَاهَا غير البصريين عن أزد شنوءة (2) ،
ونسبها ابن هشام الى كحل من طي ، وأزد شنوءة وبلحارث (3) .

ومما جاء به الشعر من تراكيب قول الشاعر :

يَوْمَ نَنْسِي فِي اشْتِرَاءِ النَّدِيمِ أَهْلِي ، فَكَلِّهِمْ يَعْذِلُ (4)

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات :

تَوَلَّى قِتَالَ الْمَارِقِينَ بِنَفْسِهِ وَقَدْ اسْلَمَاهُ مَعْدُ وَحَمِيمِ (5)

ثم قال من نفس القصيدة على نحو التركيب القرآني السابق (وأُشِرُوا

النَجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) :

فَإِنْ نَفْسٌ لَا يَتَّقُوا أُولَئِكَ بَعْدَنَا لَذِي حَرَمَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ حَرِيمِ (6)

وقال شاعر جاهلي آخر هو عمرو بن ملقظ :

يَا أُوسَ لَوْ نَالَتْكَ أُرْمَا حَنَانَا كُنْتَ كَمَنْ تَهْوِي بِهِ الْهَامَا وَيَسَهُ

أَلْفَيْتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ الْقَفَا أَوَّلَى فَأَوَّلَى لَكَ ذَا وَقَيْسَهُ (7)

(1) أوضح المسالك ص : 71

(2) م.س : ن.ص

(3) مغني اللبيب : 2 / م : 365

(4) م.س : ن.ص

(5) ديوانه ص : 196 (ط : 130 داربيروت للطباعة والنشر)

(6) م.س. ص : 197

(7) النوا در في اللغة ص : 62

1-2 : تعددية الفعل الماضي :

لا شك أن تعددية الفعل الماضي بالهمزة أو بدونها
يدخل في بناء الجملة الفعلية ، واللهجات العربية متضاربة فيما
ييسنها في هذا التركيب ((ويدوان اللهجة التميمية قد سلكت
طريق التعددية بدون الهمزة ، وميزت نفسها عن اللهجات الأخرى
في مجموعة من الأفعال ، وربما في فترة زمنية معينة ، ولكنها تعود
إلى سلوك اللريق الثاني ماذلقة بقية اللهجات في مجموعة أفعال
أخرى ، ولعلها في أحسن الحالات تعرضت لضغط لغوي قوي
من مجموعة جديدة ((1) .

وهذه التراكيب نجدها بشكل خاص في المعاجم العربية
القديمة موزعة بشكل أمين كالمصباح للفيومي ، والصحاح ، واللسان ،
والمزهر ، ... إلخ .

مما جاء في البصرة لابن دريد : ((أهلكه الله أهلاكاً ،
ويقال : هلكه الله أيها في معنى أهلكه الله ، قال الراجز - العجاج :
ومهمه هالك من تعرجا هائلة أهواله من أذلجنا ((2) .

(1) اللهجات العربية القديمة ص : 22

(2) جوهرة اللغة : 3 / ص : 171 لابن دريد (ط : 1345 هـ حيدرآباد)

لكن أيا عبيد ذكر أن بني تميم يقولون : هلكه يهلكه هلكا ،
 بمعنى أهلكه (1) علما بأن العرب يفضلون ما كان متعديا بنفسه ،
 جاء في الصحاح : () ومحقه الله ، أي ذهب ببركته ، وأما محقه لغة
 رديقه ، (2) . حتى وإن كنا لم نعرف من أين تأتي هذه الرداة
 إلا إذا قابلنا كل صوت بما يقابله من وظيفة مورفولوجية أو فونولوجية ،
 وفي هذه الحالة يصبح هذا التضخم اللغوي لا فائدة من وراءه إذا كان
 الفعل يدل على نفس الشيء بثلاثة أصوات بدل أربعة .
 والفعل ((لات)) ثلاثي في لغة الحجاز ، ورباعي في لهجة
 تميم ، إذا الحجازيون يقولون : لاته عن وجهه يليته ، بينما تقول تميم :
 ألا ته عن وجهه يليته (3) . والغرب يقولون : (جزي) عني هذا
 الأمر ، أي قضى ، لكن تميم تتخذ موقفا معاكسا وتقول : (أجزاء)
 عني هذا الأمر (4) . وما جاء في المصباح (حزن حزنا من باب
 تعب ، والاسم الحزن بالضم فهو حزين ، ويعتمد في لفتحها بالحركة ،
 ويقال : حزني الأمر يحزني من باب قتل ... وفي لغة تميم بالالف) (5) .
 وغالبا ما نجد القائل البدوية تنحو نحو تميم في هذا التركيب
 وهي ظاهرة شائعة في معظم التراكيب التي تختلف فيها تميم مع الحجاز ،

(1) الصحاح : 4 / ص : 1616

(2) م.س.ص : 1553

(3) المزهر : 2 / ص : 276

(4) الصحاح : 6 / ص : 2302

(5) المصباح المنير : 1 / ص : 145 الفيومي (دار المعارف - مصر)

من ذلك أن هذا سلك نفس الدرب من تميم وأهل نجد
 في بعض من أفعالها، فقالت هذا يل : أ سلكه في (سلكه) (1) ، ولما
 قالت العرب : رجعت الله ، خالفتم هذا يل بقولها : أ رجعت الله (2)
 وأشعار الهذليين لا تخلو من مثل هذه التراكيب ، ومن ذلك استعمال
 أبي خراش أ فعل في مكان (ر فعل) ، أي في : أيسر بدل (سعى) :
 أبلغ عليا أطال الله ذلهم أن البكير الذي أيسعوا به همل (3) .
 وكقوله الآخر في استعماله للفعل الرباعي (أ طاف) ، مكان الفعل الثلاثي
 (طاف) :

تطيف عليه الخير وهو ملحب (4)

وبالنسبة للبصريين نجدهم تارة يفضلون هذا التركيب ، ومرة يميلون
 إلى التركيب الآخر ، إذ بينما نجدهم لا يجيزون إلا (أ غلقته) ، ولم
 يجيزوا (ر غلقته) البتة ، نراهم يتكرون (ر ضب عليه) ، ولم
 يجيزوا إلا (أ ضب عليه) (5) .

وهذه التراكيب الفعلية كثيرة ، وتتبعها على مستوى لهجة
 قبيلة واحدة ربما يكون أكثر إحاطة فائدة ، ولكن كما صرحنا
 أكثر من مرة أن الهدف هو الوقوف على النماذج الممكنة لا على الإحصاء .

(1) الصحاح : 4 / س : 1591

(2) المصباح المنير : 1 / س : 235

(3) راجع ديوان الهذليين : 2 / س : 167

(4) راجع مادة (طوف) في اللسان

(5) راجع : جمهرة ابن دريد : 3 / ص : 439

1-3 : فسي النواصي :

1-3-1 : ((ليس)) :

ذهب الكوفيون ومعهم المبرر من البصريين إلى

أنه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها ، وأما البصريون - إلا المبرر - فقد

ذهبوا إلى أنه يجوز تقديم خبرها عليها كما جاز ذلك في (كان) (1)

وفي كتب الطبقات واللغة قصة مشهورة عتب فيها عبد بن عمر على

أبي عمرو بن العلاء حين سمعه يرفع (المسك) في الجملة المشهورة ((ليس

الطيب إلا المسك)) ، فأجاب أبو عمرو : ((نعم يا أبا عمر ، وأدلى الناس

ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ، وليس في الأرض تميمي إلا وهو

يرفع)) (2) .

ومن النص أعلاه يتبين لنا بجلاء أن أهل الحجاز ينصبون خبر

ليس أو المسند حتى ولو كان محصوراً بأداة حصر (إلا) ، وواضح أن

بني تميم يرفعون أي لا يغيرون المسند اليه والمسند .

1-3-2 : ((ما)) العاملة عمل ((ليس)) :

هذا العامل يجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز

(1) انصاف في مسائل الخلاف : 1 / ص : 160

(2) راجع القصة في : طبقات النحويين والنحويين للزبيدي ص : 43
وكذلك : ذيل الأملالي والنوادر ص : 39 وغيرهما من المصادر .

ثم لا يلبث أن يصير إلى أصله ، وهو عد ، اجرا ، مجراها على لغة تميم ،
وفي هذا يقول سيويه : ((وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أمما وهل ،
أبي لا يعملونها في شيء ، وهو القياس ، لأنه ليس بفعل ، وليس ما
كليس ، ولا يكون فيها اضمار .

وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناها كمعناها ،
كما شبهوا بها لات في بعض المواضع ، (1) .

وذكر سيويه أن بني تميم يرفعون قوله تعالى :

1 (مَا هَذَا بَشَرًا) (2)

إلا من درى منهم كيف هي مرسومة في المصحف (3) ، ولكنهم لا يختلفون
في قراءة قوله تعالى الآخر :

((مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا)) (4)

لأن اللغتين في مثل هذا التركيب تستويان ((وتقول : ما زيد إلا
منطلق ، تستوي فيه اللغتان)) (5) .

ويرون للفرزدق أنه قال :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم - إذ هم قريش ، وإن ما سألهم بشر (6)

(1) الكتاب : 1 / ص : 57

(2) سورة يوسف آية : 31

(3) الكتاب : 1 / ص : 59

(4) سورة يس آية : 15

(5) الكتاب : 1 / ص : 59

(6) الكتاب : 1 / ص : 60

حيث نصب الشاعر (مثلهم) على أنه خبر مقدم لـ (ما) ، بينما
 على سبيليه : ((وهذا لا يكاد يعرف) (1) ، وقد يكون سبيليه
 استغرب هذا التركيب لا من حيث كونه تركيباً ، لأنه قال : ((لا يكاد))
 ولكنه استغرب غير ذلك أن الفرزدق تسمي من لغة رفع خبر
 ((ما)) ، والخبر مؤخر ، فكيف ينصبه وهو مقدم ؟ لكننا كنا قد
 التزمنا أن ننظر إلى الشعراء على أساس أنهم متكلمون ، وهذا ما نراه
 وندركه هنا ، إذ من يدري أن الفرزدق كان يعرف لغة ثالثة
 لا هي من لغة قومه ولا من لغة أهل الحجاز ، فتكلم بها ، وربما رفع
 الفرزدق ولم يأت به حتى لا يقع في اقواء ، وهو كثير ، ما أتعجب اللغويين
 في مثل هذه التراكيب المعقوية التي كانت تستوعبها الطبقات العربية
 القحة المتكلمة من جهة ، وتحملها الطائفة اللسانية للغة العربية من
 جهة ثانية ، ونجسد هذه المتاعب برزت بين الشاعر وبين اللغويين
 منذ بروز القياس والتعليل والتفلسف النحوي .

ولم يوظف أعمال ((ما)) في القرآن توظيفا صريحا إلا

في ثلاثة مواضع منه (2) ، وهذه التراكيب القرآنية هي :

- أ- ((فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ)) (3)
 ب- ((مَا هَذَا بَشَرًا)) (4)

(1) الكتاب : 1 / ص : 60
 (2) شذور الذهب ص : 193 - 194
 (3) سورة الحاقة الآية : 47
 (4) سورة يوسف الآية : 31

ج - (ما هن أمهاتهم) (1) .

وأما القراء السبعة فلم يختلفوا في قراءة الآيات
الثلاث السابقة الذكر، بيد أن ابن مسعود قارئ (بشرا) بالرفس
- فيما يبدو - على لهجة تميم (2) ، وقراء البعض الآخر غير السبعة
(ما هن أمهاتهم) بالرفس في (أمهاتهم) (3) .

1-3-3 : ((ان)) و ((لا)) العاطلتان عن (ليس) :

ان توظيف (لا) مثل (ليس) قليل في اللهجات العربية
القديمة ، ويشرط أن يكون معولا لها نكرتين ، والأغلب في تراكيبها أن
يكون خبرها محذوفا (4) ، وأما الحجاز فتوظيفها توظيف (ليس) كما وظفت
(ما) ، بينما توظيفها تميم مطلقا (5) ، وفي رواية أخرى أن أهل الحجاز
يعملونها دون طسي (6) .

وقال سيوييه : ((وان جعلتها بمنزلة ليس كانت حالها كحال لا ،
في أنها في موضع ابتداء ، وأنها لا تعمل في معرفة ، فمن ذلك قول سعد
ابن مالك :

من صد عن نيرانها فأننا ابن قيس لا بسراج (7)

(1) سورة المجادلة آية : 2

(2) البحر المحيط : 5 / ص : 304

(3) شذور الذهب ص : 196

(4) أوضح المسالك ص : 46

(5) شرح ابن عقيل : 1 / ص : 312 - 313

(6) م.س. ص : 278 . (7) الكتاب : 2 / ص : 296

وكان قد قال قبل هذا في نفس التركيب :: ((جعلها بمنزلة
 ليس ، فهي بمنزلة لا ت في هذا الموضع في الرفع)) (1) وربما استعملها
 بعضهم حتى ولو كان بعدها معرفة ، كقول النابغة الذبياني :
 وحلت سوار القلب ، لا أنا باغيها سواها ، ولا عن حبها متراخيا (2)
 وهذا النوع من التراكيب استعمله الشعراء استعمالاً شتى ، ولكنه
 لا يكارى يخرج عن القاعدة العامة ، فإذا لم يكن معمولاً لها نكرتين ، فإنها
 غالباً ما تأتي مكررة في التركيب على أن يكون ما بعدها مستنداً إليه وسنداً
 كقول النابغة الذبياني :
 أي الله إلا عدله ووفاه ، فلا النكر معروف ولا العرف ضائع (3)
 أو كقوله الآخر :
 فلا العبد بالعبد الذي ليس معتباً ولا أنت بالرب الأبد المصم (4)
 وأما ((ان)) فقد اختلف النحاة في أعمال هذا الحرف
 عمل (ليس) أو أهمله ، ولهذا السبب اعتبرناه من التركيب الفعلي ، لأن
 العبرة بالدلالة أيضاً وليس بالاشكال الصورية أو الرياضية للقواعد ،

-
- (1) الكتاب : 1 / 58
 (2) انظر شرح ابن عقيل : 1 / ص : 315 ، وهذا البيت ليس موجوداً في
 الديوان الذي بين يدي ، وهو من صنع الامام اللغوي ابن السكيت .
 (3) ديوان النابغة الذبياني : ص : 53 (مطبعة دار الفكر - بيروت)
 (4) م.س.ص : 195

وبالنسبة للبصريين فان الأكثر منهم أنها لا تعمل شيئا، لكن
الكوفيين ما عدا الفراءة أنها تعمل عمل ليس (1) ، بينما البعض
الأخرون بأن توظيفها توظيف ليس شيئا نادر (2) .
ومما ذكره سيويه قوله : ((وأما ان فتكون للمجازاة
وتكون أن يتدأ ما بعدها في معنى اليمين)) (3) ، وهذا بالنسبة
له (ان) (المخففة ، كقوله تعالى :
((إِنْ كُنْ تَنْفِي لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)) (4)
وحين تكون في معنى النفي مثل ليس ، قال : ((وتكون في معنى ما .
قال الله عز وجل : ((ان الكافرون الا في غرور)) (5) ، أي : ما
الكافرون الا في غرور)) (5) .
وذكر ابن جني في بعض المواضع أن سعيد بن جبير قرأ :
((ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم)) (6)
ويروون لشاعر أنه قال :
ان المرء ميتا بانقضاء حياته ولكن بأن يبقى عليه فيخذ لا (7)

(1) شرح ابن عقيل : 1 / ص : 317

(2) أوضح المسالك ص : 46

(3) الكتاب : 3 / ص : 152

(4) سورة الطارق آية : 4

(5) الكتاب : 3 / ص : 152

(6) أوضح المسالك ص : 46

(7) شرح ابن عقيل : 1 / ص : 318

وقد ينسب أعمال هذا الحرف إلى أهل العالية قاطبة ،
 لأنه يروى عنهم أنهم يقولون : ((أن أحيد خيرا من أحيد
 إلا بالعافية)) (1) ، وكما نعلم أن أهل العالية يحتلون مواقع
 جغرافية شاسعة من قلب الجزيرة العربية ، وطى الرغم من أن هذه اللهجة
 جاءت ورودها قليلا في آثارهم .

1-3-4 : عسى :

قال صاحب الأفعال في القرآن الكريم : ((عسى طيمع
 وترج ، وهو من الأفعال الجامة ، فقد وقع ماضيا وأُيِّيت ماسواه من
 وجوه فعله ، وهو من أفعال الشروع النساخة ، يرفع الاسم وينصب
 الخبر ، وخبره مضارع منصوب بأن ، ويجوز تجرده منها ، ويجوز ما
 كذلك ، ولا يختص حذف ((أن) من المضارع في الشعر خلافا لمن ذهب
 إلى ذلك)) (2) .

وما ذكره سيسويه أنه يمكن أن يقال : عسى أن يفعل ، وصى
 أن يفعل ، وصى أن يفعلوا ، وأن (عسى) محمولة عليها (أن) كما
 يقال : دنا أن يفعلوا ، وأخلو لقت السما أن تنهرا ، وتطر ، وكل هذه
 التراكيب ونحوها تكلم بها عامة العرب ، وهي تكون للواحد والجمع والمؤنث (3)

(1) أوضح المسالك ص : 46

(2) الأفعال في القرآن الكريم : 2/ ص : 924 - 930 د : عبد الحميد مصطفى السيد
 (ط : 1986 دار البيان العربي - جدة)

(3) انظر الكتاب : 3/ ص : 158

ثم اُردف قائلا : ((ومن العرب من يقول : عسى وعسى وعسى ،
 وصت ، وعستا ، وعسين ... واعلم انهم لم يستعملوا عسى فعلك ،
 استغنوا بان تفعل عن ذلك ، كما استغنى اكثر العرب بعسى عن ان
 يقولوا : عسى وعسا ... واعلم ان من العرب من يقول : عسى يفعل ،
 يشبهها بكاد يفعل ، فيفعل حينئذ في موضع الاسم المنصوب في قوله :
 ((عسى الغويرا يسوا سوا)) ، فهذا مثل من اُشال العرب اُجروا
 فيه عسى مجرى كان) (1) .

ومن التراكيب التي جاءت فيها (عسى) مجردة من ان بعدها

قول هدية :

عسى الكرب الذي اُصيب فيه يكون راء * ه فرج قريب (2)
 حيث خبر (عسى) جملة اسمية ، وقال الاخرجا علا خبرها جملة فعلية
 ومجردا اياها من (ان) أيضا ؛
 عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر بمنهم جون الهاب سكسوب (3)
 وقد يتصل بها الكاف ، وتكون لسندى سيويه في هذه الحالة

منصوبة (الكاف) ، كما يقولون : عساني (4) .

(1) الكتاب : 3 / ص : 158

(2) م . س . ص : 159

(3) م . س : ن . ص

(4) الكتاب : 2 / ص : 374 - 375

واختلفت اللهجات العربية كذلك في نطقه ، واذ قرأنا فيها

في قوليه تعالى :

((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)) (1)

((قَالَ : هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ إِلَّا تَقَاتِلُوا)) (2)

بكسر السين فيها ، وقراء الستة الباقون بفتحها (3) وحتى وان قال ابن

عقيل : الفتح أشهر (4) ، غير أن شهرة الفتح فيها بين العرب لا تمنع

من أن يكون الكسر فيها لهجة مؤكدة ، والا فكيف قرأ أحد القراء السبعة

معين تعدد قراءته متواترة بالكسر في كلا الفعلين في الآيتين السابقتين ؟

وجملة ((الغائب عسى أن يعود)) أن في (عسى) ضميرا

يعود على الاسم الذي تقدمها ، وجملة (أن يعود) في محل نصب

بحسب ، وهذه اللغة منسوبة لبني تميم الذين يقدرون الضمير في هذه

الحالة ، بينما لا يقدر الحجازيون ذلك ، وعلى هذا فاللهجة التميمية تصرف الفعل

باسناد الفعل (عسى) الى ما يناسبه ، بينما تصرفه الحجازيون الى حالة واحدة

(محمدا عسى أن يعود ، محمدان عسى أن يعودا ، زينب عسى أن تعود ،

زينبان عسى أن تعودا ، ... الخ)

(1) سورة محمد الآية : 22

(2) سورة البقرة الآية : 246

(3) التفسير ص : 81

(4) شرح ابن عقيل : 1 / ص : 344

1-3-5 : نواسخ متفرقة :

من هذه النواسخ (ما زال) و (ما برح) ، وفي النسبة للفعل

ما زال تسقط (ما) في بعض اللهجات العربية لتستعمل في تراكييب مختلفة بدونها (1) ، ويذكر في الصحاح أن فيها لغة مبهولة قديمة هي : (ما زيل) (2) .

وفي هذه التراكييب وحولها يقول الدكتور عبد الجواد الطيب :
(ولعل من هذا أيضا ما نراه من استعمال : ما برح ، وما زال ، وما
انفك (في مضارعها وماضيها) مجردة من النفي السابق عليها ، فقد
عد اللغويون ذلك لهجة لهذيل ، وذلك مثل قول الشاعر :
فزلتم تهربون ولو كرهتم تسوقون الخزانم بالنقصاب
وقول أبي خراش :

وأبرح ما أيرتم وملكتم بيد الدهر ما لم تقتلوا بغليل
وقول يعقل بن خويلد :

إذا أقسموا أقسمت انفك منهم ولا منهما حتى انفك السلاسل
فهذه ظاهرة ماثلة في الشعر البهسلي ، وإن كانت غير مقصورة على

شعرا ، هذيل ، فهي في شعرهم وشعر من عداهم كما مر في القيس وغيره) (3)

-
- (1) اللهجات العربية القديمة ص : 43
(2) الصحاح : 1 / 529 (مادة : كور)
(3) لغة هذيل ص : 368

1- 4 : في أسماء الأفعال :

لقد اختلفت التراكيب اللفظية في أسماء الأفعال هذه سواء
 دلت على الماضي أم الحاضر أم المستقبل ، ولا نقول ان هذه التراكيب
 لا ترقى الى الفصاحة باعتبار أنها تكلمات شعبية ، لأن هذه التراكيب
 منها ما ورد في القرآن الكريم ، ومنها ما جاء على ألسنة الفصحى
 من العرب .

1- 4 : هلم :

ورد اختلاف التراكيب اللفظية في اسم هذا الفعل بين تصنيف
 والحجاز ، وهذا المورفيم ورد مرتين في القرآن الكريم ، وعقد سيويه
 حيزا كبيرا لأسماء الأفعال وتراكيبها المختلفة ، في أكثر من موضع في
 كتابه ، ان قال فيها : (واعلم أن هذه الحروف التي هي أسماء للفعل
 لا تظهر فيها علامة المضارع ، وذلك أنها أسماء ، وليست على الأمثلة التي
 أخذت من الفعل الحادث فيما مضى وفيما يستقبل وفي بصورك ...
 وأجريت مجرى ما فيه الألف واللام ... ولم تصرف تصرف
 المصادر ، لأنها ليست بمصادر ...) (1)

وفي اتصال الكاف أو ((لك)) بأشياء الأفعال هذه ، حسب طبيعة كل واحد منها ، يقول : ((ونظير الكاف في رويد في المعنى لا فسي اللفظ)) ((لك)) التي تجيء بعد هلم ، في قولك : هلم لك ، والكاف ههنا اسم مجرور باللام ، ... كأنه قال : هلم ، ثم قال : ارادني بهذا لك ... وان شئت قلت : هلم لي ، بمنزلة هيات لسي ، وهلم ذاك ، بمنزلة أريدن ذاك منك)) (1) .

وحسب ما يراه سيويه أن اسم الفعل هلم اذا لحقتها ((لك)) يكون لنا اختياران في تركيب أو عطف ما بعدها ((لك)) :

(1) أن نحمل ما بعد ((لك)) على الكاف المجرورة ، فنقول : هلم لكم أجمعين وهلم لكم أنفسكم (بجر السين طبعاً) ، وههنا لا يجوز أن نعطف الاسم على الكاف المجرورة ، بل لا يمكن العطف في كل حال مظهرًا على مضمرة .

(2) يمكن أن نحمل الجملة المعطوفة والصفة على المضمرة في النية ، فنقول : هلم لك أنت وأخوك ، وهلم لـكم أجمعون ، وتكون نية القول أو القصد : تعال أنت وأخوك ، وتعالوا أنتم أجمعون . (2)

غير أن سيويه استدرك القول ليصرح بأن ((ناساً من العرب يجعلون هلم بمنزلة الأمثلة التي أخذت من الفعل ... هلم ، هلمي ، ... هلموا ...)) (3)

(1) الكتاب : 1 ص : 246

(2) م.س.ص : 248

(3) م.س.ص : 252

وبعد مسافة من البحث طويلة لدى سيويه يقول : ((وقول

بني تميم : هلممن يقوي ذا)) (1) ، ثم يقول في موضع آخر بصريح

العبارة : ((وذلك الحروف التي للأمر والنهي وليست بفعل ، وذلك

نحو : ايمه ، وصه ، ومه ، وأشبهاها . وهلم في لغة أهل الحجاز

كذلك . ألا تراهم جعلوها للواحد والاثني والجمع والذكر والأنثى

سواء . وزعم أنها لم ألحقها بالالتبيه في اللغتين .

وقد تدخل الخفيفة والثقيلة (2) في هلم في لغة بني

تميم لأنها عندهم بمنزلة : رد ، وردا ، وردي ، واردة ، كما تقول :

هلم يوهلما ، وهلمي ، وهلمن والها ، فضل ، انما هي ها التي للتعبيه ،

ولكنهم حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم)) (3) .

وبنا على ما تقدم ، فإن أهل الحجاز يجرون ((هلم)) ما

سمي به الفعل ، وألزم طريقا واحدا ، وأيا بنو تميم فيصرفون سبه

ويلحقون به جميع ما يلحق أي فعل يقل التصريف ، وما يذهب إليه

البحر أن أصل هلم ها ، التعبيه ، و ((لم)) فعل ، وعلى هذا يثنى

ويجمع ، وأيا إذا كان اسما للفعل ، فإنه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، وأعين

أن هذه اللغة الأخيرة - أي لغة الحجاز - أتضح من الأولى (4) .

(1) الكتاب 3 : ص 332

(2) أي نون التوكيد

(3) الكتاب 3 : ص 529

(4) راجع حماسة أبي تمام : 4/ص 1646 - 1647 و 3/ص 1278

وحسب النص السابق فإن تيمنا تعتقد أن (هلم) فعل لأنه
 مأخوذ من ((لسم))، ولذلك فهي تصرفه الى كامل ضمائر الأمر الستة،
 وأما الحجاز، فإنها تحسبه اسم فعل أمر جامد، ومن أجل ذلك
 فهي لا تصرفه وتلزمه حالة واحدة.

وأحد الحجاز لا يختلف لفظها عندهم بحسب من هي مسندة اليه،
 كقوله تعالى :

((قُلْ : هَلُمَّ شُهَدَاءُكُمْ)) (1)

وكقوله عز وجل أيضا :

((وَالْقَاتِلِينَ إِخْوَانِهِمْ : هَلُمَّ إِلَيْنَا)) (2)

ولعل مجيئها مرتين في القرآن وعلى لغة الحجاز جعل البعض
 يحيل الى أن هلم الحجازية أفصح من هلم التميمية، مع أن القرآن
 الكريم هو حجة للعربية التي بها نزل، وليس حجة طيها، ثم إنه
 ليس من أي يكون مقيدا بتركيب لهجي دون آخر، وفضلا عن ذلك
 فهو محيط بكل لغات العرب، والقراءات المتعددة له كالسبع والعشر
 ... الخ

وما ذكر أن الأصمعي قال : ((أن الرجل يقال له : هلم، فيقول

(1) سورة الأنعام الآية : 150

(2) سورة الأحزاب الآية : 18

لا اَهْلِمَ (((1) وفي نص آخر له : اذا قيل لك : هلم فقل : لا
اَهْلِمَ ، وقال : هلمت بالرجل ، اذا قلت له : هلم فاشتقوا منها ، واَهْلِمها :
هالِمٌ (2) .

وفي الصحاح ((هلم يارجل ، بفتح الميم ، بمعنى تغال ، قال الخليل :
اَهْلِمه لَمْ ، من قولهم لم الله شعثه اَهْلِي جمعه ، كانه : اَراد : لم نفسك
الينا ، اَهْلِي اقرب . وها للتنبيه ، وانما حذف اَهْلِمها لكثرة الاستعمال ،
وجعل الاسماء واحدا ، يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث ،
في لفظة اَهْلِم الحجاز . . . واهل نجد يصرفونها فيقولون
للاثنيين : هلمنا ، وللنساء : هلمن ، والاول اَفصح . . . واذا اُرخلت
عليه النون الثقيلة قلت : هَلِمْن يارجل ، وللمرأة هَلِمْنِي
بكسر الميم ، وفي التثنية هلمان للمؤنث والمذكر جميعا ،
وهَلِمْنِي يارجل بضم الميم ، وهلمنسان يانسوة . واذا قيل
لك : هلم الى كذا وكذا ، قلت : الام اَهْلِم مفتوحة الالف والهاء ،
كائنك قلت : الى ما اَهْلِم ، وتركت الهاء على ما كانت عليه ، واذا قال
لك : هلم كذا وكذا ، قلت : لا اَهْلِمه ، اَهْلِي لا اَهْلِيكِه)) (3) .

(1) الفصل في علم العربية ص : 152 الزمخشري (دار الجيل - بيروت)

(2) انظر : سر صناعة الاعراب : 1 / ص : 238

(3) الصحاح : 5 / ص : 2060 - 2061

وهكذا فإن أهالي نجد يذهبون مذهب تميم في هذه التراكيب
 اللهجية حيث يجعلون (هلم) فعلا عاديا فيصرفونه مع الضمائر مفردا
 وثنى وجمعا ومذكرا ومؤنثا، ليس فقط في معنى الأمر بل حتى في معنى
 الماضي والمضارع، كما جاء على لسان الأصمعي وغيره، على عكس
 الحجاز التي تجعله اسم فعل وتلزمه حالة واحدة في جميع تراكيبه،
 وتذهب معها قبائل أخرى كثيرة مثل عقيل وقيس من مضر، وقيس
 عيلان (1) .

وإذا أردنا هنا أن نخرج عن المنهج الوصفي قليلا، فإنه يلاحظ
 أن الحجازية ثابتة على مذهبها العتيق حيث لم تكن الأفعال قد
 أسندت بعد إلى ضمائر البارزة، لأنه يقتصر في الاشتقاقات
 أن تولد من الأفعال، وأما التميمية فيبدو في هذه التراكيب
 أنها قد عرفت تطورا طبيعيا في سارها اللساني الطبيعي، ويظهر هذا
 التطور بشكل جلي في انتقاله إلى الماضي والمضارع، وبذلك اكتسبت الدلالات
 الزمنية أو مستويات الخطاب الثلاثة بالنسبة للزمن بثنى أنواعه، مما
 يتيح للمتكلم بها أن ينوع كلامه وإبداعه.

وقد توظف العرب اسم هذا الفعل أ والفعل (حسب التراكيب

اللهجية) بعد اسم صوت ينادى به حيوان (البعير مثلا) ، كقول

حميد بن ثور الهلالي :

فزيّنته بالعن حتى لوأنه يقال له : هاب ، هلم ، لا قدمّا (1)

1-4-2 : أسماء أفعال متفرقة :

لقد حاولنا أن نتوسع في تركيب اسم الفعل السابق حسب التراكيب

العربية العامة واللهجية له وغير أنه من المستحيل أن نتوسع في كل

اسم فعل آخر بنفس الحجم ، لأن هذا يقتضي حيزا خاصا بهذه التراكيب

ولذلك نريد أن نجمل ما بقي من بعض أسماء الأفعال (2) .

(1) ديوانه ص : 14 (ط : 1951) الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة

(2) لمن أراد استقصاء هذا الموضوع الشاسع في تراكيبه ودلالته نحيله على الكتاب ، كما يلي :

أف : 58/4 ، — آه : 242/1 ، — آيه ، آيها : 242/1 ، 302/3

وكذا : 529/3 ، 229/4

— بليه : 232/4

حسي : 300/3

حيهل : 241/1 ، 244 ، 251 ، 300/3 ، 301 ، 163/4

رويد : 241/1 ، 243 ، 248 ، 251 ، 377 ، 360/2

شتان : 293/3

صه : 242/1 ، 529/3 ، 229/4

مه : 242/1 ، 529/3 ، 229

ها : 244 ، 251/1

الك : 249 - 250/1

أياك : 249/1 الخ .

آ من أسماء هذه الأفعال المتداولة في العربية وغير العربية
 اسم فعل : ((آمين)) ، وهو اسم فعل أمر للدعاء بمعنى : اللهم
 استجب ، أو قبل منادعاءنا أو صلاتنا أو أعصا لنا الصالحة التي
 نتقرب بها إليك . . . الخ ، وهو من أسماء أفعال الأمر التي لم يذكرها
 - فيما يبدو - سيوييه ، ولعله اعتبرها لفظة أجنبية ، وقد يكون غير ذلك ،
 لا سيوييه كان يعلم حق العلم أن قباذ عربية فصيحة كانت تتداولها في
 خطاباتها مع اختلاف في التركيب الصوتي أو النطقي أو النبري . . .
 أن الحجازيين كانوا ينطقونها ((آمين)) بدون مد الألف ،
 ولا عجب في هذا ، وهم من أصحاب لغة التسهيل ، بل رسم الهمزة على
 اسم الفاعل هذا عندهم يمد عجا ، لكن نطق صوت واحد من نفس الجنس
 آهون لديهم من نطق صوتين اثنين مشتركين في مد طويل ، وفي لغة
 بني عامر بن قيس ينطقونه : ((آمين)) حسب النطق الذي نعرف
 في لغتنا العادية لدى الخاصة والعامة إلى يومنا هذا (1) ، واعتبر
 ابن السكيت تشديد الميم في هذا المورفيم من لغة العامة (2) ، والعامة
 تلتجىء إلى هذا من قبيل المبالغة والشعور بالتلذذ في الدعاء .

(1) راجع اللهجات العربية القديمة ص : 47

(2) راجع إصلاح المنطق ص : 179 لابن السكيت (دار المعرف - مصر)

ب - ((أف)) ، مما لا حظته في أكثر من تركيب أن ما توسع فيه صاحب الكتاب زاد من بعده من اللغويين توسيعا ، ومن أوجز فيه انقضى سكت عنه أحيانا لم يلتفتوا إليه الا نادرا ، ومن هذه الملاحظات هذا المورفيم هنا ، فبالنسبة لسيوييه لم يزد على أن يقول : ((وأقست به)) قلت له : أف (1) ، ولم يقل هذا الا عرضا ، وليس الحديث عن هذا المورفيم كما تحدث عن هلم ، والزمخشري في مفصله لم يزد على أن يقول أيضا : ((أف يفتح ويضم ويكسر وينون في أحواله وتلحن به التاء منونا في الإحوال)) (2) ، وهذا المورفيم عنده اسم مثل : آيه ، وصه ، ومه ، وغان ، ومثلها : أف ، وتلحن هذه الأسماء علامة التنكير ، فهي تارة : أف (بكسرة واحدة) ومرة : أف (بكسرتين) ، ومثل هذا الأسماء الأفعال السابقة ، ومن هذه الأسماء : الأفعال ما لا يستعمل المعروفة مثل ((كذمين)) السابقة وواها وايها وويها ... الخ (3) .

لكن قولنا السابق بالنسبة لبعض اللغويين الذين لم يتوسعوا في بعض الظواهر اللهجية التي لم يتوسع فيها سيوييه ليس إطلاقا عاما ، ثم إن أولئك اللغويين أنفسهم مقيدون بمنهجية الوحدات النحوية والصرفية والصوتية وغيرها من العناصر اللسانية الشاملة ، ولا يمكنهم أن

(1) الكتاب : 58 / 4

(2) المفصل في علم العربية ص : 163

(3) م.م.ص : 164

يتوسعوا في كل حال ، ولذا ، فإن كتب القراءات القرآنية تظل في
نظرنا أقرب وأنسب إلى التراكيب المتعددة في الحقل اللهجي أو
الديالكتولوجي .

ونجد صاحب البحر المحيط يخبرنا بأن : ((أَيْ)) اسم فعل بمعنى
اتّضجر ، ولم يأت اسم فعل مضارع الا قليلا مثل هذا ونحوه في : ((أَوْه))
وهما بنفس الدلالة أي التضرع والتقرضا والتكره من الشيء ، ولغاته
تعد في نظر البعض بالعشرات لابلوحداث ، اذ ذكر أن في : أَيْ مَا
يقارب أربعين لغة (1) .

وجاءت ثلاثة تراكيب قرآنية محتوية على اسم الفعل هذا (2) ،
((والمقروء بين لغات (أَيْ) في السبع : أَيْ ، أَيْ ، أَيْ ، وفي
الشواذ : أَيْ ، أَيْ ، أَيْ ، أَيْ) (3) .

وفي مصدر آخر حديث أن اسم الفعل هذا فيه لغات كثيرة :
((فلغة الأنصار وقراء أهل المدينة : (أَيْ) ، وقراءة أهل الكوفة : (أَيْ)
وقراءة أهل مكة والشام : (أَيْ) ولغة العامة : (أَيْ) ، وفيها لغات
عدة مجهولة الأصول وهي : (أَيْ) ، و (أَيْ) ، و (أَيْ) ، و (أَيْ) (4) .

(1) انظر البحر المحيط : 6 / ص : 23 ، والأفعال في القرآن الكريم : 1 / ص : 133

(2) انظر هذه الآيات : سورة الاسراء آية : 23 ، وسورة الانبياء آية : 67
وسورة الأحقاف آية : 17

(3) الأفعال في القرآن الكريم : 1 / ص : 134

(4) اللهجات العربية القديمة ص : 48

ج - هيهات :

ما ذكره سيويه في هذا المورفيم الذي هو كذلك اسم فعل

ماضي لا تتعدى دلالة أن تكون بعد : (و) وسألته (1) عن

هيهات اسم رجل وهيهات ؟ فقال : إنما من قال : هيهات ، فهي عنده

بمنزلة علقاة ، والدليل على ذلك أنهم يقولون في السكوت : هيهات ، و

ومن قال : هيهات ، فهي عنده كبيضات ، ونظير الفتحة في الهاء

الكسرة في التاء ، . . . ونظير هيهات وهيهات في اختلاف اللغتين ،

قول العرب : استأصل الله عرقاتهم ، واستأصل الله عرقاتهم ، بعضهم

يجعله بمنزلة علقاة ، وبعضهم يجعله بمنزلة عرس وعوسات . . . وكلاً

سمعناه من العرب (1) (2) .

وصاحب البحر ربما كان محققاً حين ذكر أن هذه الكلمة تلاعب

بها العرب تلاعباً كبيراً : بالحذف والابدال والتنوين وغيره (3) .

وإذا كان سيويه أشار إلى اختلاف اللغتين في اسم الفعل هذا ، ولم

يذكره فيما يبدو - هاتين اللغتين صراحة ، فإن الزمخشري بـ : بـ

هيهات بفتح التاء لغة حجازية ، وبكسر التاء فيها لغة تميمية

وأسدية ، بـ (و من العرب من يضمها وقرئ بهن جميعاً وقد

(1) من المرجح في هذه الحالة أنه يقصد الخليل بن أحمد .

(2) الكتاب : 3/ ص : 291 - 292

(3) الأفعال في القرآن الكريم : 3/ ص : 1422 - 1423

تنسبون على اللغات الثلاث ، وقال :

تذكرت أيا ما مضين من الصبا فـهـيـهـاتـ هـيـهـاتـ اليـك رجوعها
وقد قرئ قوله :

هـيـهـاتـ من مُصـبـحـها هـيـهـاتـ

بضم الأول وكسر الثاني ، ومنهم من يحذفها ومنهم من يسكنها ومنهم
من يجعلها نونا وقد تبدل ها واو ها همزة ومنهم من يقول : أـيـهـاك
وأـيـهـان وأـيـها ، وقالوا : ان المفتوحة مفردة وتاؤها للتأنيث . (١)
وفي بعض المصاحج الأخرى أن المشهور في لغاتها : هـيـهـاتـ ،
وبها قرأ الجمهور ، وهي اللغة الحجازية ، كما قرئ : هـيـهـاتـ ، وهـيـهـاتـ ،
وهـيـهـاتـ ، وهـيـهـاتـ ، وهـيـهـاتـ ، وهي اللهجة المنسوبة لتميم والحجاز ،
كما عرفنا عند الزمخشري ، وهـيـهـاتـ ، وهـيـهـا ، (بالهاء آخر) وصلا ووقفا ،
أـيـهـاتـ ، وهذه تسع قراءات (٢) .
د - ما كان على وزن فعـال :

مما قاله سيوييه في هذا النوع من أسماء الأفعال : ((واذا
كان الاسم على بناء فعـال نحو : حذارم ورقاش ولا تدري ما أصله أعدوا))

(١) المفصل ص : ١٦٠ - ١٦١

(٢) الأفعال في القرآن الكريم : ٣ / ص : ١٤٢٣

أَمْ غير معدول ، أَمْ مؤنث أَمْ مذكر ، فالقياس فيه أن تصرفه ، لأن
الأكثر من هذا البناء ، معروف غير معدول ، مثل : الذهاب ، والصلاح ،
والفساد ، والجهل ، ب .

واعلم أن فعال جاذبة من كل ما كان على بناء فَعَلَ أو فَعُلَ
أو فَعِلَ ولا يجوز من أَفَعَلْتُ ، لأننا لم نسمعه من بنات الأربعة ، إلا أن تسمع
شيئا فتجيزه فيما سمعت ولا تجاوزه . فمن ذلك : قرَّار وعَرَعاره .
واعلم أنك إذا قلت : فعلى ، وأنت تأمر امرأة أو رجلا أو
أكثر من ذلك ، أنه على لفظك إذا كنت تأمر رجلا واحدا ، ولا يمكن ما بعده
الانصباء ، لأن معناه : أَفَعَلْ ، كما أن ما بعد فَعَلَ لا يكون الانصباء ، وإنما
منعهم أن يضمروا في فعال الاثنين والجميع والمرأة ، لأنه ليس بفعل ،
وإنما هو اسم في معنى الفعل .

واعلم أن فعال ليس بمطرود في الصفات نحو : حَلَّاق ،
ولا في مصدر نحو : فَجَّارُه ، وإنما يطرد هذا الباب في النداء (والأمر) (1) .
وأما أبو اسحاق الزجاج فقد ذكر أن اسم الفعل هذا بني على
الكسر (لأنه مؤنث ، تقول : (منع زيدا من هذا) واختير له الكسر ،
لأن الكسر من علامات التأنيث) (2)

(1) الكتاب : 3 / ص : 280

(2) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 72

وعلى هذه الصيغة جاءت تراكيب مختلفة ولكنها تكثر تتفق ، إلا ما

سمح مخالفا لذلك ، من هذه التراكيب المطردة قوله :

مناعها من إبل مناعها أماترت الموت لدى أرباعها (1)
وقال الآخر :

تراكيها من إبل تراكيها قد نزل الموت لدى أوراكيها (2)
ويظهر أن التراكيب اللهجية لم تختلف في هذا المورفيم ، سوى
أن بني أسد يفتحون لام فعال (3)

وفي بنات الأربعة قال النابغة الذبياني :

متكفسي جني عكاظ كلمهما يدعو وليدُهُم بها عرسار (4)

ولقد سبق أن تكلمنا على فعال حين تكون معدولة عن فاعلة

في الأعلام مثل : حذام ، وقطام ، . . . وتكلمنا عن بناء المعدولة في

لغة أهل الحجاز ، وأعرابها لدى بني تميم وأعرابها من الصرف

إلا ما كان آخره را ، فإنهم يوافقون فيه أهل الحجاز ، إلا فئة

منهم قليلة ، . . . وإنما نحن اقتصرنا في حديثنا هنا على (فعال)

التي تكون في معنى الأمر باعتبارها اسما من أسماء الأفعال الأبر .

(1) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 72

(2) م. س. : ٥٠ ص

(3) انظر : شذور الذهب ص : 89 وكذا : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص 223

(4) ديوانه ص : 102

أما ما كان من الرباعي المسموع، فمن المفروض أن يكون على وزن ((فمـلـل)) مثل ((عرعار)) في بيت النابغة الذبياني السابق.

من غير شك أن صيغ الرباعي صيغ معدولة أيضاً، على الرغم من أنها غير قياسية، كما ذكر النحاة، لكن هذه الصيغ صيغ وتراكيب لهجية فصيحة، وربما اشتهرت بها جهة متكلمة دون أخرى، وما جاء معدولا من الرباعي قول أبي النجم:

قالت له ريح الصبا قرقار (1)

فقال سيويو محلاً: ((فأنما يريد بذلك قالت له: قرقربالرعء للسحاب.

وكذلك عرعار، وهو بمنزلة قرقار، وهي لعبة، وأنما هي من عرعت (2)

ومما ذكره أبو زيد الأنصاري أن قوماً من قيس إذا شئ

أحد هم: ((هل بقي عندك شيء من طعامك ؟))، فيقول:

((همهام)) معناه لم يبق شيء (3)، وجاء آخر اسم هذا الفعل

الأمري منياً على السكون في الجمهرة، ولعل الحركة للسكت أو الوقف

وليس للبناء، بدليل أن الصيغ الباقية مبنية على الكسر ما عدا الصيغة

التي قد ترد موظفة توظيف اسم، مثل قولهم: ((سمعت عرعاراً الصبيان)) (4)

(1) الكتاب 3: ص 276

(2) م.س.ن.ص

(3) جمهرة اللغة: 1/ ص 166

(4) م.س.ص: 145

بفتح الراء من (عرعار) ، وتعني اختلاط الأصوات .

وقال ابوحاتم عن أبي زيد : (سمعت عامرياً يقول ،

إذا قيل له : هل بقي عندك شيء ؟ يقول : همها م ، يا هذا ، أي ما

بقي شيء (1) ، وقال غيره : همها م ، وحما م ، ومحما ح ، وبحما ح ،

أي لم يبق شيء ، وجي : .

أولمت يا خنثوت شراييلام حتى أتيناهم ، فقالوا : همها م (2)

وهذا يعني أن قوما من بني عامر وقيس كانوا يستعملون

هذه الصيغ التراكيب ، ولم يقد رلها الانتشار ، لأن (فعلان) أتبع

من (فعال) ، كما أن (فعل) اكسرورودا تكلما وأصلا من (فعلل) ،

وذكر الصغاني أنها سبعة ألفاظ (3) .

وفضلا عن تحديد المصدرين السابقين لا ستعمالها ، وهما عامر وقيس ،

فإن النابغة الذبياني غطفاني مضري ، وأبا النجم عجلي بكسري

وأشلي ريمي ، وهكذا يظهر أن هذه الصيغ المبنية على الكسر - مع

قلتها - كانت منتشرة بين قبائل شتى : شرقية وغربية ، وهنو غطفان في

نجد مماليك وادي القرى وجبلي طي ، أجا وسلس (4) ، وآما بنو

عامر بن صعصعة فكانت بنا زلهم بنجد . . . وهذه الصيغ السبع يمكن نسبتها

إلى قيس ، وعامر ، وبكر ، وغطفان ، وقبائل أخرى شرقية وغربية .

(1) جهمرة اللغة : 3 / 475

(2) م. س. : ن. ص

(3) المسوهر : 2 / 132

(4) نهاية الأرب ص : 388

1-5 : فسي الاستثنا :

لقد ترددت طويلا في تعيين صنف هذا التركيب ا^{هو} من التركيب الاسمي ا^م الفعلية ام حتى الحرفي ؟ ولم لا ؟ ، وخاصة فيما يسمى عندهم بالاستثنا المنقطع . ا^ي حين يكون الآخر (بكسر الخاء) ليس من نوع الاول ، او بعبارة اخرى حين يكون المستثنى من جنس غير المستثنى منه ، كقوله تعالى :

((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلُمِ)) (1)

فهذا التركيب الاستثنائي اسلوب لا نجد فيه اثرا للفعل او ما يعمل فيه الفعل من مشتقاته . لكن هناك تراكيب اخرى لا تحصى في الاستثنا هي تراكيب فعلية ، كالذي يسميه النحاة بالاستثنا الناقص ، كقوله تعالى :

((مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ)) (2)

حيث المستثنى منه موجود ، والكلام منفي ، وفي هذه الحالة يجيز فيه اللغويون النصب والرفع ، خلافا للاستثنا التام الذي يجب فيه النصب لدى النحاة وجوبا ، كما في قوله تعالى :

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ)) (3)

(1) سورة النساء آية : 157

(2) سورة النساء آية : 66

(3) سورة البقرة آية : 83

وخلال هذه المسألة في هذه التراكيب اللهجية أن المستثنى
إذا كان منقطعاً فإنه يتعين النصب عند جمهور العرب ، ولا يجوز عندهم
الاتباع ، ولكن بني تميم يجيزونه أي اتباعه حسب ما قبله ، وهم
بهذا ليستعملون النصب الألفي حالة واحدة من الحالات الثلاث ،
ويجيزون هذا سواء كان بعد نفي أو شبهه .

وتتصارع اللهجتان الحجازية والتميمية فتختلف وتتباين معها
التراكيب اللسانية وتتنوع الأساليب ومستويات القول والخطاب ، ولعل
انقسام الناس إلى قسمين رئيسيين في هذا التركيب اللهجي لا يدل
على أن جمهور العرب كلهم كانوا يتهمون لغة الحجاز في نصب الاستثناء
المنقطع ، لأن سيويه ذكر أن الناس يختارون النصب في هذا الأسلوب
كقوله : ((وهولغة أهل الحجاز ، وذلك قولك : ما فيها أحد الإحمارة ،
جاء وأبى على معنى ولكن حمارة ، وكرهوا أن يبدلوا الإحمارة
من الأول ، فبغير كانه من نوعه ، فحمل على معنى ولكن ، وعمل فيه
ما قبله كعمل العشرين في الدرهم .

وأما بنو تميم فيقولون : لا أحد فيها إحمارة ، إزار وليس فيها
الإحمارة ، ولكنه ذكر أحد تأكيداً لأن يعلم أن ليس فيها إزار .
ثم أبدل فكانه قال : ليس فيها إحمارة . . . وعلى هذا أنشدت
بنو تميم قول النابغة الذبياني :

يادارمية بالعليا * فالسند أقوت ، وطان عليها سالف الأيسد
وقفت فيها أصيلا نا أبا عليها عيت جوابا وما بالربيع من أجد
الأواربي لأيا ما أئينهسا والنووي كا لحوس بالظلمة الجلد
وأهل الحجا زينصبون ((1) .

وهو يقصد ان بني تميم يرفعون ((الأواربي)) على لغتهم على
أنه استثنا * منقطع ، لان (أجد) ليس من جنس الأواربي ، ويقصدون
بذلك : ليس فيها الا الأواربي .

ورون أبو عيدة والأصمعي (الأواربي) بالضم ، وسأل الأصمعي
أبا عمرو : لسم رفعت الأواربي ؟ فقال : لأنها من بعض الدارمة (2)
ورفع أبي عمرو يستند الى أن الدار قد ترفع هنا بعد النداء ، ومن
ذلك ما حكاه الشيخ أبو عبد الله الأزدي : ((يروي)) (يادارمية) ()
فيرفع ((دارا)) بالنداء المفرد ، ويرفع ((مية)) بالاخبار عنها (3) .
وما يستغرب من قول سيويه قوله : ((وعمل فيه ما قبله كعمل
العشرين في الدرهم)) على الرغم من حمل ((الا)) على معنى ((لكن)) .
ذلك أن (العشرين) تعمل في الدرهم ما بعدها لا قبلها ، وهو ما صرح به
سيويه نفسه ، لكن : ما عمل ((الا)) هنا فيما بعده ؟ هل هي أداة رافعة ؟

(1) الكتاب : 2 / ص : 319 - 321

(2) انظر شرح الأبيات في ديوان النابغة الذبياني ص : 3

(3) راجع المصدر السابق ص : 2 (من الشرح) .

نسم ان سيويه يورد شراهد كثيرة منها تراكيب قرآنية غريبة حين تكون
 اذاعة (الا) على معنى ولكن وحتى انه ليقول : ((وهذا الضرب فسي
 القرآن كثير)) (1) ، وكما ان هذا المضرب من التراكيب في
 القرآن كثير ، فهو في الشعر كثير (2) ، ومثل ذلك قول بعض بني
 مازن :

من كان اشرك في تغري قالج فلبونه جربيت معا وأغدت
 إلا كنا شرة الذي شئتكم كالغصن في غلواشه المتشيت

حيث قال سيويه : ((كأنه قال : ولكن هذا كنا شرة)) (3) .

ويبدو ان هذه التراكيب هي تراكيب لهجية حين تكون منصوبة
 لكنها تراكيب واسعة لدى جمهور العرب ، ففي البيتين السابقين لا يمكن
 استثناء (كنا شرة) الذي هو اسم علم من زوات اللبن من الابل (اللبن) ،
 وقال النابغة الذباني أيضا :

طال الثواء على رسوم ديار قفرا أسائلها وما أستخاري
 دارا تعفت لا أنيس بجوها إلا بقايا دنية وأواري ؟ (4)

وبنوتهم يرفعون هذا كله (بخايا) ، ويرفعون كلمة ((اتباع))

(1) الكتاب : 2 / ص : 325

(2) م.س.ص : 327

(3) م.س.ص : 328

(4) ديوانه ص : 96

في الآية السابقة : ((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعُ الظَّنِّ)) (1) .

كما يرفعون ((حسن)) في قول النابغة الذبياني :

حلفت يميناً غيرةً في مشنوية ولا علم إلا حسن ظن بصاحب (2)
 بينما ينصب أهل الحجاز هذا كله (3) .

وقال سعد بن مالك (وهو جد طرفة بن العبد البكري) :

والحرب لا يئقس لجبا حمها التخييل والمصراح

إلا الفتى الصبار في الذجدات والفسرس الوقاح (4)

حيث وردت كلمة (الفتى) مرفوعة ، بدل ليل الفرس المعطوف عليها ،

وأهل الحجاز لا يجيزون البدل هنا لكون الفتى ليس من جنس

التخييل والعواح ، ولكن الشاعر رفع على لغة تميم ، وهو ليس

تميمياً ، ولكنه من منطقتها ، ولقد م الشاعر فان الرفع هنا يعبر بصدق

مطلق عن تعاطي هذا التركيب اللهجي في هذه المنطقة الشرقية

من الجزيرة العربية .

ويمكن أن نتصور مسحا ما لهذه التراكيب اللهجية أو

البنيات الساكنية أن المسألة تتلخص في أن أهل الحجاز يوجبون

النصب إذا كان الاستثنا منقطعا ، وأما بنو تميم فانهم يجيزون في

(1) سورة النساء : آية : 157

(2) ديوانه ص : 55 ، وكلمة ((حسن)) مرفوعة في البيت على لغة تميم .

(3) انظر الكتاب : 2 / ص : 322 - 323

(4) انظر الكتاب : 2 / ص : 324 ، وشرح حماسة أبي تمام : 2 / ص : 502

هذه البنيات النصب والابدال (1) ، وذكروا صاحب الشذور ان بني تميم يختارون النصب (2) ، وهو قول غريب ، لأن الوقائع اللسانية الماثورة في القراءات القرآنية والأشعار وكلام العرب تبين بجلالة ان هؤلاء القوم كانوا يميلون بقوة إلى الرفع فان لم يكونوا يرفعون مطلقا ، وما يؤيد هذا ، ويستبعد قول ابن هشام ما رواه سيويه من تراكيب لهجية مختلفة ذكر فيها أن التميميين يرفعونها وأن الحجازيين ينصبونها في باب الاستثناء المنقطع .

وربما لم يتجه التميميون ولا بعض العرب من المنطقة الشرقية برفع هذه البنية السانتكسية من الاستثناء المنقطع وحدهم ، بل ذهب معهم ذلك طوائف أخرى من كلام العرب ، ومن خلال القراءات القرآنية المتعددة ، ومن خلال بعض الأشعار الحية ، كما نجد لسدي بعض الهذليين ، مثل قول أبي خراش :

أَسَى سُقَامٌ خِلَاءَ لَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَّا السَّبَاعُ وَمَرُّ الرِّيحِ بِأَلْفَرَفِ (3)

حيث وردت كلمة (السباع) مرفوعة في الديوان الذي بين يدي ، وعلى الرغم من أن السستنى ليس من جنس السستنى منه ، إذ (سقام) اسم

موضع ، وفي الصحاح : (ويروى الا (الشام)) ، قال أبو عبيدة ، عمرو

الهذلي يرفع الا الشام وغيره ينصبه ((4) .

(1) انظر : تسهيل الفوائد ص : 102 ، والكتاب : 2 / ص : 310 - 322

(2) راجع شذور الذهب ص : 265

(3) ديوان الهذليين : 2 / ص : 156

(4) الصحاح : 5 / ص : 1950 (مادة : سقم)

يسل ، كما قال الدكتور عبد الجواد الطيب : ((هناك ما

هو أكثر من هذا ، هو أن الاستثناء التام الذي يجب فيه النصب

عند النحاة وجوبا قاطعا في مثل قوله تعالى :

((ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ)) (1)

يقراء ابن سمور ((الا قليل منكم)) بالرفع وقوله سبحانه :

((فَتَرَسَّوْا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)) (2)

نصارف فيه قراءة الأعشى ((الا قليل منهم)) بالرفع ((3) .

ومما جاء مرفوعا في الاستثناء التام وحقه النصب حسب قاعدة

النحاة ، قول أبي ذؤيب الهذلي :

على أطرقا باليات الخيام ((لا الثمام)) وإلا العصي² (4)

ويتباعد الشراح والمحللون في تفسير ابنية السانتكسية في هذا التركيب

تبا عدا كبيرا ، ويذهبون في تأويله مذاهب لا قبل لها بالوقائع اللسانية

الواضحة التي تؤكد أو ترجح على الأقل أن الشاعر هنا رفعه لأن

النصب يوقع البيت في الأقوال ، باعتبار ((العصي)) معطوفة على

((الثمام)) . والا استثناء هنا تام متصل ((لأن المستثنى وهو

((الثمام ثم العصي)) هو بعض المستثنى منه ، ومع هذا جاء مرفوعا خلافا لما ذكر النحاة 5

(1) سورة البقرة آية : 83

(2) سورة البقرة آية : 249

(3) راجع : لفظة هذا يسيل : 347

(4) ديوان الهذليين : ق : 2 / ص : 65

(5) راجع لفظة هذا يسيل : 347

ولا نريد بدل من المستحيل ، أن نستعرض هنا كل البنى الساكنة الفعلية والاسمية التي تمثل التراكيب اللهجية المتعددة من خلال القراءات القرآنية ، ولكننا فقط نريد أن نشير إلى أن ابن كثير وأبا عمرو قرآ قوله تعالى :

((وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَسْلُكَ)) (1)

بالرفع في (امرأتك) ، بينما قرأها قون - أبي الخمسة - بالنصب (2) ، وقرأ السبعة :

((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ)) (3)

بالنصب في ((اتباع)) ، وتعيم ترجمه ، وتجزئ لا اتباع .

وقري قوله تعالى :

((مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ)) (4)

بالرفع والنصب ، (فالرفع على البدل من الواو في (فعلوه) وتقديره

ما فعله الا قليل منهم ، والنصب على الأصل في الاستثناء ، والا صل

في الاستثناء النصب ، والرفع على البدل أوجه الوجهين) (5) .

(1) سورة هود آية : 81

(2) التيسير ص : 125

(3) سورة النساء آية : 157

(4) سورة النساء آية : 66

(5) البيان في غريب أعراب القرآن : 1 / ص : 258 لأبي البركات بن الأنباري (ط : 1969 دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة)

واذا كان ابن الأنباري لم يذكر أصحاب هذه القراءات، فإن المعروف فيها، بالنسبة للسبعة فقط هنا، أن ابن عامر قراء :
 ((الا قليلا منهم)) بالنصب، بينما قراء البا قون بالرفع (1) .
 وفي قوله تعالى :

((فَلَسُوْلاً كَانَتْ قَرْيَةٌ لَّمْ يَأْتِهَا الْبَرْقُ إِلَّا قَوْمٌ يُنْسَوْنَ)) (2)

قال ابن الأنباري : ((قوم يونس)) منصوب على وجهين :
 أحدهما : لأنه استثناء منقطع ، لئلا يكون من الأول .
 والثاني : أن يكون منصوبا على الاستثناء غير المنقطع بأن يقدري في الكلام حذف مضاف ، تقديره ، فلولا كان أهل قرية آمنوا الا قوم يونس .
 ومن رفعه حملته على البدل ، كقول الشاعر :

وبلدة ليس بها أنيس
 الا اليعافير ، والا العيس
 والبدل من غير الجنس لغة بني تميم)) (3) .

ويظهر من القراءات القرآنية والتراكيب العربية الماثلة في كتب القدماء التي وصلتنا أن البنية السانتكسية بين الحجازيين والتميميين لم تكن على حال واحدة ، بل كانت مختلفة اختلاف عسادة كل تركيب في اللهجتين الكبيرتين كما خلا فهما في مستويات أخرى كثيرة .

(1) التيسير : ص : 86

(2) سورة يونس آية : 98

(3) البيان في غريب اعراب القرآن : 1 / ص : 420

الفصل الرابع : التركيب الحرفي والظرفي

1-1 : في الوحدات الدالسة :

لا يحسب المتبوع لهذا العمل أنني أدعي بهذا العنوان أن أجرد التراكيب اللهجية على الوحدات الصوتية وتركيباتها في الكلمة أو حتى على مستوى وظائفها الفونولوجية ، فهذا أمر غير وارد في الحساب ، لأن ((الهمزة)) وحدها تتطلب مجلدا كاملا وجهدا فريدا مستقلا ، ومثلما تختلف التراكيب الاسمية والفعلية من لغة إلى أخرى ، تختلف هنا أيضا التراكيب الحرفية والظرفية فيما بين اللغات ، ولا يمكن أن نتخذ نماذج لهذا التركيب أو ذاك في لغة متباعدة طبيعتها ومختلف جذريا أصلها وتاريخها والمتكلمون بها ثم نحاول أن نتعسف بهذا الشكل اللساني أو ذاك تطبيقها على العربية ، وإذا كان هذا لا يصدق على اللغة الكلية أو العامة مثل العربية المشتركة حاليا بين متكلميها ، فما بنا لو حاولنا ذلك مع تراكيب لهجية متباعدة داخل لغة واحدة ؟ وربما يوفق باحث في هذا العمل على هذا النحو ، ولو بشكل ناقص ، إذا اعتمدنا تنقما (*Syntagme*) حرفيا فقط في هذه التراكيب أو سا تنقما اسميا ، أو سا تنقما فعليا ، أما أن يعتمد هذه الأصناف الثلاثة في الآن ذاته ، وفي كل التراكيب اللهجية القبلية المتضاربة في جميع

ستوليها وخطاياتها ، فهذا العمل يحتاج الى فرق بحث في مركز
 ايكاديمي خاص ، ولمدة سنوات طويلة ، ولذلك تجنبنا الخوض ، في
 الفصلين السابقين ، في رسم الجداول وبركة التشجير ، والمعادلات
 السانتكسية التي تعتمد نماذج معينة دقيقة لتراكيب عامة ومتواضع
 عليها من المجموعة اللغوية ككل ، وهذا ما سنتجنبه في هذا الفصل
 ايضا ، لأن تركيبا واحدا ، أحيانا ، لا تختلف فيه قبيلتان اثنتان وحسب
 بقدر ما يتعداهما الى قائل شتى ، وهذا يتطلب معادلات وتشجيرات
 تبعاً لهذه التراكيب السانتكسية ، والسانتكسية القبايلية .

غير أن ما صرح به أعلاه لا يمنعنا من التوضيح بأن هناك
 وحدات دالة مكثفة بذاتها (Monèmes - Autonomes) ، مثل
 الوحدات الظرفية ، لأن هذه الوحدة لديها من القدرة الذاتية
 والداخلية ما يجعلها حرة في الترتيب داخل التركيب ، مثل :

(1) ذهبت الى البادية أمس

(2) أمس ذهبت الى البادية

(3) ذهبت أمس الى البادية

لكننا لا نستطيع أن نقول :

(4) أذهب الى البادية أمس

(5) أمس أذهب الى البادية

(6) أذهب أمس الى البادية

بينما يمكن أن نقول :

(7) اذهب الى البادية احيانا

(8) اذهب احيانا الى البادية

(9) احيانا اذهب الى البادية

وبالعكس ولا يمكن ان نقول :

(10) ذهبت الى البادية احيانا

(11) ذهبت احيانا الى البادية

(12) احيانا ذهبت الى البادية

والتركيب ((كنت)) يمكن أن يشكل على ماضى وجملة معقدة

مع التراكيب : (1، 2، 3) :

(13) كنت ذهبت الى البادية أمس

(14) كنت ذهبت اسر الى البادية

(15) أمس كنت ذهبت الى البادية

ونفس التركيب (كنت) قد يشكل في لغة من لا يحسن التركيب والخطاب

في العربية جملة مركبة مع التراكيب (4، 5، 6)

بينما يشكل بشكل عادي ومقبول - أعني التركيب : كنت - جملة

موسعة أو مركبة مع التراكيب (7، 8، 9) :

(16) كنت أذهب إلى البادية أحيانا

(17) كنت أذهب أحيانا إلى البادية

(18) كنت أحيانا أذهب إلى البادية

وهذه التراكيب للطرفين : أ م س ، وأحيانا ، وما شابههما

من ظروف مماثلة تستبعد في نظرنا ما يراه بعض اللسانيين المعاصرين

بأن العلاقة في هذه الحالة تكون ((بين الوحدة الدالة والمبارة

محصورة بتمامها في دلالة الوحدة بالذات بغض النظر عن موقعها

داخل المبارة مثل : لفظة ((غالبا)) في قولك :

غالبا ما شاهد التلفزيون ، أشاهد غالبا التلفزيون ، أشاهد

التلفزيون غالبا . وهذه القدرة على الانتقال تنجم مباشرة عن اكتفاء

الوحدة الدالة بذاتها . ((1) .

لوسأل صاحب هذه الجمل نفسه ، لقال : أين ذهبت

((ما)) في الجملتين : الثانية والثالثة ؟ اكان ما مكانه ان يقول :

(19) ساءا شاهد التلفزيون ؟

(20) ماأشاهد التلفزيون غالبا ؟

فلما حوله ان يقول :

(21) غالبا ماأشاهد التلفزيون .

ان الاكتفاء الذاتي للوحدة الدالة في الظروف المشابهة

(1) مدخل إلى اللسانيات ص : 103-104 رونالد ايلوار (مطبعة جامعة دمشق)

لصا تـ مـ ، ليس الا اكتفاءً داخليا في الوحدة ذاتها كونيـمة
 اـ ومورفيـمة (كما تسميها المدرسة التوزيعية) ، اي ما يسمى بالاكتفاء
 لهذه الوحدات الدالة ليس الا نسبيا ، لانه مرتبط بالكل ، اي بتداعي
 العناصر المؤلفة لبنية الجملة ككل .

وايـ ما التركيب الثاني ، فانه سيدور حول ما أصبح يعرف
 في اللسانيات الوظيفية بالوحدات الدالة الوظيفية () وتقتصر
 مهمتها على ان تدرج في العبارة وحدات دالة غير مكثفة بذاتها
 وان تضبط عيقتها بالعبارة ، وهي تشير الى وظيفـة
 وحدة دالة اخرى ((1) .

وفي بعض الكتب القديمة في علوم العربية يعرف الحرف
 بانسيبه ما دل على معنى في غيره ، ومن ثم لم ينفك من اسم
 او فعل يصحبه وهي على ثلاثة اـ ضرب :
 1ـ الحـرب لازم للحرفية ، وهي تسعة : من ، الى ، حتى ، في ، الباء ،
 اللام ، رب ، واو القسم ، تا ، القسم .

(2) ضـرب كائن اسما وحرفا ، وهي خمسة : على ، عن ، الكاف ،
 مسد ، مسند .

(3) ضـرب كائن حرفا وفـعلا ، وهي ثلاثة : حاشا ، خلا ، عدا (2)

(1) مدخل الى اللسانيات ص : 104

(2) راجع الفصل في علم العربية ص : 283

وهناك صنف ثالث يأتي من هذه الوحدات يدعى الوحدات

الدالة التابعة (٢) سبق الحديث

عنهما في نماذج من مختلف التراكيب اللهجية القلبية ، وראينا كيف كان ادراج تلك الوحدات تبعاً لكل لهجة من خلال ترتيب معين مثل التركيب المريب : (ان هذان لساحران) حيث لا يمكن تغيير

المسند بالمسند اليه أو بالعكس ، أو قولك في التركيب المسما :

ضرب عيسى موسى ، فإنه يختلف دلالة بقلب التركيب أو

عكسه : ضرب موسى عيسى ، وتكون هذه الوحدات الدالة

التابعة بدرجة بفضل وحدة دالة وظيفية ، ومثل :

(١) لا ، رحمك الله

(٢) لا ، ورحمك الله

فبفضل الوحدة الدالة الوظيفية غير الكيفية بذاتها (الواو هنا) ،

تعاكست الدالتان الدعائيتان في الجملتين أعلاه (١ ، ٢) ،

أو يكون ادراج هذه الوحدات الدالة التابعة بفضل

علامات الاعراب كما هو الشأن بالنسبة للتراكيب في اللغة العربية

وغيرها من بعض اللغات الأخرى القديمة ، وحتى الحديثة التي

لا يزال أثر الاعراب فيها ماثلاً ، ونحن لا نريد أن ندخل في

مناشات فلسفية في هذا الموضوع ولكن ما هو مؤكد لدينا أننا حين نحل اشكال ما يسمى بالحركات الاعرابية ، تحل كل الاشكالات الباقية حول الاعراب في العربية ، واهم قراءة لهذه الحركات وفي اعتقادنا ، هي تلك القراءة التي تتعامل مع هذه الحركات على أساس أنها وحدات صوتية دالة تقوم بدور الوظائف في التراكيب العربية .

1- 2 : بين الفئات النحوية والفئات المعجمية :

حتى لا يكون في علمنا تداخل بين ماضي في التركيبين : الاسمي والفعلية ، وبين التركيب الفعلي والظرفي في هذا الفصل ، فانسي ارتأيت أن أشير هنا باختصار الى الحدود بين الفئات النحوية من جهة والفئات الليكسيكية (المعجمية) هنا ، لأننا تعاملنا عن وعي أو عن غيروي مع التركيبين السابقين من خلال هذه الفئات المتلازمة ، ولا أدل على ذلك من أداة ((ال)) التي تعاملنا معها على أساس أنها أداة حصر في لغة تميم مثلاً في التركيب المشهور بين اللهجتين : الحجازية والتميمية (ليس الطيب الا المسك) ، وفي الآية القرآنية ((ما هذا بشراً)) حيث تعاملنا مع ((ما)) في لهجة تميم على أنها حرف نسفي ، وما بعدها مسند اليه (مبتدأ) ومسند (خبر) ، في حين تعاملنا مع نفس الوحدة (ما) على أساس أنها تحمل معنى الفعل

(ليس) ، وهي لا تخرج عن طبيعة كونها من الفئات النحوية .

وأداة الاستثناء ((الا)) تحمل معنى الاسم مثلما تحمل

تحمل معنى الفعل ، ومعنى الحرف ، وهذا في الوقت الذي هي فيه

حرف أيضا ((وحرف الاستثناء الا ، وما جاء من الأسماء فيه معنى

الا ففهم ، وسوى . وما جاء من الأفعال فيه معنى الا فلا يكون ، وليس ،

وعدا ، وخلا ، وما فيه ذلك المعنى من حروف الإضافة وليس باسم فحاش (1)

وخلا في بعض اللغات (((2) .

ولذلك ، فاني كنت قد تساءلت عن التركيب في الاستثناء :

أيدخل في التركيب الاسمي أم الفعلية أم حتى الحرفي ؟ ولم لا ؟ (3) .

ومما يقوله بعض الدارسين المعاصرين : ((قليلة هي القواعد

النحوية التي تقدم تمييزا بين الكلمات النحوية والكلمات المعجمية (اللكسية) ،

مع أن هذا التمييز غالبا ما يظهر مفيدا جدا ، لأنه يسمح بترتيب

كلمات اللغة الفرنسية (4) في مجموعتين كبيرتين ، واللتين لهما ميزات

مختلفة جدا (((5) .

(1) هكذا مرسومة ، وذكر المحقق في هـ : 3 من ص : 309 أنها في الأصل : فحاشا بالالف .

(2) الكتاب : 2 / ص : 309

(3) راجع : (1 - 5) من الفصل السابق ص : 509

(4) لأن الباحث يصدر الحديث عن اللغة الفرنسية .

(5)

والفئات النحوية هي في الاغلب الأعم أنبها وجيزة أو قليلة ، وهي مكونة من عناصر صغيرة ، لكن هذه القلة ، بالنسبة للفئات النحوية في لغة كالعربية لا تكمن في النوعية الدلالية والوظائف المتعددة لعنصر واحد أحيانا ، ان لم نقل غالبا ، بسبل فقط في الكمية السطحية .

إذا قمنا مثلا بقراءة اعتبارية لكتاب الأشباه والنظائر للشعاعبي للاحظنا أن العنصر ((علر)) يوظف في القرآن على خمسة وجوه (1) وأن العنصر ((فون)) يوظف فيه على ثمانية وجوه (2) ، وأن العنصر ((في)) يوظف فيه على عشرة وجوه (3) ، وأن العنصر ((اللام)) يوظف فيه ، وهي مفتوحة ، على ثلاثة وجوه ، وتستعمل فيه ، وهي مكسورة ، على اثني عشر وجها (4) ، ... وهذا بالنسبة للوحدات الدالة غير المكتفية بذاتها ، إذ أربعة عناصر أنتجت لنا ثمانية وثلاثين استخداما مختلفا ، ... ونفس الشيء يصدق على الوحدات النحوية الأخرى .

أمّا الفئات اللكسيكية فهي ذات تنوعات طويلة ، فهي الأسماء ، وهي الأفعال ، وهي الصفات ، وهي الحار ، ... واللغات لا تخلو غالبا

-
- (1) الأشباه والنظائر ص : 208 الشعاعبي (ط : 1/84 سعاد الدين للطباعة
 (2) م.س.ص : 218-219 والنشر والتوزيع - القاهرة)
 (3) م.س.ص : 220-221
 (4) م.س.ص : 239-242

أولاً نادراً مصطلحات أو كلمات جديدة بالقياس إلى ما نخلق في الفئات
 اللكسيكية ، وفي لغة كالعربية ، فإن الكلمات اللكسيكية بمثل ما تخلق
 دلالاتها من الخارج قد تخلق هذه الدلالات أيضاً من الداخل ، وعليه
 فإن الأمر غير مختص فقط بالوحدات الدالة غير المكثفة بذاتها بل هو
 مختص كذلك بالوحدات الدالة التابعة ، فالفعل ناقص (كان) يوظف
 في القرآن مثلاً على ستة وجوه :

- (1) (كَلَّ الطَّعَامُ كَانِ حِلَالِيهِ إِسْرَائِيلَ) (1) بمعنى الماضي .
- (2) (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (2) بمعنى : صلة .
- (3) (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً) (3) ، بمعنى ينهني .
- (4) (وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (4) ، بمعنى صار .
- (5) (مَنْ كَانَ فِي الْعَهْدِ صَبِيًّا) (5) ، بمعنى : هو .
- (6) (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ) (3) ، بمعنى : وجد . (7)

-
- (1) سورة آل عمران : آية : 93
 - (2) سورة النساء : آية : 96 و 151 وآيات أخره .
 - (3) سورة النساء : آية : 91
 - (4) سورة البقرة : آية : 34
 - (5) سورة مريم : آية : 24
 - (6) سورة البقرة : آية : 280
 - (7) انظر : الأشباه والنظائر ص : 236 و 237

وعلى ذكر خلق الكلمات النحوية أو المصطلحات اللغوية دارت
معارك لسانية فكرية واسعة وامتدت زمنا طويلا بين اللغويين العرب
القدماء * وإلى درجة أن بعض الفلفسيين مثل ابن فارس يعتقد اعتقارا
جازما بأن هذه الفئات النحوية واللكسيكية أي المصطلحات (من فعل
وفاعل ومفعول وجر ونصب وهمز وهمس ...) قد كانت منذ عهد
العرب العاربة ولما كان الخليل وسيبويه لم يزيدا على أن جدراها
وبعثها ... (1) .

ويقول صاحب كتاب (النحوا والقواعد للجميع) أن ((الكلمات
النحوية لا يمكن تعويض واحدة منها بضمير هينما الكلمات اللكسيكية يمكن
فيها ذلك ، وأن الكلمات النحوية ليس لها لها إلا وظيفة واحدة ،
على عكس الكلمات اللكسيكية التي يمكن لها أن تضطلع بأكثر من وظيفة)) (2)
والنص السابق لا يطبق على كل لغة ، لأن الفئات النحوية في
لغة كالعربية تؤدي أكثر من وظيفة ، والتذكر ((إلا)) أداة
الاستثناء ، وهذا بالنسبة للوظيفة النحوية ، أما الوظيفة الدلالية فقد
رأينا قبل قليل ، كيف أن أربعة عناصر نحوية ولدت ثمانية وثلاثين
تركيبا متنوعا ، وإذا فركز على قياس كل لغة بظرفها وخصائصها .

(1) لقد ناقشنا هذه الاشكالية بشيء من التفصيل في كتابنا :
الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص : 189 ، والعربية بين الظن والتطبيع : 7-19

وإذا اعتبرنا الأسماء والأفعال من نوع الفئات الليكسيكية،
 فمعنى هذا أننا قد تناولنا هذه التراكيب اللهجية وفق النموذج التي
 اعتمدناها مدونة للدراسة في كسل من التركيبين : الاسمي والفعلية،
 ولم يبق لنا إلا النوع الثاني، وأعني به الفئات النحوية، وقولنا
 هذا لا يعني أننا نتفق قلباً وقالباً مع هذه النظرية التي تقسم الفئات
 أوبالآخرى تنظر إلى هذه الفئات نظرة فاصلة، لأن الأفعال بقدر
 ما تعبر عن وظيفة نحوية معينة (الماضي، الحاضر، المستقبل، البناء، للمعلوم،
 البناء، للمجهول، ...) بقدر ما تعبر داخلياً عن مدلول يعرف بالتعارض
 مع المدلول في الأفعال الأخرى المقابلة وكذلك الصفات، والأحوال،
 ... الخ.

1-3 : التفسير كسب الحرفي ما بين اللهجات

1-3-1 : حسن الحروف المشبهة بالفعل :

إن هذه الحروف المشبهة بالفعل خمسة، وهي : ان (بكسر
 الهمزة)، ولكن، وليت، ولعل، وكأن، ولم يذ كر سيويه (أن)، وحتى
 وإن هناك همزة تحت وفوق الألف مع نون مشددة، لأنه قال :
 (هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعد ها كعمل الفعل ... الخ) 1

أما الزمخشري فقال : ((ومن أصناف الحروف المشبهة
 بالفعل ، وهي : ان . (بكسر الهمزة) وأن ، ولكن ، وكان ، وليت ، ولعل) (1)
 من الشائع أن بني تميم تقلبوا وتبدل الهمزة عينا في أن المشددة
 المفتوحة أو أن المصدرية ، وفي هذا يقول ابن فارس : ((أما العنعنة
 التي تذكر عن تميم فقلوبهم الهمزة في بعض كلامهم عينا ، يقولون : سمعت
 عن فلانا قال كذا ، يريدون أن ، وروى في حديث قيلسنة :
 ((تحسب عني ناعمة)) . قال أبو عبيد : أراد أن تحسب أني ، وهذه
 لغة تميم ، قال ذو الرمة :

أعن ترسمت من خرقة منزلة ماء الصباية من عينيك مسجوم
 أراد أن فجعل مكان الهمزة عينا) (2) .

وكذلك يفتخرون في أن المشددة في مواضع التراكيب آخر ،
 إذ يقولون : أشهد عسى محمد رسول الله (3) ، وكان بعض
 العرب يقول ((أردت عسى تفعل)) (4) ، ومن غير شك أن هؤلاء
 العرب هم من بني تميم ، أو ممن يتعاطون لهجتهم في هذا الإبدال
 قيس وأسد .

ومما هو مألوف في كلام العرب أن أن وأخواتها تنصب المسند إليه

(1) المفصل في علم العربية ص : 292

(2) فقه اللغة ص : 53

(3) انظر مغني اللبيب : 1 / ص : 149

(4) كتاب الإبدال ص : 85

والمسند، لكن هذا العنصر النحوي قد ينصبها معا، وهذا على الرغم من قول الخليل : ((وزعم الخليل أنها عطلت عطلين : الرفع والنصب ، كما عطلت كان الرفع والنصب)) (1) . وفي النصب يقول ابن هشام : ((ان المكسورة المشددة على وجهين : أحد هما أن تكون حرف توكيد ، تنصب الاسم وترفع الخبر ، قيل : وقد تنصبها في لغة ، كقوله : اذا اسود جنىح الليل فلتأت ولتكن

خطاك خفافا ، ان حراسنا اسد ا

وفي الحديث ((ان قعر جهنم سبعين خريفا)) (2) .

وذكر الخليل كذلك ان ناسا من العرب يقولون : ان بك

زيد مأخوذ ، مؤ ولا هذا التركيب على بنية عميقة هي : انسه بك زيد

مأخوذ (3) ، ووردت في اشعر العرب تراكميب اخرى كثيرة ابطل

فيه وظيفه ((ان)) كعنصر نحوي ، ولا سيما احدى اخواتها ،

وهي ((كان)) حيث ابقى فيها على وظيفتها الثانية ، وهو التشبيه ،

والفني عطها النحوي ، وهو النصب والرفع ، من ذلك قولهم :

وجه مشرق المنحصر كان شد يساه حسان

لان هذا التركيب لا يحسن فيه ههنا الاضمار ، على حد تعبير سيوييه (4) .

(1) الكتاب : 2 / ص : 131

(2) مغني اللبيب : 1 / ص : 37

(3) الكتاب : 2 / ص : 134

(4) م. م. ص : 135

وليس الأمر متعلقا فقط بـ ((كَان)) وهي مخففة ،
بل وردت تراكيب أخرى فيها ((لكن)) شديدة ، ولكن ما بعدها
مرفوع ، كقول الفرزدق :

فلو كنت غيبا عرفت قرايتي ولكن زنجي عظيم الشافسر
على الرغم من أن سيويه قال بعد هذا التركيب ((والنصب أكثر في
كلام العرب ، كما أنه قال : ولكن زنجيا عظيم الشافر لا يعرف
قرايتي . ولكنه أضمر هذا كما يضر ما بني على الابتداء " نحسو
قوله عز وجل : ((طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ)) (1) ، أي طاعة وقول
معروف أمثل)) (2) .

ونحن ، كما أشرنا في غير هذا الموضع ، لا نعامل هؤلاء إلا
كمتكلمين ، ولذا ، فإننا لا نحفل إلا قبيل الفائدة والاطلاع على مثل هذه
التأويلات التي قد تكون صحيحة وقد تكون ضعيفة ، ولكننا حينئذ
نعامل هذه التراكيب كتكلمات صدرت على سجيته وطبيعتها ، فإننا
سنكون في غنى عن مثل هذه التأويلات التي كثيرا ما تخرج عن
وقائعها اللسانية الملموسة والحقيقية .

أن هؤلاء المتكلمين كانوا يعرفون لهجات أخرى فنطقوا بها ،
بدليل أن الخليل يقول : (وروى الخليل رحمه الله أن ناسا

(1) سورة محمد آية : 21

(2) الكتاب : 2 / ص : 136

يقولون : ان بك زيد ماخون ((1)) ، وبدليل قول سيوييه
السابق في تركيب ((لكن)) : ((والنصب اكثر في كلام العرب)) ،
وبدليل قول ابن هشام السابق ايضا ، وهو يتحدث عن ((ان)) بان
المبتدأ والخبر قد ينصبان بعد ما على بعض اللغات ((وقد تنصبهما
في لغة)) .

واذا كان النصب يعود الى تراكيب لهجية لا تخرج مبهولة
لدينا - لم اقف عليها - الا اذا قسناها على احدى اخواتها ((ليت))
فان النصب في هذه التراكيب قد يرجع الى بني تميم (2) . اما
الرفع لهذه التراكيب فقد سبق ان اخذنا عليه صورة ولوبشكك آخر ،
حين تحدثنا عن التركيب في المثنى (ان هذان لسا حاران) ، اي
بنو الحارث بن كعب ومن ذهب معهم في هذا التركيب هم الذين
يرفعون السند اليه والسند بعد ((ان)) او بعض اخواتها ، وقد
يكون العكس ردي البعض الاخر تما ما حيث ينصب المبتدأ والخبر بعدها
او بعد احدى اخواتها .

(1) الكتاب : 2 / ص : 34

(2) سنرى كيف ان السند اليه والسند قد ينصبان معا بعد ((ليت))
كما في مثلهم المشهور : ((ليت القسي كلها ارجلا)) .

والمعروف في ((ان)) الشددة اذا خفت ، فان ما بعدها
في لغة الجمهور لا جدال فيه ، أي تهمل وظيفتها النحوية ، ويرفع
المبتدأ والخبر كلاهما ما بعدها ، غير أننا نجد أن هذا التركيب يظل
على حاله لدى أهل الحجاز من العالية أي بأعمال ((ان)) في
نصب السند اليه ورفع السند كما لو كانت شدة (1) .

أما عن ((ليست)) فان المعروف عند الجمهور أنها
مثل أخواتها من حيث وظيفتها النحوية ، وهي تستعمل على عدة أوجه ،
وقد تحذف النون منها لدى اتصالها بياء المتكلم ، كقول الشاعر :
كفنية جابران قال لي تي أصادفه وأفقد بعض ما لسي (2)
وفي الكتاب ((قال بعض الشعراء : ((لي تي)) اذا اضطروا ، كأنهم
شبهوه بالاسم حيث قالوا : الضاربي والمضمر منصوب ، قال الشاعر (3) :
شم قال : ((وقد جاء في الشعر : قطبي وقد ي . فأما الكلام فلا بد
فيه من النون ، وقد اضطرب الشاعر فقال : قد ي وشبهه بحسبي)) (4)

- (1) انظر اللهجات العربية القديمة ص : 45 ، وفي الكتاب : 2 / ص : 140
قال سيوطي : ((وحدثنا من نثر به ، أنه سمع من العرب من يقول : ان عمرا
لمنطلق)) . وأهل المدينة يقرأون : ((وَإِنْ كَلَّا لَمَا لِيُؤْفِقْتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ))
(الآية : 111 من سورة هود) ، واختلط القراء في قراءة هذا التركيب القرآن .
- (2) انظر الموشح ص : 153 - 154 ، والبيت موجود في الكتاب : 2 / ص : 370
وفي النوادر لأبي زيد ص : 68 مع اختلاف الرواية في بعض الألفاظ .
- (3) الكتاب : 2 / ص : 370
- (4) م . ص . ص : 371

ومارواه محمد بن سلام للعجاج أنه قال :

يـالـيت أـيـام الصـبـار وـاجـعـا)

ثم قال : ((وهي لغة لهم ، سمعت أتباعون الحرمازي يقول :

((ليت أياك منطقا ، وليت زيدا قاعدا)) . وأخبرني أبو

يعلى أن منشأه بلاد العجاج ، فأخذها عنهم)) (1) .

ونص ابن سلام واضح ، بأن الحرمازي لما تربى وترعرع تكلم

بلغة قوم العجاج ، وهذا ما تقول به كل النظريات اللسانية ، بأن اللغة

مكتسبة ، والفرد يتكلم لغة منشأه الذي ينشأ فيه بصرف النظر

عن أصله الحقيقي .

أما سيبويه ، فهو كما دته حاول أن يذهب مذاهب بعيدة في

تخريج هذا التركيب اللهجي الواضح تبعاً لنص ابن سلام ، إذ يقول

سيبويه : ((فهذا كقوله : ألا ما باردا ، وكأنه قال : ألا ما لنا باردا ،

وكانه قال : ياليت لنا أيام الصبا ، وكأنه قال : ياليت أيام الصبا أقبلت

رواجع)) (2) .

(1) طبقات فحول الشعراء : س : 1 / ص : 73 - 79 .

وجاء التركيب في الموشح ص : 340 على النحو : ((ياليت أيام رواجع))
محذوفاً منه ((الصبا)) ، ولعلها سقطت من التحفيظ والطبع ، لكن التركيب
عند سيبويه (الكتاب : 2 / ص : 142) جاء مثلاً جاء في الطبقات .

(2) الكتاب : 2 / ص : 142 .

واذا علمنا أن الجاج من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن

تميم (1) ، فمعنى هذا أن هذه اللغة تميمية ، وإنها تنصب المبتدأ

والخبر بعد هذا المنصر النحوي ، ومن المرجح أن كل التراكيب المنصوبة

في ان وأخواتها تعود الى هذه القبيلة ، مما جعل بعض أهل الحجاز

ينصبون المبتدأ ويرفعون الخبر حتى ولو خفت ((ان)) الشدة .

وفي مجمع الأمثال للميداني ((ليت القسي كلها أرجلا)) .

كذا ورد المثل نصبا ، وهي لغة تميم (2) ، يعملون ((ليت))

أعمال ظن ، فيقولون : ليت زيدا شاخصا ((3)) .

أما التراكيب اللهجية في العنصر ((لعل)) فلا

تنوعا في تراكيبه المختلفة من الإبدال الصوتي الى تعدد وظائفه

النحوية ، وما ينسب الى الأصمعي أنه قال : ((وفي لعل لغات ،

يقول بعض العرب : لعلني ، وبعضهم يقول : لعلني ، وبعضهم : علي ،

وبعضهم : غلني ، وبعضهم : لعنني ، وبعضهم : لغني ، قال الفرزدق :

هل أنتم عاججون بنا لعنا نرى العرصات أو أشتر الخيام (4)

وقال عيسى بن عمر الثقفي أنه سمع أبا النجم يقول : أغد لعننا

(1) الشعر والشعراء ، أوطبقات الشعراء ، ص : 374 لا بن قتيبة

(2) مجمع الأمثال : 2 / ص : 178 للميداني (ط : 2 / 1959 مطبعة السعادة مصر)

(3) م . س : ن . ص

(4) كتاب الإبدال ص : 111

نفعل كذا ، يريد : لعلنا ، وبعضهم يقول : لا نُنسي ، ولا نُنسي ،
وبعضهم : لو أننسي ، وسمع رجل بنى يقول : (من يد عو المرأة
الضالة ؟ فقال أعرابي ، : لو ن عملها خماراً أسود يريد : لعلها ، فقال
له : سود الله وجهك ، وأنشد :

فقلت امكشي حتى يسار لو أننا نحج فقلت لي : أعام وقابله ؟
يريد لعلنا ((1) .

ومما هو معروف في بعض التراكيب اللهجية القبلية أن ((لعل))
قد توظف كحرف جر إلى جانب عملها المعهود مع أخواتها ، إذ روى
أبو زيد الأنصاري قال : ((وقال كعب بن سعد بن مالك الغنوي :
وداع دعا : هل من مجيب إلى الندى فلم يستجبه عنداك مجيب
فقلت : ادع وارفع الصوت دعو لعل أبنا المغوار منك قريب
ويروى لعل أبي المغوار ، وهي الرواية ، وكذا أنشد اللام الثانية
مكسورة وأبي المغوار مجرور) (2) .

وقال ابن الحاجب ((لعل في لغة عقيل ، نحو : لعل الله
يفخر نبي) (3) ، ويقصد بهذا أن لعل هنا في التركيب الذي مثل
به تجر ما بعدها ، وهكذا يكون لفظ الجلالة (الله) مجروراً بـ (لعل)
حسب لهجة عقيل ، ونجد لفظ الجلالة (الله) مجروراً أيضاً في

(1) انظر هذا النص والنثر الذي قبله في كتاب الابدان ص : 111 - 112

(2) النوادر في اللغة ص : 37

(3) متن الكافية ص : 58 لابن الحاجب (نسخة مصورة عن طبعة بولاق : 1241 هـ)

بعض التراكيب الشعرية الأخرى :

لعل الله فضلكم علينا بشيء أن أكمم شريم (1)

1 = 3 = 2 : ((لا)) النافية للجنس :

هذا الحرف يعمل عمل ((ان)) وأخواتها ، ولا فرق في

عملها (لا) بين السفردة وبين المكررة نحو : (لا حول ولا قوة إلا

بالله) ، وينبغي أن يكون اسمها وخبرها في جميع لغاتهم نكرتين ،

وهي لا تعمل في المعرفة ، ولا يفصل بينهما وبين اسمها عند هم جميعاً ،

فإن فصل بينهما التعيت ، ولكونها عند هم وضعت لنفسها الجنس ، فلا

يجوز أن يقال مثلاً : (لا جندي نائم بل جنديان) .

وعملها في جمع المؤنث السالم مختلف فيه ، إذ قال قوم هو مهني

على ما كان ينبغي حسسه ، وهو الكسر النائب عن الفتح ، وكقول الشاعر

مدح ابن جندب السعدي :

إن الشباب الذي نجد عواقبه فيه نلذ ، ولا لذات للشيب

في حين أن بعضهم أجاز الفتح فيه (2) .

وفي هذا ملخص ما قال به سيوييه في هذا الموضوع (لا تعمل

(1) شرح ابن عقيل : 2 / ص : 5

(2) السابن : 1 / ص : 401

فيمابعد ها فتصبه بغير تنوين ، ونصبها لما بعد ثا كنصب ان لما
 بعد ها . وترك النون لما تعمل فيه لا زم ، ، ، لانها لا تعمل الا
 في نكرة ، ، ، واعلم ان لا وما عملت فيه في موضع ابتداء ، ، ، والذي
 بينى عليه في زمان او في مكان ، ولستكك تضره ، وان شئت اظهرته
 وكذلك : لا رجل ولا شيء ، انما تريد : لا رجل في مكان ، ولا شيء في
 زمان . والدليل على ان لا رجل في موضع اسم مبتدأ ، وما من رجل
 في موضع اسم مبتدأ في لفظة بنسي تميم ، قول العرب من اهل
 الحجاز : لا رجل افضل منك . (1) .

وفي مصادر اخرى ان طيئنا ننحو نحو تميم في هذا التركيب
 اي تحذف القبيلتان كلتا هما خبر (لا) وجوبا زادا ل عليه
 دليل ، خلافا للحجازيين الذين كثر حذفه عندهم جوازا فقط (2) .

3-3-1 : تراكيب حرفية متفرقة :

ان الحروف الجارة في اللهجات الفصحى عشرون حرفا ،
 ومن الصعب في مثل هذا البحث المتعدد الجوانب في مستوياته التركيبية
 ان يلم بكل حرف على حدة ، ولكن نشير الى ان الهذليين يعزى

(1) الكتاب : 2 / ص : 274 - 276 في حذف من النص الكامل .

(2) الى جانب المصدر السابق انظر كلامن :

شرح ابن عقيل : 1 / ص : 413

- والتسهيل : ص : 67

لهـم الجـر بالعنصر ((متى)) .

ان ((متى)) كما نعرف في اللغة العامة أنها تستعمل

للاستفهام عن الحين وتستعمل أداة شرط جازمة لفعلين ، ولكن

بني هذيل ، كما اثر عنهم ، أنهم يستخدمونها استخداما آخر كحرف

جر ، فيقولون : ((وضعتها متى كمي ، وأخرجتها من كمي)) (1) .

وقال شاعرهم أبو ذؤيب الهذلي : ((حسب رواية الأصمعي)) :

شربين بما البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نسيج (2)

ومما قالوه في معنى متى في هذا البيت الذي وظفت فيه جارة أنها

تفيد دلالة ((من)) وكذا دلالة ((وسط)) ، . . .

ومهما قالوا وأولوا في هذه التراكيب اللهجية الهذلية ،

فان الذي لا ريب فيه ان هذا العنصر (متى) كان يوظف في هذه

القبيلة الفصيحة توظيف حرف جر ، وليكن ((ما من)) ، لأن الأصمعي

الذي روى البصيرت المذكور عاشر الهذليين سنوات طوالا في بيتهم

وباديتهم ، وكتب الكثير من أشعارهم ، وما يزيدنا اكثرا ربيعة

ازاء هذا التركيب انه من رواية العسرين للخليل (3) .

(1) راجع : شرح ابن عقيل : 2 / ص : 6 والتركيب موجود كذلك في ديوان

الهذليين (1 / ص : 52 في الشرح) على نحو : ((يقال : أخرجته من متى كمي))

(2) انظر البيت ، وبرواية أخرى أيضا ، في ديوان الهذليين (1 / ص : 51-52)

وانظر كذلك : لغة هذيل : ص : 355 وما بعدها .

(3) هكذا ذكر في ديوان الهذليين 1 / ص : 52 .

ومن هذه الحروف أيضا (حتى) التي تعددت وظيفتها في جر
 الأسماء ما بعدها حينما كما هو شائع ، أو نصب وجر ما بعدها ، كقولهم :
 ((وان كلبى ليصيد الأرناب حتى الظباء)) خفضا ونصبا (1) ، وهذا
 ما أجازته الفراء على الرغم من أن جنس الأرناب مختلف وجنس الظباء ،
 لكن الفراء على تأويل أن الظباء من الصيد ، لكن البصريين قالوا :
 ((هذا خطأ وفيه بطلان الباب)) (2) ، لأن مذهب البصريين في
 هذا الباب أنه لا يجوز العطف به (حتى) حتى يكون الثاني من الأول ،
 والكوفيون لا يجعلون حتى حرف عطف ، إنما يعربون ما بعدها باضمار (3) ،
 وقال سيويه : ((وبلغنا ان مجاهدا قرأ هذه الآية :
 ((وَزَلِزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ)) (4)

أي برفع اللام ، وهي كصا نجد في كتب القراءات قراءة أهل
 الحجاز (5) ، أي قرأ مجاهد ((يقول)) برفع اللام ، ومن كان
 قرأها بالرفع أيضا نافع المدني (169 هـ) ، وهو من يعنيه سيويه : أهل الحجاز

(1) فقه اللغة ص : 151 لابن فارس

(2) م.س : ن.ص

(3) م.س : ن.ص

(4) سورة البقرة آية : 214 ، وانظر قول سيويه في الكتاب : 3/ص : 25

(5) انظر كذلك : التيسير ص : 50

2- التمر اكسبب في بعض الظروف :

2-1 : بسم ينجر المضاف اليه ؟

يخبرنا الكتاب في بعض مواضعه ان الجر انما يكون في كل

اسم مضاف اليه ، وعرينجر بثلاثة اشياء :

أ- بشي : ليس باسم ولا ظرف مثل : سررت بعبد الله ، وباقي حروف

الجر مثل اللام ، والكاف ، وتا ، القسم ، ومن ، ورب ، ...

ب- وبشي : يكون ظرفا ، ويسمى سبويه حروفا ، وهي : خلف ،

وامام ، وقدام ، وورا ، وفوق ، وتحت ، وعند ، وقبل ، وقبل ، ومع ،

وعلى لانك تقول : من عليك ، كما تقول : من فوقك ، وذهب من

معك .

وكذلك : قالة ، وكانك ، ودون ، وقد ، وبعد ، ... وما اشبه

هذا من الامكنة والارضية ... وبما اتنا نقول : آيت خلف الحائط ،

وامام دارك ، وقدام اخيك ... فنجر هذه الاسماء بعد ها ،

فهي وما يشبهها حروف ، ...

ويرى سبويه ايضا ان هذه الظروف اسماء ، ولكنها صارت

مواضع للاشياء . (1)

ج - وباسم لا يكون ظرفاً : نحو : مثل ، وغير ، وكل ، وبعض ،
ومثل ذلك الأسماء المختصة نحو : حمار زيد ، وجدار جارك ، وهذا كل
مالك ... (1) .

وحقل الظروف في اللهجات العربية حقل واسع ومعقد ،
ولعل هذا التعقيد يرجع الى العارات الكلامية المحلية والكثيرة من
جهة ، والى جهلنا لكل هذه الأصناف اللهجية القليلة من جهة ثانية ،
وأشهر هذه الظروف كما نعرف في اللغة العامة هي المورفيمات :
اذا ، اذا ، أس ، الآن ، أين ، بينما ، حيث ، عمل ، لدى ، متى ،
منذ ، ومنذ ... إلخ .

2-2 : أس - س : سبق أن تناولنا أس بشي من التفصيل بين
اللهجتين التيممية والحجازية حين تحدثنا عن الصني والمغرب ، وحين
تحدثنا عن ما ينصرف وعن ما لا ينصرف ، ولكن توجد كذلك في الحقل
الدلالي للظروف ، لكن تركيباتها اللهجية لا تتغير بين تميم والحجاز .
2-3 : منذ ، منذ :

توظف عادة ((منذ)) لا ابتداء غاية الأيام أو الأحيان
مثل : بالسقيته منذ يوم الجمعة الى اليوم باعتبارها حرف جر ، ومنذ

غدوة الى الساعة أي ما لقيته منذ غدوة الى الساعة ببناء غدوة
على الفتح، وما لقيته منذ اليوم الى ساعتك هذه بضم ذال ((مذ))
عوس كسرهما على الرغم من التقاء الساكنين، وإذا وظفت غايصة
فيقال فيها : ما رأيته منذ يومين، وهذه التراكيب كلها من أمثلات
سيوييه (1) .

وذكر سيوييه في بعض المواضع الأخرى ما يدل على أن ((مذ))
تحرك بالضم عند التقاء الساكنين لأن العرب تكره كسرة بعد هاضمة،
وإذا أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد ((كما فعلوا ذلك فسي :
منذ اليوم يا فتى)) (2) أي بضم الذال ورفع الميم في اليوم .
وفي موضع آخر يبين عن رأيه في أصل مذ ولم تؤول الى الرفع
لدى التقاء الساكنين وضم ما بعدها ((فلما اضطروا الى التحريك
جاءوا بالحركة التي في أصل الكلام وكانت أولى من غيرها حيث
اضطرت الى التحريك كما شئت في : منذ اليوم فسمعت ولم تكسر، لأن
أصلها أن تكون النون معها وتضم . هكذا جرت في الكلام .
وحذف قسوم استخفاً فلما اضطروا الى التحريك جاءوا بالأصل)) (3)

(1) انظر : الكتاب : 4 / ص : 226

(2) م . س . ص : 126

(3) م . س . ص : 193 - 194 .

ومما ذكره أبو الحسن (علي بن سليمان الأخفش) في نوادر
 أبي زيد أن منذ ومنذ لا بتدا * الغاية في الزمان ومن لا بتدا *
 الغاية في سائر الأشياء * والزمان (٠٠) (1) ويرى أبو الحسن
 (أبي السابق وهو الأخفش الصغير : 315 هـ) أن لغة الرافض في التركيب
 التالي :

ما زال ذاهبها منذ أمس صافحة خدودها للشمس
 أن يني ((أمس)) على الكسر ، فلذلك قال : منذ أمس (2) .
 ويرى ابن هشام أن ((منذ)) و ((منذ)) حرفا جبر :
 ((بمعنى من أن كان الزمان ماضيا ، وبمعنى في أن كان حاضرا ،
 وبمعنى من وإلى جميعا أن كان معدوما)) (3) .
 ومما ذكره السيوطي أن أهل الحجاز يقولون : منذ يومين ،
 ومنذ يومان ، وأن بني تميم يقولون : منذ يومين ، ومنذ يومان ،
 ((فيتفق أهل الحجاز وتميم على الأعراب ، ويختلفون في منذ ومنذ
 فيجعلها أهل الحجاز بالنون وتميم بالنون)) (4)

(1) النوادر فسي اللغة ص : 12

(2) م . س : ن . ص

(3) مغني اللبيب : 1 / ص : 335

(4) المزهر : 2 / ص : 276

وأما الدكتور داود سلوم فقد لخص ههنا التراكيب تلخيصاً
مركزاً ورائعاً بقوله : ((أما مُنْذُ فهي ظرف للزمان ، وهي في اللغة
الفصحى مضمومة الميم وساكنة الذال ، ووردت عن عكس مكسورة الميم
مضمومة الذال ، أو ساكنة الذال في لغة نسبت إليهم كذلك ، وجاء عن
تميم وعبيد من غنى من قيس عيلان : مضمومة الذال والميم (مُنْذُ) ...
أما منذ فقد وردت مضمومة الذال ومضمومة الـاول أيضاً ، وهي ظرف
للزمان ، وفي لغة سليم وهوازن وردت مُنْذُ بكسر الميم ، ... وترفع
هوازن وسليم بد (منذ) فقط ، وتجربها عامرين صعبة)) (1) .

2-4 : ————— : مع :

قال سيوييه : ((سألت الخليل عن مَعَكُمْ وَمَعَ ،
لأني شيء نصبتها ؟ فقال : لأنها استعملت غير مضافة اسمها
كجميع ، ووقعت نكرة ، وذلك قولك : جاء أمعاً ، وذهب أمعاً ، وقد
ذهب مَعَهُ ، وَمَنْ مَعَهُ ، صارت ظرفاً ، فجعلوها بمنزلة : أأمام وقدام ،
فقال الشاعر ، فجعلها كَهْدٍ حين اضطر ، وهو الراعي :
وريشي منكم وهواي مَعَكُمْ وَلَوْ كَانَتْ زيارتكم لَمَّا ما (2) .

(1) اللسجات العربية القديمة ص : 50 - 51

(2) الكتاب : 3 / ص : 286 - 287

وحسب سيوييه بما أنها من الظروف، وبما أننا نستطيع أن نقول في الحروف التي تكون ظرفاً : مِنْ عَلَيْكَ ، وَمِنْ فَوْقِكَ ، فإنه لا مانع من القول : ذهب مِنْ مَعِهِ (بجر العين) (1) ، وهي مثلما تجر على أساس أنها معمول ، وتنصب ، كما روى سيوييه عن الخليل فإنها كذلك تسكن عينها حسب الشاهد السابق في قول الراعي ، لكن تسكن عينها ليس اضطراراً كما زعم سيوييه بل هي لهنجة معروفة عند غنم وربيعة () وتسكن عينه (يقصد عين مع) لفظة غنم وربيعة ، لا ضرورة خلافاً لسيوييه () (2) . وفي هذا يقول الأستاذ الرافعي : (في لغة ربيعة وغنم ، يبنون (مع)) الظرفية على السكون ، فيقولون : ذهبت مَعَهُ ، وإذا وليها ساكن يكسرونها للتخلص من التقاء الساكنين ، فيقولون : ذهبت مَعَ الرجل ، وغنم حسي من تغلب بن وائل (3) .

وما ذكره الأستاذ الرافعي وفائع لسانية صحيحة على الرغم من أنه لم يُجِل على المصادر التي استقى منها كعادة البعض من الباحثين الآخرين (4) ، ذلك أن كتب النحو واللغة ذكرت أن تسكين عين (مع) قبل حركة ، وكسرها قبل سكون ، لغة رَبِيعِيَّة (5) ،

(1) راجع هذه التراكيب في الكتاب : 1 / ص : 1 / ص : 420

(2) معي اللبيب : 1 / ص : 333

(3) تاريخ آداب العرب : 1 / ص : 155

(4) من هؤلاء على سبيل المثال الدكتور إبراهيم أنيس الذي وضع بحثاً قيماً في اللهجات العربية ، ولكنه أهمل الاحالات على المصادر .

(5) انظر التسهيل ص : 98

وحكى الكسائي أنها ، فعلاً ، لفظة لربيعة وغنم في حالة تسكين عينها قبل حركة (1) ، وجاءت مسكنة العين في التراكيب اللهجية الفصيحة ، ولكنها إذا سكنت فلا أصبح أنها اسم (2) ، وإذا لقي الساكنة ساكن جاز كسرهما وفتحها (3) ، والفتح لفظة عامة العرب ، والكسر كما تقدم ، لفظة ربيعة (4) ، وقراء الجمهور قوله تعالى :

((إِنَّا مَعَكُمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)) (5)

بتحريك العين ، بينما قرئ في القراءات المأذونة بتسكينها (6) .
 أن طبيعة عملنا لا تسمى لنا بالتحليل والتعليق في كل حال ، ولكننا نريد أن نشير فقط بأن القراءة الأخيرة (بتسكين العين) لا يمكن وصفها بأنها مأذونة ، مادامت هناك لهجة فصيحة تجوز عليها عليها القراءة ، والشاذ الحقيقي هو ، في نظرنا ، ما خرج عن التراكيب اللهجية الفصيحة التي تشكل في كليتها هذه اللغة العربية المشتركة ، ولا يستطيع أحد أن يزعم من القدماء والمحدثين أن الربيعيين لسم يكونوا من العرب الفصحاء .

(1) انظر البحر : 1 / ص : 62 وكذلك نفس المصدر ص : 69

(2) راجع المصدر السابق ص : 62

(3) انظر : أوضح المسالك ص : 136

(4) انظر البحر : 1 / ص : 62

(5) سورة البقرة آية : 15

(6) انظر البحر : 1 / ص : 69

2 - 5 : لـ د ن :

لهذا المورفيم تراكيب افرادية وجملية كثيرة ،

وهي قد تكون بمعنى ((عند)) في بعض التراكيب ، كقوله تعالى :

((قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا)) (1)

حيث قرأنا في المدني (من لدني) بضم الدال وتشديد النون (2) ،

وقال سيوي : ((جزت لدن ولم تجعل كعند لأنها لا تمكسن

في الكلام تمكسن عند ، ولا تقع في جميع مواضعه . . .)) وأما

فهي محذوفة ، كما حذفوا يكن ، ألا ترى أنك إذا أضفت إلى مضمرة

رددتها إلى الأصل ، تقول : من لَدُنْهُ ، ومن لَدُنِّي ، فانما

لَدُنْ كَعَنْ (3) .

وحسب ما وقفت عليه في بعض القراءات أن هذا المورفيم

مبني في سائر التراكيب اللهجية الأخرى ولغة الجمهور ، إلا في سائر

لهجة غير ، فإنه عرب فيها (4) ، وبهذا نفهم أنشده على ضوء

هذه اللهجة قرأ : ((من لدنه)) بالكسر ، وجاءت النون محذوفة

منها فسي شعر لبيد :

((من لد لحينه الى مخوره))

وقد تضاف إلى الجمل كتون القطامي :

(1) سورة الكهف : آية : 76

(2) راجع التيسير ص : 145

(3) الكتاب : 3 / 286

(4) انظر التسهيل : ص : 37

((لسن شيب حتى شاب سورد الذوائب)) (1)

وكما تكون معربة بالكسر على لغة قيس في بعض التراكييب ،

فانها قد تكون كذلك معربة بالتثوين فذلك ما رواه أبو عمرو

زيد : ((وقال القشيريون : جاءت فلانا لداً (2) غُدْوةً ، ففتحوا

الدا ل ، وقال بعضهم : لَسَدَا (3) غُدْوةً فأنضاف وجزم الألف)) (4)

ومتيين لنا من رواية أبي زيد ان القشيريين يعربون كذلك هذا

المرفسم على لهجة قيس ، بدل ذهبوا فيها مذهباً بعيدها حيث

أظهروا التثوين فيها تأكيداً لا عمراً بها .

وهو لا * العرب هم بنو قشيسر بن كعب بن عامر بن

صمصمة (5) ، كانوا يسكنون بجهات البصرة ، وليس في تلاقى قشيسر

قيس أي عجب في هذه التراكييب اللهجية اذا علمنا ان قيس عدلان

ابن مضر ما هو الا جد لبني قشيسر (6) ، وليس غريباً ان

يتماطلى الحفيد الجد يد لهجة أو بعضاً من تراكييب الجد القديسم .

(1) راجع هذه التراكييب في : أوضح المسالك ص : 35

(2) أي بتثوين ((لدا)) ومنع غُدْوة ما بعدها من الصرف .

(3) أي بعدم التثوين في ((لدا)) واضافتها الى غُدْوة مع صرف هذه الأخيرة .

(4) التوارد في اللغة ص : 171

(5) انظر : جمهرة ابن حزم ص : 289

(6) راجع : المصدر السابق ص : 468 - 469

3- خلاصة الدراسة البحثية

كما أشرت غير مأمرة، لا يمكن أن نحيط بكل التراكيب اللهجية القليلة ودراستها دراسة سانتكسية بوفى نتائجها التركيبية في مختلف مستوياتها، ونؤكد في هذه الخلاصة مرة أخرى بأن هذا العمل ممكن لو يقتصر الأمر على لهجة قليلة واحدة أو مستوى واحد من هذه اللهجات القليلة مجتمعة، كأن يتعلق الأمر بمستوى واحد من المستويات الصوتية، أو بمستوى آخر هو المستوى الفونولوجي....

فبالنسبة لبعض اللغات السامية، فإن مدونها المتقاربة من العربية ولهجاتها أو المقاطعة معها بين الفينة والأخرى في هذه البنية أو تلك، تظلم مع ذلك غير ثرية، ويكاد يكون الشيء نفسه بالنسبة للهجات العربية ((البائدة))، لكن الأمر مختلف تماماً باختلاف أمام مدونة تكتنيز فسي زكريتها الشعبية والرسمية تراكيب لهجية متزاخمة، ولا يقصر مستوى منها دون مستوى آخر، لأن هذه التراكيب اللهجية مهما تداوت أو تباعدت فهي مشكلة في إطار نظام لساني شامل ودقيق، وهذا النظام لا نتصوره من حيث المبدأ العام لأي لغة

خسارح عناصر متماثلة وبقارية ، ولا يمكن لعنصر منها أن يقوم
 في غياب الوتصور غياب الآخر ، وهي : العنصر النحوي
 أو السانتكسي ، والعنصر الصرفي أو المورفولوجي ، والعنصر الفونيتيكي
 إلى جانب العنصر الفونولوجي ، والعنصر المعجمي أو اللكسيكي ،
 والعنصر الدلالي ، وهذا الترتيب الخطي لا أهمية له ، لأن كل عنصر
 من هذه العناصر الخمسة قائم بذاته من حيث الكيان ، وقائم
 بغيره من التأليف والبناء .

ومما تأكدنا منه إذا ، هو أن تحليل التركيب اللهجي حقل
 واسع ، ويكون أكثر فائدة كلما قلنا عناصر البحث فيه من عنصر إلى
 عنصر ، وليس يبحث العناصر مجتمعة وفي وقت واحد وفي كل اللهجات
 والمستويات .

ومما استنتجناه كذلك أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال
 أن نبحث هذه العناصر اللهجية وفي تركيباتها المختلفة بمعزل كلي
 أو حتى جزئي عما تقدمها أو لا يزال يتقاطع معها
 خطاباً وتاريخاً ، وأعني بهذا اللغات السامية ولهجاتها
 دون أن نفوس في مقاهاتها التاريخية بشكل يقضي على الأهم منها

، وأعني ببهذا الوقائع اللسانية التي لا تزال حية ومرسومة في
 بعض المواقع من الشرق الأدنى وشبه الجزيرة العربية وبعض جزر
 البحر الأبيض المتوسط وشواطئه الطويلة ، كما أنه لا يمكن الوقوف
 على ما يسم باللهجات العربية البائدة دون الوقوف أولاً على ما
 تقدمها من وقائع لسانية تمت وترعرعت بصرف النظر عن مواقعها
 وأحداث أصحابها التاريخية وزمانهم ومكانهم ، لأنه على كل ميدان
 أن يتكفل بميدانه ، والشئ نفسه قائم بالنسبة للهجات العربية
 الباقية ، إذ لا يمكن بحثها بحثاً علمياً وموضوعياً دون الرجوع أولاً إلى
 فضائها الأصلي والشاسع والمتجسد فيما يعرف عادة باللهجات العربية
 البائدة ، وفي جميع هذه الحالات رأينا في الوقت نفسه أنه
 لا يمكن المغامرة في مقارنة أو موازنة هذه التراكيب اللسانية
 من اللهجات العربية الباقية بما تقدمها من وقائع لسانية
 سامية بشكل عام ، إلى جانب تلك التراكيب اللسانية الأخرى التي يمكن
 أن نعتبرها أشد صلة بهذه التراكيب اللهجية المعنوية ، ونعني بها
 الحميرية والسبئية واليمنية إلى جانب تراكيب اللهجات الشمالية
 (البائدة) ، ولم نرد أن نغامر هذه المغامرة التي لو دخلنا
 لها لمكن لنا أن نخرج منها ، لأن عجزنا في تغطية التراكيب اللهجية

الباقية آرد ر ايل لد ينا على مثل هذه المغامرة العلمية الخطيرة ،
وعلى الرغم من هذا ، فاننا غامرنا بالقدر الذي سمح لنا بسسه
علمنا واطلاعنا ، لكننا مع ذلك لم نطرق باب هذه المغامرة العلمية
من باب المقارنة والتوسع ، لا سيما فيما يخص اللغات السامية واللهجات
العربية البائدة من جهة ومقارنة الاصناف التركيبية في هذه اللغات
واللهجات المتقدمة باللهجات العربية السامية ، وهذا مع شعورنا
بـل يقيننا بوجود امكانية علمية رائعة وحيدة بين هذه التراكيب
اللسانية مجتمعة بصرف النظر عن زمانها ومكانها وطبقات اوصاف
المتكلمين بها .

وفي اعتقادنا ان نضاه هذا البحث لا يزال مفتوحا ، وسيبقى
مفتوحا حتى ولو بحث باحدى الطرق المتحرية التي اشرنا اليها ، ولذلك
فاننا لانحسر من منظمة النتائج المزعومة في هذا العمل الشاق ،
بقدر ما شعرنا وتشعر بلذة الوقوف على حقائق هي في غاية
الرضى بالنسبة اليها ، انما حقائق النقص المستمر كلما شعرنا باننا
انجزنا بحثا علميا خضع لقراءات بعضها متاثر وبعضها سريع ،
وبعضها الآخر متردد ترددا كثيرا ومستمر ، واذ كانت هناك
نتائج او ما يشبهها ، فان الفضل يعود أولا واخيرا الى الصنف

الثالث من هذه القراءة المترددة، وبقدرة ما تتحمل هذه القراءة هذه النتائج على علاقاتها، وتتحمل سوء وليمتها في أحكامها وأخطائها، ولكنها تفتح صدرها رحباً لكل القراءات التي سبقتها والتي ستليها لتصحيح ما تورطت فيه من أحكام علمية ناقصة أو حتى واهية، ونحن فضلنا هذه القراءة المترددة التي تعبر بنفسها عن نفسها عما قد يطفو خلال مراحل هذا البحث من نتائج من خلال معارضتها بنتائج من سبقونا في الميدان، وفضلنا هذا أيضاً لأننا واثقون ثقة تامة بأن نقصها الملحوظ سيكمل بقراءات غيرها.

لكن النتيجة التي نطمئن إليها ونشعر بها فعلاً هو خروجنا من هذه الصفات الطويلة واثقين بأن التراكيب السانتكسية في اللهجات العربية القديمة بما فيها التراكيب المدخرة في اللغات السامية واللهجات العربية الأركسية برمتها إلى جانب اللهجات العربية الفصيحة التي احتوت الآداب الجاهلية الراقية ثم وسعت خطابات القرآن الكريم وسنة نبيه محمد (ص) ثم ما جاء بعد كل هذا من نصوص وآداب وتآليف جمعة من حيث الكم والكيف . . . ما هي إلا تراكيب متشابهة ومتقاطعة في غير قليل من وقائعها اللسانية، ولكن وراثنائنا لهذه التراكيب محكية أو شفوية ثم

مكتوبة بواسطة السماع أو عن طريقه جعل من الصعب الحكم
 أو النفي بشكل قاطع أو حتى مرجح أحيانا بما يربط هذه
 التراكيب من تشابه حيننا وتباين حيننا آخر ، لا سيما وأن
 مالا حظناه خلال هذا العمل من ذلك التفريط الذي يكا ليكون مطلقا
 من العرب ودياناتها العلمية والثقافية والتاريخية ، . . . في الوقوف
 على آلاف النقوش والنصوص التراثية التي لا تبرح شبه مبهمة
 من الجهات الرسمية في العالم العربي ، حتى صار لا بد من
 التعرّيج على مستشرقين ودارسين أجانب ، بارك الله فيهم ، على الرغم
 مما قد يوجد في أعمالهم من أغراض أو انحرفات ، كلما حاولنا أن نقف
 وقفة قصيرة أو طويلة لمعرفة أحوال وجوهر تراثنا .
 وإذا كان لا بد من احترام التقاليد المعمول به لا يزال
 أو محاولة إبراز بعض النتائج المتوصل إليها أو الإشارة أو الملحوظة
 بهذا الشكل أو ذاك ، فإننا نعتز بأن النتائج الأكثر أهمية
 في نظرنا هونكر بعض هذه النتائج التي تحققت على يد
 الآخرين ، لا سيما إذا ظلت بعض هذه النتائج مطموسة
 أو سفية من فضاء المادة المحرّث فيها ، ومن بعض هذه النتائج
 التي توصلنا إليها منهجا ومادة وموضوعا هو ما حققه بعض
 اللسانيين العرب القدماء في ميدان البحث السانتكسي قبل العرب

بعهد طويل .

ان التمهيد الذي قد ناسه لهذا العمل سمح لنا بالسوقوف
 مهدئما على تحديد الموقعين الزماني والمكاني وما كان يتحرك ويتفاعل
 ضمن هذه الموقعين ، كما سمح لنا من تعيين الأصوات والفروع القليلة
 التي تمثل هذه التراكيب اللهجية من عرب بائدة وعرب باقية .
 واعتمدنا في هذا التحديد ، كما لاحظ المتتبع لهذا العمل ، على
 مراجع شابتة و يقينية مثل القرآن الكريم ، ومراجع متضاربة أخرى
 عديدة ، وهذا التحديد سمح لنا بالوقوف على التقاطعات الجغرافية
 والغضائية العارسة لبعض المظاهر اللهجية التي مثلت لنا المدونة
 اللسانية للدراسات التركيبية التي قمنا بها بها لا حقا .
 وهذا التحديد للموقعين : الزماني والمكاني ، مكنتنا أيضا
 من أخذ فكرة لسانية تاريخية وجغرافية على طبيعة التكمات اللهجية
 ومستوياتها المختلفة بين بعض المناطق الجغرافية اللسانية ، ورائينا
 ان تلك الخلافات اللسانية بشكل عام احدثتها عوامل
 خارجية مثل العوامل الجغرافية والتاريخية والاجتماعية . . . وعوامل
 أخرى داخلية متمثلة باللغة العربية ذاتها ولذاتها والمتجلية في تلك
 التطورات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، ورائينا كذلك مهدئا

أن الساناقية الجغرافية اللسانية قد تقتلص حتى يظهر الخلاف
المهجي على مستوى منطقة واحدة ، وذلك نتيجة للتداخل
القلي أو العكس .

وشاهدنا أيضا من خلال التقاطعات الفضائية للقائات
العربية في بداية الباب الأول من هذه الرسالة ، أن هناك كلمات
أو كلمات نشأت فعلا من هذه التقاطعات التي انعكست عليها بشكل
جلي التداخلات الفضائية ذاتها للمجتمع اللغوي العربي منذ حقب
بعيدة ترجع إلى الشعوب السامية السعدومية أحيانا ، وظهر هذا ،
فما بدالنا ، مع بداية التوحيد اللغوي بين المتكلمين العرب هنا
وهناك ، ولم يكن صعبا ، كما رأينا ، على العربي أن يوظف نفس الشكل
الصوامتي ، بفضل جبلته ، بهذا المعنى أو ذاك خلافا للمتأخرين .
وناقشنا شكل فصاحة قبيلة قريش ، فرأينا أن هناك ما يعرف
بالفصاحة من جهة ، وهوشي ، وبسلامة اللغة ، من جهة أخرى ، وهو
شيء شأنه وقريش لأن كانت تلك ناصية الأولى فإنها تجري عليها
ما يجري على القيسائل العربية الأخرى التي كانت تختلط بالأجانب
بشأن سلامة اللغة ، ولذلك ، فإن الرسول محمدا (ص) ، يعد مسن
افصح العرب ، لأنه جمع بين فصاحة قومه ، وهم القرشيون ، وسلامة
اللغة ، من خلال الاكتساب اللغوي من لدن بني سعد بن بكر بن

هو ازن ، الى درجة قوله عليه السلام : (انا افسح العرب

ميد انسي من قريش ، وانسي نشأت في بنسي سمسد

ابن بسكر) (فقه اللغة ص : 57 لابن فارس) .

ومن نتائج هذا الباب أيضا اننا رأينا كيف ان نص الفارابي بشأن

القائل اخذ عنهما اولم يسو خذ عنها ولم يعد نصا مفعولا وورائنا

الواقع اللساني يستبعد هذه النظرية الفارابية .

وبشأن الحديث الشريف (انزل القرآن على سبعة احرف) حاولنا

ان نعطيه تفسيراً سائتسيا لا تفسيراً عاماً ما اوحا صافظ بالقرا۱۰۱

التركيبية ، اي لا حظنا ان معجزة القرآن تكمن كذ لك في التركيب ،

وهو حين تحدا هم ، وهم العرب الصاريد الا قحاح ، وهم اصحاب الفصاحة ،

وهم ارباب البيان ، لم يتحد هم بما فوق عقولهم لياتوا بمعجزات ماضية

او حاضرة او غيبية بل تحدا هم ، كما تحدث الانس والجن معهم ، لياتوا

بمثل هذا القرآن ا وسورة منه ا وائرنى شيء من تركيبه .

ولسذا ، فالنتيجة التي تمخضت لدينا بشأن الحديث النبوي

الشريف ، ان مفهوم (السبعة احرف) هو مفهوم لساني تركيبى

اوسا نتكسي ، ولا حظنا من خلال الاطلاع على بعض الخصائص الخطابية

اوالتركيبية في لغات انسانية بواسطة قرا۱۰۱۰۱ لسانية معاصرة ، ان

اللغات الانسانية الناضجة عموما تكاد تتشابه في اقسام خطاباتها ،
 وعليه فان مفهوم السبعة اشرف لا يكاد يفارائنا ، يعتمد عن
 هذه القاعدة اللسانية العامة ، والا تعذر ترجمة معاني القرآن
 الكريم الى لغات الشعوب الاسلامية التي لم تتعرب حتى الآن ،
 ووقفنا على ان الحديث الشريف يحتوي على معجزة لسانية ، وهذه المعجزة
 لها دلائل ثلثان : معجزة لسانية عامة تتعلق ببنية اقسام الخطاب ومراتبه ،
 والدلالة الثانية خاصة باللغة العربية باعتبارها اللغة الاولى التي
 سجلت كلام الله المنزل على سيدنا محمد (ص) .

وما وقفنا عليه ايضا بتحديد الرقعة الجغرافية للغة العربية التي اخذ
 عنها من لم يؤخذ منها ، ان تركيز الاجانب الذين يتصدون لدراسة اللغة
 العربية الجاهلية والنموذجية والمشاركة هم غالبا ما يتصورون
 ههنا العربية المشتركة على نحو تاريخ وظروف اللغات الاوروبية
 بينما هذه اللغة العربية التاريخية البدوية تختلف اختلافا بينا عن لغات
 القرارات والمراسيم والمجامع ...

وخلال حديثنا عن العلاقات اللغوية السامية - العربية ،
 ان الدرس المقارن لم يظهر في القرون التاسع عشر في الغرب على اثر
 اكتشاف اللغة السستركريتيية الاشكل اتخذ منهجية علمية صارمة ، والا فان

النفوس العرب من بين الطبقات المبررة الى جانب الفقهاء * والمفسرين
قد تجادلوا جد الا حاداً حين طبيعة الاشكال الفاظ وتراكيب (كلمات)
وردت في القرآن الكريم : اهي اجنبية على العربية كلياً أم هي
قريبة منها أم ان الفاظ دخيلة عربية وميقت طبعا للقوانين السائدة
في العربية .

ولا حظنا كذلك ان العلاقات التركيبية والبنى الداخلية للغات
السامية تتبلور في بنى خارجية تتعلق بالتوزع والاشادات التي انعكست
على انظمتها النحوية والصوتية والصرفية والدالية والمعجمية ، وذلك
من خلال :

— البنية السانتكسية

— البنية المورفولوجية

— البنية المعجمية

— البنية الدالية

— البنية الصوتية

ومن خلال اللغات السامية القديمة ، كاللغات الآرامية ، لاحظنا

ان ظاهرة الاعراب في العربية اصبحت اوحداً شاملاً يدارها
باللغة الجاهلية ، واللغة القرآنية ، بل هي ظاهرة ترجع الى اكثر

من خمسة وأربعين قرناً .

ووقفنا على حقيقة أخرى تتعلق بالجزر الأصلي للغات السامية وييلخص في أن الطابع العام لهذا الجزر هو الجزر الثلاثي ، وأن ما فيها من كلمات معجمية ثنائية قد تعود إلى اللغة البدائية الأولى أو إلى اللغة الخامسة التي يعد الأصل فيها ثنائياً .

والحقيقة الأخرى من بين الحقائق الباقية ، أن اختلاف المختصين في اللغات السامية يرجع إلى اختلافهم في قراءة النقوش واستنتاجهما . أزيد مما يعود إلى اختلاف هذه اللغات التي يفترض فيها أنها تتفق في كثير مما يعتقد أنها تتباين فيه .

وبالنسبة للتركيب الساميتي في اللهجات العربية البائدة خرجنا عن العادة المألوفة في بعض الدراسات التي تحاول أن تحصر هذه اللهجات في ثلاث فقط ، بينما نحن أضفنا إليها لهجة رابعة واعتبرناها حسب دلائل لسانية واقعية لهجة عربية خالصة ، وأعني بها النبطية .

وهذه اللهجات الأربع (الثمودية ، والصفوية ، واللحيانية ، والنبطية) تتقاطع مع العربية الباقية في كثير من التراكيب العامة والخاصة ، وإلى جانب اللهجتين الثمودية والنحيانية ، فإن الصفوية

تشمل الى حد كبير اللهجة العربية الشمالية الفصحى والعربية الباقية على الرغم من بعض الظواهر التي تعكس تأثير اللاتينية فيها مثل بعض الأسماء والأعلام، والمفردات الحضارية .

ووقفنا على الأثار المتبادلة بخصوص التأثر والتأثير بين أصحاب هذه اللهجات وعلاقتهم باللاتينيين ، بما في ذلك الخط العربي نفسه الذي أخذ العرب عن الأنباط وكيف أن هؤلاء بدورهم طوروه من صورة الخط اللاتيني .

ومن قرب اللهجة النبطية من العربية الباقية في إحدى الظواهر السانتكسية — الى جانب ظواهر أخرى عديدة — أداة التعريف حيث تعرف بها خلافا لأداة التعريف في اللهجات الثلاث الأخرى (الها) . لكن تساءلنا كثيرا عن بعض المعطيات المنوطة لدينا بشأن التراكيب في اللغات السامية واللهجات العربية البائدة ، لأن هذه المعطيات الأثرية أو اللسانية لا تشمل لنا الا قليلا مما كان يملكه المتكلمون بها على المستوى الشفوي من مناسبة وحركات ونهر وتنغيم وتأكيذ واستغهام... الخ .

لأنه بعد وقفنا على تراكيب موروثية في اللهجات العربية البائدة تبين لنا أن كنهيتها ربما كانوا يجتهدون عن وعي أو عن غمري في

محاولة رسمها مثلما كانت تنطق أو على الأقل كانوا على دراية
 بما يجب رسمه مما يسهم نطقه، ومنها الصوائت، ولكن في الوقت
 نفسه ثبت لدينا أننا عاجزون اليوم من إعادة النطق نفسه، فالتركيب
 ((ويلمها)) الذي وظفناه أمروا القيسين :
 ويلمها في هـوا الجوطالية ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب
 ومثله التركيب ((علمما)) (على الما) كلاهما يقوم على الإيجازية
 في عملية التبليغ بين المرسل والمرسل إليه، ولكن الرمز بينهما قبي هذه
 الحالة يكون ثنائيا بين التقليد في الخطاب الشفوي وبين النظام
 الكتابي .

ان ما وقفنا عليه وتصورناه بين النظامين : النطقي والكتابي
 في اللهجات العربية البائدة وفي اللغات السامية من خلال النصوص
 التي توفرت لدينا أنه لم تكن الكتابة لدى أولئك شيئا والنطق شيئا ثانيا
 بحيث يكون أحدهما بعيدا كل البعد عن الآخر .

ومن خلال دراستنا للمدونة اتضح لنا أن هذه المدونة مهما
 كانت قصيرة أو طويلة، قديمة أو حديثة، ومهما كان شكل الطبقات التي
 تتشارك بوعي لاني أو بوعي تاريخي . . . فانها ليست فسي النهاية من
 أن تكون عينة من هذه اللغة الكلية، بمعنى أن اللهجات المنتسبة
 لمناطق قبلية أو بيئات جغرافية ليست أزيد من عناصر منتسبة إلى

مجموعة واحدة هي هذه العربية الفصحى .

وفيما يخص التقاط المدونة ، فإنا لا حظنا أن هذه العملية

بين جامع اللغة ومنتجها أو المتلفظ بها كانت تتم حسب التصور :

هو ← مصدر السماع ومرسل أول للسماع

أنا ← ملقط السماع ومرسل ثان للسماع

أنت ← المرسل اليك السماع

والنتيجة التي ارتأيناها تبعاً لهذه الضمائر أن الضمير الشخصي

(هو) يجسد الأعرابي في باديته ، والضمير الشخصي (أنا) يمثل

الراوي عن الأعرابي ، والضمير الثالث (أنت) لا يمثل إلا المستمع

الثاني أو المسجل عن الراوي .

ومما استنتجناه كذلك في التقاط المدونة أن السماع يشكل عملية

متزاوجة يهمن كل من المرسل والمرسل إليه ، فهي في سلسلتها الصوتية

تمثل شكلاً أفقيًا ، وتلفظ بالهاث بها عبر السلسلة الكلامية يصبح عمودياً .

ومما وقفنا عليه أيضاً أن مصادر المدونة السموعة مصدران :

(1) الأعراب في بواديهم (2) الأعراب لكن في الحواضر

وبالنسبة للتركيب في اللهجات العربية الباقية ، فإنا طلعنا

بعدة نتائج خلال تعرضنا للسانتكس التقليدي عند العرب ومقارنته

بما جدد في هذا الميدان في اللسانيات المعاصرة .

ومن هذه النتائج التي لم نشك في مصداقيتها منذ البدايسة

شكنا كثيرا أن الدراسات السانتكسية العربية القديمة انطلقت من نهاية

أوج ما انتهت اليه الصنعة الكلامية لدى العرب، وحيث أن هذا

السانتكس العربي القديم ضارب بجذوره في هذا السانتكس العربي

الجديد، سيقى مختلفا مع أي انطلاقة لأي سانتكس غير عربي،

لأنه شتان ما بين سانتكس غوي شغوي قائم على تراث سليبي ناضج،

وبين سانتكس تتدخل أحيانا القسوانيين والعراسيم في تعديله،

ومن هذه النتائج التي وقفنا عليها كذلك لدى العرب أن

هو لا (اللسانيين العرب المبكرين) :

1) تعاملوا مع اللغة كاعلام لسانی خارجي مصوب نحو استقبال داخلي.

2) تعاملوا مع الرسالة الاعلامية الطقططة كلغة (*langage*)

وليس كلغة بمفهوم (*langue*) أو لسان.

3) ظاهرة السانتكس العربي مؤسسة على ظاهرة الكلام ثم على ظاهرة

اللغة كنظمومة قواعدية كلية لا تتجزأ.

4) كثيرا ما أَرهقوا أنفسهم في البحث والتحري لا يجاد معادلات

أو مطابقات سانتكسية لهذا التركيب أو ذاك.

5) لم يتعاملوا مع السانتكس كنتاج كلامي متوقع بل كنتاج من

الأشكال بنى وانتهى ، وبعد ادراكهم لتكرار الظاهرة ذاتها من حيث القواعد السانتكسية ، عادوا ينظرون الى السانتكس كجمل متوقعة وغير متوقعة .

(6) وعلى ضوء هذه التعاملات المبكرة ، غدا الناس من عرب متأخرين وعجم متقدمين يتعاملون مع السانتكس تعاملًا اقرب الى الملاحظة العلمية منها الى كلام سليبي قائم على العفوية والشفوية ، ثم كان التعامل مع المنظومة اللغوية بشكل عام .

وانسنا * عملية البحث في التركيب الاسمي استنتجنا ان القبيلتين اللسانيتين الكبيرتين : تميا والحجاز ، غالبا ما تختلفان في اكثر من مظهر لهجي ، سواء تعلق الامر ببنية سانتكسية او غيرها من البنيات الاخرى ، حتى وان كنا اهلنا الحديث عن البنيات الاخرى بالطريقة التي اتبعناها في الساميات واللهجات البائدة ، وحين تختلف هاتان القبيلتان فان القائل البدوية والتي تقطن وسطا وقلب شبه الجزيرة العربية غالبا ما تحذو حذو رئيسهم تميم في البنيات السانتكسية وباقي البنى اللهجية الاخرى .

ومثال ذلك ما لاحظناه في الجنس حيث ذهب اهل نجد مذهب تميم في التذكير ، والنتيجة الاخرى التي لاحظناها في الجنس ايضا

تتعلق بأهل الحجاز ولكن من الداخل أي فيما بينهم وبين أنفسهم ،
ويقتضي الأمر أن ما يختلف فيه الحجازيون من تذكير أو تأنث ،
فالأغلب عليهم التأنث ، خلافا لأهل نجد الذين يذهبون إلى التذكير
- أي يغلب عليهم التذكير - إذا ما اختلفوا ما بين تذكير وتأنث ،
النتيجة الأخرى ، وراثتها في الجنس ، إذا ما انفردت أو شردت
قبيلة غير مشهورة لهجيا بظاهرة تذكير مطلقا كمثل شروط وكل وحدها
في تذكير الذراع ، وانفراد الأسد بتذكير الإبهام والرياح ، وشذوذ قيس
بتذكير القدر ، فإن القبيلتين الكبيرتين المتصارعتين لهجيا (تيماء والحجاز)
ومعهما ، في هذه الحالة ، باقي القبائل العربية ، تعناكسهم أي تؤنث
والمتتبع لهذه العمل يلاحظ نتائج أخرى تتصل بتقريرها
بشكل البنى السانتكسية الباقية ، والتي لا يمكن ذكر كل نتائجها مجتمعة ،
وهناك نتيجة هامة أخرى تتعلق ببنية الضنى كظاهرة كلامية واسعة ،
وكيف أنها زالت من مختلف اللغات الانسانية ، وكادت تزول نهائيا ،
ولم تبق لفتنة الانتباه بشكل قوي إلا في اللهجات العربية التي تجسد
هذه العربية المشتركة ، وحتى أنه يمكن التقرير بأن الضنى ظاهرة سامية
أو بعبارة أدق ظاهرة سانتكسية عربية ...

وفي التركيب الفعلي ، كذلك استنتجنا أن أهل نجد يذهبون
 مذ هب تعيم في غير قليل ، وأن لم أقل في أغلب الهمسيات الساكنية
 المتعلقة بالتركيب الفعلي ، شأن ذلك أن أهالي نجد ذهبوا مذ هب تعيم
 في الفعل (هلم) الذي يصرف عندهم بأسناده إلى الضمائر مفردا ،
 وثنى ، وجمعا ، ومذكرا ، ومؤنثا ، وليس فقط في معنى الأمر بل حتى
 في معنى الماضي والضارع ، خلافا للحجاز التي تجعله اسم فعل
 وتلزمه حالة واحدة في جميع تراكيبه ، وتذهب معها قائل أخرى كثيرة
 مثل عقيل ، وقيس ، وقيس عيلان .

وهذا الصراع نفسه يلاحظ في التراكيب الهمجية الغزيرة
 الأخرى كالمستثنى المنقطع وحتى بعض التراكيب الناقصة والتامة فيه .
 وفي التركيبين : الظرفي والحرفي ، لاحظنا أن العلاقة بين
 العبارة والوحدة الدالة ليست محصورة دائما في ذاتها إلا بشكل نسبي ،
 لأن اختلال موقعها من مكان إلى مكان في الجملة قد يؤدي إلى اختلال
 كلي في هذه البنية .

وفي نفس هذا الفصل الخاص بالتركيب الحرفي والظرفي استنتجنا
 بمقارنة بسيطة أن التمييز بين الفئات النحوية والفئات اللكسكية لا يكون بالضرورة
 هو عينه في كل اللغات ، إذ ما يصدق على هذه اللغة قد لا يصدق على تلك .

ولعمل أكبر نتيجة انتهينا اليها بالنسبة للتركيب في اللهجات

العربية من بائدة وباقية ، وخاصة هذه الأخيرة ذات النصوص التي لا يتطرق اليها الشك ، أن أعظم نتيجة ليس التبحر فقط بما توصل اليه الدارس بفضل استعمال هذه الأدوات أولئك ، بل أيضا في الاطلاع على نتائج الفحص في هذا الحقل ، لأنه من غير الاطلاع على نتائج أعمال السابقين فلن تكون نتائجنا الا تراكمات علمية لا جدوى من ورائها .

ومما انتهينا اليه أيضا من خلاصة أن أعظم نتيجة تحصد وتؤتي ثمارها بشكل أكثر نضجا هي تلك النتيجة التي تركز على القراءة بواسطة الكل ، وترتكز على العمل في البحث العلمي بواسطة الجز .

ان بحث ظاهرة سانتكسية في اللهجات العربية ، كما لاحظنا ، كان ينبغي أن يؤسس على القراءة الكلية ليعتمد في النهاية ظاهرة لسانية معينة ، ومن ثم يستقصيها ويتحررها دون أن يقرب ظهر المعسن لقراءات أخرى تتصل بذات موضوعه اتصالا ، وهنا تكون نتيجته أم النتائج التي يمكن استثمارها لتحقيق نتائج تالفة .

فهرس الفهارس :

=====

- (1) فهرس الآيات القرآنية
- (2) فهرس الترتيب التسلسلي للصور القرآنية حسب ورودها في البحث
- (3) فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
- (4) فهرس بعض الأمثال
- (5) فهرس الشواهد الشعرية
- (6) فهرس المصادر والمراجع بالعربية وفي ذيله الدوريات
- (7) فهرس المراجع باللغة الأجنبية
- (8) موضوعات البحث الرئيسية

1 - فهرس الآيات القرآنية (1)

=====

الآية	رقمها	سورتها	الصفحة (2)
(1) مالك يوم الدين	4	الفاتحة	269
(2) على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى			
أبصارهم غشاوة	7	البقرة	234
(3) وإذا قيل لهم	11		105
(4) أنا معكم أنا نحن مستهزون	15		548
(5) واستكبروا كان من الكافرين	34		527
(6) ولنا يالدا ماسكنا فتوزجك الجنة	35		434
(7) ثم توليتهم الا قليلا منكم	83		515 و 509
(8) وزلزلوا حتي يقول الرسول	214		541
(9) هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا	246		491
(10) فشريوا منه الا قليلا منهم	249		515
(11) وانظر الى العظام كيف ننشزها	259		103
(12) وان كان ذو عسرة	280		527

1) اعتمدنا في توثيق هذه الآيات الكريمة على (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) من وضع: الاستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي . (ط: 1/ 1987 . دار الحديث بالقاهرة)

2) نقصد بالصفحة هنا صفحة هذا البحث تسهيلا على المتتبع لهذا العمل .

الآية	رقمها	سورتها	الصفحة
(13) ويقتلون الذين يأمرون بالقسط	21	آل عمران	269
(14) كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل	93		527
(15) تسود وجوه	106		104
(16) ما كان الله ليزر الموتى منين على ما أنتم عليه	179		188
(17) والذان يأتياها منكم قاذو هما	16	النساء	446
(18) وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج	20		434
(19) ما فعلوه إلا قليل منهم	66		509 و 51
(20) وما كان لموت من أن يقتل مؤمناً الا خطأ	91		527
(21) وكان الله غفوراً رحيماً	96		527
(22) ما لهم به من علم الا اتباع الظن	157		513 و 502 516 و 515
(23) من يرتد منكم عن دينه	54	المائدة	252
(24) ثم عموا وصموا كثير منهم	71		476
(25) فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم	117		471
(26) ولتستبين سبيل المجرمين	55	الأنعام	438
(27) قل: هل شهداكم	150		496
(28) إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله	162		446
رب العالمين			

			(29) واذكروا ان جعلكم خلفاء من بعد عاد وهواكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا
20	الاعراف	74	(30) والى مدين اخاهم شعيبا قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لنفسكم ان كنتم مؤمنين
25		85	
469		101	(31) رسلهم بالبينات
436		146	(32) وان يروا سهيل الغي يتخذوه سهيلا
252	الانفال	13	(33) ومن يشاقق الله ورسوله
45		61	(34) وان جنحوا للسلم فاجنح لها
45	التوبة	106	(35) وآخرون مرجون لامر الله
517	يونس	98	(36) فلولا كانت قوية لمنت فتفعها ايمانها الا قوم يونس
105	هود	44	(37) وغيبض الماس
103		78	(38) هو لا بناتي هن اطهر لكنكم

الآية	رقمها	سورتها	الصفحة
(39) ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك	81	هود	516
(40) وإن كلا لما لوفينهم ربك أعمالهم	111	_____	534
(41) مآلك لا تأنسا	11	يوسف	431
(42) ما هذا بشرا	31	_____	485, 484
(43) هذه بضاعتنا ردت إلينا	65	_____	105
(44) قل: هذه سبيلي	108	_____	436
(45) وما أرسلنا من قبلك من قبلكم قوم نوح وعاد	4	ابراهيم	114
وشمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله	9	_____	20
(47) ما أنا بمصر حكيم، وما أنتم بمصري	22	_____	465
(48) فاسر بها هلك	65	الحجر	43
(49) ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين	80	_____	23
(50) واتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين	81	_____	_____
(51) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا لهنين	82	_____	_____
(52) فآخذتهم الصيحة مصبحين	83	_____	_____
(53) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون	84	_____	_____
(54) وهذا لسان عربي مبين	103	النحل	113
(55) فلا تقل لهم ما: أف	23	الاسراء	502

الآية	رقمها	سورتها	الصفحة
(56) قد بلغت من لدنني عذرا	76	الكهف	549
(57) هذا رحمة من ربي	98	_____	422
(58) من كان في المهد صبيا	29	مريم	527
(59) فاما يسرنا وبلسانك لتبشربه المتقين وتنذره قوما لدا	97	_____	114
(60) قال : هي عصا اتيوكا عليها	18	طه	465
(61) ان هذان لسا حوران	63	_____	454, 118
(62) واسروا النجوى الذين ظلموا	3	الانبياء	476
(63) اقل لكم ولما تعبدون من دون الله	67	_____	502
(64) ثم ليقتضوا تفهم وليوفوا نذورهم	29	الحج	188
(65) قد افسلح المؤمنون	1	المؤمنون	478
(66) حتمى حيمى	54	_____	104
(67) وعادا وشمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كشيء را	38	الفرقان	20
(68) ان انا الانذير مبين	115	الشعرا	465
(69) فكذبوه فاذ خذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم	189	_____	26
(70) بلسان عربي مبين	195	_____	113
(71) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا	8	القصاص	188

الآية	رقمها	سورتها	الصفحة
(72) فذالك برهان من ربك الى فرعون وملئه	32	القصص	446
(73) فخشعنا به وبداره الارض	81	_____	235
(74) ثم هو يوم القيامة	61	_____	466
(75) والى مدين اخاهم شعيبا فقال : يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا في الارض مفسدين	36	العنكبوت	25
(76) وعاد اشمود او قد تبين لكم من مساكنهم	38	_____	20
(77) والقاتلين لاخوانهم : هلم اليها	18	الاحزاب	496
(78) اهلك عليك زوجك	37	_____	433
(79) تسرجي من تشاء	51	_____	45
(80) قل لا ازوجك وبنا تك	59	_____	433
(81) ربنا يا عذيبين اسفيا ربنا	19	سبا	103
(82) قل : ان ضللت فانما اضل على نفسي	50	_____	47
(83) ما آتيت الا بشر ضلنا	15	يس	484
(84) ان كانت الا صيحة	29	_____	103
(85) وما عطته ايد بهم	35	_____	104
(86) الهم اعهد اليكم	60	_____	_____
(87) قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون	28	الزمر	113

الآية	رقمها	سورتها	الصفحة
(88) ربنا ارننا للذين اضلانا	29	فصلت	446
(89) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون	3	—	114
(90) وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين	76	الزخرف	472
(91) وزوجناهم بحور عينين	54	الدخان	124
(92) فانما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون	58	—	114
(93) وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا	12	الاحقاف	114
(94) والذي قال لوالديه اف لكما	17	—	502
(95) واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف	21	—	23
(96) طاعة وقول معروف	21	محمد	532
(97) فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض	22	—	491
(98) ليففر لرك اللسه	2	الفتح	188
(99) وجاءت سكرة الموت بالحق	19	سورة ق	104
(100) واتيه اهلك عاد الاولى	50	النجم	20
(101) وشمود افما اتقى	51	—	—
(102) وانتم سامدون	61	—	124
(103) وطلح منضود	29	الواقعة	104
(104) ما هن امها تهيم	2	المجادلة	486

الآية	رقمها	سورتها	الصفحة
105 (كذب ثمود وعاد بالقارعة)	4	الحاقة	20
106 (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية)	5		
107 (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية)	6		
108 (سيرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجميا زنخل خامية)	7		
109 (فهل ترى لهم من باقية)	8		
110 (فما منكم من أحد عنه حاجز بين)	47		485
111 (ولا يفتو ولا يفتون)	23	نيسوح	463
112 (تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا)	20	المزمل	472
113 (ولو ألقى معاذيره)	15	القيامة	124
114 (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا)	4	الناس	461
115 (واذكروا بكانت قواريرا)	15		462
116 (قواريرا من فضة)	16		
117 (إن كل نفس لما عليها حافظ)	4	الطارق	488
118 (والليل إذا يسر)	4	الفجر	43
119 (إنهم شر كيف فعل ربك بعاد)	6	الفجر	20

الآية	رقمها	سورتها	الصفحة
(120) ارم ذات العماد	7	الفجر	20
(121) التي لم يخلق مثلها في البلاد	8	_____	_____
(122) وثمود الذين حيا بسوا الصخر بالواد	9	_____	_____
(123) لربه لکنود	6	العاتيات	467

2- فهرس الترتيب التسلسلي للسور القرآنية حسب ورودها في البحث :

=====

السورة	رقمها	السورة	رقمها
الفاتحة	1	الا ســـــرا	17
البقرة	2	الكهف	18
آل عمران	3	مريم	19
النساء	4	طه	20
المائدة	5	الأنبياء	21
الأنعام	6	الحج	22
الأعراف	7	المؤمنون	23
الأنفال	8	الفرقان	25
التوبة	9	الشعرا	26
يونس	10	قصص	28
هود	11	العنكبوت	29
يوسف	12	الأحزاب	33
إبراهيم	14	سبا	34
الحجر	15	يس	36
الزمر	16	الزمر	39

السورة	رقمها	السورة	رقمها
فصلت	41	الحاقة	69
الزخرف	43	نوح	71
الدخان	44	المزمل	74
الاحقاف	46	القيامة	75
محمد	47	الانشان	76
الفتح	48	الطارق	86
ق	50	الفجر	89
النجم	53	المجاديات	100
الواقعة	56		
المجادلة	58		

3 - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة :

=====

(1) أَنَا أَفْضَلُ الْعَرَبِ مِمَّنْ أَتَى مِنْ قُرَيْشٍ ،

وَأَنِّي نَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ .

(2) أَنزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَجْزَى

(3) خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي

(4) يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ

4 - فهرس بعض الأمثال التي وظفت شواهد :

=====

(1) عَسَى الْفُؤَادُ أَنْ يَمُوتَ

(2) لَيْتَ الْقَسَمِ كُلِّهَا أَرْجَمَ

5- فهرس الشواهد الشعرية :

=====

((الباء))

العدد	الصفحة	البحر	القافية
1	432	الطويل	ملحـبـ
9	70	_____	ـ و جـا نـسـبـ
1	456	_____	تـنـيـبـ
1	468	_____	نـجـيـبـ
1	490	_____	سـكـوـبـ
2	537	_____	مـجـيـبـ
1	196	البسيط	مـظـلـوـبـ
1	490	السوافر	قـسـريـبـ
1	458	السوافر	حـسـابـا
1	513	الطويل	بـصـا حـبـ
1	550	الطويل	الذ وائـبـ
1	43/42	البسيط	تـصـبـ
1	433	_____	الذ نـحـبـ
1	492	السوافر	بـالنـقـابـ

((التا))

العدد	الصفحة	البخ	القائمة
1	450	السوافر	طسويست ⁹
1	360	مجزو* الكامل	شواتس ⁹
1	358	الطويل	شمست ³
2	512	الكامل	المقنن ³
1	435	الرجز	السبات

((الثا))

1	407	الرجز	جشجاشا ⁵
---	-----	-------	---------------------

((الجيم))

1	540	الطويل	نميج ⁹
2	480	الرجز	تمرجا

((الحاء))

1	486	الكامل	براح ⁹
2	513	مجزو* الكامل	المراح ⁹
1	407	الرجز	وتفاحا
7	449	_____	الصباحا
2	353	الكامل	بتقداح

((السدال))

العدد	الصفحة	البحر	القفا فيسفة
1	56	المقارب	الفرقند
1	457	الطويل	مردا
1	531	_____	أسدا
1	61	_____	مطرد
1	447	_____	الشيد
1	448	_____	الجيد
3	511	البسيط	الأييد

((السرا))

1	424	الطويل	ومعصر
1	433	الطويل	يستيرهما
1	353	_____	بهر
1	468	_____	غردور
3	153	_____	شهر
1	450	البسيط	مضر
1	484	_____	بشر
1	460	مخلع البسيط	وسار

الرقايفية	البحر	الصفحة	العدد
أقـدـر ^و	الكامل	472	1
قصـور ^و ها	_____	218	1
معـصـر	الطـسـويـل	43	1
أـكـثـر	_____	423	1
الـمـشـافـر	_____	532	1
الـشـر	_____	423	1
السـار ^ي	البـسـيـط	43	1
عـرـعـار	الكامل	506	1
اسـتـخـبـار ^ي	_____	512	2
مـسـتـمـر ^ي	الـوـاـفـر	457	2
العـطـر	الـسـرـجـز	434	1
قـرـقـنـار	_____	507	1
مـنـخـور ^ه	_____	549	1
بـشـر ^ه	الكامل	434	1
((السـيـن))			
العـيـس ^و	الـسـرـجـز	517	1
جـلـسـا	_____	53	6

العدد	الصفحة	الباحـر	القافية
-------	--------	---------	---------

1	407	الرجـز	فَأَقْنَسَـا
---	-----	--------	--------------

4	443	_____	أَمْسَـا
---	-----	-------	----------

2	443	_____	أَمْسَـس
---	-----	-------	----------

1	545	_____	لِلشـحـس
---	-----	-------	----------

1	460	الخفـيف	أَمْسَـس
---	-----	---------	----------

((العـمـن))

1	396	الطـويل	نَسَـا قسـع
---	-----	---------	-------------

1	487	_____	ضائـع
---	-----	-------	-------

1	464	الكـامل	مصـرع
---	-----	---------	-------

1	63	البسـيط	النخـع
---	----	---------	--------

1	407	الرجـز	فَأَرْقَنَقَـا
---	-----	--------	----------------

1	535	_____	رواجـع
---	-----	-------	--------

1	506	_____	أرباعـع
---	-----	-------	---------

((الفـا))

1	46	الرجـز	أَسْد فـا
---	----	--------	-----------

1	514	البسـيط	بالفسـر
---	-----	---------	---------

((السقاف))

العدد	الصفحة	البحر	القافية
1	155	الطوييل	محسّر زق
1	450	الطوييل	عارقسه
1	445	المرجيز	أنطقا

((الكساف))

2	65	الطوييل	لسمالك
1	219	_____	الممبارك
1	506	المرجيز	أورا كهمسا

((الملا م))

8	59	الطوييل	لا ميسل
1	434	الطوييل	يستهلما
1	218	_____	كنا هلسه
1	537	_____	وقا بلسه
1	448	_____	الصقيل
1	482	الهمسيط	به همسل
1	479	المتقارب	يعسذل

العدد	الصفحة	المختصر	المقالة
1	468	الطويل	فيخسلا
1	492	_____	السلاسل
1	436	السوافر	السبيل
1	450	الكامل	فخسلا
1	448	الكامل	الأغسلالا
1	238	الطويل	مفصول
1	301	_____	مرجلي
2	302	_____	فانسل
1	492	_____	بغلي
1	188	السوافر	ماللي
1	458	_____	الهلال
1	534	_____	ماللي
1	450	الكامل	العنزال
		((الميم))	
1	469	الطويل	عقيم
1	479	_____	حميم

العدد	الصفحة	البحر	القوافي
1	473	الطسوييل	و حـريريم
1	435	البيسوط	و الشـبـم
1	530/86	_____	و مسجـوم
1	425	الـوافـر	و والغـلام
1	538	_____	و شـريريم
1	448	الـمرجـز	و تميم
1	499	الطسوييل	لا قـد مـا
1	435	السيـط	الـمـا
1	546	الوافـر	لـمـا مـا
1	467	الـمـمـل	و د مـا
1	452	الطسوييل	يسـمـا
1	487	_____	المـمـم
2	219	_____	الاسـم
1	459	الوافـر	حـذام
1	354	الكـامـل	الاعـمـام
1	195	الطسوييل	تميم

العدد	الصفحة	الحرف	القائمة
1	536	الوافر	الخيام
1	445	الكامل	الآيات
1	451	الرجز	الكر
1	46	الرجز	الردوم
1	508	السريع	همهم
((السون))			
6	452	الرجز	ديوانا
1	468	الطويل	فتيان
1	458	البسيط	البيتين
2	88	الوافر	العنوان
1	46	_____	المهين
1	458	_____	الأربعين
1	458	_____	الخريين
1	531	الهزج	حقنا
1	450	الخفيف	الندمان
((السون))			
1	467	البسيط	والديهم

العدد	الصفحة	البحر	القافية
2	454	الرجز	تراهنا
1	455/454	الرجز	غايتهنا
3	66		فخلوه
((البيت))			
1	515	المقارب	المص
1	434	الطويل	شاهنا
1	426		يمسنا
1	450		كفنا
1	487		متراخينا
2	479	السريع	الجمهاويه

٦- مراجع البحث ومصادره :

=====

- المراجع العربية :

(١) الادب السامية : محمد عطية الابراشي

ط: ٢/ 1984 دار الحديث - بيروت

(٢) الابانة عن معاني القراءات : لمكي بن أبي طالب

تحقيق : د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، ط النهضة - 1960

(٣) الاشباه والنظائر : عبد الملك بن محمد الثعالبي

تحقيق : محمد المصري ط: 1/ 1984 سعد الدين للطباعة - القاهرة

(٣) الاشتقيان : ابن دريد ، تحقيق هارون ط: 1958 مطبعة

السيف المجلدية - القاهرة

(٤) اصلا المنطق : ابن السكيت ، تحقيق : شاكر وهارون

دار المعارف - مصر

(٥) الاصحاحي اللغوي : د. عبد الحميد الشلقاني ، دار المعارف - مصر

(٦) اصول التفكير النحوي : د. علي أبو المكارم ط: 1973 دار القلم - بيروت

(٧) اصول النحو العربي : د. محمد خير الحلواني ط: 1979 مطا الشرق حلب

(٨) الاصوات اللغوية : د. ابراهيم انيس ط: 1984/6 دار فؤاد للطباعة - مصر

(٩) الافعال في القرآن الكريم : د. عبد الحميد مصطفى السيد ط: 1/ 1986

مط دار البيان العربي - جدة

(10) الاقتضاب في شرح أرب الكاتب : لآبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد

البطليوسي : تحقيق : مصطفى السقا ، د . حامد عبد المجيد ط : 1981 الهيئة

المصرية العامة للكتاب

(11) الألسنية (قراءات تمهيدية) : د . ميشال زكريا * X

ط : 1/1984 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت

(12) الألسنية (المبادئ والاعلام) : د . ميشال زكريا * X

ط : 2/1983 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت

(13) الألسنية والنقد الأدبي : د . مورييس أبونا ضرط : 1979 دار النهار للنشر بيروت

(14) الأملالي : لآبي علي القالي دار الفكر العربي للطباعة والنشر

(15) الانصاف في مسائل الخلاف : ابن الأنباري

تحقيق : عبد الحميد محي الدين ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر

(16) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام

تحقيق : عبد الحميد محي الدين ط : 1949 دار السعادة - مصر

(17) الايضاح في غزل النخس : الزجاجي

تحقيق : مازن المبارك ، دار العروبة القاهرة

(18) البحث اللغوي عند الهنود : د . أسد مختار عمر ط : 1972 دار الثقافة بيروت

(19) البحر المحيط : إثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي

ط : 1/1328 هـ ، مطبعة السعادة - مصر

- (20) بنية النغمة الشعرية: جان كسوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد
العربي، ط: 1/ 1986 دار توبقال للنشر، الدار البيضاء (المغرب)
- (21) بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب: عبد الجليل مرتاض
ط: 1/ 1988 مؤسسة الأشرف - بيروت
- (22) البيان في غريب أعراب القرآن: ابن الأنباري
تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، ط: 1989 الهيئة المصرية العامة - القاهرة
- (23) البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون
ط: 1950 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
- (24) تاريخ الأدب العربي: بلاشير، ترجمة: د. إبراهيم الكيلاني ★
ط: 1986، طبع مشترك بين الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)
- (25) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): د. شوقي ضيف، ط: 3 دار المعارف مصر ★
- (26) تاريخ أدب العرب (الجزء الأول): مصطفى صادق الرافعي ★
ط: 4/ 1974 دار الكتاب العربي - بيروت
- (27) تاريخ الآداب العربية: كارلونا لينوط، ط: 2/ 1970 دار المعارف مصر
- (28) تاريخ النقد العربي: د. محمد زغلول سلام، دار المعارف - مصر
- (29) تاريخ اليمن القديم: عبد القادر رباقية، ط: 1973، مطبعة الحرية - بيروت
- (30) تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، شرح ونشر: السيد أحمد صقر ★
ط: 2/ 1973 دار المتراث - القاهرة

(31) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ابن مالك ، تحقيق : محمد كامل بركات

ط : 1967 دار الفكر العربي

(32) التضار في ضوء اللغات السامية : د. ربحي كمال

ط : 1975 دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت

(33) التنبيهات : علي بن حمزة ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، دار المعارف - مصر

(34) ثلاثة كتب في الاضداد : للاصمعي وللجستاني ولابن السكيت ...

دار الكتب العلمية - بيروت

(35) الجمل : الزجاجي ، ط : 1957 تحقيق : الاستاذ ابن أبي شنب

مطبعة كنسيك - باريس

(36) جمهرة أنساب العرب : ابن حزم : تحقيق : عبد السلام هارون

دار المعارف - مصر

(37) جمهرة اللغة : ابن دريد ، ط : 1351 هـ مطحربار (بالأوفست)

(38) الحجة في علل القراءات السبع : أبو علي الفارسي ، تحقيق : عبد الحليم

النجار ، علي النجدي ناصف ، د. عبد الفتاح شلبي ، دار الكتاب العربي - القاهرة

(39) الحجة في القراءات السبع : ابن خالويه ، تحقيق : د. عبد العال

ط : 1971 دار الشروق - بيروت

(40) الخصائص : ابن جني ، تحقيق : محمد النجار ، دار الهدى بيروت

(41) دراسات في اللغة والنحو العربي : د. حسن عون ، ط : 1965 مط الكيلاني

(42) دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة: د. ميشال عاصي

ط: 1979/1 دار ابن خلدون - بيروت

(43) دراسة للهجات العربية القديمة: د. داود سلوم، ط: 1/1986

عالم الكتب - بيروت

(44) ديوان حميد بن شور الهلالي: صندقة الأستاذ عبد العزيز الميمنى

الدار القومية (القاهرة)

(45) ديوان عميد الله بن قيس الرقيسات، ط: 1980 دار بيروت للطباعة والنشر

(46) ديوان النابغة الذبياني، ط: 1968 تحقيق: د. شكري فيصل، دار الهاشم بيروت

(47) ديوان الهذليين، ط: 1965 الدار القومية - القاهرة

(48) زبدة الاتقان في علوم القرآن: محمّد بن علوي، ط: 1/1981 دار الانسان القاهرة

(49) سر صناعة الاعراب (الجزء الأول): ابن جني، تحقيق: لجنة من الاساتذة

ط: 1964 مط مصطفى الباشي الحلبي (القاهرة)

(50) سيرة: راجع النحوي السري: د. فوزي سمور، ط: 1966 الهيئة المصرية للكتاب

(51) شذور الذهب: ابن هشام، تحقيق: عبد الحميد، مط السعادة - مصر

(52) شرح ابن عقيل: تحقيق عبد الحميد، ط: 14/1965 مط السعادة - مصر

(53) شرح ديوان الحماسة لابن تمام، تحقيق الاستاذين: أحمد أمين وعبد السلام

هارون، ط: 1/1951 لجنة التأليف والترجمة - القاهرة

(54) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: أبو بكر محمد بن القاسم الانباري

تحقيق: عبد السلام هارون، ط: 2، دار المعارف مصر

(55) شرح القصائد العشر : التبريزي ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة

ط: 1 / 80 دار الاتفاق الجديدة بيروت

(56) شرح قطر الندى : ابن هشام ، المطبعة العربية - مصر

(57) الشعر الجاهلي : د. سيد حنفي ط: 1971 الهيئة المصرية للطباعة

(58) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : د. يوسف خليل

ط: 2 / دار المعارف - مصر

(59) الشعر والشعراء : ابن قتيبة طبعة ليدن 1902

(60) الشعرية : تودوروف ، ترجمة : شكري المخوت ورجا * بن سلامة

دار توبقال للنشر (الدار البيضاء) ط: 1987

(61) الصاحبى في فقه اللغة : ابن فارس ، تحقيق : د. مصطفى الشويبي

ط: 1963 مؤسسة بدران للطباعة والنشر - بيروت

(62) صبح الاعشى : القلقشندي ، المؤسسة المصرية العامة

(63) الصحاح : الجوهري ، تحقيق : عطار ، ط: 3 / 1984 دار العلم للملايين بيروت

(64) ضحى الاسلام : الاستاذ أحمد أمين ، ط: 10 ، دار الفكر العربي بيروت

(65) الضرائر : الأيوسي ، ط: 1341 هـ المطبعة السلفية - القاهرة

(66) ضرائر الشعر : ابن عصفور ، تحقيق : السيد ابراهيم محمد

ط: 1 / 1980 دار الاندلس - بيروت

(67) طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، تحقيق : محمود محمد شاكر

مطبعة المدني القاهرة

(68) طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم

ط: 1973 دار المعارف - مصر

(69)  ظاهره الاعراب في النحو العربي: د. أحمد سليمان يا قوت

ط: 1983 ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر

(70)  العرب قبل الإسلام: جرجي زيدان، منشورات المكتبة الأهلية - بيروت

(71) العرب والحضارة: د. علي حسن الخربوطلي ط: 1966 المطبعة الفنية القاهرة

(72) العربية: يوهان فوك، ترجمة عبد الحليم النجار،

ط: 1951 دار الكتاب العربي - القاهرة

(73) العربية بين الطبع والتطبيع: عبد الجليل مرتاني

ط: 1993 ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر

(74) العربية عبر القرون: د. محمود فهمي حجازي،

ط: 1968 دار الكتاب العربي - القاهرة

(75) علم الفصاحة: د. محمد علي الخفاجي، ط: 1982/2 دار المعارف - مصر

(76) علم اللغة: د. محمود جاد الرب، ط: 1980/1 دار المعارف - مصر

(77)  العمدة: ابن رشيق، تحقيق عبد الحميد ط: 1963/3 مط السادة مصر

(78)  الفاصل: المراد، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط: 1956 دار الكتب العربية

(79)  فضائل القرآن: ابن كثير، ط: 1966 دار الاندلس، بيروت

(80)  فقه اللغة: د. صبحي الصالح، ط: 1968/3 دار العلم بيروت

(81) فقه اللغة : د. وافي ، ط: 1972 دار نهضة مصر

(82) فقه اللغة السمارن : د. ابراهيم السامرائي ط: 1968 دار العلم للملايين بيروت

(83) في الادب الجاهلي : د. طه حسين ط: 1964 ، دار المعارف مصر

(84) في علم اللغة التقابلي : د. يا قوت ، ط: 1985 دار المعرفة الجامعية الاسكندرية

(85) قصة الكتابة العربية : ابراهيم جمعة ط: 2/ دار المعارف مصر

(86) قيام الدولة العربية الاسلامية : محمد جمال الدين ط: 5/ 1969 دار الفكر العربي

(87) الكامل : المبرور ، تحقيق : ابو الفضل وشحاتة ، نهضة مصر القاهرة

(88) الكامل في التاريخ : ابن الاثير ، ط: 2/ 1980 دار الكتاب العربي بيروت

(89) كتاب الابدال : ابن السكيت ، تحقيق : د. حسين محمد شرف ط: 1978 الهيئة

العامّة لشؤون المطابع الاميرية - القاهرة

(90) كتاب التيسير في القراءة السبع : الدانحسي ، اسطانبول ط: 1930

(91) كتاب الجمل في النحو : الخليل بن احمد ، تحقيق : د. فخر الدين قهاوة

ط: 1/ 1985 مؤسسة الرسالة بيروت

☆ كتاب جمل من فقه السبع

(92) كتاب العين : الخليل بن احمد ، تحقيق : د. عبد الله درويش (الجزء الاول)

ط: 1967 مطبعة العاني - بغداد

(93) كتاب الفهرست للنديم : تحقيق رضا تجدد ، طبعة طهران : 1971

(94) كتاب الكتاب : ابن درستويه ، تحقيق : د. ابراهيم السامرائي ، والصدكتور

عبد الحسين الفتلي ، ط: 1/ 1977 مؤسسة دار الكتب الشافعية - الكويت

(95) كتاب معاني الحروف: الرمانى النحوي، تحقيق: د. عبدالفتاح شلبي

دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة

(96) كتاب نور القبس: المرزباني واختصار اليفموري، تحقيق: ر. و. د. ولف

زلهام ط: 1964، دار النشر فرانكس شتايز بغيستاد

(97) الكتاب (خمس أجزاء): سيبيويه، تحقيق: عبدالسلام هارون

الطبعة الأولى، طبعة الجزء الأول عام: 1966، دار القلم، القاهرة

طبعة الجزء الثاني عام: 1968، دار الكتاب العربي - القاهرة

طبعة الجزء الثالث عام: 1973، الهيئة المصرية العامة للكتاب -

طبعة الجزء الرابع عام 1975، الهيئة المصرية العامة للكتاب

طبعة الجزء الخامس عام: 1977، الهيئة المصرية العامة للكتاب

(98) لامية العرب: الشنفرى، تحقيق: د. محمد بدیع ط: 1964، دار الحياة بيروت

(99) لحن العامة: الزبيدي، تحقيق: د. عبدالعزيز مطر ط: 1981، دار المعارف مصر

(100) لسان العرب: ابن منظور، الدار المصرية للتأليف والترجمة

(101) اللسانيات من خلال النصوص: د. السدي ط: 1984، الدار التونسية للنشر

(102) اللغة، في فنون ريس، ترجمة: عبد الحميد السدواخلي ومحمد القصاص

ط: 1950، مطبعة البهسان - القاهرة

(103) اللغة العربية: كائن حي: جرجي زيدان، طبعة دار الهلال

(104) اللغة والنحويين القديم والحديث: عباس حسن، ط: 1966، دار المطارف مصر ★

105 (105) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : د. محمد ه. الراجحي



ط: 1969 دار المعارف مصر

106 (106) اللهجات العربية في التراث : د. أحمد علم الدين الجندى ، الهيئة المصرية للكتاب

107 (107) ما ينصرف وما لا ينصرف : أبو إسحاق الزجاج ، تحقيق هدى محمود

ط : 1971 مطابع الاهرام التجارية - القاهرة

108 (108) مباحث لغوية : د. ابراهيم السامرائي ط: 1971 مطبعة الادب في النجف الاشرف

109 (109) متن الكافية : ابن الحاجب ، ط: 1241 هـ طبعة بولاني

110 (110) مجالس ثعلب : تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المعارف مصر

111 (111) مجمع الاشغال : الميداني ، تحقيق : عبد الحميد ، ط: 1959/2 مط. السعادة مصر

112 (112) محاضرات في الاصلية العامة : ف. د. يوسف غازي ومجيد

النصر ط: 1984 دار نعمان للثقافة - لبنان

113 (113) مدخل الى اللسانيات : رونالد ايلوار ، ترجمة د. بدر الدين القاسم

ط: 1980 مطبعة جامعة دمشق

114 (114) المدخل الى علم اللغة : د. رمضان عبدالقواب ط: 1985/2 مط. المدني مصر

115 (115) المذكر والمؤنث : ابن التستري الكاتب ، تحقيق : د. أحمد عبد المجيد هريدي

ط: 1 / 1983 مط. المدني مصر

116 (116) المذكر والمؤنث : الفراء ، تحقيق : د. رمضان عبدالقواب ط: 1975

مط. قاعد خيبر - القاهرة

117 (117) المذكر والمؤنث : المبرد ، تحقيق : د. رمضان وصالح الدين الهادي

ط: 1970 مط. دار الكتب مصر

(118) مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوي ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم

دار الفكر العربي

(119) المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث : تودوروف وفولكروم ترجمة : X

قنيني عبد القادر ط : 1988 إفريقيا الشرق (المغرب)

(120) مروج الذهب : المسعودي ، دار الاندلس بيروت

(121) المزهر : السيوطي ، تحقيق جاد المولى وآخرون مطبعات البابي الحلبي

(122) المسالك والممالك : الاصطخري ، تحقيق : محمد جابر ، ط : 1969

دار القلم - القاهرة

(123) مصادر الشعر الجاهلي : د. ناصر الدين الأسد ط : 1969/4 دار المعارف مصر

(124) معترك الأقران في إعجاز القرآن : السيوطي ، تحقيق البجاوي دار الفكر القاهرة

(125) معجم القراءات القرآنية (الجزء الأول) : د. عبد العال ، د. أحمد مختار

ط : 1/1982 مطبوعات جامعة الكويت

(126) معجم ما استعجم : البكري ، تحقيق مصطفى السقا مطبعة التآليف القاهرة

(127) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي

ط : 1/1987 دار الحديث - القاهرة

(128) المعرب : أبو منصور الجواليقي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر

ط : 2/1969 مط. دار الكتب - القاهرة

(129) معرفة القراء الكبار : شمس الدين الذهبي ، تحقيق جاد الحق ط : 1969

دار الكتب - القاهرة

(130) مغني اللبيب : ابن هشام تحقيق عبد الحميد مطاوي القاهرة

(131) المفصل في علم العربية : الزمخشري ط: 2/ دار الجيل بيروت

(132) المفضليات : المفضل الضبي ، تحقيق شاكر وهارون مطاوي القاهرة

(133) المقدمة : ابن خلدون ، مطاوي مصطفى محمد - القاهرة

(134) من أسرار اللغة : د. إبراهيم انيس ط: 3/ 1986 المطبعة الفنية الحديثة القاهرة

(135) من تاريخ النحو : سعيد الأفغاني ، مطاوي دار الفكر - بيروت

(136) مقدمة في علوم اللغة : د. البدر اوي زهران ط: 2/ 1986 دار المعارف مصر

(137) من الساميين الى العرب : نسيب وهبة ، دار مكتبة الحياة - بيروت

(138) من لغات العرب (لغة هذيل) : د. عيد الجواد الطيب الاستاذ بجامة طرابلس

(مجهول المكان والزمان)

(139) المنقوص والمدود : الفرا ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، دار المعارف مصر

(140) الموشح : المرزباني ، تحقيق محمد البجاوي ط: 1985 دار نهضة مصر

(141) مولد اللغة : احمد رضا ط: 1956 دار مكتبة الحياة - بيروت

(142) نزهة الالباء في طبقات الازباء : ابن الانباري تحقيق : د. ابراهيم السامرائي

ط: 2/ 1970 مكتبة الاندلس - بغداد

(143) النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، الطبعة التجارية القاهرة

(144) نظم الفرائد وحصر الشرائد : ابن بركات المهلب تحقيق : د. عبد الرحمان

ابن سليمان العثيمين ط: 1/ 1986 مطاوي المدني مصر

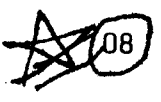
- (145) نظرات في اللغة عند ابن حزم: سعيد الافغاني ط: 1969 دار الفكر بيروت
- (146) نظرية النحو القرآني: د. احمد مكي الانصاري ط: 1405/1 هـ مطابع ابو الفتوح ★
- (147) نكت الاعراب في غريب الالعاب: الزمخشري، تحقيق: د. محمد ابو الفتوح شريف
- ط: 1985 دار المعارف - مصر
- (148) النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في اللغة والادب: د. محمد مندور
- ط: 1969 مطبعة نهضة مصر بالجالة
- (149) نهاية الارب في معرفة انساب العرب: القلقشندي تحقيق الالبيري ★
- ط: 1959/1 مطبعة مصر
- (150) الوجيز في فقه اللغة: محمد الانطاكي ط: 2 دار الشرق (سوريا)

المصادر الرئيسية :

- (1) الاستاذ : مجلة كلية التربية في جامعة بغداد العدد (2) السنة: 1978-1979
- (2) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني العدد (2) شعبان 1398 هـ - 1978 م
- (3) المورد: العدد (1) سنة 1978 دار الحرية للطباعة - بغداد
- (4) المورد: العدد (3) سنة 1978 دار الحرية للطباعة - بغداد
- (5) المورد: العدد (2) سنة 1981 دار الحرية للطباعة - بغداد
- (6) الموقف الادبي (عدد خاص باللسانيات) العددان: 135-136 سنة 1982

7 - المراجع باللغة الأجنبية

=====

- 01 - Clefs pour la Linguistique Generale (G. Mounin) 
Edition Seghers, Paris 1968 - 1971
- 02 - Cours de Linguistique Generale / Saussure
ENAG / Editions 1990.
- 03 - Comprendre la Linguistique/ Bernard Pottier
Edition Marabout / Verviers 1975
- 04 - Dictionnaire de la Linguistique / G. Mounin
Edition 1914; presse Universitaire de France
- x05 - Essai de Linguistique Generale : R. JACKOBSON
Edition de minuit 1963
- 06 - Grammaire de l'arabe (Gerard Leconte " Que suis-je" 
Presse Universitaire de France 1968.
- 07 - Guide alphabétique (André Martinet) 
-  08 - Guide pratique de grammaire française
(Charles Gordert Hachette, 1978)
- 09 - La grammaire pour tous (Bescherelle)
Edition 1984 - Hatier Paris.
-  10 - Initiation à la problematique structurele, 
J.L Chis
J. Fillio et D. Maingnneau.
Hachette, Université de Paris 1978.
- 11 - Introduction à la Linguistique : Glesson 

- ~~12~~ - Langues vivante, Jean Guenôt
Edition Seghers, Paris 1964/1971.
- 13 - Linguistique appliquée et didactique des langues :
Denis Girard 4eme Edition, Armand Colin
Longman , 1972
- 14 - La linguistique synchronique (A; Marnet ✓
presse Universitaire , France
- 15 - pour comprendre la linguistique / Marima ✓
Yaguello, Edition du seuil 1969
- 16 - Structure syntaxique / Chomsky ✓
Edition du seuil 1969.
- * -
- 17 - Theories syntaxiques et syntaxe du Français, ✓
Nicoles Ruwet
Edition du seuil , Paris 1972
- 18 - Traite de philologie / Henri, Fleisch O
Imprimerie Catholique/ Beyrout 1967.
- 19 - Rivières et déserts (ensemble d'auteurs)
Edition SINDBAD 1983

(8) الفهرس المفصل لحاور البحث

=====

صفحة

المحقيقون

هـ - هـ

المقدمة

290 - 2

القسيم الأول

=====

دراسات تركيبية

في

السماتيات والهجيات العربية المساعدة

51 - 3

تصنيف

=====

17 - 4

(1) مواقع بلاد المغرب

34 - 18

(2) طبقات المغرب

50 - 30

(3) اللهجات بين المواقع والطبقات

136 - 52

المسالك الأولى

=====

القضايا المغربية واشكالية اللهجة النموذجية

الفصل الأول : التقاطعات الفصائية للقبا ئل العربية 52 - 77

الفصل الثاني : فصاحة قبيلة قريش؟ 78 - 90

الفصل الثالث : اللغة النموذجية ومواقعها بين القبا ئل 91 - 136

الباب الثاني

دراسات تركيبية في اللغات السامية

الفصل الأول : السامية والساميون 137 - 150

الفصل الثاني : العلاقات اللغوية بين اللغات السامية 151 - 162

الفصل الثالث : التراكيب اللسانية في اللغات السامية 163 - 204

الباب الثالث

دراسات تركيبية في اللهجات العربية البائدة

231 - 205 الفصل الأول : في البنية السانتكسية

242 - 232 الفصل الثاني : في البنية المورفولوجية

257 - 243 الفصل الثالث : في البنييتين : المعجمية والدلالة

290 - 258 الفصل الرابع : في البنية الصوتية بين المفظوظ والمكتوب

571 - 291 القسم الثاني

دراسات تركييبية

في

اللهجات العربية الباقية

379 - 293 الباب الأول

فهي مدونة اللهجات العربية الباقية

317 - 293	الفصل الأول : المد ونسبة
346 - 318	الفصل الثاني : التقاط المد ونسبة
379 - 347	الفصل الثالث : اشكاليات حول المد ونسبة المسموعة
571 - 380	<u>الباب الثاني</u>
	التركيب في المهمات العربية الباقية
415 - 381	الفصل الأول : قراءة لسانية عامة حول البنية الساكنة.
472 - 416	الفصل الثاني : التركيب الاسمي
517 - 473	الفصل الثالث : التركيب الفعلي
550 - 518	الفصل الرابع : التركيب الحرفي والظرفي
571 - 551	خلاصة البحث

